المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٠٣٢

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

(دراسة تحليلية نقدية)

رسالة علمية مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

للحصول على درجة العالِمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب:

عبدالقادر بن فالح بن نفاع السلمي

الرقم الجامعي: ٣٢٧٢٢٨٣٧٠

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور/ عبيد بن عبدالله السحيمي

١٤٣٦هـ - ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتوجه بالشكر والثناء إلى الله - سبحانه وتعالى - الذي وفقني ويسر طريقي لإتمام هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين التي تحتضن الباحثين؛ لتسهم بشكل فعال في تخريج الكفاءات العلمية لخدمة ديننا ووطننا، والشكر موصول لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبيد بن عبدالله السحيمي الذي أشرف على هذه الرسالة، والذي لم يألُ جهدا في متابعتي بأسلوب يتميز: بحسن الخلق وسعة العلم ودقة الملاحظة، مع جميل الصبر، وعظيم الحلم، وكرم المعاملة، فأنعم به وأكرم من مربٍ فاضل، وأستاذ قدير وشيخ جليل، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له عظيم الأجر والثواب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالرب نواب الدين مرشدي الأكاديمي، والذي كان له الفضل بعد الله – عز وجل – في اختيار هذا الموضوع، فأسال الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الكريمين على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وتسديد ما بها من ثغرات.

والشكر موصول إلى كل من مد لي يد العون، وساهم في نجاح هذه الرسالة، وشاركني بعلمه أو رأيه أو فكره أو وقته أو دعائه من مؤسسات ومكتبات و أفراد. فلهم مني جزيل الشكر والدعاء وجزاهم الله خير الجزاء.

الباحث

إهـــــداء

- إلى والديَّ الكريمين اللذين تعهداني بحسن التربية والتعليم، وكان لدعائهما الفضل بعد الله - سبحانه وتعالى - في مواصلة دراستي، أطال الله في عمرهما وأمدهما بالصحة والعافية.
- إلى سندي في الملمات، وعضدي في النائبات، إخواني وأخواتي.
- إلى زوجتَيّ اللتين ضحّيتا بوقتهما في سبيل مواصلتي للدراسة.
- إلى أبنائي وبناتي الذين أخذت من وقتهم الكثير.
- إلى مشايخي وأساتذتي بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- إلى زملائي في مهنة التعليم وجميع أصدقائي.
- إلى كل مثقفٍ، وداعٍ، وطالبِ علم.

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

المقدمـــة

المقدمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3] [4].

أما بعد ...

فمن نعم الله على خلقه أن رزقهم نعمة العقل الذي به يتعلمون، فالعلم نعمة من نعم الله الجزيلة، وقد وجه البعض من الناس هذه النعمة التي وهبها الله لهم لمحاربة دين الله الذي أوجده ليعبد الله على بصيرة، فظهرت بذلك الفرق

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠ – ٧١.

(٤) هذا نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وقد رواها أصحاب السنن الأربعة: رواه أبو دواد حديث رقم: ٢١١٨، والترمذي رقم: ١١٠٥، والنسائي في السنن الكبرى تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، رقم: ٣٢٧٧، ٣٢٧٨، وابن ماجه في سننه – تحقيق: أحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ. رقم: ١٩٨٢، وأحمد في مسنده رقم: ٣٧١٢، وإسناده صحيح قال الترمذي: حديث حسن، وقد جاءت خطبة الحاجة مختصراً دون ذكر الآيات في صحيح مسلم رقم: ٨٦٨ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الضالة التي تدعو إلى طمس هذا الدين، وانطلقت الحركات الهدامة لتعمل بمعول واحد للنيل من رسالة الإسلام الخالدة، ومن ذلك حركة الاستشراق، فالاستشراق على العموم هو: (اهتمام علماء الغرب بعلوم الشرقيين وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعلومهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأساطيرهم)(١).

ونرى الآن كثيرا من كتابات المستشرقين السابقة، والتي كان لها السبق في علم الاستشراق تتهاوى على أيدي الباحثين عند التحقيق العلمي الدقيق، ومن كتاباتهم دائرة المعارف الإسلامية، والتي أظهرت الدراسات الحديثة مدى التعسف التي كتبت به، وبعدها عن الموضوعية العلمية، وأنها لا تساوي أمام النقد العلمي شيئا.

هذا وقد كان لحركة الاستشراق الدور البارز في إظهار الصورة السيئة للإسلام في أوروبا خاصة، وفي العالم الإسلامي على وجه العموم، وذلك مما أثار شبهات جديدة مضافة إلى شبهات الفرق الضالة في الإسلام، وربما استطاع الاستشراق أن يظهر من آراء الفرق المندثرة، فكان هو والفرق الضالة ينصبان في إناء واحد، ويهدفان إلى هدف واحد، وهو الكيد للإسلام وأهله، وقد تتبع بعض العلماء ظهور حركة الاستشراق، وما سجله المستشرقون من كتابات ومحاضرات وندوات حيث كان لهم النصيب الأوفى في تحقيق أطماع الغرب في العالم الإسلامي، مع العلم أن ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يصعب الإحاطة به كيف وقد ذكر أحمد سمايلوفتش بقوله: (إن مجموع ما نشره المستشرقون بين سنة ١٩٠٦م إلى سنة ١٩٦٠م فقط يزيد على ٥٠٠٠٠ دراسة

(١) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٧ – ٣٠، د. محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، ص١١. وانظر: على بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية – مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، ص١٧.

نشرت في الدوريات الاستشراقية والعربية)[١].

بالإضافة إلى ما ذكره الدكتور العقيقي في كتابه المستشرقون

لذا فإن الدراسة في هذا المجال صعبة والبحث في جميع جوانبها مضن كما يقول رودي بارت: (فمن ذا الذي يستطيع الإحاطة بمادة في هذا اليم، ليس أمام العلماء من حل سوى اختيار طائفة محدودة من الموضوعات من بين الكمية الهائلة من موضوعات العلم والبحث المتشعبة)[٢].

ولا يزال أعداء الإسلام من أهل الكتاب يكيدون للإسلام كي يوهنوا ويقضوا عليه إن استطاعوا قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[٣].

فقد بثوا الشبهات في عهده ﷺ، والمجادلة بالباطل ثم أدى ذلك إلى الوقوف بالسيف أمام الرسول ﷺ في عدة مواقع كان آخرها معركة مؤتة التي كانت إنذارًا لهم بخطر الإسلام، وأنه قوة لا يستهان بها.

فمن بين الموضوعات التي تناولها المستشرقون، واعتنوا بها سيرة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره.

ولقد كانت خلافة عثمان ﷺ، أطول مدة زمنية بين بقية الخلفاء الراشدين الثلاثة مليئة بالفتوحات، والإنجازات الحضارية، وكذلك الأحداث السياسية المهمة في تاريخ المسلمين. إلا أن سيطرة الأحداث السياسية على كتب وروايات المؤرخين كان لها طابعها الخاص والمؤثر، في إدارة الأزمة والحدث، ولو لم يعبر

---

(١) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م – ص١٠٥.

(٢) رودي بارت: الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية – ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة دار الكتاب العربي ١٩٦٧م، ص٥٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٢٠.

عن حقيقة الواقع.

فكان الحديث عن خلافة عثمان ﷺ، وخاصة فتنة مقتله مزلة قدم، فتنت البعض عن إبصار الحق، وغابت عنه شمس الحقيقة، فجرى خلف الباطل وصدق كل ناعق، وصدق الله ﷻ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[1].

ولما انصرف المستشرقون إلى دراسة تاريخ المسلمين، والعمل على تحقيق علومه، وجدوا بغيتهم فيما ذكرته كتب التاريخ، وغيرها من روايات كاذبة ومغرضة ترمي سلف الأمة ورجالها الصادقين، بكل عظيمة من الظلم في القول والفعل، ومنها ما جاء عن خلافة عثمان ﷺ، ومن هنا يظهر أهمية الموضوع.

أهمية الموضوع:

قال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾[2].

وقال ﷺ: {إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابا جعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا، فمن سبهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا}[3].

---

(١) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية: ٣/ ٧٣٢، رقم: ٦٦٥٦، وابن أبي عاصم في السنة، مع تخريج الألباني: ظلال الجنة – الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-المكتب الإسلامي – جـ٢ ص٤٦٩ رقم: ١٠٠٠، والطبراني في المعجم = ⇦

وقـال كـذلك ﷺ: {إن بنـي إسرائيـل تفرقـت عـلى اثنتـين وسـبعين ملـة، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قـالوا: ومـن هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه أنا وأصحابي}[(١)].

وهذا يدل على أن المنهج الذي سار عليـه الـصحابة ﷺ هـو المنهج الـذي أتى به الرسول ﷺ، فالطعن فـيعم طعـن في هديـه ﷺ، ومـا زال أعـداء الإسـلام يطعنون في صحابته الكـرام رضـوان الله علـيهم للنيـل منـه ﷺ، كـما قـال الإمـام مالك رحمه الله: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلـك، فقـدحوا في أصـحابه حتـى يقـال: رجـل سـوء، ولـو كـان رجـلا صـالح لكـان أصحابه صالحين)[(٢)].

وقد طعن أعـداء الإسـلام مـن المستـشرقين في الخليفـة الراشـد عـثمان بـن عفان ﷺ بحجة البحث العلمي، والرأي الحر، والنقد الموضوعي، ودونوا ذلك في كتـبهم، فكـان نـصيب دائـرة المعـارف الإسـلامية النـصيب الأوفى إذ قامـت بجمعها وتـدوينها بغيـة إحـداث رأي عـام، ومـن هـذه الـشبهات التـي أوردهـا المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية ما ذكرها المستشرق ليفـي دى لافيـدا[(٣)] (Levi Della Vide) البحـث عـن سـبب اختيـار عـثمان ﷺ للخلافـة فيقـول: (اختـاره مجلـس الـشورى الـذي أمـر بـه عمـر بـن الخطـاب [ﷺ] ليكـون أحـد

= الكبير - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، بدون تاريخ - جـ١٧ ص١٤٠ رقم: ٣٤٩. حديث صحيح.

(١) أخرجه الترمذي في كتابه الإيمان: رقم: ٢٦٤٠ و رقم: ٢٦٤١، وقال: حديث غريب، وحسنه الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ-المكتب الإسلامي - بيروت، رقم: ١٧١، وله طرق أخرى مختصراً عن أبي هريرة وغيره، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم: ٢٠٤.

(٢) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول: دار الكتب العلمية - بيروت: ص٥٨٠.

(٣) ليفي دي لافيدا: ستأتي ترجمته في التمهيد ص٦٠.

المرشحين للخلافة، وربما كان ذلك لعرقه الأموي، ولصلته القوية بمحمد [ﷺ] ، وكان بنو أميه قد استطاعوا حتى في حياة الرسول [ﷺ] أن يستردوا بعضا مما كان لهم من نفوذ في الجاهلية)(١).

وقوله: (لم يكن في الواقع يمتلك القدرة السياسية والحنكة التي كانت لسلفه، وقد ألصق خصوم عثمان بن عفان [رضي الله عنه]به تهمة إيثاره لأقربائه في تولي المناصب الكبرى)(٢).

(وقد اتهم عثمان [رضي الله عنه]بأنه احتفظ بجانب من الغنائم لعمّاله وأقاربه، وذلك بتوسيعه لمفهوم القطائع إلى حد كبير)(٣).

وجاء أيضا في مادة: بنو أمية: (فلما جاء عثمان كان حكمه دليلا على الانتصار الصريح لحزب بني أمية الذي تحيّف من حق السابقين الأولين إلى الإسلام)(٤).

ومن خلال اطلاع الباحث على دائرة المعارف الإسلامية، والوقوف على الشبهات الواردة حول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والأحداث المتعلقة بعصره، رأى أنه يلزم مناقشة هذه الشبهات مناقشةً علميةً، ونقدها والحكم عليها، وإبراز المكانة الرفيعة للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه في تاريخنا الإسلامي، وهو ما يميز هذه الدراسة عن غيرها في أنها تتناول موضوعا أصيلا في الثقافة الإسلامية، ذا صلة بتاريخ الخلافة الراشدة محاولا من خلالها الكشف عن موقف المستشرقين من خلال ما سطروه في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه والأحداث المتعلقة بعصره، خاصة ما يتصل منها بحياته

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ – مادة: عثمان بن عفان.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ ص١٢٠٩ – مادة: بنو أمية.

وخلافته، وجمعه للقرآن الكريم، مع ما يمثله كمصدر أصيل للثقافة الإسلامية، وكذلك ما يتعلق بموقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وهذه الموضوعات وإن تناولها بعض الباحثين بالدراسة والتحليل، لكن ما يميز هذه الدراسة عن غيرها أنها جمعت أقوال المستشرقين وسجلت مواقفهم الإيجابي منها والسلبي من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية والتي تشكل للعقل الغربي زادا وسفرا مهما من أسفارهم، كما اجتهد الباحث في هذه الدراسة في الرد على شبهاتهم التي بثوها في ثنايا كلامهم، وذلك بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الأصيلة، ومن ثم كان موضوع رسالته لنيل درجة الدكتوراه.

موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في إدارة المعارف الإسلامية - دراسة تحليلية نقدية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. تأكيد المنزلة العالية للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن القدح في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تقويض لبنيان الإسلام، ونقض له من أساسه.

٢. الرد على المستشرقين في افتراءاتهم على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا الرد يُعد نوع من أنواع الجهاد، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **{جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم}**(١).

٣. أن في قدح المستشرقين وافتراءاتهم على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وسيلة وذريعة للقدح في الرسول صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من الحق من عند ربه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - مسند أنس بن مالك - رقم: ١٢٥٣٣، ص٨٨٦، وأبو دواد في سننه - كتاب الجهاد - باب: كراهية ترك الجهاد، رقم: ٢١٤٣، والنسائي في سننه - كتاب الجهاد - باب: وجوب الجهاد - رقم: ٣٠٤٥ - وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته - رقم: ٣٠٩٠ جـ١ ص٥٩٣.

٤. إذا كان سلفنا الصالح - رحمهم الله - قد قاموا بواجبهم في الدفاع عن الصحابة ﷺ خير قيام، فنحن اليوم أولى بالدفاع عنهم نظراً لتفاقم الشبهات حولهم.

٥. بُغية الوقوف على كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية والتي تناولوا فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره جرحًا أو تعديلا.

٦. معرفة المصادر التي أخذ بها المستشرقون في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

أسئلة الدراسة:

تنطلق الدراسة الحالية للإجابة على التساؤل الرئيس التالي:

ما موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية؟

وللإجابة على هذا السؤال لزم الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما موقف المستشرقين من الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية؟

٢. ما موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية؟

٣. ما الأحداث المتعلقة بعصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، وما موقف المستشرقين منها من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية؟

٤. كيف يرد على شبه المستشرقين في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية؟

۞ أهداف الدراسة:

١. عرض ما كتبه المستشرقون عن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والأحداث المتعلقة بعصره من افتراءات ومطاعن، ومن ثم نقده على وفق المنهج الإسلامي الصحيح.

٢. دراسة موقف المستشرقين ومصادرهم في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٣. معرفة موقف المستشرقين من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتاريخه وسيرته.

٤. الدفاع عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والذب عما يشوه سيرته وجهاده ونصرته للدين الحنيف.

۞ حدود الدراسة:

- يعتمد الباحث على ما كتب حول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية طبعة الشارقة، وهي الطبعة الوحيدة التي اكتملت والتي اعتمد عليها الباحث في الرسالة.

- يقتصر الباحث على الكتابة في الأحداث المتعلقة بعصر عثمان بن عفان إلى حين وفاته رضي الله عنه.

۞ منهج الدراسة:

- الاعتماد على المنهج التاريخي في التتبع الزمني للأحداث التي تتم مناقشتها.

- الاعتماد على مناهج المسلمين من (المحدثين) و (المؤرخين) في نقد الراويات، وذلك لإيراد الدائرة الكثير من الروايات التاريخية التي يتطلب عرضها على منهج المحدثين.

- الرجوع إلى مصادر المستشرق في مادته عند الحاجة، للتأكد من النقل الصحيح، ونقدها نقداً علمياً.

ويتم تطبيق هذا المنهج وفق الخطوات التالية:

١. مراجعة جميع مواد الدائرة، واستخراج الكتابات المتعلقة بالخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره، والتي تمثل آراء المستشرقين فيه.

٢. تقسيم هذه الآراء على حسب الموضوعات.

٣. تحليل هذه الآراء ونقدها نقدًا علميًا، وذلك بعرضها على المصادر الإسلامية المعتمدة.

٤. في مواد الدائرة غير المترجمة يجتهد الباحث في الحصول على ترجمة خارجية من أهل الاختصاص، أما المواد المترجمة فيتم الرجوع فيها إلى الطبعة العربية المترجمة.

- الالتزام بقواعد المنهج العلمي في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية وتتمثل في:

أ. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله تعالى، مبيناً اسم السورة ورقم الآية.

ب. تخريج الأحاديث النبوية في مواضعها من كتب السنة، مع ذكر الكتاب أو الباب ورقم الصفحة، مبينا الحكم عليه معتمداً في الغالب على حكم أهل التخريج من المشهود لهم في هذا الفن، واجتهدت أنْ لا أذكر إلا ما صح من حديث الرسول ﷺ.

ت. عزو الأقوال إلى المصادر والمراجع مع ذكر الكتاب ومؤلفه، ثم الجزء ورقم الصفحة، أما عند ذكر الكتاب أول مرة فأضيف دار النشر ومكان الطبع ثم رقم الطبعة وسنة الطبع، إن توفرت.

ث. إذا كان النقل بالمعنى أو مع التصرف ذكرت المرجع مُصَدِّراً بكلمة:

(ينظر).

ج. ركزت في الترجمة للأعلام على الترجمة للمستشرقين، وأما غيرهم ممن فاكتفيت بشهرته في ميدان الثقافة الإسلامية كالصحابة مثلا، إلا من اقتضت ضرورة البحث والترجمة له.

ح. إذا تكرر الشاهد الواحد في أكثر من موضع أكتفي بقول «سبق تخريجه» مع ذكر رقم الصفحة التي ورد فيها هذا الشاهد أول مرة.

خ. أضفت بعد ذكر النبي عبارة ﷺ، وكذا أضفت بعد ذكر الصحابي عبارة: ﷺ خاصة في نصوص المستشرقين، والتي تأتي دائما خالية عن هاتين العبارتين ووضعها بين معقوفين.

مصطلحات الدراسة:

يمكن حصر مصطلحات الدراسة فيما يلي:

موقف – المستشرقون – الخلافة – عثمان – عصر عثمان – دائرة المعارف الإسلامية.

١ –موقف:

الموقف في اللغة: المكان الذي يقف فيه الإنسان. وموقف الإنسان حيث يقف، وقال الفيروزآبادي: (وقف يقف وقوفاً: دام قائماً)، وقال أيضاً: (والموقف محل الوقوف)[(١)].

ونعني بكلمة: "موقف" هنا التعبير عن وجهة نظر معينة، وقد جاء في

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط ص١١١٢ – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

تعريف الموقف أنه: (استعداد أو رأي يتخذه المرء إزاء شخص أو قضية)[١].

ويمكن أن أعرف الموقف بأنه: وجهة نظر أو فكرة معينة يتبناها شخص ما تجاه موضوع ما، وهذه الوجهة وتلك الفكرة غالبا ما تدور حول القبول أو الرفض.

وهذا المعنى هو الذي يتناسب مع الدراسة التي نحن بصددها، وهو ما سنقف عليه من تبني المستشرقين من كتاب دائرة المعارف الإسلامية لوجهة نظر معينة تتعلق بخلافة عثمان بن عفان ﷺ والأحداث المتعلقة بعصره.

٢-المستشرقون:

الاستشراق لغة: عند فحص كلمة شرق في معاجم اللغة نجد أنها إن كانت مجردة من "شرق" فهي تعني: شروق الشمس، وإن زيدت بحرف لتصير "أشرقت" فيراد بها أضاءت، والجهة التي تطلع منها الشمس هي الشرق، والساكنون في تلك الجهة شرقيون، هذا ما تقرره المعاجم العربية التي تؤكد أن مادة: (شرق تدل على إضاءة، وفتح من ذلك شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، والشرق: المشرق)[٢].

ويلاحظ هنا أنه قد أضيف إلى المادة الأصلية "شَرَقَ" ثلاثة حروف وهي الألف والسين والتاء، فأصبحت استشراق، وهذه الزيادة قد أضافت معاني جديدة زائدة تدور حول الطلب والتعرف. فالاستشراق يأتي لعدة معاني هي: طلب الشيء، والمعنى طلب لغات الشرق وعلومه وأديانه. التعرف على الشيء،

---

(١) جبران مسعود: الرائد - معجم لغوي معاصر جـ٢ ص١٤٥٧ - الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٦م - دار العلم للملايين - بيروت. وقارن: حسن الكرمي: الهادي إلى لغة العرب جـ٤ ص٥٢٨. وابن فارس: معجم مقاييس اللغة ص١٠٦٢، والجوهري: الصحاح جـ٢ ص١٠٩٩، والفيومي: المصباح المنير مادة: (و ق ف) ص٣٤٤.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ص٥٣٤ مادة شرق - الطبعة الأولى - سنة ٢٠٠١م - دار إحياء التراث العربي - القاهرة.

وهو هنا التعرف على الشرق في علومه وتاريخه وأديانه. الأخذ من ناحية المشرق[1].

الاستشراق اصطلاحا: اتفقت كلمة الباحثين الذين أوردوا تعريفات لمصطلح الاستشراق على أنه الاتجاه نحو الشرق لدراسته في كل ما يختص به.

عرف المستشرق الألماني رودي بارت الاستشراق بقوله: (استشراق من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرِق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي)[2].

وكذلك فعل المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون" الاستشراق بأنه: (إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق)[3].

وعُرف الاستشراق في قاموس "أكسفورد" بأنه: (دراسة الشخصية من ناحية الأسلوب والخواص والصفات وطرق التفكير والتعبير وأنواع الملابس ... إلخ الخاصة بتلك الأمم الشرقية، كما أنه يعني أيضا دراسة العلوم الشرقية أو معرفة لغات الشرق)[4].

وقد توسع "آربري" في تعريف الاستشراق بحيث جعل الاستشراق يشمل دراسة الغربيين للشرق في شتى ما يتصل بالشرق من علوم مختلفة، فعالم الآثار والمؤرخ أو الموسيقي أو الفيلسوف غيرهم، فكل هؤلاء يدخلون في

---

(١) ينظر: د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة: جـ٢ ص١١٩٢ - الطبعة الأولى - سنة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م - عالم الكتب - بيروت.

(٢) المستشرق آربري: المستشرقون البريطانيون ص٥٩، تعريب: محمد الدسوقي، وليم كولينز - الطبعة الأولى لندن سنة ١٩٤٦م.

(٣) مكسيم رودنسون: الاستشراق في الميزان - ضمن مجلة رسالة الجهاد - العدد ٧٠ ص١١٧.

(٤) ميشيل جحا: قاموس أكسفورد نقلا عن الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا: ص١٥-١٧.

مدلول الاستشراق[1].

ويعرف الدكتور "حمدي زقزوق" الاستشراق بأنه: (الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق)[2].

ويعرفه الدكتور "محمد السرحاني" بأنه: (اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين، ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ والمرأة وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى)[3].

ويعرفه الدكتور "عدنان وزان" بأنه: (مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة)[4].

وبعد استعراض تعريفات الاستشراق يخلص الباحث إلى أن الاستشراق هو: دراسة الغرب لغات وآداب وأديان الشرق، وبالتالي يكون المستشرقون في موضوع البحث هم من تصدروا من الغربيين للكتابة في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعما يتعلق بأحداث عصره وخلافته، وكذلك من نقل عنهم هؤلاء من أساتذتهم من المستشرقين الذين لم يكتبوا المواد

(١) ينظر: آربري: المستشرقون البريطانيون ص٧.

(٢) د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص١٨ - دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ.

(٣) د. محمد السرحاني: الموقف الاستشراقي من خلافة أبي بكر الصديق ص٢٠٧.

(٤) د. عدنان وزان: الاستشراق والمستشرقون ص٢٤ - سلسلة دعوة الحق - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة سنة ١٤٠٤هـ.

المتعلقة بعثمان بن عفان. وسيأتي ترجمة لهؤلاء المستشرقين في التمهيد[1].

٣-الخلافة:

هناك اتفاق على أن (الخلافة هي في الأصل مصدر خَلَفَ: يقال: خلفه في قومه، يخلفه خلافة، فهو خليفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾[2]، ثم أطلق في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها، والنهوض بأعبائها)[3]. وسيأتي تفصيل الكلام عن مصطلح الخلافة في الفصل الثاني[4].

٤-عثمان بن عفان رضي الله عنه:

هو الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي المكي ثم المدني[5]. وسيأتي ترجمة له في التمهيد[6].

---

(١) ينظر: التمهيد ص٥٣- ٧١.

(٢) سورة الأعراف من الآية: ١٤٢.

(٣) القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - مطبعة الكويت - الكويت - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م ص٩.

(٤) ينظر: الفصل الثاني ص١٤٦-١٦٧.

(٥) ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق: علي محمد معوض - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م - دار الكتب العلمية جـ٣ ص٥٧٨. وانظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ-سنة ١٩٥٢م مطبعة السعادة - القاهرة ص١٣٤. والمسعودي: مروج الذهب - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥م - المطبعة العصرية - بيروت، جـ١ ص٣٠٤.

(٦) ينظر: التمهيد ص٢٩-٥٢.

٥- عصر عثمان:

تعني كلمة العصر في معاجم اللغة: (الزمن مرحلة زمنيّة تُنسب إلى ملك أو دولـة، أو إلى تطـورات طبيعيّـة أو اجتماعيّـة أو علميَّـة، فيقـال عـصر هـارون الرشيد، وعصر الدولة العباسيَّة)[١].

ونعني بعصر عثمان بن عفان ﷺ هنا المرحلـة الزمنيـة التـي تنسب لعـثمان ابن عفان ﷺ، ولكن لـيس فقـط مـا يتعلـق بوقـت توليـه الخلافـة كـما يمكـن أن يتبادر لذهن البعض، وإنما نعني بعصره مـا دار مـن أحـداث قبـل خلافتـه، عنـد إسـلامه، بـل وقبـل إسـلامه، وذلـك يـشمل الحـديث عـن عـثمان قبـل دخولـه الإسلام. وذلك يشمل مدة حياة عـثمان منـذ ٤٧ ق.هـ، وحتـى استـشهاده ﷺ عام ٣٥هـ.

٦- دائرة المعارف الإسلامية:

إن لفظ «دائرة معارف» يقـصد بهـا: (عمـل يـضم معلومـات عـن مختلـف ميادين المعرفة، أو عن ميدان خاص فيها، ويكون مرتبا ترتيبا هجائيًا)[٢].

وتعتبر (دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين؛ لأنها جمعـت جهودهم العلمية في عمـل موحـد، وتنـاول كـل واحـد مـنهم مـا يـدخل ضـمن تخصصه العلمي)[٣]. وسيأتي تفصيل الكلام عن دائرة المعارف في التمهيد[٤].

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص٦٠٤.

(٢) المعجم الوسيط جـ١ ص٣٠٢.

(٣) النبهان: الاستشراق - تعريفه - مدراسه - آثاره ص٤٠.

(٤) ينظر: التمهيد ص٧٢- ٩٣.

الدراسات السابقة:

١. (آراء المستشرق فيليب حتي حول عهد الخلافة الراشدة) تأليف: محمود نور الدين منشى، (رسالة ماجستير) في قسم الاستشراق، كلية الدعوة في المدينة، وهي دراسة لآراء مستشرق واحد عن الخلفاء الراشدين الأربعة دون بقية المستشرقين الذين كتبوا في دائرة المعارف الإسلامية.

٢. (فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة – دراسة نقدية) تأليف: فاضل محمد عواد الكبيسي، (رسالة ماجستير) في معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد، وهي دراسة لموقف فيليب حتي من الرسول ﷺ، وما جاء به من الوحي (الكتاب والسنة)، وشرائع الدين، (الجهاد، الصلاة، الزكاة، الحج) ورأيه في الخلافة الراشدة، واختلاف الصحابة ﷺ في من يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ. كتاب مطبوع عام ١٤٢٥هـ.

وهذا موضوع عام وبشكل موجز، ويخالف الدراسة التي يقوم بها الباحث، وهي موقف المستشرقين الذين كتبوا في دائرة المعارف الإسلامية.

٣. (افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي): تأليف: عبد الكريم علي الباز (رسالة جامعية).

وهي دراسة لموقف فيليب حتي، وكارل بروكلمان من الخلفاء الراشدين، باختصار جداً، إضافة إلى كون الرسالة محصورة في مستشرقين فقط، والدراسة مطبوعة عام ١٤٠٣ هـ.

٤. (أبو بكر الصديق ﷺ في كتابات المستشرقين من خلال دائرة المعارف الإسلامية – دراسة تحليلية نقدية) للطالب: عائض بن رجاء الحجيلي (رسالة دكتوراه) في قسم الاستشراق، كلية الدعوة في المدينة المنورة، وهي دراسة اقتصرت على ما كتبه المستشرقون عن أبي بكر ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية، دون دراسة موقفهم من بقية الصحابة ﷺ.

٥. (مناهج المستشرقين عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في دائرة

المعارف الإسلامية - دراسة تحليلية نقدية) للطالب: محمد عامر بن عبد الحميد مظاهري (رسالة دكتوراه) في قسم الاستشراق، كلية الدعوة في المدينة النبوية، وهي دراسة اهتمت بدراسة مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن عمر بن الخطاب ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية، دون بقية الصحابة ﷺ.

٦. (موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة) للطالب: سعد بن عبدالله سعد الماجد (رسالة دكتوراه) في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود، وقد طبعت سنة ١٤٣١هـ، وهي دراسة اهتمت بدراسة موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ عموما دون التركيز على عثمان بن عفان ﷺ، ودون التركيز على دائرة المعارف الإسلامية.

من الفروق بين الدراسات السابقة وموضوع الدراسة هنا:

أن هذه الدراسة تدرس مواقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره من خلال دائرة المعارف الإسلامية، ولا تخص ذلك بمستشرق، أو كتاب معين لأحد المستشرقين حسب ما توصلت إليه وجمعته من كتاباتهم ودراساتهم، من مفتريات، ومطاعن وشبه في دائرة المعارف الإسلامية، وما خلفته كتابات المستشرقين عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان من آثار على الدراسات المعاصرة من كتابات أبناء المسلمين، والتي تناولت سيرته وتاريخه ﷺ بالقدح والثلب.

ولما كان هذا الموضوع لم يُبحث أو يُسجل في جامعة أخرى كانت الرغبة من الباحث في تسجيله والكتابة فيه، وقد سميته: (**موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية**)، وذلك لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية.

۞ خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وتتضمّن:

- موضوع الدراسة.
- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- حدود الدراسة.
- منهج الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- خطة الدراسة.

التمهيـــد، ويتضمّن:

أولاً: ترجمة موجزة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

ثانياً: تعريف بالمستشرقين الذين كتبوا عن عثمان بن عفان ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية.

ثالثاً: تعريف موجز بدائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الأول: كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان بن عفان ﷺ في الجاهلية وعهد النبوة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كتاباتهم عن عثمان بن عفان ﷺ في الجاهلية.

المبحث الثاني: كتاباتهم عن عثمان بن عفان ﷺ في عهد النبوة.

الفصل الثاني: موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من الخلافة الراشدة.

المبحث الثاني: موقفهم من بيعة عثمان بن عفان ﷺ.

المبحث الثالث: موقفهم من خلافة عثمان بن عفان ﷺ.

الفصل الثالث: موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان ابن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقفهم من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

المبحث الثاني: موقفهم من تعدد المصاحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

الفصل الرابع: موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان ﷺ.

المبحث الثاني: موقفهم من فتنة الخوارج في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

المبحث الثالث: موقفهم من مقتل عثمان بن عفان ﷺ.

الخاتمـــــة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهـــــارس:

وتشتمل على ما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- قائمة المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

التمهيـــد

التمهيــــد

ويتناول ما يلي :

۞ **أولاً : ترجمة موجزة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁ .**

۞ **ثانياً : تعريف بالمستشرقين الذين كتبوا عن عثمان بن عفان ﵁ في دائرة المعارف الإسلامية .**

۞ **ثالثاً : تعريف موجز بدائرة المعارف الإسلامية .**

التمهيـــد

يتضمن التمهيد ثلاث نقاط هامة نحاول من خلالها أن نمهد لهذا العمل العلمي الذي يكشف النقاب عن موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وبيان هذه النقاط الثلاث فيما يلي:

أولا: ترجمة موجزة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

إذا كان هذا البحث سيدور حول الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وما أثاره المستشرقون من شبهات حول شخصيته وخلافته، وبعض أحداث عصره، فإنه من الأولى أن نتعرف على تلك الشخصية الجليلة في المصادر الإسلامية الأصيلة أولا قبل أن نتعرف عليها في دائرة المعارف الإسلامية، والتي يتسم عرضها لهذا الخليفة الراشد، والصحابي الجليل بالتشويش، والغلو في النقد، والبعد عن الحقائق في معظم الأحيان.

والواقع أن المنهج البعيد عن الحقائق ليس خاصا بالحديث عن سيدنا عثمان أو غيره من الخلفاء، بل (إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضا ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام، وتاريخه الزاهر حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنفث السموم في المجتمع الإسلامي)[١].

وتمثل أحد وسائل بث هذه السموم في المجتمع الإسلامي في الانتقاص من شأن الصحابة، وذلك بنشر الرويات الباطلة، وهذا ما يؤكده محمد أمحزون بقوله:

---

(١) علي محمد الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ- سنة ٢٠٠٢م - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ص٧.

(لقد حاول المستشرقون أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ، ولذلك يجب الحذر من كل مستشرق حاقد وعلماني جاهل، وكل من سار على نهجهم، ولابد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد، والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة، والأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة)[(١)].

ويمكن التعريف بعثمان ﷺ في النقاط التالية:

اسمه ونسبه: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي المكي ثم المدني[(٢)].

وهو يلتقي مع النبي ﷺ في الجد الخامس «عبد مناف».

وأم عثمان هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن

(١) محمد أمحزون: المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ – الطبعة الأولى – دار النفائس – بدون تاريخ ص٤.

(٢) ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق: علي محمد معوض – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م – دار الكتب العلمية جـ٣ ص٥٧٨، معجم الصحابة لابن قانع جـ٢ ص٢٥٤، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ، معرفة الصحابة لأبي نعيم جـ١ ص٥٨، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ ص١٠٣٧، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م، الإصابة في تمييز الصحابة جـ٤ ص٣٧٧، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ. وانظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ-سنة ١٩٥٢م مطبعة السعادة – القاهرة ص١٣٤.

عبد مناف، وأم أروى هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ[(١)].

وقد قيل: إن البيضاء بنت عبد المطلب هي شقيقة عبدالله والد النبي ﷺ[(٢)]؛ وبذلك فإن عثمان ﷺ يمت بصلة قرابة وثيقة بالنبي ﷺ من ناحية الأب، ومن ناحية الأم.

ولادته: ولد عثمان ﷺ في السنة السادسة بعد عام الفيل[(٣)].

إسلامه: أسلم عثمان ﷺ قديما في أول الإسلام، حيث دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم[(٤)].

وذكر ابن سعد في الطبقات: أن عثمان قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، قدمت حديثا، فلما كنا بين معان والزرقاء[(٥)]، فنحن كالنيام إذا منادٍ ينادينا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك[(٦)].

---

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ – تحقيق: عمر عبد السلام تدمري – الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ–سنة ١٩٩٧م – دار الكتاب العربي – لبنان، جـ٢ ص٤٤١.

(٢) ينظر: ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٣ ص٥٧٨، وينظر: الشيخ محمد رشيد رضا: سيرة ذي النورين عثمان بن عفان – دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ– ص٥.

(٣) ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء – تحقيق: حمدي الدمرداش – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م – مكتبة نزار الباز ص١١٨.

(٤) ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١١٨.

(٥) معان: هي محافظة أردنية، يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ١٣٠٠م. الزرقاء: مدينة أردنية تقع على بعد ٢٤كم إلى الشمال الشرقي من عمان، وترتبط بطرق رئيسية مع عمان وإربد والمفرق وجرش والأزرق ورويشد (نقطة الحدود الأردنية مع العراق) والعمري (نقطة الحدود الأردنية مع السعودية)، أصبحت مركز محافظة الزرقاء. الموسوعة العربية العالمية – الطبعة الثانية – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١١ص٥٧٥، وراجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان – دار صادر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م جـ٥ ص١٥٣.

(٦) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ جـ٥ ص١. وابن ⇐ =

ولما أسلم عثمان ﷺ، أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطا، وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أخليك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال: والله لا أدعه أبدا، فلما رأى الحكم صلابته في دينه، تركه(١).

كنيته: كان عثمان ﷺ يكنى في الجاهلية «أبا عمرو»، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام؛ سماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون: أبا عبدالله(٢).

لقبه: لقب عثمان ﷺ بذي النورين، وعلل المترجمون لسيدنا عثمان ﷺ لذلك بأنه بسبب زواج عثمان من ابنتي الرسول ﷺ رقية، وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقالوا في ذلك: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان ﷺ، فلذلك سمي ذا النورين(٣).

= عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٢٢.

(١) ينظر: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٢٦، وانظر: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان للمالقي ص٢٢، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص١١٨.

(٢) ينظر: الدولابي الذرية الطاهرة ص ٥٣ ح ٦٩، وابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٨، ومحمد بن يحيى الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان – تحقيق: محمود زايد – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٥م – دار الثقافة – الدوحة – قطر ص٢٠.

(٣) الشريعة للآجري أبو بكر محمد بن الحسين جـ٤ ص١٩٣٨، رقم: ١٤٠٥، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن – الرياض – السعودية، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، وابن شاهين أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين ص١١٨، رقم: ٢٥٧٦، المحقق: عادل بن محمد، الناشر: مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور جـ٧ ص١٤٣٤، تحقيق: أحمد بن سعد بن =

صفته الخَلْقية: يذكر الحافظ ابن الجوزي صفة سيدنا عثمان فيقول: كان رَبْعة[1] أبيض، وقيل: أسمر، رقيق البشرة، حسن الوجه، عظيم الكراديس[2]، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس عظيم اللحية يُصَفرِها[3].

وقال الإمام الزهري: (كان عثمان رجلًا مربوعًا، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح الرجلين[4]، وأقنى[5] خدل الساقين[6]، طويل الذراعين، جعد الشعر، أحسن الناس ثغرًا، جمته أسفل من أذنيه حسن الوجه)[7].

= حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، السنن الكبرى للبيهقي جـ٧ ص١١٥، رقم: ١٣٤٢٧.

(١) ربعة: أي: متوسط الطول ليس بالطويل ولا بالقصير. ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية – دار العلم للملايين- بيروت – الطبعة: الرابعة ١٩٩٠م، جـ٤ ص٣٤٨ – ٣٤٩.

(٢) جمع: كردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل. ينظر: أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس – الناشر دار الهداية، جـ ٢٠ ص٧٨.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة – تحقيق: محمود فاخوري – الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ–سنة ١٩٧٩م – دار المعرفة – بيروت جـ١ ص٢٤٤.

(٤) أروح الرجلين: أي: منفرج ما بينهما. ينظر: أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس – الناشر دار الهداية، جـ ٦ ص٤١١.

(٥) أقنى: طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في أوسطه. ينظر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر – تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، جـ٤ ص١٩٢.

(٦) خدل الساقين: أي: ضخم الساقين عظيمهما. ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية – دار العلم للملايين- بيروت – الطبعة: الرابعة ١٩٩٠م، جـ٥ ص٣٦٩.

(٧) تاريخ الطبري – دار التراث – بيروت – الطبعة: الثانية ١٣٨٧هـ، جـ٥ ص٤٤٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص١٩، وراجع: ابن الجوزي: صفة الصفوة جـ١ ص٢٤٤.

وأما صفاته الخُلُقية: فقد أجمع واصفو عثمان، على أنه عذب الروح، حلو الشمائل، محببًا إلى عارفيه، ومن ذاك أن نساء قريش كن يُرَقِّصْن أطفالهن فيقلن:

أحبك والرحمن حب قريش عثمان(١)

حياء عثمان ﷺ: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ، وهو مضطجع على فراشه لابس مِرْط(٢) عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عثمان عليه، فجلس وقال لعائشة: اجمعي ثيابك، فقضى له حاجته ثم انصرف، فقالت عائشة: يا رسول الله، مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: {إن عثمان رجل حَيّي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إليَّ في حاجته}(٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفًا

(١) ينظر: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٧ ص١٤٣٣، رقم: ٢٥٧٢، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا في: النفقة على العيال لابن أبي الدنيا جـ١ ص٤٣٥، رقم: ٢٦٦، المحقق: د نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار ابن القيم - السعودية – الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٢٥١.

(٢) المِرْطُ: بالكسر كساءٌ من صُوفٍ أوخَزّ، جمع مُرُوط وبالفتح نَتْفُ الشَّعَرِ. وهو كساءٌ مِنْ خَزٍّ أو صوف أو كَتَّانٍ يؤْتزَر به وتتلفّع به المرأة. ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة - تحقيق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى ٢٠٠١م - جـ١٣ ص٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب فضائل الصحابة رقم: ٢٤٠١، ٢٤٠٢، والبخاري في كتاب الأدب المفرد، باب الحياء رقم: ٦٠٠، والإمام أحمد في مسنده باقي مسند الأنصار جـ٦ ص١٥٥ - تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ورواه الطبراني في المعجم الكبير جـ٦ ص٦١ رقم: ٥٥١٥.

عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له هو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: {**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**}(1).

فصفات الخليفة الثالث ﷺ كانت إلى صفات الطيبة والسماحة والحياء أقرب منه إلى صفات البأس والصرامة.

ويسوق عبدالله بن أحمد بن حنبل رواية تؤيد هذا الملمح الخُلُقي في حياة ذي النورين فيقول:

(اختصم يوما عثمان وأبو عبيدة بن الجراح فقال أبو عبيدة: أنا أفضل منك بثلاث فسأله عثمان: وما هن؟ فقال:

الأولى: أني كنت يوم البيعة حاضرًا، وأنت غائب.

والثانية: شهدت بدرًا، ولم تشهده.

والثالثة: كنت مما ثبت يوم أحد، ولم تثبت أنت.

فلم يغضب عثمان، ولكنه قال: صدقت، ثم أجابه معتذرا، فقال: أما يوم البيعة: فإن رسول الله ﷺ بعثني في حاجة، ومد يده عني، وقال: هذه يد عثمان ابن عفان، وكانت يده الشريفة خيرًا من يدي.

وأما يوم بدر فإن رسول الله ﷺ استخلفني على المدينة، ولم يمكنني

---

(1) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب فضائل عثمان جـ7 ص116 رقم: 6362، ورواه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب الحياء رقم: 603 - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الثالثة 1409هـ-1989م، وفي رواية عن الطبراني: أن عثمان حييٌّ ستير تستحي منه الملائكة. الطبراني: المعجم الأوسط جـ8 ص268 رقم: 8601.

مخالفته، وكانت ابنته رقية مريضة، فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها.

وأما انهزامي يوم أحد فإن الله عفا عني، وأضاف فعلي إلى الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[(١)])[(٢)].

ومن أمثلة حلم عثمان ﷺ وسعة صدره وحسن خلقه، ما ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أن عثمان ﷺ لما عزل عَمرو بن العاص ﷺ عن مصر، واستدعاه إلى المدينة، جاء إليه عمرو بن العاص وفي نفسه من عثمان أمر عظيم، وشر كبير، فكلمه فيما كان من أمره وتقاولا في ذلك، فافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان، وأنه كان أعز منه، فما كان من عثمان إلا أن قال له: يا عمرو دع عنك هذا، فإنه من أمر الجاهلية[(٣)].

ولا تحتاج هذه الرواية إلى تحليل لنعرف منها مقدار العاطفة الدينية، والتقيد بأوامر الشرع لدى ذي النورين.

ذلك أن الفخر بالأنساب والأحساب كان أمرا مشهورا عند العرب في الجاهلية يذكرون المفاخر والمآثر للآباء والأجداد، وهذا ما فعله عمرو بن

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٥٥.

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل: فضائل عثمان بن عفان ﷺ تحقيق: طلعت ابن فؤاد الحلواني - دار ماجد عسيري - جدة ١٤٢١هـ-سنة ٢٠٠٠م ص٧٠.

وللحديث أصل في البخاري جـ٥ ص١٥، رقم ٣٦٩٨. قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد. وكذا في البخاري جـ٥ ص٩٨، رقم ٤٠٦٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية - تحقيق: علي شيري - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م - دار إحياء التراث العربي - القاهرة جـ٧ ص١٧٠.

العاص، ولكن عثمان لا يرد عليه، ولا يجاريه في هذه الصفة الذميمة، بل يذكره بهدوء تام، ونفس شجاعة أنه لا يليق أن نعود إلى صفات الجاهلية بعد أن هدانا الله إلى الإسلام.

وعثمان في هذا إنما يصدر عن موقف ديني وشرعي كامل، وكأنه يذكر عمرًا بأحاديث وردت عن النبي ﷺ تنهى عن هذا الأمر، وتعظم قبحه:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن}(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: {لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية}(٢).

وهذه المعاني الجليلة هي التي ذكرها عثمان لعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: دع هذا، فإنه من أمر الجاهلية!

ثقافته: تطلق كلمة ثقافة في معناها العام على مجموعة من العلوم

---

(١) رواه أبو داوود في سننه: باب التفاخر بالأحساب جـ٤ ص٤٩٢ رقم: ٥١١٨، ، وابن حبان في صحيحه كتاب الحج باب دخول مكة جـ٩ ص١٣٧ رقم: ٣٨٢٨. صحيح ابن حبان - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م، وحسن محققوه إسناده.

ومعنى عُبِيَّة: بضم العين المهملة وكسر الباء المشددة وفتح الياء المشددة أي: الفخر والتكبر، وقال الخطابي: العبية الكبر والنخوة وأصل من العبء وهو الثقيل. حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد جـ٤ ص٤٧٠، رقم: ٢٧٣٩، وابن حبان في صحيحه باب التفاخر جـ١٣ ص٩١ رقم: ٥٧٧٥، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان جـ٨، ٢٥٧، رقم ٥٧٤٥.

والمعارف والفنون يدركها الفرد ويتقنها، أو هي مجموع ما توصلت إليه أمة أو بلد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة وعلم وفن ونحوها بهدف استثارة الذهن وتهذيب الذوق، وإن كلمة ثقافة بهذا المعنى تصدق أكثر ما يكون على سيدنا عثمان ﷺ، فقد كان متعدد المؤهلات متنوع المواهب العلمية.

فضلا عن أنه كان تاجرًا ماهرًا ويقول علاء الدين الحنفي: (استطاع أن ينمي المال الذي ورثه عن أبيه حتى أصبح من رجالات بني أمية المعدودين بسبب كثرة ماله وعظيم ثروته)(١).

كان هذا قبل إسلام عثمان، فلما أسلم ﷺ وجدنا هذه الثقافة، وهذا التنوع العلمي يسخره عثمان في خدمة دينه الجديد الذي لم يتردد لحظة في اعتناقه حينما عرضه عليه الصديق ﷺ.

وهذه المكانة التي اكتسبها عثمان ﷺ في الجاهلية ما زاده الإسلام عليها إلا تمكنا وقربا من الرسول ﷺ فكان:

١. كاتبا يجيد الكتابة فاعتمد عليه النبي ﷺ في تدوين الوحي واعتمد عليه الصديق في كتابة الوثائق المهمة، ومنها الوثيقة التي عهد فيها بالأمر بعده لخليفته الفاروق(٢).

٢. فقيها من أفقه المسلمين في أحكام الدين، وأحفظهم للقرآن والسنة، حتى روى عن النبي ﷺ قرابة مائة وخمسين حديثا، وقال محمد بن سيرين وهو يتكلم عن الصحابة: كان أعلمهم بالمناسك عثمان، وبعده ابن عمر(٣).

٣. سفيرا في غير موقف من مواقف الخلاف، أو الوفاق تارة بين

---

(١) علاء الدين الحنفي: إكمال التهذيب في أسماء الرجال - تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن محمد - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م - دار الفاروق للطباعة والنشر جـ٩ ص١٧٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٥ ص٣٦٢.

(٣) ينظر: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٦٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص١٨١.

المسلمين وأعدائهم، وتارة بينهم وبين الأسرى منهم في أرض الأعداء، والذي أهَّله لذلك أنه كان أقرب الصحابة إلى مجرى الحوادث بين المسلمين والمشركين[(١)].

ويبدو أن هذا التنوع في الثقافة، وتعدد الخبرات قد أكسب سيدنا عثمان قدرة على الكلام الشائق والحديث العذب، فقد قال عبد الرحمن بن حاطب: (ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان، إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث)[(٢)].

وقد اختص عثمان بمحادثة النبي ﷺ في بعض الأحوال وينقل ابن عساكر ذلك فيقول: (ولم يكن حديثه لغوا ولا ثرثرة يزجي بها الفراغ بين أهل الفراغ، بل كان من تلك الأحاديث التي كان يتوق إليها النبي عليه السلام في بعض أوقاته فيتمناها، وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها من ذلك أنها سمعت النبي ﷺ ذات ليلة يقول: لو كان معنا من يحدثنا؟ قالت يا رسول الله، أَفَأَبعث إلى أبي بكر؟ فسكت، ثم قالت: أَفَأَبعث إلى عمر؟ فسكت، ثم دعا وصيفًا بين يديه فسارَّه، فذهب فإذا عثمان يستأذن، فأذن له النبي ﷺ، فدخل فناجاه عليه السلام طويلا)[(٣)].

أولاد عثمان وأزواجه: يذكر المؤرخون أن أولاد عثمان رضي الله عنه كانوا ستة عشر؛ تسعة ذكور وسبعة إناث، وقد تزوج تسع زوجات وأولاده هم:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص٣١٥، وانظر: ابن القيم: زاد المعاد جـ٣ ص٢٥٨.

(٢) ينظر: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٧، وابنُ عساكر في تاريخ مدينة دمشق – تحقيق: علي شيري – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ–١٩٩٥م – دار الفكر بيروت جـ٦ ص٣٧٠.

(٣) رواه أحمد في المسند جـ٤١ ص١٣، رقم: ٢٤٤٦٦، وابن بطة عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري في الإبانة الكبرى جـ٨ ص١١٦، رقم: ١٥، المحقق: رضا معطي وآخرون، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٢٨١، وقال محققو مسند أحمد: قوله: "يا عثمان إن الله عز وجل مقمصك قميصا... إلى آخره" صحيح.

١- عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ.

٢- عبد الله الأصغر وأمه فاختة بنت غزوان بن جابر.

٣- عمرو وأمه أم عمرو بنت جندب.

٤- خالد وأمه أم عمرو بنت جندب.

٥- أُبان وأمه أم عمرو بنت جندب.

٦- عمر وأمه أم عمرو بنت جندب.

٧- مريم وأمها أم عمرو بنت جندب.

٨- الوليد وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.

٩- سعيد وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.

١٠- أم سعيد وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس.

١١- عبد الملك وأمه أم البنين بنت عيينة بن حص بن حذيفة.

١٢- عائشة وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.

١٣- أم أبان وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.

١٤- أم عمرو وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.

١٥- مريم وأمها نائلة بنت الفُرافَصة بن الأحوص.

١٦- أم البنين وأمها أم ولد[١].

ومن زوجاته اللاتي لم تعقب له ولدا: أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ويذكر الطبري أن عثمان ﷺ قد قتل وعنده رملة ونائلة وأم البنين وفاختة[٢]، ولكن أشهر زوجاته على الإطلاق هما ابنتا الرسول ﷺ رقية وأم كلثوم.

(١) انظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١١٩، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٢ ص٧٥.

(٢) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٢ ص٦٩٢.

زوجته رقية: هي بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان رسول الله ﷺ قد زوجها من عقبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من عتيبة ابن أبي لهب فلما نزلت (تَبَّتَ) قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب) فارقا ابنتي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامَة من الله تعالى لهما، وهوانًا لابني أبي لهب.

فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له هناك ولدا فسماه «عبدالله»، وكان عثمان يكنى به[(١)]، فبلغ الغلام ست سنين، فنقر عينه ديك فورم وجهه ومرض ومات، وكان موته سنة أربع، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان حفرته.

وقد تناولت الدائرة خبر زواج عثمان ﷺ من رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وقد تزوجت رقية [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] الحسناء بعد طلاقها عثمان بن عفان [ﷺ]، وذهبت وإياه ومسلمون آخرون الى الحبشة، ثم عادوا منها بعد مدة من الزمن. ثم هاجروا مع النبي [ﷺ] وغيرهم من المسلمين الى المدينة. ومرضت رقية [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] عندما كان الرسول [ﷺ] يتأهب لغزوة بدر وتوفيت قبل عودة أبيها ظافرا من هذه الغزوة. وأنجبت رقية [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] لعثمان [ﷺ] بعد أن أجهضت أكثر من مرة ولدا توفي في حادث إذ نقره ديك في وجهه)[(٢)].

ورقية أكبر من أم كلثوم، ولما سار النبي ﷺ إلى بدر كانت ابنته رقية قد مرضت، فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة[(٣)] مبشرًا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين، وكانت قد أصابتها الحصبة

---

(١) راجع: الإمام الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٤ ص٦٩٢، وانظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٣ ص٧٤.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٧ ص٥١٨٩ – مادة: رقية.

(٣) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة اختطف في الجاهلية صغيرًا، واشترته السيدة خديجة بنت خويلد فوهبته للنبي ﷺ قبل الإسلام، وأعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر الناس =

فماتت بها[(١)].

وقد كانت رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أجمل النساء وكذلك زوجها عثمان، حتى كان يقال حين زفت رقية إلى عثمان:

أحسن زوجين رآهما إنسان   رقية وزوجها عثمان[(٢)]

زوجته أم كلثوم: أبوها رسول الله ﷺ وأمها خديجة، وهي أصغر من رقية، زوجها النبي عثمان بعد وفاة رقية، وكان نكاحه إياها في ربيع الأول من سنة ثلاث، وبنى بها في جمادى الآخرة من السنة نفسها، ولم تلد منه ولدا، توفيت سنة تسع، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في قبرها علي، والفضل[(٣)]، وأسامة

= يسمونه زيد بن محمد حتى نزلت آية: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥]، وهو من أقدم الصحابة إسلاما، كان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة ٨هـ.

راجع في ترجمته: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق: محمد علي البجاوي – الطبعة الأولي سنة ١٤١٢ – دار الجبل، بيروت جـ١ ص٥٦٣، أبو القاسم السهيلي: الروض الأنف – تحقيق: عبد الرحمن الوكيل – الطبعة الأولي سنة ١٣٨٧هـ–دار الكتب الحديثة جـ٣ ص١٦٤، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٣ ص٢٨١.

(١) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة جـ١ ص١٠٣، وأبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد في المستدرك على الصحيحين جـ٤ ص٥٣، رقم: ٦٨٥٦، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف – تحقيق: الشيخ محمد المحمودي – الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ص٨٩.

(٣) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل القرشي المكي من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام جد الخلفاء العباسيين، قال رسول الله في وصفه: أجود سديد الرأي، واسع العقل مولعا بتحرير العبيد كانت له سقاية الحج، وعمارة البيت الحرام أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى النبي أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعة حنين، فكان ممن ثبت حين انهزم الناس، شهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفي سنة ٣٢ هـ. راجع في ترجمته: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٣ ص١٦٤، ابن =

ابن زيد[١].

وقد تناولت الدائرة خبر زواج عثمان رضي الله عنه من أم كلثوم رضي الله عنها: (أم كلثوم [رضي الله عنها] تزوجها عثمان [رضي الله عنه] بعد وفاة زوجته رقية [رضي الله عنها] — وهي أختها — في أثناء غزوة بدر - وتوفيت أم كلثوم [رضي الله عنها] في العام التاسع للهجرة دون أن تعقب ولدا)[٢].

فهو بذلك قد تزوج ابنتي رسول الله ﷺ، وقد أجمع المؤرخون على أن ذلك من خصائص عثمان رضي الله عنه، إذ لم يتزوج أحد ابنتي نبي في التاريخ كله إلا عثمان رضي الله عنه[٣]، وكفى بذلك خصوصية ومنقبة.

من فضائل عثمان رضي الله عنه: كثر الحديث وتتابعت الأحاديث التي تنوه بفضل عثمان، وتعلن مناقبه وتبشر بمآثره، وذلك يفوق الحصر لدرجة أن ألّف أهل العلم مؤلفات خاصة في فضائل هذه الخليفة الثالث رضي الله عنه، ونشير من هذه الفضائل إلى ما يلي:

= عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجيل، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، جـ٢ ص٨١٠، صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات - تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م جـ١٦ ص٦٢٩.

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل أبو محمد، صحابي جليل نشأ على الإسلام، وكان أبوه من أول الناس إسلاما، استعمله النبي على جيش فيه أبو بكر وعمر. راجع في ترجمته: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ جـ١ ص٢٠٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء - مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بدون تاريخ جـ٢ ص٣١٠، السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-٩٩٣م، جـ١ ص١٦٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ ص١١٨٦ - مادة: أم كلثوم.

(٣) راجع السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٩١١.

١. النبي يبشره بالجنة على بلوى تصيبه:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال الرسول ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال الرسول ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان[١].

٢. النبي يبشره بالشهادة مع عمر:

عن أنس ﷺ قال: صعد النبي ﷺ أُحدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: اسكن أُحد أظنه ضربه برجله، فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان[٢].

٣. النبي يصفه بأنه أصدق الأمة حياء:

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: {أرحم أمتي: أبو بكر، وأشدها في دين الله: عمر، وأصدقها حياءً: عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، وأقرأها لكتاب الله: أُبَيّ، وأعلمها بالفرائض: زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح}[٣].

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان، رقم: ٣٤٩٢ جـ٣ ص١٣٥١، ورواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان جـ٧ ص١١٨ رقم: ٦٣٦٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان جـ٣ ص١٣٥٣ رقم: ٣٤٦٦.

(٣) رواه الترمذي جـ٦ ص١٣٥، رقم: ٣٧٩٠، وابن ماجه جـ١ ص٥٥، رقم: ١٥٤، وأحمد جـ٢٠ ص٢٥٢، رقم: ١٢٩٠٤، جـ٢١ ص٤٠٥، رقم: ١٣٩٩٠، وابن حبان في صحيحه جـ١٦ =

٤. الملائكة تستحي من عثمان:

وعن عائشة أيضا قالت: كان النبي ﷺ في بيتي مضطجعًا كاشفًا عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، وهو على تلك الحال، فأذن له فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسَوَّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: {ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة}(١)؟!

أحاديث يخبر فيها النبي ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان:

عن عبد الله بن حواله أن رسول الله ﷺ قال: {من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات؛ موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه}(٢).

ومعلوم أن الخليفة الذي قتل مصطبرا بالحق هو عثمان، فالقرائن كلها تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان ﷺ(٣).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: {ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمر رجل فقال:

= ص٧٤، رقم: ٧٢٨٦، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين جـ٣ ص٤١٩ رقم: ٥٧٧٠. وقال محققو مسند أحمد: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ رقم: ٤٤٢١، والبخاري في الأدب المفرد - باب الحياء رقم: ٦٠٣، وابن حبان في صحيحه جـ١٥ ص١٠٣ رقم: ٦٩٠٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٤ ص١٠٥ حديث رقم: ١٧٠١٤، والحاكم في المستدرك باب فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان جـ٤ ص١٨٣، والبيهقي في دلائل النبوة جـ٧ ص٢٢٢ رقم: ٢٦٨٣، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج "السنة" لابن أبي عاصم - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ رقم: ١١٧٧.

(٣) راجع: تاريخ المدينة لابن شبة جـ٣ ص١٠٧٧، ومعجم الصحابة لابن قانع جـ٢ ص٨٩، ومحمد عبد الله الغبان: فتنة مقتل عثمان - مكتبة العبيكان - سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ص٤٤.

يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما، قال فنظرت، فإذا هو عثمان بن عفان}[1].

وقد أخبر النبي ﷺ في كثير من الأحاديث عن فتنة مقتل عثمان، وأن عثمان ومن معه هم الذين على الحق والهدى.

ومنها ما رواه مرة بن كعب، قال: (سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع، فقال: هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى، فقلت هذا يا رسول الله؟ وأقبلت إليه بوجهه، فقال: هذا، فإذا هو عثمان ﷺ)[2].

النبي يأمر الناس بأن يكونوا مع عثمان وأصحابه:

عن أبي حبيبة (أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك})[3].

---

(١) رواه الترمذي في صحيح سنن الترمذي - إشراف زهير الشاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الطبعة الأولى سنة الطبع: ١٤٠٨هـ رقم: ٣٧٠٨، وقال حديث حسن. والإمام أحمد في المسند كتاب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب جـ٢ ص١١٥ رقم: ٥٩٣٥، ورواه الإمام أحمد أيضا في فضائل الصحابة جـ٢ ص١٣٥ رقم: ٧٢٤، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة - جـ٧ ص٣١٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٢٩ ص٦٠٩، رقم: ١٨٠٦٨، وقال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه للمسند جـ٥ ص٣١٢، رقم: ٥٩٥٣: إسناده صحيح. وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة عن مرة بن كعب جـ٧ ص٣١٩ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن موسى بن عقبة، جـ٨ ص٣٤٣، رقم: ٨٥٢٢، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. جـ١٦ ص٢٢٤، وابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص١١٠٥، وأبو نعيم في معرفة الصحابة جـ١ ص٧٠، رقم: ٢٧١.

مكانة عثمان عند الخليفتين السابقين عليه «أبي بكر وعمر»:

أولاً: عند أبي بكر: (كان عثمان من أهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في خلافة أبي بكر، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق؛ عمر بن الخطاب للحزامة والشدائد، وعثمان بن عفان للرفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام وناموسها الأعظم وكاتبها الأكبر)[1].

وكان رأيه مقدما عند الصديق: فبعد أن قضى أبو بكر على حركة الردة أراد أن يغزو الروم، وينطلق الجيش المجاهد إلى أطراف الأرض، فقام في الناس يستشيرهم، فقال الألباء ما عندهم، ثم استزادهم أبو بكر فقال: ما ترون؟ فقال عثمان: إني أرى أنك ناصح لأهل هذه الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيا لعامتهم صلاحًا فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين، فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار ﷺ: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فامضه[2].

ولما أراد الصديق أن يبعث واليا إلى البحرين استشار أصحابه، فقال عثمان ابعث رجلا قد بعثه رسول الله ﷺ إليهم، فقدم على النبي بإسلامهم وطاعتهم وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلاده، يعني: العلاء بن الحضرمي ﷺ فبعث الصديق العلاء إلى البحرين[3].

وقد حدث في عهد الصديق ﷺ أزمة اقتصادية طاحنة أضرت بعموم المسلمين، فما تصدى لها ولا كان سببا في تفريجها إلا عثمان.

---

(١) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٥٠.

(٢) ينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق جـ٢ ص٦٤، من طريق: إسحاق بن بشر، عن أبي إسحاق، عن الزهري، عن ابن كعب عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي.

(٣) ينظر: ابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٦ ص١٣٦، من طريق: عمر بن عثمان المخزومي عن عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع.

فعن ابن عباس قال: قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق، فاجتمع الناس إلى أبي بكر فقال: انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله الكرب عنكم، قال: فما لبثنا أن جاء أُجرَاء عثمان من الشام فجاءته مائة راحلة بُراً أو طعاماً، فاجتمع الناس إلى باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج لهم عثمان في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاما، فبعنا حتى نوسع على فقراء المسلمين، فقال عثمان: حبا وكرامة، ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، قال عثمان: قد زادني، فقال التجار: للعشرة خمسة عشر، قال عثمان: قد زادني، قال التجار: يا أبا عمرو: ما بقي بالمدينة تاجر غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين(1).

ثانياً: مكانته عند الفاروق: كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب كمكانة الوزير من الخليفة، وهي كمكانة عمر من أبي بكر في خلافته، وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله، وصنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصنعه لخير أهله، فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس، وكان عمر أشدهم في الحق، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر، فكانت منها خلافة الصدق وسياسة العدل، وقوة الحزم، وكان عثمان رضي الله عنه أشبه بالصديق في رحمته، وكان عمر على سننه في شدته، فلما تولى بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان رضي الله عنه لخلافته عوضًا من رحمة الصديق ورفقته، فكان منهما ملك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم، وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها،

---

(1) ينظر: الآجري: الشريعة جـ4 ص2012، رقم: 1486، من طريق: كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس.

وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان ﷺ[١].

الديوان: لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ ليستشريهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين[٢].

التأريخ: أشار عثمان ﷺ على عمر ﷺ بجعل السنة الهجرية تبدأ بمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التأريخ الإسلامي من الهجرة النبوية؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان أرِّخوا من محرم أول السنة، وهو شهر حرام، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر، ومن شهده من أصحابه رأي عثمان، واستقر عليه الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام[٣].

أرض الخراج: كان عثمان ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين، وإبقائها فيئا للمسلمين وللذرية من بعدهم[٤].

استشهاده ودفنه:

استشهد عثمان ﷺ فى المدينة المنورة يوم الجمعة ١٢ من ذي الحجة سنة

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٠٣، وراجع: محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان – الدار السعودية للنشر – بدون تاريخ، ص٦٠، والصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٥٣ – ٥٤.

(٢) ينظر: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٢٢٤، والطبري في التاريخ جـ٥ ص٢٠٣.

(٣) ينظر: ابن عساكر في تاريخ دمشق جـ١ ص٤٥، وأبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي ص٥، في بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧م. من طريق: ابن أبي خيثمة، عن علي بن محمد، عن قرة بن خالد، عن ابن سيرين.

(٤) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ص٢٥.

٣٥هـ، وتولى غسله جبير بن مطعم، والمسور بن مخرمة، وحكيم بن حزام، وابنه عمر بن عثمان، وزوجتاه نائلة وأم البنين، وكفنوه وصلوا عليه، صلى عليه حكيم بن حزام، وقيل: الزبير بن العوام بوصية عثمان[١]، وخرج به جماعة من الصحابة فيهم علي وطلحة والزبير وزيد بن ثابت وكعب بن مالك ونيار بن مكرم الأسلمي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة العدوي، وخرجت زوجته نائلة بسراج، فقال لها جبيراً، أطفئي السراج لا يفطن بنا فأطفأته وخرجت معه زوجته الأخرى أم البنين[٢].

وحملوه سراً على باب وإن رأسه ليقرع الباب؛ لإسراعهم به من الخوف العظيم أولئك الذين أرادوا رجمه ودفنه بمقبرة يهود[٣].

ودفنوه ليلاً للعجز عن إظهار دفنه، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب، وهو مكان كان لرجل من الأنصار تقع شرق البقيع، وقد اشتراه عثمان وزاده فى البقيع[٤].

ونزل فى قبره نيار بن مكرم وأبو جهم بن حذيفة وجبير بن مطعم، وكان حكيم بن حزام وزوجتا عثمان يدلونه على الرجال حتى لحدوا له، وبني عليه ثم تفرقوا[٥].

خلاصة: من خلال الاستعراض السابق لهذه اللمحات في حياة سيدنا

---

(١) راجع: مسند أحمد جـ١ ص٥٥٤، رقم: ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل جـ١ ص٤٨٠، رقم: ٧٨٠، بأسانيد رجالها ثقات.

والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ ص٣١، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم جـ١ ص٦٣، وتاريخ خليفة بن خياط ص١٧٦ – ١٧٧.

(٢) تاريخ الطبري جـ٢ صـ٤١٤.

(٣) البداية والنهاية جـ٧ صـ١٩٠.

(٤) طبقات بن سعد جـ٣ صـ٧٥.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط جـ١ صـ١٧٦.

عثمان نستطيع أن نستخلص عدة حقائق لها أهميتها في التعرف على شخصيته ﷺ:

١- قرابته الوثيقة بالنبي ﷺ أبا وأما.

٢- حزم سيدنا عثمان: حيث وصفه بذلك سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وهو يدعوه إلى الإسلام، فقال له: إنك لرجل حازم، وبالفعل استجاب ذو النورين لدعوة الصديق إلى الإسلام، فما تلكأ ولا تردد، وثبت له بذلك فضيلة السبق إلى الإسلام مع السابقين الأولين.

٣- وتظهر لنا صلابة عثمان في الدين حينما حاولت أسرته العريقة إجباره على ترك هذا الدين الجديد، والعودة إلى دين الآباء والأجداد، وقد حدث هذا من عمه الحكم بن أبي العاص، لكن عثمان كان ثابتا صلبا كالطود الراسخ الذي لا يلين، والجبل الشامخ الذي لا يستكين.

وهذه النقطة أقصد الثبات على المبدأ، والميل بالرأي إلى ما يوافق الدين لا العصبية، ولا ما تهواه الأسرة سيكون لها أهمية خاصة في الرد على المستشرقين الذين اتهموا ذا النورين بأنه مال إلى أقاربه حمية وعصبية لا أكثر كما سيأتي في غضون هذا البحث.

٤- منزلة عثمان من الرسول لا تدانيها منزلة، فهو زوج ابنتي النبي، بل إن عثمان قد اكتسب لقبه الأشهر من هذا الزواج، ولولا أن له مكانه في قلب النبي لما آثره بابنته الثانية أم كلثوم بعد وفاة أختها الكبرى رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكان كذلك كاتب وحي النبي، وسميره في أحيان كثيرة يحب النبي كلامه وسماع حديثه.

٥- وأما منزلة عثمان عند الخليفتين السابقين عليه فقد مرَّ منذ قليل أنه كان وزير صدق ومستشار حق وعدل لهما، وأمين سرهما في كتابة الوثائق الهامة. وكان كذلك صاحب أياد على جموع المسلمين، ورأينا كيف أنه أنقذ المسلمين من أزمة اقتصادية كبيرة ابتغاء مرضاة الله.

٦- فإذا نظرنا إلى صفاته الشخصية ألفيناه يتمتع بالعلم والمعرفة والثقافة التي لا تتوافر لكثيرين من أقرانه فضلا عن مهارته التجارية التي أصبح بها من أغنياء قومه وأثريائهم المعدودين. وهو مع ذلك متواضع صاحب حياء صادق لا يحب الفخر، ولا الردة إلى صفات الجاهلية كما لاحظنا ذلك من رده على عمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ أجمعين.

٧- وهذه الفضائل العثمانية لم نستنتجها من الأحداث والوقائع فقط، بل نص عليها النبي ﷺ نصا وصرح بها تصريحا، كما مر ذكره من أحاديث قررت فضل عثمان، ونوهت بفضائله ومآثره ومناقبه، ومن أشهرها الأحاديث التي نصت على فتنة مقتله، وأنه يومئذ على الحق يموت صابرًا راضيًا مُؤْثِرًا مصلحة المسلمين على سلامته الشخصية.

ثانياً: تعريف بالمستشرقين الذين كتبوا عن عثمان بن عفان ﵁ في دائرة المعارف الإسلامية.

كتب كثير من المستشرقين عن عثمان ﵁ سواء كان ذلك خلال كتاباتهم عن شخصيته كواحد من كبار الصحابة الذين ساعدوا على قيام دولة الإسلام في عهدها الأول بما قدمه من مال، أو من خلال كتابات بعضهم عن تاريخ الخلافة الإسلامية على وجه العموم، وخلافة عثمان ﵁ على وجه الخصوص، أو من خلال كتابات بعضهم عن جمع عثمان ﵁ للقرآن الكريم، وما أثاروا خلال ذلك من شبه، ويعتمد الباحث - إن شاء الله - في اختياره للتعريف بالمستشرقين على ما يلي:

أولاً: مدى تأثير ما كتبوه من شبه عن عثمان ﵁ في الدراسات الاستشراقية.

ثانياً: اختلاف التخصص بينهم، فيختار الباحث ممن تخصصوا في الكتابة حول القرآن، ثم من الذين تخصصوا في الكتابة عن الجانب السياسي والتاريخي... إلخ.

ثالثاً: اختلاف الأجيال فيختار الباحث من المتقدمين منهم، والمتأخرين الذين تأثروا بغيرهم.

رابعاً: اختلاف البلدان، فمنهم الإيطالي، ومنهم الألماني، ومنهم الهولندي... إلخ.

خامساً: اختلاف الأديان فمنهم اليهودي المتعصب، ومنهم النصراني.

ومن لم يترجم له هنا، فسوف يترجم له -إن شاء الله- عند ذكره في البحث.

١. **فنسنك** (١٨٨٢- ١٩٣٩م) ARENT JAN WENSINCK

(مستشرق هولندي. كان تلميذا لهوتسما، ودي خويه، واسنوك هرخرونيه وسخاو. وقد خلف اسنوك في كرسيه بجامعة ليدن ١٩٢٧م.

وكان أول إنتاجه هو رسالته التي حصل بها على الدكتوراه في ١٩٠٨م، وعنوانها: «محمد واليهود في المدينة»، باللغة الهولندية)[(١)].

ومع أن فنسنك تتلمذ على يد أشهر مستشرقي المدرسة الهولندية إلا أنه كانت له بصمة واضحة في المجال الاستشراقي.

(وفي ١٩١٦م أُعلن في مجلة ZDMG جـ ٧٠ صـ٥٧٠ عن عزمه على وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ، وبالترتيب الهجائي، للأحاديث الواردة في كتب السّنة الصحاح الستة، وفي «مُسْند» الدرامي، وفي «مسند» أحمد بن حنبل، وفي «موطأ» الإمام مالك. فاستعان بثمانية وثلاثين باحثا من مختلف البلدان للقيام بهذا العمل، وأعانته ماليا أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية أخرى، وعدد من أكاديميات بلاد أوروبية، وبدأوا في إعداد البطاقات لهذه المادة الهائلة من الأحاديث. ثم أصدر الجزء الأول في ١٩٣٦م (من حرف الألف إلى حرف الحاء). ومن ١٩٤٢م صار هذا المشروع تحت رعاية الاتحاد الأكاديمي الدولي، وتواصل ظهور باقي الأجزاء حتى اكتمل)[(٢)].

ولكن مجهوداته لم تقف عند هذا الحد، بل كان له اسهامات أخرى في جانب الحديث النبوي فقد: (أصدر متنا سهل التناول في «الأحاديث النبوية الأولى مرتبة ترتيبا هجائيا» ١٩٣٧م. وقد نقله إلى الحروف العربية فؤاد عبد الباقي تحت عنوان: «مفتاح كنوز السنة» ١٩٤٣م، والطبعة الأصلية ظهرت في حجم الربع، في ليدن لدى الناشر بريل)[(٣)].

---

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، ص٤١٧.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، ص٤١٧ – ٤١٨، خير الدين الزركلي: الأعلام – جـ١ ص٢٨٩.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة =

ويشير المترجمون للمستشرق فنسنك إلى أن من نشاطاته الاستشراقية قيامه بالاشراف على طبع مؤلفات أساتذته، كذلك اسهامه في تحرير مواد مختلفة في دائرة المعارف الإسلامية، يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي: (وعني فنسك بالإشراف على طبع «مؤلفات انوك هرخرونيه المتفرقات»، فصدرت في ٦ مجلدات ١٩٢٣ - ١٩٢٧م. وحرر ٧٥ مادة متنوعة وكثير من كتاباته يرجع الشريعة الإسلامية إلى مصادر يهودية ونصرانية. ومن المواد التي حررها وتتصل ببحثنا مادة: عمرو بن العاص)[1].

ولم ينشغل فنسنك بالنشاطات السابقة فقط، بل كان له مؤلفات خاصة يذكر نجيب العقيقي أشهرها وهي:

١ - («العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي»، باللغة الإنجليزية.

٢- «فكر الغزالي» باللغة الفرنسية. وقد ظهر بعد وفاته وذلك في باريس، ١٩٤٠م.

٣- «أساطير القديسين الشرقيين» استنادا خصوصا إلى مصادر سريانية، نشرها وترجم بعضها أ. ي. فنسنك - ليدن، بريل، ١٩١١ – ١٩١٣م، في مجلدين.

٤- «الأوقيانوس في كتب الساميين الغربيين» أمستردام، ١٩١٨م، وقد جمع بعض زملائه دراساته السامية ونشروها بعنوان: «دراسات سامية من مخلفات الأستاذ الدكتور أ. ي. فنسك ٧ أغسطس ١٨٨٢م-١٩ سبتمبر ١٩٣٩م.

= ١٩٩٣م، ص٤١٧، نجيب العقيقي: المستشرقون - دار المعارف - مصر - الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤م، جـ٢ ص٦٦٧.

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٩٣م، ص٤١٧، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين - نشرة إليكترونية عبر شبكة كتب عربية، ص١١١٠.

وبعض هذه المقالات لم يسبق نشره، والبعض الآخر نشره في أماكن متفرقة[(١)].

٢. توماس أرنولد: (١٨٦٤م – ١٩٣٠م) SIR THOMAS ARNOLD

(مستشرق انجليزي متعاطف مع الإسلام. ولد في ديفنبورت بإنجلترا في ١٩ أبريل سنة ١٨٦٤م، وتعلم أولاً في مدرسة بلايموث الثانوية، ومن ثم انتقل في سنة ١٨٨٠م للدراسة في "مدرسة مدينة لندن". ثم التحق بكلية المجلدية في جامعة كمبردج في سنة ١٨٨٢م، حيث اجتذبته الدراسات الشرقية، وبعد أن أنجز بنجاح دراسته في الكلاسيكيات، أمضى السنة الرابعة في كمبردج أيضاً متوفراً على دراسة تاريخ الإسلام)[(٢)].

ويفهم من هذا أن أرنولد كان من القلائل الذين نظروا إلى الإسلام وتاريخه بحياد وموضوعية، وهذا ما نص عليه العقيقي حين قال عنه: (وكان معجبا بالإسلام متضلعا من علومه منصفا له في أبحاثه عنه، فلم تعد عليه هفوة واحدة على كل ما كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية)[(٣)].

وقد انعكس إعجابه الشديد بالإسلام على نشاطه العلمي والعملي في آن واحد حيث أخذ يدرس العلوم الإسلامية في الجامعات الإسلامية مثل: مصر والهند يقول الدكتور/ عبدالرحمن بدوي: (ونظراً لاهتمامه بالدراسات الإسلامية فقد اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في المقاطعات المتحدة بشمالي الهند. وأمضي في كلية عليكرة عشر سنوات ١٨٨٨ – ١٨٩٨م، وهي فترة كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل نظرات توماس أرنولد للإسلام. إن

---

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٦٨، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص١١١٠، خير الدين الزركلي: الأعلام جـ١ ص٢٨٩.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٩.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ٢ ص٥٠٤.

كلية عليكرة – وهي جامعة إسلامية كبيرة في الهند – قد أسسها سيد أحمد خان بهدف إصلاح الإسلام عن طريق الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر العلمي المنهجي في أوروبا. وشارك أرنولد في هذه التجربة التوفيقية بين الإسلام والفكر الأوروبي الحديث بحماسة شديدة، وراح يكوّن تلاميذ من الإنجليز والهنود مشبعين بهذا الاتجاه)(١).

ولم يخف أرنولد إعجابه بالإسلام حتى في زي المسلمين وعاداتهم (وفي سبيل ذلك راح يلبس الملابس الإسلامية المعتادة لدى المسلمين الهنود، وألَّف داخل كلية عليكرة جمعية الواجب، وصار أعضاؤها يهدفون إلي تجديد الإسلام على الأساس المذكور، أي الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر الأوروبي الحديث. وبهذه الروح ألف كتابه المهم وهو كتاب: "الدعوة الإسلامية" سنة ١٨٩٦م)(٢).

وقد اقتنع بأفكاره عدد كبير من تلامذته كان من أشهرهم الشاعر محمد إقبال، ويشير الدكتور عبدالرحمن بدوي إلى هذه الحقيقة فيقول: (وفي سنة ١٨٩٨م عين أستاذا للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور، وقد صارت فيما بعد: جامعة لاهور، وكان أبرز من تتلمذوا عليه في هذه الكلية هو الشاعر العظيم محمد إقبال اللاهوري، صاحب فكرة إنشاء دولة مستقلة للمسلمين الهنود، باسم: باكستان، وهي دولة باكستان التي أُسِّست في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧م بعد إعلان استقلال الهند مقسمة إلى دولتين: الهند، وباكستان)(٣).

(وترك أرنولد العمل في الهند في سنة ١٩٠٤م، وعاد إلى لندن حيث شغل منصب نائب مدير المكتبة في "الديوان الهندي" في لندن، وهو مركز إداري

---

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٩، وخير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٦.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٠، يحيى مراد: كعجم أعلام المستشرقين ص١٤٨.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٠.

يمثل إدارة مستعمرة الهند آنذاك، وفي نفس الوقت كان يقوم بتدريس اللغة العربية في الكلية الجامعية - أقدم كلية في جامعة لندن.

وأنشئ في سنة ١٩٠٩م منصب المستشار التربوي للطلبة الهنود في إنجلترا، فتولى أعباء هذا المنصب بإخلاص، وتقديراً لهذه الخدمات التي أسداها إلى تعليم الهنود في إنجلترا منح لقب C.I.E في سنة ١٩١٢م، و رتبة فارس في سنة ١٩٢١م عقب إحالته إلى التقاعد في نهاية سنة ١٩٢٠م)[(١)].

ولما أسست "مدرسة الدراسات الشرقية" في جامعة لندن في سنة ١٩١٧م، دعي أرنولد للتدريس فيها، وكان أول من شغل كرسي اللغة والعربية والدراسات الإسلامية كلها، واستمر يعمل على تكوين وتثبيت دعائم قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في تلك المدرسة حتى استوي هذا القسم، وصار من المراكز الرئيسية للدراسات العربية والإسلامية.

وفي أوائل سنة ١٩٣٠م دعته الجامعة المصرية - جامعة القاهرة الآن - أستاذاً زائراً؛ وبعد أن أمضى النصف الثاني من العام الجامعي ١٩٢٩-١٩٣٠م في التدريس بقسم التاريخ في الجامعة المصرية عاد إلى لندن في ٢٥ يوليو ١٩٣٠م، لكنه ما لبث أن توفي في ٩ يونيو سنة ١٩٣٠م وهو في منزله في كنسنجتون، إثر نوبة قلبية مفاجئة، وهو في السادسة والستين من عمره[(٢)].

وفي السنوات الأخيرة من حياته منح ألقاباً تشريفية كثيرة، منها: زميل شرفي لكلية المجلدية في كمبردج سنة ١٩١٧م، والدكتوراه الفخرية من جامعة براج - تشيكوسلوفاكيا، كما أنتخب عضواً في الأكاديمية البريطانية، وهو أعلى

---

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٠، وخير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٦.

(٢) ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ٢ ص٥٠٥، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص١٤٨.

هيئة علمية في بريطانيا، وذلك في سنة ١٩٢٦م)[١].

إنتاجه العلمي:

(كان لانشغال أرنولد بالأعمال الإدارية أثر في قلة إنتاجه العلمي، حتى إن كتابه "الدعوة الإسلامية" ظل حتى سنة ١٩٢٠م، أي وهو في السادسة والخمسين من عمره، الإنتاج العلمي الوحيد ذا القيمة. وقد أعيد طبعه في سنة ١٩١٣م في طبعة موسّعة ومنقحة. وترجم إلى اللغتين الأوردية والتركية، كما ترجم في الأربعينات إلى اللغة العربية، وألّف وهو لا يزال في الهند كتيباً صغيراً عن "المعتزلة" سنة ١٩٠٢م)[٢].

وبمناسبة زوال الخلافة في سنة ١٩٢٤م، ألّف توماس آرنولد كتاباً (بعنوان: "الخلافة"، تتبع فيه تاريخ منصب الخلافة في الإسلام منذ الخلفاء الراشدين حتى إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م على يد كمال أتاتورك. وعقب على ذلك بتلخيص لهذا الكتاب في كتيب صغير جداً بعنوان: "الدين الإسلامي" سنة ١٩٢٨م قصد به إلى الجمهور)[٣].

وكتب مادتي: "الاضطهاد" و "التسامح" في الإسلام، وذلك في "موسوعة الدين والأخلاق". وأداه ذلك إلى التفكير في كتابه كتاب موسّع عن التسامح في الإسلام. لكنه لم ينجز هذا المشروع.

وكتب عدة مقالات تتعلق خصوصاً بالهند الإسلامية في "دائرة المعارف الإسلامية" حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٣ مادة متنوعة. منها ما يتصل ببحثنا وهي مادة: خليفة، ثم صار أرنولد من هيئة مصدري الطبعة الإنجليزية

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١١.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١١.

(٣) خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٨.

لها ابتداء من سنة ١٩١٠م[(١)].

وثمة جانب آخر في اهتمامات أرنولـد، هـو تـاريخ التـصوير في الإسـلام. (وفي هـذا المجـال اشـترك في وضـع مجلـد بعنـوان: "الرسّـامون في بـلاط المُغـل الكبار" سنة ١٩٢١م. وتوّج كتاباته عن التصوير عن المسلمين بدراسـة عميقـة بعنوان: "التصوير في الإسلام" سـنة ١٩٢٨م؛ عنـي فيـه بحـث القواعـد الفنيـة للرسـم عنـد الرسّـامين المـسلمين، ولخـص آراءه ضـمن كتـاب عـام بعنـوان: "الكتاب الإسلامي" سنة ١٩٢٩م.

وآخر ما كتبه في تاريخ الفن الإسلامي هو دراسة عن "بهزاد ورسـومه في مخطوط ظفر نامه" سنة ١٩٣٠م. ثم المحـاضرات التـي ألقاهـا في سـنة ١٩٢٨م عن العهدين القديم والجديد في الفنون الدينية الإسلامية، وقد نشر بعـد وفاتـه، وذلك في سنة ١٩٣٢م)[(٢)].

٣. ليفي دي لافيدا (١٨٨٦ – ١٩٦٧م) LIVIDELLA VIDA

(مستشرق إيطالي ولد في ٢٢ أغسطس ١٨٨٦ من أسرة يهوديـة اسـتقرت في إيطاليا منذ وقت طويل، وقضى دراسته الثانوية في جنوه حيـث كانـت أسرتـه قد انتقلت بعد نقل أبيه إلى وظيفة كبيرة في بنك إيطاليا، ثم انتقل ليفي إلى رومـا للدراسات الجامعية، فدخل كلية الآداب في جامعة روما، وحصل منها عـلى مـا يعادل الليسانس في ١٩٠٩م، وقد حضر على اجنتسيو جويدي)[(٣)].

وقد بدأ دي لا فيدا توجهه نحو الاهتمام بالشرق في سن مبكرة حتى قبـل الانتهاء من المرحلة الجامعية وفي هذا يقول الدكتور بدوي: (وقبل حصوله على

(١) ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ٢ ص٥٠٥.

(٢) عبـدالرحمن بـدوي: موسـوعة المستـشرقين، ص١١، ونجيـب العقيقـي: المستـشرقون، جــ٢ ص٥٠٥.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٦.

إجازته الجامعية، قام في عامي ١٩٠٨ و ١٩٠٩م برحلة إلى الشرق، وسافر إلى القاهرة فترة ثانية، في عام ١٩١٠ - ١٩١١م، وفي أثنائها تعرف إلى كارلو ألفونسو نلينو الذي كان أستاذاً منتدباً في الجامعة المصرية القديمة)(١).

ويبدو أن دي لافيدا قد ظهر منه نبوغ في الدراسات الشرقية بحيث كان محل اهتمام المستشرق الإيطالي الكبير الأمير كيتاني الذي اعتمد عليه في تحرير كتابه الشهير حوليات الإسلام يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي:

(ولما عاد من مصر، في ١٩١١م، تعاون مع الأمير ليون كايتاني في تحرير كتاب "حوليات الإسلام" تأليف كايتاني. وقد أهدي إلى كايتاني المجلد التاسع من هذه "الحوليات" معترفاً بفضله في الإسهام في هذا العمل.

وقد ظلت علاقات المودة قائمة بين كيتاني ودلافيدا حتى آخر حياة كليهما. وقد أهدي دلافيدا إلى ذكري كيتاني بحثه عن "معاوية".

أما سيرته في التدريس، فقد بدأ دلافيدا بتدريس اللغة العربية في "المعهد الشرقي" في نابلي في عامي ١٩١٤ - ١٩٧٦م.

وفي ١٩١٧م فاز في مسابقة الترشيح لكرسي العبرية واللغات السامية المقارنة في جامعة تورينتو)(٢).

ولكن لم تبلغ شهرته الجامعية أوجها إلا بعدما أصبح أستاذا في جامعة روما يقول خير الدين الزركلي: (كان من كبار المستشرقين الإيطاليين، وكان استاذ العربية واللغات السامية المقارنة بجامعة روما) (٣).

وكان من النشاطات البارزة التي برع فيها دلا فيدا نشاط فهرسة المخطوطات العربية وتنظيمها يقول نجيب العقيقي: (فاشتغل دلافيدا في مكتبة

---

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٦، خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٦.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٦، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ٥١١.

(٣) خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٦.

الفاتيكان في الفترة ما بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٩م، حيث قام بفهرسة المخطوطات العربية الإسلامية الموجودة بها، وتمخض عن ذلك كتابه الجيد: "ثبت بالمخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة الفاتيكان" - حاضرة الفاتيكان، ١٩٣٥م. وعقب ذلك بدراسة بعنوان: "أبحاث في تكوين أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان" - حاضرة الفاتيكان، وقد نشر بعد ذلك، في عام ١٩٦٥م، "ثبتا ثانياً بالمخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة الفاتيكان" - حاضرة الفاتيكان، ١٩٦٥م)[١].

وإلى جانب هذه المجلدات الثلاثة العظيمة، كتب دراستين في نفس الموضوع : الأولى بعنوان "قطع من القرآن بحروف كوفية في مكتبة الفاتيكان - حاضرة الفاتيكان، ١٩٤٧م؛ والثانية بعنوان: "مخطوطات عربية من أصل أسباني في مكتبة الفاتيكان" نشر في كتاب "دراسات على شرف الكردينال ألباريدا"، حاضرة الفاتيكان، ١٩٦٢م[٢].

(وهكذا قدم دلافيدا أداة ثمينة جدًا لهداية الباحثين إلى البحث في مخطوطات مكتبة الفاتيكان، ولم يكن لديهم قبل ذلك إلا فهرس عتيق حافل بالمناقص والأخطاء وضعه أحد البنانيين ويدعى السمعاني، في القرن الثامن عشر، والثبت الأول الذي وضعه دلافيدا يتناول بالوصف الموجز الدقيق حوالي ألف ومائتي مخطوط، والثبت الثاني يتناول ٢٧٦ مخطوطا معظمها أهداه الكردنال تيوني - وهو عراقي الأصل - إلى مكتبة الفاتيكان)[٣].

ونعود إلى سيرة دلافيدا فنقول: إنه لما صدرت في إيطاليا القوانين المميزة ضد اليهود في ١٩٣٩م ـ فكر دلافيدا في مغادرة إيطاليا، واستطاع الحصول على

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩٠، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٧.

(٢) ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩١.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٧.

دعوة من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية ليشغل في فيلادلفيا كرسي اللغات السامية، وسافر إلى الولايات المتحدة قبيل قيام الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩م، واستمر يدرس هناك إلى أن انتهت الحرب في ١٩٤٥م، فأعيد إليه كرسيّه في جامعة روما. وعاد نهائياً في عام ١٩٤٧م، فشغل كرسي اللغة العبرية واللغات السامية المقارنة، وقد تحول اسم هذا الكرسي فيما بعد إلى "كرسي الفيلولوجيا السامية"، ثم انتقل منه إلى كرسي "التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية" ويسمى الآن كرسي الإسلاميات. واستمر يشغل هذا الكرسي حتى أحيل إلى التقاعد في ١٩٦١م. وتوفي ليفي دلافيدا في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧م)[(١)].

وقد تنوع الانتاج العلمي لدلا فيدا فجاء في ثلاثة أبواب رئيسية يقول عنها الدكتور/ عبدالرحمن بدوي:

(أما إنتاجه العلمي فيندرج تحت ثلاثة أبواب:

١. الدراسات العربية والإسلامية.

٢. اللغات السامية: العبرية، والسريانية.

٣. النقوش اليونية الحديثة.

أ- أما في ميدان الدراسات العربية والإسلامية فكان أول إنتاجه هو دراسة تاريخيه كانت من ثمار تعاونه مع كيتاني، وعنوانها: "خلافة عليّ وفقاً لكتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري ظهرت في "مجلة الدراسات الشرقية" ١٩١٥م. وكان كارل هينرش بِكر قد عثر على مخطوط وحيد لكتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري في استانبول. ونشر ألوردت Ahlwardt منه فصلاً، فدرس ليفي دلافيدا القسم منه الخاص بخلافة الإمام علي بن أبي طالب اعتماداً على نسخة مصورة حصل عليها كايتاني؛ وقارن بين أقوال البلاذري، وأقوال

---

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٧.

الطبري المناظرة لها ومصادر قديمة أخرى، وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاماً ترجم القسم الخاص بمعاوية في كتاب "أنساب الأشراف"، وذلك تحت عنوان: "خلافة معاوية الأول وفقا لكتاب: "أنساب الأشراف" للبلاذري روما ١٩٣٨م)[1].

(ثم عني بكتاب "الجمهرة في النسب" لابن الكلبي، الذي توجد منه نسخة وحيدة رديئة في الأسكوريال، وكان دلافيدا يود لو استطاع تحقيقه. وهو مطلب لم يستطع تحقيقه، إذ اقتصر على استخراج جداول الأنساب فيه دون أن ينشر النص كاملاً، وكان من ثمرة عناية دلافيدا "بجمهرة النسب" لابن الكلبي أن صار متضلعاً في علم الأنساب عند العرب، ولهذا عهدت إليه "دائرة المعارف الإسلامية" في طبعتها الأولى بأن يكتب المواد المتعلقة بالأنساب العربية)[2].

وإنما استطاع دلافيدا أن يحقق نصين صغيرين في الخيل: أحدهما لهشام ابن الكلبي، والآخر لمحمد بن الأعرابي، وظهرا في مجلد واحد في ليدن، سنة ١٩٣٨م، والكتابان في ذكر أسماء الخيل في الجاهلية وأصحاب هذه الخيول، وما تعلق بها من حروب ومنازعات قبلية ومسابقات شعرية.

وكتب مادة : "العرب" في "دائرة المعارف الإيطالية". ونشر مقالات أخرى في التاريخ الإسلامي متنوعة، من أهمها ويتعلق بموضوع بحثنا مادة: "عثمان"، ومادة: "البيعة"، مادة: "طلحة"، وقد جمع بعضها في كتاب بعنوان غريب هو : "نوادر وتسليات عربية وغير عربية" ميلانو - نابلي، ١٩٥٩م، وهذا الكتاب يحتوي أيضاً على سير لنفر من المستشرقين الإيطاليين كتبها

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٨، وراجع: الزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٤٧.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩١.

بمناسبة وفاتهم[1].

(أما في ميدان الدراسات الأدبية العربية، فقد أسهم ليفي دلافيدا بالعديد من الأبحاث الأصلية، نذكر منها الأبحاث التالية:

١. "حول طبقات الشعراء" لمحمد بن سلاّم، وهو نقد لنشره يوسف هل Hell لكتاب ابن سلام هذا نشر في ١٩٢٠م.

٢. "بعض أبيات من الشعر للخليفة يزيد الأول" نشر في ١٩٢٦م.

٣. " بمناسبة السموأل" نشر في ١٩٣١م.

٤. "عميرة بن جعيل، شاعر لا وجود له" نشر في ١٩٦٣م)[2].

وكان دلافيدا مولعاً بالتحقيقات، (وقد كتب في هذا المجال مقالتين حافلتين بالملاحظات والتصحيحات الطريقة - وذلك بعنوان: "نقط ومسائل في التاريخ الأدبي العربي" نشرتا في ١٩٣١، و ١٩٣٣م.

منها تعليقه على السموأل، وأخرى على ابن الكلبي، وثالثة على الرياض الكَرَجي (بفتح الراء وبالجيم التحتانية) وخطأ من كتبه: الكَرْخي (بسكون الراء، وبالخاء الفوقانية)، ورابعة عن كتاب جديد لما شاء الله الفلكي المنجم)[3].

ومن الأبحاث المهمة التي كانت ثمرة مقامة في أمريكا وإطلاعه على المخطوطات فيها، بحث طويل بعنوان:

("الترجمة العربية" لتواريخ أوروسيوس، درس فيه هذه الترجمة المحفوظة في مخطوط بمكتبة جامعة كولومبيا في نيويورك، ونشر هذا البحث أولاً في ميلانو ١٩٥١م، ثم أعاد نشره مع بعض التنقيح والزيادة في مجلة

---

(١) ينظر: عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٨.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩١.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٨.

"الأندلس" مدريد ١٩٥٥م)(١).

ب- (أما عن الميدان الثاني، وهو اللغات السامية، فقد كتب مقالات في هذا المجال منذ وقت مبكر:

١. فكتب مقالا عن "بروسوس المنحول في اللغة السريانية" نشر في "مجلة الدراسات الشرقية" جـ٣ ص ٧- ٤٣.

٢. ومقالاً عن "آداب فيثاغورس في ترجم سريانية" (مجلة الدراسات الشرقية جـ٣ ص٥٩٥ - ٦١٨).

٣. وكتاباً عن "أطوار بين أقوام البلاد" لابن ديصان، نشر في سلسلة "الكتاب المسيحي القدماء" روما ١٩٢١م.

٤. وكتب فصلاً بعنوان: "وفي خصائص الساميين" ضمن كتاب مجموع بعنوان "التاريخ والدين في الشرق السامي" روما ١٩٢٤م.

٥. وتوسع في هذا الموضوع في ثلاث محاضرات ألقاها في الكوليج دي فرانس في باريس وصدرت بعنوان: "الساميون ودورهم في التاريخ الديني" بالفرنسية باريس ١٩٣٨م.

٦. وله متن مدرسي موجز بعنوان: "العبرانيون: تاريخهم، وديانتهم، وحضارتهم،" مسّينا - روما ١٩٢٤م)(٢).

جـ- (أما الميدان الثالث، وهو النقوش البونية الحديثة، فقد تفرد به، لقد قام بقراءة ودراسة النقوش اليونية (الفينيقية) المنقوشة التي عثر عليها في سردينيا، وصقلية وولاية طرابس في ليبيا، وكانت ثمرة هذه الدراسة عدة مقالات، ذكر منها:

---

(١) المرجع السابق نفس الموضع.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩١، ويحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص٥١١.

١. "النقوش اليونية الحديثة في ولاية طرابلس بليبيا" نشر في ١٩٢٧م.

٢. "النقوش اليونية الحديثة في حمامات لبده" وهي مدينة رومانية الأصل في ولاية طرابلس بليبيا على ساحل البحر نشر في ١٩٢٩م.

٣. "نقوش بتيا في سردينيا" نشر في "أعمال أكاديمية تورينو" ١٩٣٥م.

٤. "حول نقش بلغتين: لا تينية وبونية حديثة في لبده الكبرى" نشر في "أعمال أكاديمية تورينو" ١٩٦٧م.

٥. "ملاحظات على نقش فينيقي في كاراتيب" نشر في أعمال أكاديمية لنشاي في روما ١٩٤٩م)[١].

٤. **روبسون (١٨٩٠ - ..)** Robson, J.

ولد المستشرق الإنجليزي (جيمس روبسون عام ١٨٩٠م، وقد تخرج باللغات الشرقية من جامعة جلاسجو، وعين مساعدة أستاذ اللغة العبرية فيها ١٩١٥ - ١٩١٦م، وتنقل بين العراق والهند ١٩١٦ - ١٩١٨م، واختير معيداً للإنجليزية في لاهور ١٩١٨ - ١٩١٩م، ثم قصد عدن ١٩١٩ - ١٩٢٦م، وعين وزيراً في شاندون ١٩٢٦ - ١٩٢٨م، ومعيداً للعربية في جلاسجو ١٩٢٨ - ١٩٤٨م، ثم محاضراً ١٩٤٩م، وأستاذاً للعربية في جامعة مانشستر ١٩٤٩م)[٢].

آثاره:

كتب روبسون العديد من الكتب في شتى علوم المعارف الإسلامية، وشارك بالعديد من المواد في الموسوعة الإسلامية، ومنها ما يتصل ببحثنا فقد كتب مادة: أبو ذر الغفاري، ومن أهم هذه الكتب.

---

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون، جـ١ ص٣٩١، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٤٨.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٥٤٧.

- (عيون ١٩٢٣م.

- والمسيح في الإسلام ١٩٢٨م.

- وآلات الطرب العربية القديمة ١٩٣٨م.

- وذم الملاهي لابن أبي الدنيا مقالات في سماع الموسيقي. لندن ١٩٣٨م، ثم ترجمه إلى الإنجليزية.

- والملاهي لأبي طالب المفضل بن سلسلة النحوي اللغوي عن مخطوط في الآستانة بجميع صوره جلاسجو ١٩٣٨م، ثم ترجمه للإنجليزية.

- وفهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة جلاسجو، وقد نشر الدراسات السامية الشرقية، جلاسجو ١٩٤٥م.

- والمدخل إلى علم الحديث ١٩٥٣م.

- ومن مباحثه في صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية: عدن وشعبها ١٩٢٣ – ١٩٢٨م.

- وأولياء العرب ١٩٢٣ – ١٩٢٨م.

- والإعجاز في القرآن ١٩٢٩ – ١٩٣٣م.

- والتسليم في الإسلام ١٩٣٨ – ١٩٣٩م.

- ومخطوط عن السحر ١٩٤٤ – ١٩٤٦م.

- والإسناد في الحديث عند المسلمين ١٩٥٣ – ١٩٥٤م.

- وفي مجلة العالم الإسلامي: السحر الطريف عند عامة المسلمين ١٩٣٤م.

- وهل تكلم الكتاب المقدس عن النبي محمد ١٩٣٥م.

- ومحمد في الإسلام ١٩٣٥م.

- والمسيح في الإسلام ١٩٣٩م.

- وحكايات المسيح ومريم ١٩٥٠م.

- ومواد الحديث ١٩٥١م.
- والحديث ترتيب فهرسة ١٩٥١م.
- والأساس الثاني للإسلام: الحديث ١٩٥١م.
- وشرط الإسلام ١٩٥٤م.
- والغزالي والسنة ١٩٥٥م.
- وفي مجلة الجمعية الملكية الآسيوية: معنى لفظة المعلقات ١٩٣٦م. واستعمال عربي ١٩٣٧م.
- وصحيح مسلم ١٩٤٩م.
- وفي نشرة مكتبة ريلاندز: مقامة الشطرنج في مكتبة جون ديلاندز ١٩٥٣م.
- وابن إسحق الإسناد ١٩٥٥ – ١٩٥٦م.
- وفي نشره مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية: سنن لأبي داود ١٩٥٢م.
- وجامع الترمذي ١٩٥٤م.
- وفي غيرها: فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة جلاسجو الدراسات السامية والشرقية ١٩٤٥م.
- ومعنى الغناء مجلة جامعة مانشستر ١٩٤٧م – ١٩٥٣م.

ومخطوط مغربي عن سماع الموسيقي – الثقافة الإسلامية، ١٩٥٢م.

- والاحتفال بشهر المحرم – مجلة هيبرت ١٩٥٥ – ١٩٥٦م)[١].

٥. **الفورد ت. ولش** Alford T. Welch

(حصل ولش على شهادة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة ادنبره في عام ١٩٧٠م. ثم شغل منصب أستاذ المساعد للدراسات

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٥٤٨، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص٥٩٨.

الدينيـة في جامعـة ميـشيغان، ثـم أسـتاذ الدراسـات الدينيـة في جامعـة ولايـة ميشيغان. كما حصل أيضا على درجة الماجستير في لغة الكتاب المقدس، وأدب وتاريخ الشرق الأدنى من الكلية اللاهوتية المعمدانية الجنوبية)[(١)].

وتـشمل المجـالات البحثيـة ولـش تـاريخ الأديـان، واللغـة العربيـة والدراسات الإسلامية. له أبحاث عديدة منها:

- (حـول «أركـان الإسـلام» والمناسـبات الإسـلامية الـسنوية في مجلـة الإسلام في شتوتجارت ١٩٨٠م - الجزء الأول.

- القرآن الكريم ونصوص مختارة مع التفسيرات الإسلامية الكلاسيكية والحديثة ١٩٧٦م.

- وله كتاب الإسلام والنفوذ في الماضي والحاضر ١٩٧٩م، بالإشتراك مع مونتغمري وات.

- وكتـب أيـضا مـع مـونتغمري وات كتـاب الإسـلام الأديـان للبـشرية ١٩٨٠م.

- وله أيضا: الإسلام: تأثير الماضي والتحدي الحالي ١٩٨٤م.

- وله أيضا كتاب: دراسات في القرآن والتفسير ١٩٩٠م.

- وله كتاب: فهم القرآن نشر في ٢٠٠٨م.

- وكتـب مقالـة «القـرآن» في الطبعـة الجديـدة لــ: الموسـوعة الإسـلامية العالمية)[(٢)].

---

(١) يراجـع في ترجمتـه: الموسـوعة الحـرة: ويكيبيـديا مـادة: الفـورد ولـش. تـاريخ الـدخول ٢/ ٧/ ٢٠١٥م.

(٢) يراجع في الجزء الخاص بكتبه بموقع: Amazon بحث باسم: Alford T. Welch. تاريخ الدخول ٢/ ٧/ ٢٠١٥م.

ويظهر من نصوص ولش حول القرآن على مدى الحقد الدفين عنده تجاه القرآن ومحاولة التشكيك فيه، وهو ما سنعرض له في الفصل الثالث من الرسالة - إن شاء الله -.

- وله بحث بعنوان: (الله والمخلوقات الماورائية الأخرى - نشوء العقيدة القرآنية في التوحيد. وفي هذا البحث يحاول ولش أن يوظف نظرية التطور الداروني على عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، وتطور عبادة الأوثان في الجاهلية، والمخلوقات الماورائية كالملائكة والجن، وذلك بأسلوب يستطيع القارئ معه أن يدرك مدى حقد هذا المستشرق على الإسلام، ومحاولة تشويه عقيدة التوحيد الخالص)[1].

---

(١) يراجع بحثه: الله والمخلوقات الماورائية تاريخ الدخول ٢/ ٧/ ٢٠١٥م، بموقع:

http://www.maaber.org/issue_february14/mythology1.htm#_ftn7

ثالثاً: تعريف موجز بدائرة المعارف الإسلامية.

للمستشرقين عموما دوافع وأهداف يسعون إلى تحقيقها وفي سبيل تلك الدوافع والأهداف يتخذون العديد من الأساليب والوسائل التي تدور معظمها في المجال العلمي والمعرفي، مثل: التدريس والتعلم، وجمع المخطوطات وفهرستها، والتحقيق والنشر، والترجمة والتأليف، ومنها تأليف الموسوعات والدوائر العلمية، وهو الذي يهمنا في هذا الموضوع، ومن أهمها دائرة المعارف الإسلامية، وهو موضوع بحثنا.

ما معنى دائرة معارف أو موسوعة؟ من الأولى أن نحدد معنى هذا اللفظ، ونحرر معنى ذلك المصطلح حتى يحصل في الذهن تصور واضح لحقيقته وماهيته.

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وجدناها تقرر أن لفظي «دائرة معارف» و «موسوعة» لفظان مترادفان ويقصد بهما: (عمل يضم معلومات عن مختلف ميادين المعرفة، أو عن ميدان خاص فيها، ويكون مرتبا ترتيبا هجائيًا)[(١)].

ويبدو أن العلماء قديما لم يستخدموا هذا المصطلح - أعني دائرة معارف -، وإنما استخدموا مصطلحات أخرى، مثل: موسوعة أو معجم أو قاموس "dictionary" لتدل على الكتاب الكبير الذي يحمل بين دفتيه معارف مختلفة، ومعلومات كثيرة لغرض التعليم.

وكلمة موسوعة أو دائرة معارف يطلق عليها في الإنجليزية "encyclopedia" وهي كلمة مشتقة من أصل يوناني، وتعني حرفيا: التعليم في دائرة[(٢)].

ومعناها تقديم المعرفة بشكل منهجي من خلال دراسات يكتبها متخصصون في كل حقل، وتكون حسب تصنيف «ألفبائي»[(٣)].

---

(١) المعجم الوسيط جـ١ ص٣٠٢.

(٢) عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية - دار الشروق القاهرة - الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٣م، جـ١ ص٣٠.

(٣) عبدالوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية جـ١ ص٣١.

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن المستشرقين كانت لهم براعة فائقة، وباع طويل في التأليف الموسوعي، وكتابة الكتب الكبيرة التي تضم آلاف الصفحات بغض النظر عما تحمله هذه الأسفار الضخمة من موضوعية علمية أو أحكام صحيحة، وقد اهتم المستشرقون بهذه الأعمال الموسوعية منذ وقت مبكر، ومن أهم الأمثلة التي نسوقها هنا للتدليل على ذلك ما يلي:

١- **القاموس اللاتيني العربي** (Latin Arabic Dictionary):

ويعد هذا القاموس أول قاموس لاتيني عربي صدر في القرن الثاني عشر الميلادي[1].

٢- **دائرة المعارف البريطانية** (Encyclopedia Britannica):

وتعد دائرة المعارف البريطانية من أقدم الموسوعات التي ظهرت باللغة الإنجليزية حيث ظهرت سنة ١٧٧١م في ثلاث مجلدات، وقد اكتسبت هذه الدائرة شهرة عالمية حتى لا تكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات العالم، أو مكتبات الجامعات، أو المكتبات الوطنية إلا وفيها نسخة أو نسختان من هذه الدائرة، بل إن كثيرا من الأسر تقتني نسخة من هذه الدائرة في مكتباتهم المنزلية لسعة معلوماتها ولشهرتها وانتشارها، ولاهتمام الناشرين بتحديث المعلومات فيها، وتطويرها كل فترة من الزمن[2].

٣- **دائرة المعارف البريطانية لليافعين** (Britannica Junior Encyclopedia):

وقد ظهرت أول طبعة لها عام ١٩٣٤م عن هيئة الموسوعة البريطانية وقام بنشرها «وليم بنتون» في كل من لندن وشيكاغو، وتورنتو، وجينيف وسيدني،

(١) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٧٢.

(٢) عدنان الوزان: موقف المستشرقين من القرآن الكريم: دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية بحث منشور بموقع صيد الفوائد، والمكتبة الشاملة ص٢٠. تاريخ الدخول ٢/ ٧/ ٢٠١٥م.

وطوكيو، ومانيلا وجوهانسبرج(١).

٤- دائرة المعارف الدولية (International Encyclopedia):

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذه الدائرة عام ١٩٦٨م في كندا(٢).

٥- دائرة معارف هارفر العالمية (Harver World Encyclopedia):

وهي إحدى أشهر الموسوعات المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا وأوروبا عموما، وقد صدرت عام ١٩٧٣م في نيويورك ولندن من قبل شركة هارفر للخدمات التعليمية(٣).

وبالرغم من تعدد الأعمال الموسوعية، وإصدار كثير من دوائر المعارف المختلفة غير ما ذكرنا إلا أن أهم عمل للمستشرقين هو تأليف وإصدار دائرة المعارف الإسلامية.

نشأة دائرة المعارف الإسلامية وتطورها :

لقد شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام؛ لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الأوروبية الثلاث الكبرى، وهي الألمانية والإنجليزية والفرنسية، فدعوا إليها وكلفوا بها المتخصصين، وخصصوا لها المطابع، وأنفقوا المال الكافي لإنجازها (وقد ظهرت فكرة كتابة دائرة المعارف الإسلامية في مؤتمر للمستشرقين العاشر بسويسرا عام ١٨٩٤م، ولكن لم يتم البدء في إصدار أجزائها إلا في عام ١٩١٤م، وتوالى صدور أجزائها حتى عام ١٩٤٢م حيث اكتملت بثلاث لغات هي الألمانية والإنجليزية والفرنسية)(٤).

---

(١) المرجع السابق ص١٩.

(٢) المرجع السابق ص١٥.

(٣) المرجع السابق ص١٧.

(٤) عبد الرازق هرماس: علم التفسير في كتابات المستشرقين – منشورات كلية الآداب – جامعة القاضي عياض – المغرب – بدون تاريخ ص٨٥.

وأول من تولى إنشاء هذه الدائرة والإشراف عليها هو المستشرق الهولندي هوتسما، وخصصت لها مطبعة ليدن بهولندا لنشر ما يتم إنجازه من أجزاء، ويبدو أنه كان هناك اهتمام بالغ بهذا المشروع العلمي الضخم، فقد التفت حوله الدوائر العلمية والمؤسسات المالية تمده بالمعرفة والمال اللازمين، ويعبر نجيب العقيقي عن هذه الحقيقة فيقول عن دائرة المعارف: (دعا إليها المستشرقون فأمدتها المجامع ومؤسسات نشر العلم بالمال، وتصدى لها علماء أكفاء، ثم تألفت لجنة لنشر طبعة جديدة منقحة، ثم منحتها مؤسسة روكفلر ٤٥ ألف «خمسة وأربعون ألف» دولار لاستكمالها)(١).

وقد بدأ التأليف الفعلي لدائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٠٦م، ومن أوائل من بادر بها المستشرق: هوتسما(٢)، وقد حرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند، ثم حل محله فيما بعد المستشرق: فنسنك(٣)

---

(١) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٥١ - دار المعارف - مصر - سنة ١٩٦٥.

(٢) مارتن تيودو هوتسما (١٢٦٧-١٣٦٢هـ=١٨٥١-١٩٤٣م) Martin Theodor: Houtsma مستشرق هولندي: ألمّ بالعربية والفارسية والتركية، ودرّسها في جامعة أوترخت. وهو من أوائل من اضطلعوا بإنشاء " دائرة المعارف الإسلامية " سنة ١٩٠٦م له بالعربية " فهرست الكتب الشرقية المحفوظة في أكاديمية ليدن - ط " الجزء السادس، و " فهرست الكتب العربية والتركية الموجودة عند بريل صاحب مكتبة ليدن - ط " جزآن. وعني بنشر كتب عربية، منها " تاريخ اليعقوبي " و " ديوان الأخطل " و " الأضداد " لابن الأنباري، و " زبدة النصرة ونخبة العصرة " للبنداري، اختصر به كتاب العماد الأصفهاني. حرر في الدائرة عدة مواد منها (القاديانية، والسلاجقة). حرر في الدائرة عدة مواد منها (القاديانية، والسلاجقة).ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٥ ص٢٥٢، العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٦٩، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٦١٦، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص١٠٨٣، يوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة - مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، جـ٢ ص١٩٠١.

(٣) سبقت ترجمته ضمن المستشرقين الذين كتبوا عن عثمان بن عفان ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية ص٥٥.

عام ١٩٢٤م[١].

وقد تولى تحرير النسخة الألمانية من دائرة المعارف الإسلامية المستشرقون: شاده[٢] و هارتمن[٣] و بوير[٤].

(١) خالد عبد العزيز القاسم: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية – عرض ونقد وعرض – بحث بموقع الألوكة، ص٣٦.

(٢) شاده (١٨٨٣ – ١٩٥٢م) Sachaade مستشرق ألماني تخرج باللغات الشرقية على فيشر من ليبزج، وعين أستاذا في هامبورج وفي الجامعة المصرية، ثم مديرا لدار الكتب بالقاهرة، وقد عرف بكتاباته عن بعض المعاصرين من أدباء العرب. من آثاره: ترجم كتاب التنبيه في فقه الشافعية، كتاب الشريعة الإسلامية، وله كتاب عن سيبويه. العربية واللغات السامية (الدراسات السامية)، العربية والتركية، وأحمد تيمور باشا والنهضة العربية، أبو نواس وألف ليلة وليلة، وابن زيدون، والعربية والسيريانية. وحرر ٣٢ مادة في الدائرة في الطبعة الأولى أغلبها في اللغة والأدب. ينظر في ترجمته: العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٧٧٥.

(٣) مارتن هارتمن: (١٢٦٧ – ١٣٣٧هـ = ١٨٥١ – ١٩١٩م) Martin Hartmann مستشرق ألماني. ولد في برسلاو، وتعلم في جامعتها ثم في جامعة ليبسك. وعين في القنصلية الألمانية ببيروت، فتعلم العربية. وطالت إقامته، فكان يتكلم بها كبعض أبنائها. وعين مدرسا لها في جامعة برلين سنة ١٨٨٧م، وقام برحلات إلى الشرق فوضع عن كل رحلة كتابا. له بالعربية "الصرف والنحو الألمانيان وكيفية تعلّمهما من أيسر السبل – ط" و "قانون التجارة الألماني العام – ط" وكتب بالإنجليزية رسالة عن "الصحافة العربية بمصر، من عهد ظهورها إلى سنة ١٨٩٩م" وتوفي ببرلين. حرر في الطبعة الأولى ٣٧ مادة لمواقع جغرافية في آسيا، ووصف العقيدة الإسلامية بالتشدد، وطعن في دعاة الإسلام. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٥ ص٢٥٢، العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٧٢٥ – ٧٢٧، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٦٠٧ – ٦٠٨، مجلة لغة العرب – صاحب امتيازها الأب أنستاس ماري الكرملي – مطبعة الآداب – بغداد – السنة الثالثة ١٩٣١م، ص٤٤١، ومجلة المجمع العلمي العربيّ – دمشق – المجلد الأول ١٩٢١م، ص٩٢، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة جـ٢ ص١٨٩٠، و فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية – المطبعة الأبية – بيروت ١٩١٣م، جـ١ ص٢٣، و جـ٣ ص٦.

(٤) بوير: لم أجد له ترجمة ووجدت ترجمة لمستشرق ألماني باسم سالمون بوير نشر رسالتين فيما وراء الطبيعة للبهلواني، ولم أجد له سوى ذلك. ينظر: العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٣٦٠.

وتـولى تحريـر النـسخة الفرنـسية: رينيـه باسـيه[(١)]، وأشرف عـلى جميـع الأبحاث المتعلقة بشمال أفريقيا، ثم خلفه ابنه هنري[(٢)].

وتولى تحرير النسخة الإنجليزية: توماس أرنولد[(٣)] فأشرف على جميع الدراسات المتعلقة ببريطانيا ما عدا مصر.

ثم عهد بالمقالات المختلفة في كل موضوع من موضوعاتها إلى مستشرقين آخرين يوقعون ما يكتبون[(٤)].

وفي أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة أصـيب نـشاط الـدائرة بـشيء

---

(١) رينيه باسيه: (١٢٧١ - ١٣٤٢هـ = ١٨٥٥ - ١٩٢٤م) Rene Basset مستشرق فرنسي. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ. ولد في لونيفيل، وتعلم في نانسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وعين مدرسا للعربية في مدرسة الجزائر العليا سنة ١٨٨٢ م، ثم تولى إدارتها. واختير (عضوا) في كثير من المجامع العلمية. وترأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة ١٩١٠م. ونشر بالعربية (تحفة الزمان) لعرب فقيه، في فتوح الحبشة، مع ترجمة فرنسية، و (الخزرجية) في العروض، و (تاريخ بلاد ندرومة وترارة بعد خروج الموحدين منها)، وله بالفرنسية مقالات في المجلات الشرقية في فرنسا والجزائر وتونس، وفصول في دائرة المعارف الإسلامية، وتصانيف. توفي بالجزائر. حرر في الدائرة في الطبعة الأولى والثانية ٢٥ مادة عن الغرب العربي والبربري، وقد ذم مذهب الإمام مالك ووصفه بالتشدد وكذلك المرابطين والصوفية. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٣ ص٣٩، ومجلة المجمع العلمي العدد: ٤ ص١٦٤ والعدد: ٥ ص١٦٩، والعقيقي: المستشرقون جـ١ ص٢٢٣ - ٢٢٥، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) هنري باسيه: مستشرق فرنسي (١٨٩٣م - ١٩٢٦م) تخصص بدراسة المسلمين تاريخاً وأدباً واجتماعاً، عين مديراً لمعهد الدراسات العليا بالرباط، تحدث عن العرب وخاصة الآثار، لم أجد له كتابات في الدائرة ولعله أشرف من غير أن يكتب، ووجدت له خارجها كتاب وفيه: الرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه في وضعية بائسة وهذه كانت حالة محمد في فترة ما. انظر الإسلام: هنري باسيه ترجمة بهيج شعبان إصدار عويدات بيروت د. ط.ت ص٢٤-٢٥. ينظر في ترجمته: العقيقي: المستشرقون جـ١ ص٢٨٩، نذير حمدان: مستشرقون ص١٢٠.

(٣) سبقت الترجمة له في الجزء الخاص بتراجم المستشرقين الدين كتبوا عن عثمان.

(٤) خالد عبد العزيز القاسم: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دائرة المعارف الإسلامية ص٣٩.

مـن الاضـطراب، وقـضي عـلى بعـض أعـضائها في سـاحاتها، ثـم اسـتأنفت نـشاطها بـإشراف كرايمـر(١) و جـب(٢) و ليفـي برفنـسال(٣) بنـشر طبعـة

(١) كرايمر: (المولود عام ١٨٨٨م - Kraemer H.) مستشرق هولندي بدأ نشاطه بخدمة الرسالة البروتستانتية في جاو، ثم عين أستاذا لتاريخ الديانات في جامعة ليدن، وقد عدَّ من كبار الباحثين في الدين الإسلامي. آثاره: مجموعة صوفية من جاوة، في القرن السادس عشر (ليدن ١٩٢١م)، وفي مجلة العالم الإسلامي: الإسلام في الهند اليوم (١٩٣١م)، ومطالب الإسلام الجديدة (١٩٣٩م) والدفاع عن الإسلام (مجلة الهند ١٩٣٥م). حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٥٧ مادة جغرافية وتاريخية ولا يظهر من كتاباته التعصب، بل اتهم المصادر الأوروبية بعدم الإنصاف في تاريخ العثمانيين، انظر: الدائرة الأولى جـ١٢ ص١٥٢ سليمان القانوني. ينظر في ترجمته: نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٧٢، يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين ص٨٨١.

(٢) هاملتون جب: من أكبر مستشرقي إنجلترا في وقته، (١٨٩٥م - ١٩٧١م)، ولد في الإسكندرية وتعلم في إنجلترا، حصل على الماجستير من جامعة لندن، وترحل في الدول العربية عمل أستاذا للعربية في اكسفورد ثم هارفارد الأمريكية ليكون أستاذ كرسي بها، ثم صار مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط بتلك الجامعة، وعين عضواً بالمجمع اللغوي المصري وعضواً في المجمع العربي بدمشق وبغداد، تخصص في اللغات السامية العربية والعبرية والآرامية، كتاباته في غاية الخطورة، حيث كتب في التاريخ الإسلامي والمذاهب الإسلامية، وحاول أن يرد كل تقدم في الإسلام إلى المسيحية، كما حاول أن يرد الأدب العربي إلى الثقافة اليونانية، من مؤلفاته: تفسير التاريخ الإسلامي، تطور نظام الحكم في أوائل الإسلام، كتب السير في الإسلام، المحمدية، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، مرسوم الخراج الذي أصدره عمر. حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ١٧٠ مادة أغلبها تراجم متنوعة وقد كتب متنقصاً لأبي عبيدة -ﷺ-. ينظر في ترجمته: عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص١٠٥ - ١٠٦، العقيقي: المستشرقون للعقيقي جـ١ ص١٧٤.

(٣) إيفارسْت ليفي بروفنسال: (١٣١١-١٣٧٦هـ=١٨٩٤-١٩٥٥م) Evariste: Levi Provencal مستعرب يهودي فرنسي الأصل كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها. ولد وتعلم في الجزائر. وحضر حرب الدردنيل في الجيش الفرنسي، فجرح. ونقل إلى مصر، ثم أعيد إلى فرنسا. وعُين سنة ١٩٢٠م مدرسا في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط فمديرا له سنة ١٩٢٦ - ١٩٣٥م، وانتدب في خلال ذلك سنة ١٩٢٨م لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم، بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون بباريس، واستقال من إدارة معهد الرباط سنة ١٩٣٥م، =

منقحة سنة ١٩٤٥م، ثم أصحت لجنة تحرير الدائرة في روما سنة ١٩٥٦م، وقبلت استقالة جب، وأصبحت لجنة التحرير مكونة من شاخت(١)

= ودعي لإلقاء محاضرات في جامعة القاهرة سنة ١٩٣٨م، وألحقه وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس سنة ١٩٤٥م، وعين في السنة ذاتها أستاذا للغة العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بباريس، ووكيلا لمعهد الدراسات الساميّة في جامعتها. وكان من أعضاء المجمعين: العلمي العربيّ بدمشق، واللغوي بالقاهرة. ومات بباريس. تعاون مع محمد بن أبي شنب، على تصنيف (المخطوطات العربية في خزانة الرباط – ط)، ومما نشر (كتابات عربية في أسبانيا) و (نص جديد للتاريخ المريني) و (أسبانيا المسلمة في القرن العاشر) و (الحضارة العربية في أسبانيا) و (وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين) و (منتخبات من مؤرخي العرب في مراكش) و (البيان المغرب) لابن عذاري، و (مقتطفات تاريخية عن برابرة القرون الوسطى) و (أعمال الأعلام، القسم الثاني، في أخبار الجزيرة الاندلسية) لابن الخطيب و (مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة) و (صفة جزيرة الأندلس) اختزله من الروض المعطار، و (سبع وثلاثون رسالة رسمية لديوان الموحدين) و (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم، و (نسب قريش) للزبيري. حرر في الدائرة ٦٨ مادة في كلا الطبعتين عن المغرب العربي وأسبانياً ولا يظهر من كتاباته التعصب. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص٣٤ – ٣٥، العقيقي: المستشرقون جـ١ ص٢٧٥ – ٢٨٢.

(١) جوزيف شاخت: (١٣٢٠ – ١٣٩٠هـ = ١٩٠٢ – ١٩٧٠م) Joseph Schakhet مستشرق هولندي من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق. ولد في مدينة راتيبور، بألمانيا. ودرس اللغات الشرقية وتخصص بالعربية. ونال الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٢٣م، ودرس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ ١٩٢٧م، وانتقل إلى جامعة كونكسبرج ١٩٣٢م، وفي عام ١٩٣٤م عين أستاذا لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة المصرية. وعمل في وزارة الاستعلامات البريطانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥م، وتجنس بالجنسية البريطانية. ودرس في جامعة أكسفورد وجامعة الجزائر فجامعة ليدن بهولندا ١٩٥٤ – ١٩٥٩م، ثم في جامعة كولومبيا بنيويورك. من أعماله في خدمة العربية تصحيح كتب للخصاف، ولمحمد بن الحسن الشَّيْبَاني وللقزويني، وجزأين من " الشروط " الكبير، للطحاوي، وله مؤلفات باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية في " تاريخ الأدب العربيّ " و " الفقه الإسلامي " وله في مجلة المشرق ثلاث محاضرات بالعربية في " تاريخ الفقه الإسلامي ". حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٣٢ مادة عن الشريعة مليئة بالتعصب والحقد وهو من أكثر الكتاب المشككين في نبوة النبي ﷺ، وقد اتهمه في عدم العدل في توزيع =

وشار بيلا[١] و برنارد لويس[٢]، ثم عقدت بعد ذلك دورات تتغير فيها اللجان ويبقى الهدف[٣].

طبعات الدائرة: صدرت الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية ما بين عامي ١٩١٣م إلى ١٩٣٨م باللغات الثلاث الألمانية والإنجليزية والفرنسية، ثم صدرت الطبعة الثانية ما بين عامي ١٩٤٥م إلى ١٩٧٧م باللغتين

= الأموال وأن الزكاة عرفها النبي ﷺ من يهود المدينة، كما هاجم كثير من فقهاء المسلمين كالشافعي والحنابلة وابن تيمية وابن القيم وهاجم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٨ ص٢٣٤، العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٨٠٣ – ٨٠٥، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٣٦٦ – ٣٦٨، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص٧١٧ – ٧١٩، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد السادس والأربعون ١٩٧١م، ص٢٠٢، ومجلة: الرسالة يترأسها: أحمد حسن الزيات – القاهرة – العدد: ٢ – ١٩٣٣، ص١٧، ومجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – طبعت بمطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥ – ١٩٦٦م، المجلد: الثالث عشر ص٢٢١ وما بعدها.

(١) شار بيلا: مستشرق فرنسي ولد في مدينة سوق أهراس ولاية قسطنطينة بالجزائر ١٩١٤م، درس اللغة العربية والبربرية في الجزائر، ثم دكتوراه الآداب من باريس تقلد عدة مناصب علمية في مراكش ثم السربون ثم مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في باريس. له آثار تقارب الأربعمائة في المجلات العلمية ودائرة المعارف، وأهم إنتاجه يدور حول الجاحظ. توفي في ٢٨ أكتوبر ١٩٩٢م. حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٤٦ مادة غالبها عن الأدب.ينظر في ترجمته: نجيب العقيقي: المستشرقون جـ١ ص٣٥٣ – ٣٥٧، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص١١٧.

(٢) برنارد لويس: مستشرق إنجليزي ولد في سنة ١٩١٦م، درس الدراسات الشرقية بلندن ثم درَّس بجامعاتها، وهو عضو في كثير من الجمعيات والجامعات الأوروبية المعنية بالدراسات الشرقية له كتابات عدة عن الإسلام، وعين أستاذا للتاريخ في جامعة كاليفورنيا. من آثاره: أصول الإسماعليين والإسماعيلية، وتاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، والسياسة والدبلوماسية العربية. حرر في الدائرة في الطبعة الثانية ٣٥ مادة غالبها عن الشام ولم أجد له فيها ما يدل على التعصب أو ضده. ينظر في ترجمته: نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٥٦١.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٥٢.

الإنجليزية والفرنسية فقط[١].

وقد بدأ ظهور الإصدار الثالث للدائرة عام ٢٠٠٧م، بواسطة مجموعة من المستشرقين المعاصرين، والإصدار الثالث من الموسوعة هو عمل جديد تماما، مع مواد جديدة تعكس التنوع الكبير في المواد الدراسة الحالية. وسوف تظهر في أربعة قطاعات كبيرة كل عام، سواء على الانترنت والطباعة. ويشمل نطاق جديد التغطية واسعة النطاق من الإسلام في القرن العشرين والأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم[٢].

تعريب الدائرة وترجمتها: وقد ترجمت الدائرة إلى العربية، وقام بها عدد من الباحثين المتمكنين، حيث قام الأساتذة: إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس، ومحمد ثابت الفندي بترجمة الدائرة منذ سنة ١٩٣٣م، وحافظت لجنة الترجمة على الدقة والأمانة العلمية، وكانت تستعين ببعض الأساتذة من أمثال أمين الخولي وأحمد شاكر للتعليق على بعض الموضوعات التي تحتاج إلى تصحيح، وبخاصة ما يتعلق بالعقيدة[٣].

ولم تكن الترجمة العربية هي الوحيدة للدائرة، فقد ترجمت إلى العديد من لغات العالم نظرًا لأهمية الدائرة وسعة معلوماتها.

يذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أنه زار باكستان، فوجد ترجمة لدائرة المعارف الإسلامية بنصها وفصها حيث تعتبر أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية، وأثمن ذخيرة لها وتعتبرها الكثير من البلدان أساسا

---

(١) خالد بن عبد العزيز القاسم: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية ص٣٩.

(٢) ينظر: موقع ناشر الموسوعة بريل تاريخ الدخول ٢/ ٧/ ٢٠١٥م.:

http://www.brill.com/publications/online-resources/encyclopaedia-islam-online

(٣) محمد فاروق النبهان: الاستشراق - تعريفه - مدارسه - آثاره - منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م - الرباط - المغرب ص٤١.

للمعلومات الإسلامية[١].

كذلك من الترجمات الشهيرة لدائرة المعارف الإسلامية الترجمة التركية التي تمت في إستانبول سنة ١٩٥٠م[٢].

الإصدارات العربية للدائرة: صدرت النسخة العربية من دائرة المعارف الإسلامية في ثلاثة إصدارات هي:

الإصدار الأول: سنة ١٩٣٣م في ١٥ مجلدا كل مجلد يقارب ٥٠٠ صفحة اشتملت على مواد من حرف الألف إلى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة: «عارفي باشا»، وتولت هذا الإصدار مطبعة دار الفكر بالقاهرة.

الإصدار الثاني: سنة ١٩٦٩م في ١٦ مجلدا، كل مجلد يقارب ٦٠٠ صفحة وهي مشتملة على ما وجد في الدائرة الأصل، وأضيف إليها إضافات وتعليقات تم الرمز إليها في الطبعة الجديدة بالرمز (+).

وتزيد هذه الطبعة عن الطبعة الأولى بتعليقات وإضافات مفيدة، وتم التنبيه فيها على بعض الأخطاء التي وقعت في الطبعة السابقة.

وقد نبهت اللجنة العربية لترجمة دائرة المعارف الإسلامية إلى هذه المتغيرات الجديدة، حيث ورد في مقدمة الطبعة الثانية:

(آثرنا أن تصدر الطبعة الثانية من النسخة العربية منقحة مصححة مزيدًا عليها ما نلحق صدوره من أعداد الطبعة الجديدة الأصلية، وقد أشرنا إلى المواد أو التكملات التي استقيناها منها بعلامة زائد (+))[٣].

---

(١) أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين – الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت ص١٩.

(٢) العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٥١.

(٣) مقدمة الطبعة الثانية لدائرة المعارف الإسلامية – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٦٩م ص٨، وانظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٧١.

الإصدار الثالث: وقد تم الإعلان عن هذا الإصدار في يناير سنة ١٩٩٧م والذي يقوم به مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو الترجمة الكاملة لدائرة المعارف الإسلامية، والذي يقع في ثلاثة وثلاثين جزءًا، وقد صدر بالفعل ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، وهذه الطبعة العربية الوحيدة التي اكتملت، وهي التي اعتمدت عليها في رسالتي.

أهمية دائرة المعارف الإسلامية وخطورتها :

هناك إجماع بين الباحثين في الدراسات الاستشراقية على أن أهم أعمال المستشرقين هو دائرة المعارف الإسلامية.

يتحدث الدكتور محمد البهي عن نشاط المستشرقين وإنتاجهم العلمي فيقول: (حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل، ألَّفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم.

ولعل أهم وأخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو أنهم أصدروا دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، وكذلك أصدروا موجزا لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقوالهم لإصدار هذه الدائرة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف، وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين)[(١)].

ويذكر الدكتور النبهان أهمية هذه الدائرة فيقول: (تعد دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين؛ لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل

(١) محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام – مطبعة الأزهر – بدون تاريخ ص١٤.

موحد، وتناول كل واحد منهم ما يدخل ضمن تخصصه العلمي، واشتملت على بحوث ودراسات وآراء ومعارف عظيمة الفائدة والأهمية، وهي تغني عن خزانة علمية وتوفر للباحث جهدا لا يستطيع تحقيقه في سبيل الاطلاع على كل ما يتعلق بالتراث الإسلامي)[1].

ويطرح الباحث تساؤلا هاما: لماذا حظيت دائرة المعارف الإسلامية بهذه الأهمية الكبيرة عند المستشرقين أنفسهم، وعند الباحثين في الاستشراق من مسلمين وغيرهم، على الرغم من تعدد الدراسات الموسوعية المشابهة لدائرة المعارف الإسلامية؟

ومن خلال الاطلاع على محتويات الدائرة وموادها، وكذلك الاطلاع على تاريخها ونشأتها، وما كتب حولها اجتهد الباحث في أن يجد إجابات لهذا السؤال الهام، والتي يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

١- **العدد الهائل من المستشرقين**: الذين اشتركوا في كتابة هذه الدائرة وتحريرها: حيث تعد الدائرة في أساسها نتاج جهود علمية لعدد كبير من أعلام المستشرقين الذين يمثلون جيشًا جرارًا من مختلف الجنسيات، وفي مختلف التخصصات حُشد وعُبأ للقيام بهذه المهمة التي كانت أملا يراود المستشرقين منذ زمن.

وقد سبق أن أشار الباحث إلى ما قاله نجيب العقيقي من أن هذه الدائرة دعا إليها المستشرقون، ووقفت ورائها المؤسسات العلمية في أوروبا قاطبة[2]، ويعبر الدكتور زقزوق عن كثرة المستشرقين الذين ساهموا في كتابة الدائرة وتنوع جنسياتهم، فيقول عن الدائرة: (إنها ثمرة من ثمار التعاون الدولي بين

---

(١) النبهان: الاستشراق – تعريفه – مدراسه – آثاره ص٤٠.

(٢) راجع نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٣ ص٦٥١.

المستشرقين)[1].

وتشير الإحصاءات أن الإصدار الأول لدائرة المعارف الإسلامية قد اشترك في تحريره وكتابة مواده حوالي ٤٠٠ مستشرق، والإصدار الثاني لها أضيف إلى هؤلاء حوالي ٨٦ مستشرقا ليكون مجموع المستشرقين الذين أسهموا في كتابة الدائرة حوالي ٤٨٦ مستشرقا.

وبالطبع إذا اشترك عدد كهذا في تحرير وكتابة كتاب أو موسوعة، فإنه يعدد عددًا كبيرًا جدًا.

٢- كبر حجم الدائرة وتنوع المعارف فيها: حيث تناولت الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية حوالي ٣٠٠٠ مادة في مختلف العلوم والمعارف، ثم زادت الطبعة الثانية منها ٩٣٠ مادة أخرى ليكون إجمالي ما تشتمل عليه الدائرة ٣٩٣٠ مادة عن علوم ومعارف شتى؛ هذا فضلا عن التعليقات والتعقيبات والاستدراكات التي تضاف إلى الدائرة حينا بعد حين.

٣- استمرارية إخراج الدائرة وتعدد لغاتها: فكما لاحظنا منذ نشأة الدائرة والمستشرقين يعقدون المؤتمرات المتعددة التي تُعنى بالدائرة في المقام الأول، فتتابعت إصدارتها واستمرت الإضافة إليها، وتوالى الاهتمام بها إلى الآن هذا بالإضافة إلى اللغات المتعددة التي خرجت بها الدائرة حيث خرجت أولا بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، ثم ترجمت إلى العربية والتركية والأردية وغيرها من اللغات.

٤- أسلوب الدائرة الميسر: حيث تقوم فكرة دائرة المعارف في الأساس على جمع مختلف المعلومات المتعلقة بمجال معين كالآداب والتاريخ والطب ثم ترتيب المواد التي يتم جمعها والقيام بتحريرها مع مراعاة التركيز والاختصار دون الإخلال بما يتطلبه الإلمام بالمادة.

(١) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٧٠.

ولا شك أن هذه الطريقة في الجمع والتصنيف تعطى سهولة ويسرا للمثقف بوجه عام وللباحث في الاستشراق بوجه خاص مما جعلها موضع إقبال الباحثين من مسلمين وغيرهم.

واعتقد أن من أهم محاسن هذه الدائرة وميزاتها في نسختها العربية التي بين أيدينا أن للدائرة جزءً خاصًا وهو الجزء رقم ٣٣، والذي يمثل كشافًا لكل مواد الدائرة مرتبًا ترتيبًا أبجديًا مما ييسر على الباحث الوصول إلى المادة التي يريدها.

دائرة المعارف بين القبول والرفض: منذ أخذت دائرة المعارف الإسلامية طريقها إلى عالم المطبوعات، وتم الاطلاع عليها وتداولها أحدثت جدلا وانقساما بين الباحثين ما بين قابل ورافض، ومؤيد ومعارض، ومن خلال استقرائي لمواقف الباحثين حول الدائرة يمكن حصرها فيما يلي.

موقف الرفض التام: وأصحاب هذا الموقف يتبنون وجهة النظر الرافضة للدائرة عمومًا؛ لأنهم يرون في كُتَّاب الدائرة ومحرريها أعداء للإسلام، وما يصدر عنهم من كتابات ومقالات ما هو إلا محاولة للتعبير عما يدور في نفوسهم، ويختلج في صدورهم من عداء للإسلام، ولكن ليس بصورة سافرة، وإنما بصورة مقنعة حاولوا أن يلبسوها ثوبًا علميًا حتى يقبل الناس عليها دون حذر، وهذا هو سر خطورتها.

يقول أحد ممثلي هذا الموقف عن الدائرة ومنهجها وخطورتها: (ومن الطبيعي أن تعبر الدائرة عن الفكر الاستشراقي، فمن حيث المنهج فهي جهد يجسد منهج الاستشراق في البحث، ومن حيث الموضوع فهي تعبر عن رأي الاستشراق في التراث الإسلامي من حيث التعامل معه بأسلوب لا يخلو من شعور بالاستعلاء، والتقليل من أهميته، وإبراز المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تكوينه، وإبراز الجوانب السلبية فيه، وإنكار خصوصياته وتجاهل كثير من خصائص الإبداع فيه.

وهذا العمل العلمي الكبير الذي قام به المستشرقون شديد الخطر على التراث الإسلامي؛ لأنه استطاع أن ينشر بين الباحثين والدارسين غير المتمكنين أفكارا خاطئة عن هذا التراث، وترسيخ مفاهيم مغلوطة، وترويج روايات شاذة واستنتاج آراء تسيء إلى تراثنا وتضعف الثقة به)[1].

ومن أبرز ممثلي هذا الموقف الدكتور محمد البهي الذي يقول: (من الكتب الخطيرة المشوهة للإسلام، والشائعة الانتشار، ولها شبهة حجية عند المسلمين دائرة المعارف الإسلامية وموجزها)[2].

ومن هذا الفريق الدكتور مصطفى السباعي الذي يتحدث عن الدائرة وعن المستشرقين المساهمين فيها وطبيعة عملهم فيقول: (وفي هذه الموسوعة التي حُشد لها كبار المستشرقين، وأشدهم عداء للإسلام قد دُسَّ السم في الدسم، وملئت بالأباطيل عن الإسلام، وما يتعلق به، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به، وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية، وعقدة النقص عند هؤلاء المثقفين)[3].

ويرى أبو الحسن الندوي أن الدائرة كغيرها من كتابات المستشرقين ما هي إلا مؤامرة على الإسلام والمسلمين، فيقول: (إن مؤلفات المستشرقين - ومنها دائرة المعارف الإسلامية - مليئة بالتلبيسات والأخطاء في فهم النصوص، وبالتالي أخطاء في النتائج التي يستنتجونها منها، وهم يضمرون في نفوسهم عداءً للإسلام، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها)[4].

---

(١) النبهان: الاستشراق: تعريفه - مدارسه - آثاره ص٤٠ - ٤١.

(٢) د. محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص٢٨.

(٣) مصطفى السباعي: المستشرقون مالهم وما عليهم - دار الوراق للنشر والتوزيع - الرياض - بدون تاريخ، ص٢٧.

(٤) أبو الحسن الندوي: الإسلاميات في كتابات المستشرقين ص٢١.

ثـم يتحـدث أبـو الحسن النـدوي مبينـا طريقـة المستـشرقين في كتابـاتهم عمومًا، فيقول: (كثير مـن المستـشرقين يدسـون في كتابـاتهم مقـدارا خاصـا مـن السم، ويحترسون في ذلك فلا يزيد عن النسبة المعينة لـديهم حتـى لا يـستوحش القـارئ، ولا يثـير ذلـك في نفسه الحـذر، ولا يـضعف ثقتـه بنزاهـة المؤلـف؛ إن كتابات هؤلاء أشد خطـرا عـلى القـارئ مـن كتابـات المؤلفين الـذين يكاشـفون العداء، ويشحنون كتبهم بالكـذب والافـتراء، ويـصعب عـلى رجـل متوسـط في عقليته أن يخرج منها، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها)[1].

ولكن ما هو السبب الذي دفع هذا الفريق إلى تبني هـذا الموقـف الحـاد في رفضه لدائرة المعارف الإسلامية؟

والإجابة التي تظهر للباحث هنا هي أن هذا الفريق بنى وجهة نظره تلك على أن المستشرقين في كتاباتهم لا يتحرون الوجهة العلمية البحتة بـل ينحرفـون عنها، وتؤثر فيهم أغراض ومآرب أخرى.

ومن هذه المؤثرات الهامة التي تنحرف بالمستشرقين عـن الوجهـة العلميـة ما يلي:

١- محاولـة تـشويه محاسـن الإسـلام: وهـذا الغالـب الأعـم في كتابـات المستشرقين عمومًا، وفي دائـرة المعـارف الإسـلامية خـصوصًا، حيـث إن هنـاك تعمدًا و إصرارًا للتشويه والتحريف والمغالطات، يقول الـدكتور البهـي في هـذه النقطة: (لا يعرف العقل ولا المنطق حـدا لمـا يقـوم بـه المستشرقون مـن تحريـف للتاريخ الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئـة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينقصوا من الـدور الـذي لعبـه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية، إن المستشرقين عمومًا فيهم قـدر مـشترك في هذا الجانـب، والتفـاوت إن وجـد بيـنهم فهـو في الدرجـة فقـط، فبعـضهم أكثـر

(١) المرجع السابق ص١٧.

عداوة للإسلام من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداء)(١).

٢- اتجاه المستشرقين إلى خدمة الجانب السياسي على حساب الجانب العلمي: حيث (إن المستشرقين قد أثرت في دراساتهم مآرب السياسة فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم وما يسعون إليه، ولعل هذا الضرب هو ما دفع الشرقيين من المسلمين والعرب أن يرتابوا من المستشرقين عمومًا؛ لأن المؤسف أن يُسَخِّر هؤلاء العلمَ الذي يسمو به الإنسان؛ لإذلال الإنسان واستعباده، أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير الحق)(٢).

وعلى كل حال فإن هذه الدائرة قد أثير فيها كثير من الأباطيل والشبهات والخلط والتحريف والتزييف، وقلب الحقائق والتعصب السافر ضد الإسلام(٣).

وهذا ما جعل هذا الفريق يَشُكُّ في نوايا كاتبيها، ويرتاب من كتاباتهم بل ويرفضها رفضا تاما.

موقف القبول التام: ويرى أصحاب هذا الموقف أن دائرة المعارف الإسلامية فيها جهد كبير بذله المستشرقون للتعريف بالإسلام في لغته وعلومه وأعلامه، ولولا هذا الجهد لظل العالم - بمن فيهم المسلمون -يجهلون كثيرا عن الإسلام.

ويؤكد أصحاب هذا الموقف أنه من خلال دائرة المعارف الإسلامية قد (لعب الاستشراق دورا بارزا في التعريف بالفكر الإسلامي عامة، وتقدير

---

(١) محمد البهي: المبشرون والمستشرقون ص١٥.

(٢) علي إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين - مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ص٢٢.

(٣) عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - دار طيبة - الرياض - بدون تاريخ جـ١ ص٥١.

منزلته في الفكر العالمي)[١].

بل يرى أصحاب هذا الموقف (أننا مدينون بالفضل لكثير من أعلام المستعربين الذين عنوا بنشر تراثنا، وأنشأوا النشرة والمطابع والمعاهد والمؤتمرات، ودوائر المعارف وترجمته إلى سائر اللغات حتى أصبح إنتاج المستشرقين جزء لا ينفصل عن تراثنا، ولا تؤرخ حضارتنا السالفة بدونه)[٢].

ومن أبرز ممثلي هذا الموقف نجيب العقيقي الذي يقول (وقد تحققت الغاية من دائرة المعارف الإسلامية من إحاطة الناس حق الإحاطة بأحوال ملايين المسلمين، وإطلاعهم على تاريخهم وجغرافيتهم ودينهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وتراجم المشهورين من رجالهم بطريقة علمية خالصة، فجاءت أمتع كتاب عنهم في الغرب، وأقرب إلى الحقائق والتمحيص والاستنباط، والإحاطة في كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن)[٣].

ومن ممثلي هذا الموقف أيضا الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر السابق، الذي قال في مقدمة طبعة مركز الشارقة للدائرة ما نصه (وخير طريق للاستزادة من العلم النافع الذي عن طريقه ترقى الأمم وتتقدم وتأخذ مكانها من بين مصاف الأمم الناهضة: نشر دائرة المعارف الإسلامية التي تناولت جوانب متعددة عن الحضارة الإسلامية، وتعد على رأس المشروعات العلمية الضخمة التي تهدي العقول إلى كنوز من المعارف الجليلة)[٤].

والواضح من كلام هذا الفريق القابل للدائرة قبولا تاما أنه نظر إلى الناحية العلمية وما تحويه الدائرة من كم هائل من المعلومات عن الإسلام، ولم

---

(١) يحيى مراد: من قضايا الاستشراق: بحوث ودراسات ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق ص١٠٦.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ٣ ص٣٢.

(٤) مقدمة دائرة المعارف الإسلامية - مركز الشارقة للإبداع الفكري جـ١.

ينظر إلى ما يضمره هؤلاء عن الإسلام، والمنهج المتبع في كتاباتهم عنه.

الموقف المتوسط: ويذهب أصحاب هذا الموقف إلى أنه لا ينبغي أن نرفض الدائرة على الإطلاق، ولا نقبل بكل ما فيها على الإطلاق.

ومن ممثلي هذا الاتجاه الدكتور/ زقزوق، الذي يقول (على الرغم مما لنا نحن المسلمين من مآخذ على هذه الدائرة، إلا أنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين، وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات مهمة في أعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون)(1).

أي أن أصحاب هذا الموقف يأخذون في الاعتبار الجهد العلمي الكبير الذي بذله المستشرقون في الدائرة، ويأخذون في الاعتبار كذلك بعض السلبيات التي تؤخذ على مناهج المستشرقين في كتاباتهم في الدائرة.

رأي الباحث: والواقع أن الذي يميل إليه الباحث هنا هو الموقف الأخير - الموقف المتوسط - أما لماذا فلما يلي:

١- لأنه لا ينبغي أن نترك خيرا كثيرا من أجل شر قليل فيه، فإذا نظرنا إلى دائرة المعارف، وجدنا فيها خيرا وشرا على اختلاف الباحثين أيهما أكثر وأيهما أقل.

٢- الدائرة في حد ذاتها - سفر ضخم للمعلومات عن الإسلام في مختلف مجالاته، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تلك المعلومات - على كثرتها - قد كتبها متخصصون لهم براعة في التأليف، ومهارة في الفهرسة والتصنيف، علمنا أن بها من المعلومات ما لا يسع الباحث تركه.

٣- الدائرة تقدم للبحث كما وكيفا هائلين من المعارف الإسلامية، فإذا أراد باحث أن يعثر على تلك المعلومات بنفسه من خارج الدائرة، فإنه ربما يقضي وقتا طويلا ثم لا يتحصل على معشار ما في الدائرة من معلومات

(1) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص١٩.

ومعارف.

٤- ومع هذا فإنه لا ينبغي للباحثين المسلمين أن يأخذوا تلك المعلومات مآخذ التسليم المطلق بكل ما فيها من نيات مدخولة وأغراض مشبوهة، بل ينبغي أن يكونوا على حذر وحرص شديدين مما يقرأونه، بحيث يستفيدوا من المعلومات الكثيرة المنظمة بها ثم يزنوها بالموازين الإسلامية والمعايير الشرعية الصحيحة، فما كان فيها من حق يُقبل ويشكر أصحابه، وما كان فيه من باطل يُرفض ويتم التحذير منه.

والواقع أن هذا هو المنهج الإسلامي والعلمي الأصيل فالقرآن الكريم ينهانا أن يكون بغضنا لقوم سببا في عدم العدل معهم، والإنصاف فيهم، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾[1].

ومعناه أن الكلمة المفيدة التي لا تنافي نصوص الشريعة ربما تفوه بها من ليس بأهل لها، ثم وقعت إلى من هم أهل لها، فلا ينبغي للمؤمن أن ينصرف عنها، بل الأولى الاستفادة منها من غير التفات إلى قائلها.

وقد وجدنا من علمائنا ومؤرخينا من انتهج هذا النهج، كالإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - الذي يتعامل بالمنهج السابق مع ما يرد عن أهل الكتاب من روايات وهو ما يعرف في علم التفسير بـ «الإسرائيليات»، فيقول: (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على

(١) سورة المائدة الآية: ٨.

كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مما صح نقله أو حسن، وما كان فيه من ضعف تبينه)[1]. وهذه الطريقة العلمية التي تبناها علماؤنا الأوائل، وسلفنا الأفاضل هي أنفع الطرق، وأصح المناهج في التعامل مع ما يرد إلينا من مخالفينا في الملة، ولذلك رجحتها هنا.

(١) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية جـ١ ص٦.

الفصل الأول

الفصل الأول

كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في الجاهلية وعهد النبوة

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأول : كتاباتهم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في الجاهلية.**
- **المبحث الثاني : كتاباتهم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في عهد النبوة.**

الفصل الأول: كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان بن عفان ﵁ في الجاهلية وعهد النبوة

في هذا الفصل نعرض وجهة نظر المستشرقين حول حياة عثمان ﵁، وأعماله في العهد الجاهلي، وفي العهد النبوي من خلال آراء المستشرقين وأقوالهم في دائرة المعارف الإسلامية.

وقبل الدخول في تفاصيل هذا الفصل لابد من أن ألفت النظر إلى ملاحظتين هامتين هما:

١- تناولت الرسالة الحديث عن عثمان ﵁ في الجاهلية - على الرغم من قلة كلام المستشرقين عنه في العصر الجاهلي - لسبب وجيه، وهو أن هذا البحث باعتباره يدور حول عثمان ﵁ فلابد من استيفاء كل ما يتعلق به ﵁ من جوانب حتى ولو كان في الجاهلية، لنرسم صورة واضحة عن آراء المستشرقين حول هذا الصحابي الجليل في كل أطوار حياته.

٢- ظهر للباحث ملاحظة مهمة حول كلام المستشرقين عن عثمان ﵁ في مراحله المختلفة.

ففي مرحلة الجاهلية: يقل كلام المستشرقين بصورة ملحوظة عن الأدلاء بأي تفاصيل، أو حتى إثارة أي شبهة حول حياة عثمان ﵁ بالرغم من أن المصادر الإسلامية زاخرة بالحديث عن عثمان ﵁ في الجاهلية من مكانته وثرائه وأخلاقه التي بلغت حداً كبيراً في الكمال لدرجة أنه مع غناه وثروته وعراقة أصله لم يقترف شيئاً مما كان يقترفه أقرانه في الجاهلية. ولم تذكر الدائرة شيئاً عن ذلك!.

وفي مرحلة العهد النبوي: نجد أن المستشرقين يذكرون بعض التفاصيل الصحيحة عن حياة عثمان ﵁، ثم يثيرون شبهتين في غاية الخطورة عنه، وهما التشكيك في صدقة وإخلاصه عندما أعلن إسلامه، ثم وصف عثمان ﵁ بالانعزال عن المجتمع، وعدم مشاركته في الحياة العامة.

وفي مرحلة اختيار خلافة عثمان ﷺ: يتزايد عدد الشبهة، ويكثر الطعن في صور مختلفة كما سيأتي في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ثم تأتي مرحلة جمع القرآن: الذي يعد أعظم أعمال عثمان ﷺ، فنجد المستشرقين قد ذهبوا في إثارة الشبه والطعون كل مذهب، وأكثروا من الشبه إلى حد كبير، كما سيأتي في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

والواقع أن الباحث طالما بحث عن إجابة لهذه الملاحظة، وحلًا لهذا اللغز، لفهم غرض المستشرقين في عملهم هذا وهو: أن بعضهم لا يهمهم الطعن في عثمان ﷺ من حيث شخصه فعثمان ﷺ واحد من عموم الأمة، ولكن مقصد البعض منهم هو الطعن في دين الإسلام ذاته وأصوله وثوابته وبيان ذلك:

أن عثمان ﷺ في الجاهلية لم يكن له صله بالإسلام، فتركوا الطعن فيه بل حتى أهملوا ذكر أي تفاصيل عن حياته رغم شهرتها في المصادر الإسلامية.

وفي مرحلة النبوة يسلم عثمان ﷺ، ويعز الله به الدين باعتباره من أثرياء القوم وأشرافهم، ويخالف عثمان ﷺ عشيرته وقبيلته من بني أمية الذين ناصبوه العداء، ولكنه يستمر على صدقه وإخلاصه لدينه الجديد الذي اعتنقه عن اقتناع وإخلاص، وهنا يوجه المستشرقون سهامهم إلى عثمان ﷺ ليصفوه بأنه ما أسلم إلا للزواج من ابنة النبي الجديد، وهذا بالطبع تشكيك، وطعن في صدق إسلامه ﷺ.

وحينما تولي الخلافة نجد المستشرقين يعملون أفكارهم، ويقدحون زناد قرائحهم ليتهموا عثمان ﷺ بأنه غير مؤهل لهذا المنصب الإسلامي الكبير، وراحوا يشككون في كل عمل من أعمال عثمان.

وحين هدى الله عثمان ﷺ إلى أعظم عمل من أعماله، وهو جمع المسلمين على مصحف واحد ليقطع دابر الخلاف، ويجتث جذور الخلاف والتنازع من المجتمع الإسلامي نجد المستشرقين يتفننون في إيراد الشبه، وإثارة الطعون في

هذا العمل الجليل من ناحية نية عثمان ﷺ فيه، ومن ناحية اللجنة التي كلفها عثمان ﷺ بهذا العمل، ومن ناحية طريقة ومنهج لجنة جمع المصحف أيام عثمان ﷺ، ثم موقف الصحابة من هذا العمل، وسيأتي تفصيل ذلك كله - إن شاء الله -.

المهم هنا أن أشير إلى أن غرض المستشرقين ليس الطعن في شخص عثمان، وإنما في أعماله وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين، والحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي، والحفاظ على أصل الدين، وهو القرآن الكريم، وهذا أمر لا يرضى عنه المستشرقون مما جعلهم يطعنون فيه.

ولعلنا إذا استوحينا المعاني السابقة أدركنا لماذا تلاشت شبه المستشرقين حول عثمان ﷺ في العصر الجاهلي؟ ثم بدأت تظهر في العهد النبوي، ثم زادت بشدة في أثناء تولية الخلافة، ثم بلغت أوجها في عمله الجليل جمع القرآن. وسوف أقوم بعرض كل هذه الشبه، والرد عليها مفندًا إياها في غضون هذا البحث - إن شاء الله -.

المبحث الأول

كتاباتهم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في الجاهلية

قبل الدخول إلى حديث المستشرقين حول عثمان رضي الله عنه في الجاهلية يحسن بي أن أتعرض لمفهوم الجاهلية في اللغة والثقافة الإسلامية، وعند المستشرقين باعتبار أن تلك هي المرحلة التي يتم الحديث حولها في هذا المبحث.

معنى الجاهلية في اللغة: (الجاهلية مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي نسبة إلى الجاهل المشتق من الجهل)[(١)].

ويشير الفيروز آبادي إلى أن الجهل أنواع فيقول: (والجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل.

الثاني: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً، أو فاسداً كمن يترك الصلاة عمداً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[(٢)].

فجعل فعل الهزو جهلاً)[(٣)].

والواقع أنني أري أن هذه المعاني اللغوية السابقة تنطبق على المرحلة

---

(١) علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي – الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ-١٩٩١م – مكتبة دار التراث ص٨.

(٢) سورة البقرة الآية: ٦٧.

(٣) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزير – تحقيق محمد علي النجار – الطبعة الثانية سنة ١٤٦هـ-١٩٩٦م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة جـ٢ ص٤٠٦.

التاريخية التي سبقت بعثة رسول الله ﷺ، فقد خلا الناس فيها من العلم، ولذلك سماهم الله أميين في القرآن كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[1].

وقد كانوا كذلك: يعتقدون في الأشياء على خلاف حقيقتها، مثل: اعتقادهم في الإله، وهذا هو المعنى الثاني.

وقد كانوا كذلك يفعلون الأشياء على خلاف ما ينبغي أن تكون عليه، مثل: فعلهم في الكرم الذي تحول إلى إسراف، وفعلهم في الشجاعة التي تحول إلى تهور وهكذا.

تعريف الجاهلية: (اعتاد الناس أن يسموا تاريخ العرب قبل الإسلام «التاريخ الجاهلي» أو «تاريخ الجاهلية»، وأن يذهبوا إلى أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة، وأنهم كانوا قد تخلفوا عمن حولهم في الحضارة فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحّل في جهل وغفلة، وكانوا أميين عبدة أصنام ليس لهم تاريخ حافل لذلك عرفت الحقبة التي سبقت الإسلام بـ الجاهلية)[2].

والجاهلية اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام، (وقد أطلق على حال العرب قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً لها عن الحالة التي صار العرب إليها بعد ظهور الرسالة على النحو الذي يحدث عندنا، وعند غيرنا من الأمم من إطلاق تسميات جديدة للعهود القائمة، والكيانات الموجودة بعد ظهور أحداث تزلزلها وتتمكن منها، وذلك لتمييزها وتفريقها عن العهود التي قد تسميها أيضاً بتسميات جديدة، وفي التسميات التي تطلق على العهود السابقة ما يدل ضمناً على شيء من الازدراء، والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب

---

(١) سورة الجمعة الآية: ٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م - دار الساقي جـ١ ص٣٧.

الأحيان)[1].

وقد أشار السيوطي إلى هذا حين قال: (إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة)[2].

معنى الجاهلية في القرآن الكريم: لقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾[5].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾[6].

ويبدو من تفسير هذه الآيات أن المقصود بهذه اللفظة ما كان قبل مجيئ الإسلام ففي الآية الأول يقول الطبري: ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكاً في أمر الله، وتكذيباً لنبيه ﷺ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومُعْل عليه أهل الكفر[7].

(١) محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلية – الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ–١٩٩٤م – دار الفكر العربي ص٣.

(٢) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تحقيق فؤاد علي منصور الطبعة الأولى ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت جـ١ ص٢٤٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٤.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٠.

(٥) سورة الفتح الآية: ٢٦.

(٦) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

(٧) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن – تحقيق أحمد محمد شاكر – الطبعة الأولى – سنة ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م – مؤسسة الرسالة جـ٧ ص٣١٥.

وجاء في تفسير الآية الثانية أن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (يعني: بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام، وتحريفهم إياها عما أمر الله به)[1].

وقال مقاتل: (كانت بين بني النضير وقريظة دماء - وهما حيان من اليهود -، وذلك قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ، فلما بعث وهاجر إلى المدينة تحاكموا إليه، فقالت بنو قريظة: بنو النضير إخواننا وأبونا واحد، وديننا واحد وكتابنا واحد، فإن قتل بنو النضير منا قتيلًا أعطونا سبعين وَسَقاً من تمر، وإن قتلنا منهم قتيلًا أخذوا منا مائة وأربعين وسَقاً فاقض بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم ولا عقل ولا جراحة، فغضبت بنو النضير، وقالوا: لا نرضى بحكمك، فإنك لنا عدو، وإنك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا، فأنزل الله: أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يعني: أي: حكم أحسن من حكم الله إن كنتم موقنين، إن لكم رباً، وأنه عدل في أحكامه)[2].

وأما الآية الثالثة فإن المقصود بالجاهلية الأولى أقوالاً كثيرة: منها: أنها الزمن بين آدم ونوح، ومنها: أنها بين نوح وإدريس، ومنها: أنها بين نوح وإبراهيم، ومنها: أنها بين موسى وعيسى، ومنها: أنها ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وما كان في كل فترة من هذه الفترات من المنهيات المقصودة في الآية الكريمة[3].

وفي الآية الرابعة يقول الشيخ السعدي رحمه الله: (إذ جعل الذين كفروا

---

(١) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. التفسير البسيط، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ، جـ٧ ص٤١٧، علاء الدين الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل - تحقيق محمد علي شاهين - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ-دار الكتب العلمية جـ٢ص٥٢.

(٢) الواحدي: التفسير البسيط ج٧ ص٤١٧)، الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل جـ٢ ص٥٢.

(٣) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن جـ٢٠ ص٢٠٤.

في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية حيث أَنِفُوا من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وأَنِفُوا من دخول رسول الله ﷺ، والمؤمنين في تلك السنة لئلا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين لقريش، وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي)[١].

فلفظ الجاهلية في جميع الآيات السابقة إنما يشير إلى معان قبل بعثة النبي ﷺ.

وقد لاحظ الدكتور جواد علي أن المواضع السابقة وردت جميعاً في السور المدنية دون السور المكية مما يدل على أن ظهور لفظ الجاهلية كان بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وأن إطلاق هذا المصطلح بهذه المعاني كان بعد الهجرة، وأن المسلمين استعملوها منذ هذا العهد، ثم فيما بعد[٢].

وإن كان الحكم الذي خلص إليه وهو وأن إطلاق هذا المصطلح بهذه المعاني كان بعد الهجرة غير صحيح؛ لأن جعفر بن أبي طالب في هجرته للحبشة قال لملك الحبشة: (أيها الملك، كنا قوماً أهلَ جاهلية، نعبدُ الأصنام، ونأكل المَيْتَة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكلُ القوِيُّ منَّا الضعيفَ، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينَا رِسولاً منا..)[٣].

وعرفها ابن قرقول بأنها: (كناية عما كانت عليه العرب قبل الإِسلام، وبعث الرسول ﷺ من الجهل بالله وبرسوله، وشرائع الدين، والتمسك بعبادة غير الله، والمفاخرة بالأنساب والكبرياء والجبروت إلى سائر ما أذهبه الله،

---

(١) الشيخ عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م - مؤسسة الرسالة ص٧٩٤.

(٢) ينظر: الدكتور جواد علي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - دار الساقي - الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ج١ ص٣٨. محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي ص٩٣.

(٣) مسند أحمد ط. الرسالة ج٣ص٢٦٣، ح رقم: ١٧٤٠، وحسن إسناده محقق المسند الشيخ شعيب، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٧٠.

وأسقطه، ونهى عنه بما شرعه من الدين، وأبانه بالعلم)[١].

مفهوم الجاهلية في نظر المستشرقين: كتب المستشرقون مادة خاصة تتحدث عن معنى الجاهلية وبعض أحوالها، ويهمنا منها التركيز على أمرين:

الأمر الأول: معني الجاهلية: يتحدث المستشرق فاير[٢] عن معنى الجاهلية فيقول: (الجاهلية هو الاسم الذي يطلق على ما كانت عليه جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام، وبعبارة أخص الاسم الذي يطلق على الفترة التي خلت من الرسل بين عيسي ومحمد [عليهما السلام])[٣].

والواقع أن هذا التعريف من هذا المستشرق، وإن كان صحيحاً إلا أنه يعتبر تعريفاً مرجوحًا، وهناك ما هو أصح وأرجح منه.

فأما كونه صحيحًا فلأنه قد قال به بعض علماء الإسلام[٤]، وهم يتناولون معني قوله تعالي: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٥] لكن هذا هو أحد المعاني، وليس هو المعنى الوحيد.

وقد قرر المتخصصون في التاريخ للعصر الجاهلي أن فترة العصر الجاهلي لا يمكن أن تمتد إلى ما بين النبي عيسي عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ؛ لأن معظم تلك الفترة تاريخ مجهول لا نعلم عنه الكثير.

يقول الدكتور شوقي ضيف: (قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي

---

(١) ابن قرقول: مطالع الأنوار على صحاح الآثار - تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث - الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ج٢ ص١٧٣.

(٢) ت. هـ. فاير: (T. H. Weir) مِنْ مُحَرِّرِي "دائرة المعارف الإسلامية". ينظر: د. محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام - مطبعة الأزهر ص٢٣.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ ص٢٦١٤ - مادة: الجاهلية.

(٤) ينظر: تفسير الطبري جـ٢٠ ص٢٠٤.

(٥) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتوسعون في الزمن بهذا الاتساع إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصُها)(١).

معنى ذلك أن العصر الجاهلي في تحديده الزمني الدقيق يرجع إلى مائة وخمسين عاماً قبل بعثة النبي ﷺ.

وهذا ما أشار إليه الجاحظ أيضاً حين قال: (فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء النبي بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا غاية الاستظهار مائتي عام)(٢).

أي أن العصر الجاهلي هو مائة وخمسين عامًا، ولو زدنا على ذلك فهو مائتا عام على أكثر تقدير. بل إن ابن الجوزي استوعب أقوال العلماء بما لا مزيد عليه فقال: (وفي الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى أربعة أقوال: أحدها: أنها كانت بين إِدريس ونوح، وكانت ألف سنة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت على عهد إِبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. والثالث: بين نوح وآدم، قاله الحكم. والرابع: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي. قال الزجاج: وإِنما قيل: «الأولى» ، لأن كل متقدِّم أوَّل، وكل متقدِّمة أُولى، فتأويله: أنهم تقدّموا أمّة محمّد ﷺ)(٣).

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب – العصر الجاهلي – دار المعارف – القاهرة بدون تاريخ جـ١ ص٣٨.

(٢) الجاحظ: كتاب الحيوان – الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤هـ–دار الكتب العلمية – بيروت جـ١ ص٥٣.

(٣) أبو الفرج ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ، جـ٣ ص٤٦١.

ومما سبق يخلص الباحث إلى أن الجاهلية: هي الحالة التي تكون عليها أمة قبل مجيئها هدى الله، والحالة التي تمتنع فيها أمة ما أو بعض أمة من الاستجابة لهدى الله. وهذا هو المختار عند الباحث لكونه أدخل أهل الفترات، وأدخل من امتنع من أتباع الهدى بعد إذ جاءه.

وهنا يظهر لنا عدم تحقيق المستشرقين في تحديد مدة العصر الجاهلي، واعتمادهم على رأي مرجوح.

الأمر الثاني: دور القبيلة[(١)] في حياة المجتمع الجاهلي: لقد اهتم المستشرقون في دراسة المجتمع الجاهلي بالتركيز على دور القبيلة والعشيرة في حياة الناس في المجتمع الجاهلي، فجعلوا أهميتها تفوق كل شيء حتى تفوق الاعتقاد والدين نفسه.

يقول المستشرق فاير: (أما ما كان يحتفل به العربي الوثني أكثر من دينه فهو صلته قبيلته، فالعشيرة هي الوحدة التي ينبني عليها مجتمعه كله، ومعظم الشعر القديم في مدح الشاعر قبيلته وهجائه قبيلة غيره، وقد يكون للقبيلة مدلول جد متسع)[(٢)].

فالمستشرق هنا يصور دور القبيلة وأهميتها في حياة أبنائها بأنها أهم

---

(١) من المعروف عن المجتمع العربي القديم أنه مجتمع قَبَلِيّ والقبيلة هي: جماعة تنتمي إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر فرعية، وغالبًا ما يسكن أفراد القبيلة إقليمًا مشتركًا يعدونه وطنا لهم، ويتحدثون لهجة معينة، ولهم ثقافة متجانسة أو تضامن مشترك ضد العناصر الخارجية، ومن أهم ما يميز القبيلة: العصبية القبلية للأقارب وذوي الأرحام، وهذا النوع من العصبية داخل إطار القبيلة ذاتها، وتخضع القبيلة لقوانين صارمة نظمتها التقاليد والأعراف، ويلجأ أفراد القبيلة في حل خلافاتهم إلى محاكم قبلية خاصة لها قوانينها المتوارثة تهدف في النهاية إلى حفظ أهم مقومات الشرف في القبيلة، وهي المال والدم والعرض. راجع: الموسوعة العربية – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م – الرياض جـ١٨ ص٧٠ – ٧١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٩ ص٢٦١٤ – مادة: الجاهلية.

وأعظم من دينه نفسه، فهي محور حياة أبنائها فيها يعيشون، وعنها يدافعون وينافحون، والحقيقة أن هذا الأمر وإن كان موجوداً في الجاهلية إلا أن الإسلام قد اجتث جذور العصبية، وقطع دابر التعصب للأهل والقبيلة.

والحقيقة أن الاهتمام والتركيز على القبيلة، ودورها في حياة أبنائها سيكون له دور بارز عند المستشرقين في بحثنا؛ لأنهم سيثيرون شبه كثيرة حول عثمان ﷺ بأن توليه للخلافة ما هو إلا انتصار لحزب بني أمية الذين هم قبيلة عثمان، وبعد توليه الخلافة سيثيرون شبهة أخرى أنه ما كان يختار، ولا يولي المناصب العامة أثناء خلافته إلا لقرابته من قبيلة بني أمية.

ولقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية كلاماً موجزاً عن عثمان ﷺ قبل الإسلام، ولم تهتم بذكر تفاصيل كثيرة عن حياته في الجاهلية، ولم تشر إلى جملة فضائله ومناقبه التي كان معروفاً بها قبل الإسلام. وكل ما أشارت إليه الدائرة أن عثمان كان من أسرة غنية بمكة، وأنه كان تاجرًا ثريًا في الجاهلية.

يقول المستشرق ليفي دي لافيدا عن عثمان ﷺ: (وهو من أسرة بني أمية الشهيرة، والثرية بمكة المكرمة)(١).

هذه هي الإشارة الموجزة التي ذكرتها دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان ﷺ في الجاهلية. وفي النص السابق نجد فكرة صحيحة عن عثمان ﷺ، وهي أن عثمان ﷺ:

- ينتمي إلى أسرة بني أمية الشهيرة والثرية: وهذه فكرة مشهورة تاريخياً حيث كانت أشرف قبيلتين في قريش هما بنو هاشم الذين منهم رسول الله ﷺ، وبنو أمية الذين منهم عثمان ﷺ.

وكانت هاتان القبيلتان تتنافسان الشرف والسؤدد في الجاهلية، فقد سئل معاوية ﷺ عن بني أمية، وعن بني هاشم فقال: (بنو هاشم أشرف واحداً،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٩٩ – مادة: عثمان بن عفان.

ونحن أشرف عدداً، حتى جاؤوا بواحدة بذّت الأولين يريد النبيﷺ)(١).

فأسرة عثمان ﷺ كانت من أعرق الأسر، وأشهرها قبل الإسلام.

- ثم يضيف المستشرق فيقول: (وكان عثمان [ﷺ] تاجراً ثرياً)(٢).

وهذه الفكرة التي ذكرتها دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان هي فكرة صحيحة عن نشأته وعن تجارته.

فأما عن نشأته (فقد نشأ عثمان ﷺ بمدينة الطائف(٣) وهي روضة الحجاز وبستان مكة، عرفت قديماً بجودة هوائها وكثرة مائها، وتكاثر فاكهتها، وقد أتخذها أهل الثراء منتجعهم ومرادهم)(٤).

(والطائف هي مصيف أهل مكة ومتمونها من الفواكه والزبيب والعسل والخضر، وقد اشترى أغنياء قريش بها الأملاك والبساتين، وشاركوا أهل

---

(١) أخرجه: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر في تاريخ دمشق المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، جـ٥٩ ص١٩٨، من طريق: أبي الحسن المدائني عن مسلمة ابن محارب قال: قيل لمعاوية: أيكم كان أشرف أنتم أو بنو هاشم قال كنا أكثر أشرافا وكانوا أشرف واحدا لم يكن في عبد مناف مثل هاشم فلما هلك كنا أكثر عددا وأكثر أشرافا وكان فيهم عبد المطلب ولم يكن فينا مثله فصرنا أكثر عددا وأكثر أشرافا ولم يكن فيهم واحد كواحدنا منا وما كان إلا كقرار العين حتى جاء شئ لم يسمع الأولون بمثله ولم يسمع الآخرون بمثله ﷺ، ومسلمة بْن محَارب مذكور في الثقات عند ابن حبان ج٧ص ٤٩٠،رقم ١١١٠٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٩٩ - مادة: عثمان بن عفان.

(٣) الطائف مدينة تقع في منطقة مكة المكرمة غرب السعودية، ويتميز موقع الطائف بأنه ملتقى للطرق الرئيسية القادمة من الجنوب والشمال والشرق والغرب. وقد أكسبها ذلك سمعة سياحية وتجارية وزراعية وعسكرية منذ القدم. راجع في التعريف بالطائف: ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٤ ص٩، والموسوعة الحرة ويكيبديا مادة: الطائف تاريخ الدخول: ١٥/ ٧/ ٢٠١٥م.

(٤) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان - الطبعة الأولى سنة ١٤٣٥هـ سنة ٢٠١٤م - دار القلم - دمشق ص٣٢.

الطائف في التجارة، وهي بلاد ثقيف من المتحضرين النشطين الأذكياء)(١).

وفي هذا الجو من الثراء والرخاء نشأ عثمان رضي الله عنه، فقد (عاش عثمان في صباه وشبابه عيش أمثاله من الموسرين الأغنياء من قريش عامة، ومن بني أمية خاصة، فعثمان أموي عَبْشَمِيّ، والعبشميون أهل ثراء واسع، وأصحاب أموال منذ الجاهلية، وكان بأيديهم بعض ما خولهم بلدهم الحرام من مقاليد السلطة والزعامة على العرب)(٢). وقد كان عثمان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه وأحبهم إليهم.

ثم يستكمل المستشرق كلامه عن عثمان رضي الله عنه فيقول: (وكان عثمان [رضي الله عنه] خلوقًا، فعثمان ليس من العوام، وإنما يمكن وصفه بأنه كان من الطبقة العليا في مجتمعه)(٣).

والملاحظ أن هذا الرخاء والثراء الوفير الذي نشأ فيه عثمان رضي الله عنه لم يدفعه إلى أن يفعل مثل أقرانه من أفعال الجاهلية، وأوصافها الذميمة بل كان عثمان رضي الله عنه: (شديد الحياء عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه، لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة، فلم يشرب خمراً قبل الإسلام، وكان يقول: إنها تذهب العقل، والعقل هو أسمى ما منحه الله للإنسان، وعلى الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه، وفي الجاهلية كذلك لم تجذبه أغاني الشباب، ولا حلقات اللهو)(٤).

وأما تجارته: فمن الثابت أن عفان بن أبي العاص بن أمية والد عثمان رضي الله عنه

(١) الدكتور جواد علي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - دار الساقي - الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ج١٣ ص٣١٥.

(٢) محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان - الدار السعودية للنشر - بدون تاريخ ص٤٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٩٩ - مادة: عثمان بن عفان.

(٤) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته وعصره ص١٧.

(كان أحد أصحاب التجارات الواسعة في مكة، وقد مات في إحدى خرْجاته إلى الشام، وخلّف لابنه عثمان مالا نامياً يضرب به في التجارة كما كان يصنع أبوه، وأشراف قومه إذا زادت نعمة الله عنده، وكثر ماله واتسع ثراؤه، فأحسن إلى قومه وأغدق عليهم عطاءه)[1].

وهذا المال الذي آل إليه ميراثاً عن أبيه قد نمّاه عثمان ﷺ، واهتم به فقد: (اهتم بتجارته التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح من رجالات بني أمية المعدودين الذين لهم مكانة في قريش كلها، فقد كان المجتمع الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرجال بحسب أموالهم وأولادهم وعشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة ومحبة كبيرة في قومه)[2].

والواقع أن عمل عثمان واشتغاله بالتجارة قد أكسباه رفعة كبيرة، ومجداً زائداً بين قومه لما تمثل مهنة التجارة من مكانة كبيرة بين المهن المرموقة في المجتمع العربي القديم.

يقول الدكتور جواد علي: (يمثل التجار طبقة خاصة من طبقات المجتمع العربي، وكان لهم شأن خطير، وأثر بليغ في تاريخ العرب واقتصاد البلاد، والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي إليها، ولا إلى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء وانتقاص، بل اعتبرت عندهم من أشرف المهن قدراً ومنزلة، ونظروا إلى التاجر نظرة تقدير وإجلال، ولذلك شرّف العرب التجارة على غيرها من الحرف، وقدموها عليها في المنازل والدرجات)[3].

وقد سار عثمان على سنن أبيه وقومه في العمل بالتجارة، واستثمار المال

(١) محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان ص٤٦.

(٢) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص١٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١٣ ص٣١٥.

وبذله لمن يحتاجه من الفقراء والمحتاجين.

فقد ذكر ابن سعد **عن عبيد الله بن داره** قال: (كان عثمان رجلاً تاجراً في الجاهلية والإسلام، وكان يدفع ماله قراضاً)(١).

وذكر الإمام مالك في الموطأ أيضاً عن **العلاء بن عبد الرحمن** عن أبيه، عن جده، أن عثمان بن عفان: (أعطاه مالا قراضا يعمل فيه على أن الربح بينهما)(٢).

إذن: اكتسب عثمان منزلة وجاهاً من نسبه وأسرته العريق كذلك بسبب اشتغاله بالتجارة التي كان لها قدر كبير بين الحرف الأخرى عند العرب ولم يكنز ما له بل دفعه للناس قراضًا ومضاربًة ليمتد نفعه إلى أبناء مجتمعه. فلم يكتف بكونه تاجرًا ثريًا، بل اكتسب من الفضائل والمحامد الأخرى ما جعله متميزاً بين أقرانه وقومه.

فقد كان قارئاً كاتباً قبل الإسلام، وعلى علم بمعارف العرب في الجاهلية كما تعرف على أحوال وعلوم شعوب أخرى عن طريق ترحاله وسفره في تجارته إلى بلدان مختلفة(٣).

ومع كل هذا كان عثمان ذا مكانة ومنزلة في قريش كلها في الجاهلية والإسلام، ومن أكثر ما يدل على ذلك ما **حدث يوم الحديبية** حيث (دعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه سفيرًا إلى قريش يخبرهم برغبة المسلمين في زيارة

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبري – تحقيق إحسان عباس– الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م – دار صادر – بيروت جـ٣ ص٦٠.

(٢) موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – ١٤٠٦هـ–١٩٨٥م، ج٢ ص٦٨٨، وابن سعد: الطبقات الكبري جـ٣ ص٦١. وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل جـ٥ ص٢٩٢.

(٣) ينظر: الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره ص١٧.

البيت الحرام وتعظيمه، فقال عمر: يا رسول الله: أني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش)[1].

ولكن الملفت للنظر في سيرة عثمان ﷺ في الجاهلية أنه لم يتكبر بثروته، ولم يطغ بجاهه، بل استعمله في العطاء والإحسان إلى الناس، ويعلق عبد الستار الشيخ على تلك الميزة الكبري في عثمان ﷺ فيقول: (وإذا كان الثراء والشرف يُطغِي كثيراً من الناس ذوي الأنفس المريضة، ويحملهم على القسوة والتعالي والظلم، فإن عثمان كان له من أخلاقه وطباعه وشمائله وفطرته ما يجعل شرفه ومكانته وثراءه في قبضة مكارمه، وتحت هيمنة حيائه ورحمته، فأحسن إلى قومه، وأغدق عليهم عطاياه، ونشر عليهم رحمته وعطفه ورقته، فكان في قومه موقرًا مبجلًا، وأحبوه حباً صار مضرب الأمثال)[2].

مما سبق نستخلص أن ما كتبه المستشرق ليفي دي لافيدا في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان ﷺ في الجاهلية هو كلام منصف مذكور في المصادر الإسلامية من ناحية نشأة عثمان، وانتمائه إلى بني أمية الأسرة الغنية العريقة كذلك من ناحية تجارة عثمان، وثرائه وأخلاقه الحميدة.

---

(١) أخرجه: أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده جـ٣١ ص٢١٢، حديث رقم: ١٨٩١٠، وقال محقق المسند طبعة الرسالة: إسناده حسن.

(٢) عبدالستار الشيخ: عثمان بن عفان ص١١١.

المبحث الثاني

كتاباتهم عن عثمان بن عفان ﷺ في عهد النبوة

جاءت كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان ﷺ في عهد النبوة مختصرة، ولكنها ذكرت بعض التفاصيل المتعلقة بحياته ﷺ مثل: إسلامه، وزواجه من ابنتي الرسول ﷺ، وهجرته إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وعدم حضوره غزوة بدر.

وقد تناولت كتابات المستشرقين بعض الأمور الخاصة بعثمان ﷺ في عهد النبوة بوجهة نظر مغلوطة تحتوي على شبه وهي:

الشبهة الأولى: الربط بين إسلام عثمان ﷺ وزواجه من رقية رضي الله عنها:

يصور المستشرق ليفي دي لافيدا- كاتب مادة: عثمان بن عفان في دائرة المعارف الإسلامية - صورة إسلام عثمان ﷺ بأنه لم يسلم عن إخلاص وصدق، بل عن طمع في أن يكون صهراً للنبي الجديد!

يقول ليفي دي لافيدا: (وقد ربط البعض بين إسلام عثمان، وزواجه من رقية بنت الرسول [ﷺ])[1].

معنى ذلك أن عثمان ﷺ ما أسلم إلا للارتباط ببنت رسول الله ﷺ.

الرد على هذه الشبهة: يمكن الرد على هذه الشبهة فيما يلي:

أولا: منهج المستشرق في عرض الشبهة: اتبع هذا المستشرق منهجاً معروفاً عند المستشرقين يعتمدون عليه في إثارة الشبه والشكوك حول قضايا

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ - مادة: عثمان بن عفان.

الإسلام المختلفة، وأعني به المنهج الانتقائي، الذي يقوم على أساس أن يختار المستشرق رأيًا ضعيفًا، أو رواية واهية، أو مصدرًا غير معتمد ثم يبني عليه شبهته، ثم يروي ذلك بصيغة التبعيض.

وهذا هو ما حدث من المستشرق هنا حيث ترك الروايات الصحيحة الكثيرة الواردة في سبب إسلام عثمان ﷺ، واختار رأياً غير موجود أصلاً تبناه، وبنى عليه شبهته الواهية، وقد ذكر رأيه هذا بصيغة التبعيض مستخدماً لفظ: «بعض» فقال: وقد ربط البعض، ولم يذكر لنا من هو هذا البعض، ولا ما هي الروايات التي اعتمد عليها في إثبات هذه الفكرة الخاطئة.

ثانيا: إسلام عثمان ﷺ:

أسلم عثمان ﷺ قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم(١).

ولم يكن إسلام عثمان ﷺ فجأة، بل كان هناك إرهاصات تدل على أن الله سيهديه إلى الإسلام.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه قد: أسلم عثمان ﷺ قديماً على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيباً، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوج ابنته رقية، وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب تأسف، إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهمومًا، فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز- وكانت كاهنة - فقالت له: أبشر وحييت ثلاثاً تتراً، ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى، ثم بأخرى كي تتم عشراً، أتاك خير ووقيت شراً، أنكحت والله حصاناً زهراً، وأنت بكر ولقيت بكراً، وافيتها بنت عظيم قدراً، بنيت أمراً قد أشاد ذكرا. قال عثمان: فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد

---

(١) ينظر: ابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٥٣، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع بجدة،عام النشر: ١٣٩٩هـ. وانظر:الحافظ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق محمد علي البجاوي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ-دار الجبل، بيروت جـ٤ ص٤٥٦.

تزوجت بغيري، فقلت يا خاله: ما تقولين؟ فقالت.

عثمان لك الجمال ولك اللسان   هـذا النبـي معـه البرهـان

أرسـله بحقـه الديـان   وجـاءه التنزيـل والفـرقان

فاتبعـه لا تغـتالك الأوثـان

قال عثمان فقلت: إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا، فقالت: محمد بن عبدالله، رسول من عند الله، جاء تنزيل الله، يدعو به إلى الله...

قال عثمان: فانطلقت مفكراً، فلقيني أبو بكر فأخبرته، فقال: ويحك يا عثمان، إنك لرجل حازم ما يخفي عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صُم لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟ قال عثمان قلت بلى! والله إنها لكذلك، فقال: والله لقد صدقتك خالتك، هذا رسول الله محمد بن عبد الله قد بعثه الله إلى خلقه برسالته، هل لك أن تأتيه؟ فاجتمعنا برسول الله ﷺ، فقال يا عثمان، أجب الله إلى حقه، فأني رسول الله إليك وإلى خلقه، قال فوالله ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله ﷺ أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ.

وفي ذلك قالت سعدى بنت كريز:

هـدى الله عـثمان بقـولي إلى الهـدى   وأرشـده والله يهـدي إلى الحـق

فتـابع بـالرأي الـسديد محمـد   وكان برأي لا يصد عن الصدق

وأنكحـه المعبـوث بالحـق بنتـه   فكانا كبدر ما زج الشمس بالأفق

فداؤك يا بـن الهاشميـين مهجـتي   وأنت أمين الله أرسلت إلى الخلق(١)

---

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية – تحقيق علي شيري – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ–دار إحياء التراث العربي جـ٧ ص٢٢٣.

وعن عمرو بن عثمان قال: (قال عثمان: دخلت على خالتي أعودها - أروى بنت عبد المطلب-، فدخل رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليه- وقد ظهر في شأنه يومئذ شيء -، فأقبل علي فقال: مالك يا عثمان؟ فقلت أعجب منك، ومن مكانك فينا وما يقال عليك، قال عثمان: فقال: لا إله إلا لله - فالله يعلم لقد اقشعررت - ثم قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾[(١)])[(٢)].

ومنها ما حدّث به عثمان نفسه بعد إسلامه كما ذكر الحافظ ابن عساكر وغيره أن عثمان ﷺ قال للنبي ﷺ بعد إسلامه: يا رسول الله قدمت حديثاً من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء[(٣)]، فنحن كالنيام إذا مناد ينادينا: أيها النيام هبوا فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك، وكان إسلام عثمان قديمًا قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم[(٤)].

ومما يؤكد أن عثمان ﷺ كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ما ذكره ابن اسحاق وغيره من أن أبا بكر لما أسلم أظهر إسلامه، وجعل يدعو إلى الله من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص،

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٢٢ - ٢٣.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٤ ص١٧٧٩، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

(٣) معان: هي محافظة أردنية، يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ١٣٠٠م. الزرقاء: مدينة أردنية تقع على بعد ٢٤كم إلى الشمال الشرقي من عمان، وترتبط بطرق رئيسية مع عمان وإربد والمفرق وجرش والأزرق ورويشد (نقطة الحدود الأردنية مع العراق) والعمري (نقطة الحدود الأردنية مع السعودية)، أصبحت مركز محافظة الزرقاء. الموسوعة العربية العالمية - الطبعة الثانية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١١ص٥٧٥، وراجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان - دار صادر، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م جـ٥ ص١٥٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ٣٩ ص٢٢. وقد سبق تخريجه ص١١٤.

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن وأنبائهم بحق الإسلام، فآمنوا وصدقوا(١). ومن هذه الروايات الواردة في إسلام عثمان ﷺ، يمكنني أن استنتج بعض الأمور الهامة من تلك الروايات:

١. جاء في الرواية التي ذكرها ابن كثير وغيره ذكر زواج رقية من ابن أبي لهب، وأن عثمان علم بذلك، وتمنى لو كان هو الذي تزوجها، ولعل المستشرقين قد اطلعوا على هذه الرواية، وفهموا منها هذا الربط المزعوم عندهم بين إسلام عثمان وزواجه من رقية.

ولكن هذا فهم خاطئ مخالف للواقع والحقيقة، ذلك أن رقية كانت قد تزوجت بالفعل، فكيف يسلم عثمان ليتزوج امرأة متزوجة!

هل كان عثمان يعلم أنه إن أسلم ستُطلق رقية بنت رسول الله ﷺ ليتزوجها؟ كيف والثابت في كل الروايات أن أبا لهب هو الذي أمر ولديه بأن يفارقا بنتي محمد الذي أصبح عدوه بعد دعوته إلى الإسلام والتوحيد.

٢. ظهر لنا من مجموعة تلك الروايات أن عثمان ﷺ أسلم قديماً فيمن سبقوا إلى الإسلام، وأن هذا لم يكن تحولًا مفاجئًا، بل كان له مقدمات وإرهاصات كتلك التي أخبرته بها خالته سعدى بنت كريز.

٣. ومن أهم ما أستطيع استنتاجه من تلك الروايات دور أبي بكر ﷺ وجهده الواضح في دعوة عثمان ﷺ إلى الإسلام، وإقناعه بالحجة الواضحة أن معبوداتهم وأصنامهم حجارة لا تنفع ولا تضر، وذكر عثمان بما لديه من عقل

---

(١) البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي جـ٥ ص٧٧، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، والإبانة الكبرى لابن بطة العكبري جـ٩ ص٥٠٤، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

والرياض النضرة في مناقب العشرة لمحب الدين الطبري جـ١ ص٩٢: الفصل الخامس: في ذكر من أسلم على يديه، الناشر: دار الكتب العلمية. والسيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص٢٤٩، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: جـ٤ ص٤٥٦.

وحزم حتى استجاب له، وهداه الله إلى الإسلام.

وهذه أمور تظهر لنا بوضوح أن إسلام عثمان ﷺ، وسبقه إلى الإسلام كان عن اقتناع بهذا الدين الجديد، واقتناع بشخصية من ظهر على يديه، وهو رسول الله ﷺ، وليس كما زعم المستشرقون.

ثالثا: تخبط وتناقض: لقد لاحظ الباحث أن المستشرق ليفي دي لافيدا قد خلط بين أمرين متعارضين، فهو قد زعم في النص الذي أوردته في أول الحديث عن الشبهة أن البعض ربط بين إسلام عثمان ﷺ، وبين زواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم في نفس السطر يقول: (إلا أن الثابت أن هذا الزواج تم بعد إسلامه)(١).

والحق أن عثمان ﷺ أسلم أولاً، ثم جاء زواجه بعد ذلك في مرحلة لاحقة، وهذا هو الصحيح عند المسلمين.

الشبهة الثانية: عدم مشاركة عثمان في الحياة العامة أيام النبي ﷺ وأبي بكر:

من الشبهة التي يرددها المستشرقون شبهتهم حول شخصية عثمان ﷺ، وتصويرهم إياه بصورة الرجل المنعزل الذي ليس له أي إسهام ولا مشاركة في الحياة العامة.

يقول المستشرق ليفي دي لافيدا عن عثمان ﷺ: (... على أن مشاركة عثمان بن عفان [ﷺ] في الحياة العامة أثناء حياة الرسول [ﷺ]، وأثناء خلافة أبي بكر [ﷺ] كان دورًا يكاد يكون غير محسوس)(٢).

وقد جاءت هذه الشبهة في معرض حديث هذا المستشرق عن تولي عثمان ﷺ الخلافة ليؤكد هذا المستشرق أن عثمان لم يكن مؤهلا لتولي هذا المنصب

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

الرفيع، وسيأتي تفصيل ذلك والرد عليه في المبحث الثاني من الفصل الثاني – إن شاء الله –.

الرد على هذه الشبهة: ويمكن الرد على هذه الشبهة التي بين أيدينا الآن، والتي تصف عثمان ﷺ بأنه لم يكن متدخلاً في الحياة العامة، ولا مشاركاً فيها أيام النبي ﷺ، ولا في خلافة أبي بكر، وهذا الرد سيكون على النحو التالي:

أولاً: في أيام النبي ﷺ: لقد كان عثمان بن عفان ﷺ مشاركاً في الحياة العامة بل في مهمات الأمور وجسامها (فقد أعلن إسلامه وغامر بنفسه وجاهه ومكانته في مطالع الدعوة وقريش قد رمت المسلمين عن قوس واحدة، وهاجر مع زوجته إلى الحبشة لا يأبه المخاطر المحدقة، وشهد مع النبي ﷺ حروبه وغزواته، وقام بالسفارة للنبي ﷺ أيام الحديبية، ودخل مكة وهي تموج برؤوس الشرك)[(1)].

وبعد هذا الإجمال يأتي التفصيل على النحو التالي:

١- عثمان ﷺ كان تاجرا فكيف يكون منعزلا عن الحياة العامة؟
هذا أمر بدهي لا يحتاج إلى تأكيد وهو أن عثمان ﷺ كان تاجرًا ثريًا، ورث المال عن أبيه، وأخذ يعمل على استثماره وتنميته، وهذا يتطلب مهارات خاصة أكثرها متعلق بالجانب الاجتماعي حيث مخالطة الناس والبيع لهم والشراء منهم، والسفر والترحال إلى أماكن مختلفة لشراء السلع والبضائع وجلبها، ثم لبيعها وترويجها، فهل يتصور العقل أن يكون القائم بهذا الدور منعزلاً عن مجتمعه؟! إن هذا ضد طبيعة الأشياء التي تقضي بأن التاجر الحاذق – مثل عثمان ﷺ لابد وأن يكون مخالطاً للناس عارفاً بعاداتهم، ذا خبرة بأساليب التعامل معهم، وهذا ما تم في أكمل صورة في عثمان ﷺ.

٢- عثمان ﷺ هاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة: لقد كان

(١) عبدالستار الشيخ: عثمان بن عفان ص١٣٠.

عثمان بن عفان ﷺ مشاركا للمسلمين في أعبائهم وحياتهم العامة، ومن أكثر الدلالة على ذلك أنه كان أول من هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة بعد ذلك.

أما هجرته للحبشة: فقد أجمعت الروايات الإسلامية على أن عثمان بن عفان ﷺ كان أول من هاجر الحبشة، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

- روي البيهقي في دلائل النبوة، وابن أبي عاصم في كتاب الأوائل، وفي كتاب السنة أن أول من هاجر إلى الله ﷻ بأهله عثمان بن عفان.

وقد جاءت هجرة عثمان ﷺ بأهله تنفيذاً فورياً لأمر النبي ﷺ حيث قال لأصحابه: {لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً}(1).

فسارع عثمان لتلبية هذا النداء النبوي ليكون أول من هاجر بأهله في مغامرة صعبة، وتجربة جديدة لا يقدر عليها إلا أقوياء الرجال، وفي مقدمتهم عثمان بن عفان، ومما يدل على خطورة هذه الهجرة قلة عدد المسلمين المهاجرين حيث لم يكن العدد كثيراً كالهجرة إلى المدينة.

يذكر ذلك العلامة ابن القيم حين يقول: (لما كثر المسلمون، وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له ﷺ، وفتنتهم إياهم، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة، وقال: إن بها ملكاً لا يظلم الناس عنده، فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج، ومعه زوجته

(1) رواه البيهقي في "السنن" جـ٩ ص٩، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، وفي "الدلائل" جـ٢ ص٣٠١، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م من طريق ابن إسحاق: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها جـ٧ ص٥٧٧.

رقية بنت رسول الله ﷺ)[1].

إذن كان العدد قليلًا اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة أي أن احتمال هلاكهم وارد، واحتمال إلحاق الأذى بهم سهل ميسور، ومع ذلك احتمل عثمان بن عفان ﷺ عنه هذا كله في سبيل الله.

ونحن نعلم ما يترتب على الهجرة من ترك للأوطان والأموال والأهل والأولاد، وكل ذلك عزيز على نفس الإنسان العادي، فما بالنا إذا كانت نفس عثمان بن عفان سليل الأسرة العريقة صاحب المال الكثير والثراء الواسع، وفوق ذلك هو زوج ابنه النبي ﷺ، فهل بعد ذلك نقول إنه كان غير مشارك في الحياة العامة!

هجرته إلى المدينة: كما هاجر عثمان ﷺ الهجرة الأولى إلى الحبشة، ومدحه النبي ﷺ بذلك كونه أول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط ﷺ، كذلك هاجر إلى المدينة، ولم يتقاعس ولم يتخلف عن ذلك، بل كان عثمان دائماً ما يحدث بذلك في الرد على مخالفيه.

فقد روى البخاري أن عثمان ﷺ قال: (إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بُعث به، وهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ، وبايعته فوالله ما عصيته، ولا غششته حتى توفاه الله ﷻ، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله)[2].

ففي هذه الرواية أن عثمان ﷺ هاجر الهجرتين، وهما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر حين قال: (وكان عثمان

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد - الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت جـ١ ص٩٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان جـ٥ ص١٤، حديث رقم: ٣٦٩٦، وكتاب مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة جـ٥ ص٤٩، حديث رقم: ٣٨٧٢.

ممن رجع من الحبشة فهاجر من مكة إلى المدينة ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ)[(١)].

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات أن عثمان ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت في بني النجار، وأن رسول الله ﷺ حينما آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين عثمان وأوس بن ثابت[(٢)].

وبذلك فقد نال عثمان ﷺ شرف السبق إلى الإسلام، وفاز بفضائل الهجرتين، وكان جديراً مع إخوانه السابقين المهاجرين بتلك المرحة الجليلة التي سطرها الحق تبارك وتعالى في اللوح المحفوظ، وأنزلها قرآنا يتلى على مر الزمان ويتجدد بتلاوتها الرضوان والثناء والدعاء لأولئك الأمجاد الذين كانوا نواة دعوة الإسلام، وببذلهم وجهادهم قامت دولته وانتشرت رسالته[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾[(٤)].

قال القرطبي: (المراد أصحاب محمد ﷺ، ظلمهم المشركون بمكة، وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله دار الهجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين والآية تعم الجميع)[(٥)].

٣- اشتراك عثمان ﷺ في ميادين الجهاد: من الصفات البارزة في

---

(١) الحافظ ابن حجر: فتح الباري - الطبعة الثانية سنة ١٤١٢هـ-دار المعرفة - بيروت جـ٧ ص٤٠٩.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٥٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٦. من طريق موسى بن ضمره عن أبيه.

(٣) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥١.

(٤) سورة النحل الآية: ٤١.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - تحقيق هشام سمير البخاري - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م - دار عالم الكتب - الرياض جـ١٠ ص١٠٧.

حياة عثمان ﷺ في العهد النبوي اشتراكه في ميادين الجهاد بكافة أنواعها سواء بالمشاركة الفعلية في الغزوات الإسلامية، أو بالاستخلاف على المدينة حين يخرج الرسول على رأس المجاهدين، أو بالسفارة بين النبي ﷺ وبين المشاركين، أو بالمساهمة الفعالة في تجهيز الجيش وإعانة المجاهدين.

ومن ذلك ما يلي:

في غزوة بدر: لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلّف عثمان بن عفان على زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ؛ لأنها كانت مريضة فماتت يوم قدم زيد بن حارثة بشيراً بنصر المسلمين في غزوة بدر، وضرب النبي ﷺ لعثمان بسهمه وأجره في بدر فكان كمن شهدها(١).

في غزوة أحد: كان عثمان ﷺ في صفوف المجاهدين، وعبّأ النبي ﷺ أصحابه للقتال، وصف الصفوف بكل فريق مكانه، وأمّر على الرماة عبد الله بن جبر، وكانوا خمسين رجلاً وأوصاهم قائلاً:

إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم(٢).

واشتعلت المعركة وأنزل الله تعالى نصره على المؤمنين، وصدقهم وعده حتى كشفوا المشركين، وحاقت بهم الهزيمة فولوا مدبرين، فلما رأى الرماة ذلك قالوا: يا قوم الغنيمة الغنيمة! فذكرهم أميرهم عهد النبي ﷺ، فعصوه وظنوا أن ليس للمشركين رجعه، ونزلوا إلى أرض المعركة، وأخلوا ظهر المسلمين إلى خيل المشركين، فأتاهم المشركون من خلفهم وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له جـ٣ ص١١٣٩، رقم: ٢٩٦٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب ما يكره من التنازع والاختلاف جـ٣ ص١١٠٥ رقم: ٢٨٧٤. عن البَرَاء بْن عَازِب.

قتل! وانتهز المشركون الفرصة، وكروا على المسلمين فكشفوهم، وخلص العدو إلى رسول الله ﷺ، فأصابته الجراح، وكسرت رباعيته، وشج رأسه، وجعل الدم يسيل على وجهه، وطاشت أحلام المسلمين، وذهلوا عن أنفسهم فمنهم من ولى هاربًا، ومنهم انطلق صاعدًا فوق الجبل، وألقى بسلاحه من هول الفاجعة، ومنهم من قاتلوا دفاعًا عن أنفسهم وهم كثير[(١)].

وكان عثمان ﷺ في جملة من ولى منهزمًا، وقد انهزم معه كثيرون من شجعان الصحابة عند صدمة البغتة في ذلك اليوم العصيب[(٢)].

وقد نزل في هذا الموقف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[(٣)].

وقد جاء في تفسيره هذه الآية: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أي: انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين، فهو خطاب لمن كان مع النبي ﷺ من المؤمنين يوم أُحد بأُحد، وكان قد انهزم أكثر المسلمين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً، وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة، ومن الأنصار سبعة إنما استزلهم الشيطان أي: طلب زلتهم كما يقال: استعجله أي طلب عجلته، قيل: حملهم على الزلة، وهي الخطيئة وذلك بإلقاء الوسوسة في قلوبهم لأنه أمرهم بها ببعض ما كسبوا يعني: بمعصيتهم النبي ﷺ، وتركهم المركز، وقيل: استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم، فكرهوا أن يُقتلوا قبل إخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج؛ لأنه قال: لم يتولوا على جهة المعاندة ولا الفرار

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير بَابُ المِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ جـ٤ ص٣٨، رقم: ٢٩٠٣، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ. جـ٥ ص١٧٨، رقم: ٤٦٦٥. وانظر: ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص٧٧.

(٢) سيأتي تخريج الرواية ص١٢٩، وانظر: عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦٣.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٥.

من الزحف رغبة في الدنيا، وإنما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حالة يرضاها، ولقد عفا الله عنهم يعني: ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقي الجمعان، فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم. وقد عوتب عثمان في هزيمة يوم أحد فقال: إن ذلك كان خطأ لكن الله قد عفا عنه، وقرأ هذه الآية، إن الله غفور يعني: لمن تاب وأناب حليم لا يعجل العقوبة، ولا يستأصلهم بالقتل)[(١)].

فهذه الآية الكريمة برغم ذكرها خطأ من تولى منهزمًا يوم أحد إلا أن فيها إخبارًا بعفو الله الغفور الحليم عنهم، ومنهم عثمان رضي الله عنه.

كما نلاحظ في النص السابق الذي أوردته عن تفسير الخازن أن عثمان رضي الله عنه لم يكن وحده هو الذي تولى وفرّ من المعركة، بل معه أكثر المسلمين، وإن أقل القليل هم الذين ثبتوا مدافعين عن الرسول ﷺ وعن أنفسهم.

وقد أورد البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه دافع عن عثمان ضد بعض متهميه فقال: (أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له)[(٢)] أي: أنه يستدل بالآية السابقة على عفو الله عن عثمان، وعن غيره من الصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

في غزوة غطفان «ذي أمر»: (ندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج من أربعمائة رجل ومعهم بعض الجياد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأصابوا رجلاً منهم بذي القُصة يقال له: جبار من بني ثعلبة، فأدخل على

---

(١) علاء الدين أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل - تحقيق محمد علي شاهين الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ-دار الكتب العلمية - بيروت جـ١ ص٣١١.

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عثمان جـ٣ ص١٣٥٢ رقم: ٣٤٩٥. كتاب المغازي باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥]، جـ٥ ص٩٨، حديث رقم: ٤٠٦٦.

رسول الله ﷺ، فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك لما سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ إلى بلال ولم يلاق رسول الله ﷺ أحدًا، ثم أقبل رسول الله إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وكانت غيبته أحد عشر ليلة)(١).

ففي هذه الغزوة استخلف النبي ﷺ عثمان ﷺ على المدينة، وهل يستخلف النبي إلا من كان ذا ثقة وخبرة، وصاحب عقل وكياسة وسياسة للأمور؟

في غزة ذات الرقاع: (خرج فيها النبي ﷺ في جمع من أصحابه قيل: أربعمائة، وقيل: سبعمائة رجل قِبَل نجد يريد بني محارب، وبني ثعلبه من غطفان لما بلغه أنهم يجمعون الجموع له، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان)(٢).

أي: أن النبي ﷺ اختار عثمان ليكون خليفته على المدينة، ونائبه وواليه لحين رجوعه إليها، وفي هذا من الشهادة بفضل عثمان ما فيه.

في عمرة الحديبية وبيعة الرضوان: في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بالعمرة، وساق بالعمرة وساق معه

---

(١) المغازي للواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. جـ١ ص١٩٦، شَأْنُ غَزْوَةِ غَطَفَانَ بِذِي أَمَر، ودلائل النبوة للبيهقي جـ٣ ص١٦٨، بَابُ غَزْوَةِ غَطَفَانَ وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمَرَّ وَمَا ظَهَرَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ، والدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، جـ١ ص١٤٠، غَزْوَة ذِي أَمر، والواقدي إمام في المغازي.

(٢) أحاديث غزوة ذات الرقاع: أخرجها البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير ـ بَابُ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ – أولها حديث رقم ٤١٢٥، جـ٥ ص١١٣، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير – بَابُ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، حديث رقم: ٤٧٢٦ جـ٥ ص٢٠٠، وابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٢ ص٦١.

الهدي إيذاناً بأنه لا يقصد مكة غازيًا، وإنما يريدها معظمًا متعبدًا معتمرًا، وكان معه من أصحابه ما بين ١٤٠٠ إلى ١٥٠٠ صحابي.

وقد دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال يا رسول الله: إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته[1].

وخرج عثمان في سفارته إلى مكة وحقق الله ظن عمر فيه، فلم يكد عثمان يقرب من مكة حتى لقيه قبل أن يدخلها أَبّان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه، وعرف ما جاء به سفيرًا، فأجاره وأعلن هذا الجوار على ملأ قريش، وبلغ عثمان رسالة رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان، وأشراف مكة كما أمره الرسول ﷺ، فأرادوا أن يتملقوا عثمان ويصرفوه عن مقصده، فقالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف، لكن عثمان أحد السابقين وصاحب الهجرتين والفضائل والمكارم، أبى لصدق إيمانه على قريش هذا الملق الوضيع، ورد عليهم قائلاً ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ[2].

وعادت قريش إلى عُنْجَهِيّتها فاحتبست عثمان عندها، ولما طال احتباسه تطايرت الشائعات بأن عثمان قد قتلته قريش، فثارت عزائم الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة[3]. فقال

---

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص٣١٥، وانظر: ابن القيم: زاد المعاد جـ٣ ص٢٥٨.

(٢) ينظر: عبدالستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦٧.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ– =

رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان». فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان»[(١)].

وفي هذه البيعة يقول الله تعالى تنويهاً بمقام رسول الله ﷺ، ومكانته من الله تعالى وتشريفاً لأصحابه الذين بايعوه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[(٢)].

ويقول جل ثناؤه إظهارًا لفضل الذين بايعوا رسول الله ﷺ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[(٣)].

فبيعه الرضوان وقعت لأجل عثمان ﷺ، وكانت هذه البيعة رمزاً من رموز الشرف له، وأي شرف أعظم من اجتماع قوى الإسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب إلى المسلمين، والرفيع القدر عند سيد الأولين والآخرين، وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله ﷺ نابت عن يده في عقد البيعة عنه، فبيعة الرضوان كانت انتصاراً لعثمان، وجميع الصحابة بايعوا بأنفسهم إلا عثمان، فإن أشرف يد في الوجود نابت عن يده في إعطاء بيعته، ولو لم يكن لعثمان من الشرف في حياته كلها إلا هذه لكفاه[(٤)].

وعن ابن عمر قال: وَأَمَّا تَغَيُّب عثمان عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ

= ١٩٥٥م جـ٢ ص٣١٥.

(١) رواه البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان جـ٥ ص١٥، رقم: (٣٦٩٨).

(٢) سورة الفتح الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح الآية: ١٨.

(٤) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦٨.

الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»(١).

إذن كان عثمان سفيراً من الرسول ﷺ إلى أهل مكة في مهمة صعبة لم يقدر عليها عمر بن الخطاب ﷺ نفسه مع قوته وشجاعته وتصدى لها عثمان ﷺ مخاطراً بحياته وسلامته تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ، وإعلاء لمصلحة المسلمين العامة.

في غزة حنين: وقف عثمان ثابتاً مع شجعان الصحابة مدافعاً عن الرسول ﷺ لما هجم عليه الأعداء(٢).

وكان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبو دجانة وأيمن بن عُبيد يقاتلون بين يدي رسول الله ﷺ(٣).

٤- عثمان ﷺ يشارك بما له في الأمور العامة للمسلمين: إن أشد ما يلفت النظر في سيرة عثمان ﷺ وفضائله ومناقبه: تضحيته بماله في مصالح المسلمين العامة.

فالنفس الإنسانية بطبيعة حالها قد تضنّ بالمال وتبخل به، وإذا أنفقت فإنما يكون ذلك بحساب وبعد تفكير، لكن عثمان ﷺ لم يكن من هؤلاء الذين يمسكون أو يضنون بمالهم، بل كان معطاءً كثير النفقة خاصة فيما يتصل بمصالح المسلمين العامة، ومن ذلك ما يلي:

شراؤه بئر رومة وتسبيلها لعامة المسلمين: وقد كان ذلك مبكراً في أول هجرة المسلمين إلى المدينة.

وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أن النبي ﷺ ندب الناس إلى شراء

(١) رواه البخاري في صحيحه - بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ ﷺ رقم: جـ٥ ص١٢، حديث رقم: ٣٦٩٨.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص٤٤٣.

(٣) ينظر: محمد بن عمر الواقدي: المغازي جـ٣ ص٩٠٢.

هذه البئر، ودعا لمن يفعل ذلك بالجنة، فكان عثمان هو الذى قام بذلك قال رسول الله ﷺ: {من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان}[1]، وقيل: إن عثمان اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم[2].

فمن يستطيع أن يغلب نفسه، ويضحي بهذه النفقه الكبيرة، ويجعلها في مصلحة المسلمين العامة إلا عثمان رضي الله عنه.

توسعته المسجد النبوي: لما ضاق المسجد النبوي بأهله حث النبي ﷺ الصحابة على أن يشتروا أرضاً مجاورة له لتوسيعه، فاشتراها عثمان من صلب ماله، وزاد بها مساحة المسجد الشريف.

وقد ذكر عثمان رضي الله عنه هذه المنقبة العظيمة في معرض دفاعه عن نفسه ضد مهاجميه فقال: (أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم)[3].

تجهيز جيش غزوة العسرة: كانت غزوة العسرة أو غزوة تبوك في سنة ٩ هـ، (وكانت امتحانًا شاقًا لإخلاص الإيمان في قلوب الذين اصطفاهم القدر الإلهي لقيادة مسيرة الإسلام، فقد أحاطت بها الشدائد، واكتنفها العسر من كل جانب، منذ كانت بذرة في غيب التكليف، وقد كان الخروج إليها في حر شديد، وقيظ محرق، وجدب قاحل، وسفر بعيد إلى عدو كثير له من القوة ما كان يهز مجرد ذكره وذكرها الكيان العربي رعباً وتهيباً مع عدم توافر أضعف الوسائل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب المساقاة باب فى الشرب رقم: ٢٣٥١ جـ٣ ص١٠٩.

(٢) ابن حجر: فتح البارى جـ٥ ص٤٠٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه جـ٥ ص٢٩٠ رقم: ٢٩١، وقال: حديث حسن، ورواه الإمام أحمد في مسنده عن ثمامة بن حزن القشيري جـ٢ ص١٤، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني في إرواء الغليل: حديث حسن. رقم: ١٥٩٤.

لحمل حشود المسلمين، فلا ظهر ولا ماء ولا مؤن من الطعام، ولا أهبة في السلاح مع كثافة عدد الجيش الذي لم يخرج مثله في غزوة من الغزوات)[(١)].

ولكن هذا العدد الغفير يحتاج إلى رواحل وأزواد مما يلزم للسفر والجهاد والسير لملاقاة العدو، فقام رسول الله ﷺ يحث على النفقة لتجهيز هذا الجيش، وهنا ظهر عثمان المعطاء صاحب الأياد البيضاء.

فعن عبد الرحمن بن خباب قال: (شهدت النبي ﷺ، وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها[(٢)] في سبيل الله، ثم حضّ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليَّ ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر، وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه) [(٣)].

ولم يكتف عثمان بالإنفاق من الإبل والأفراس وتجهيزها، بل أنفق المال والذهب في هذه الغزوة أيضاً.

فقد روى أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن عبد الرحمن بن سمرة قال: (كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة، فجاء عثمان بألف دينار، فنثرها

---

(١) محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله – دار القلم – دمشق بدون تاريخ جـ٤ ص٤٢٠ – ٤٢١.

(٢) والحلس: هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة. والأقتاب: جمع قتب بالتحريك وهو رحل صغير على قدر سنام البعير. انظر: كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح المؤلف: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ) دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحَمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب جـ٥ ص٢٨٨ رقم: ٣٧٠٠، وعبد الله بن أحمد في زياداته على أبيه جـ٤ ص٧٥، رقم: ١٦٨١٦، ولأحمد في فضائل الصحابة جـ١ ص٥٠٤، رقم: ٨٢٢، قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة.

بـين يـدي رسـول الله ﷺ، ثـم ولَّى فـسمعت رسـول الله ﷺ يقـول: وهـو يقلـب الدنانير: ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا)[1].

فكان بهذا جديراً بـدعاء النبـي ﷺ في نفـس الغـزوة كـما روى عبـد الله بـن مـسعود قـال: (رأى رسـول الله ﷺ عـثمان بـن عفـان يـوم جـيش العـسرة جائيًـا وذاهبًا، فقال: اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر، ومـا أخفـى ومـا أعلـن، ومـا أسر وما أجهر)[2].

والملاحظ هنا أن عثمان لم يتصدق بماله فقط، ثم قعد عن الجهاد، بـل حـاز الفضل من جميع جوانبه، فتصدق بالصدقة الكبيرة مـن مالـه، ثـم حـضر بنفـسه ليكون جندياً في صفوف المجاهدين.

ولم يقتصر عطاء عثمان على ما سبق، بـل كـان لـه في كـل وقـت مـساهمات فعالة في حل أزمات المسلمين، ومشاركات في مواساة المـسلمين بمالـه في العهـد النبوي.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، جـ٥ ص٦٢٦، رقم: ٣٧٠١: بَابٌ فِي مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وأحمد برقم: ٢٠٦٣٠، والطبراني في "الأوسط" بـرقم: ٩٢٢٢، والحـاكم في المستدرك جـ٣ ص١٠٢، والبيهقي في "دلائل النبوة" جـ٥ ص٢١٥ من طرق عن ضمرة، به.

إسناده حسن من أجل كثير – وهو ابن أبي كثير – مولى عبد الرحمن بـن سـمرة. ضَـمْرَة: هـو ابـن ربيعة الفلسطيني. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الألبـاني في صـحيح سـنن الترمـذي حديث رقم: ٣٧٠١.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ١ ص٥٩.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا حَفِظْتُ مِنَ الشَّعْبِيِّ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ الْوَاحِدَ، تَفَرَّدَ بِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ وَعَنْهُ رَجَـاءٌ. وذكـره عبـد الملـك بـن محمـد بـن إبـراهيم النيـسابوري الخركـوشي، أبـو سـعد (المتـوفى: ٤٠٧هــ): في شرف المـصطفى، النـاشر: دار البـشائر الإسـلامية – مكـة، الطبعـة: الأولى – ١٤٢٤هـ.

٥- علم عثمان وإفتاؤه: كان عثمان ﵁ صاحب علوم متعددة ومعارف متنوعة، فكان ﵁ قارئاً لكتاب الله حافظاً له محدثاً جليلاً، فقيهاً مجتهداً أحد أوعية العلم، وكبار المفتين منذ عهد رسول الله ﷺ، ثم عهد أبي بكر وعمر حتى أيام خلافته.

والحقيقة أنني سأذكر هنا جانباً واحداً من علم عثمان ﵁، وهو الإفتاء لأنني هنا في معرض الرد على شبهة المستشرقين التي يزعمون فيها أن عثمان كان منعزلاً غير مشارك في الحياة العامة في العهد النبوي.

فنقول لهم إن العالم عموماً سواء كان طالب علم أو معلّم علم لابد وأن يخالط الناس، يتعلم منهم ثم يعلمهم، فلا نتخيل لمنعزلٍ عن الناس أن يحصل العلم فضلاً عن أن يعلمه الناس، فما بالنا إذا كان مفتيًا، إن احتكاكه ومعاشرته للناس ومخالطته إياهم يكون أكثر وأوجب ليسمع منهم أسئلتهم وليحاول أن يجيب عليها، وهكذا كان عثمان ﵁

فعن المسور بن مخرمة قال: (كان علم أصحاب رسول الله ﷺ ينتهي إلى ستة: إلى عمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت)(١).

وكان عثمان ﵁ مشاركاً لزيد بن ثابت في علم الفرائض بحيث لا يتقنه غيرهما، قال الزهري: (لو هلك عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت في بعض الزمان لهلك علم الفرائض إلى يوم القيامة، جاء على الناس زمان وما يحسنه غيرهما)(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٣ ص٥٢٧، رقم: ٥٩٦٠، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «انْتَهَى عَلْمُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي مُوسَى الأَشعري. وأخرجه ابن سعد: في الطبقات الكبرى جـ٢ ص٣٥١.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل جـ١ ص٤٦١، رقم: ٧٤٥، والدارمي =

بل انفرد عثمان بعلم المناسك وتقدم فيه على غيره من الصحابة ﷺ، عن محمد بن سيرين قال: (كان أعلمهم بالمناسك عثمان بن عفان، وبعده ابن عمر، ويعني بالمناسك: أحكام الحج)[1].

وكل هذه العلوم تحتاج إلى مشاركة الناس لتعلمها، ثم لمشاركتهم لتعليمها، ولا يوصف الإنسان بأنه عالم متعلم ومعلم إلا إذا عاشر الخلق، وخالط الناس وشاركهم حياتهم العامة.

هذا وقبل مغادرة هذه الشبهة، فإن من جوانب الرد عليها أن نبين أن هذا المستشرق قد وقع في تناقض واضح في سياق هذه الشبهة، فهو يزعم أن عثمان ﷺ لم يكن له تدخل في الحياة العامة، ولكنه قبلها بأسطر قليلة يتناقص ويضطرب حين يقول: (وكان لإسلام عثمان [ﷺ]، وهو من سراة القوم أثر في انتشار الدين الإسلامي)[2].

ثم يقول بعد ذلك بسطرين اثنين (وشارك عثمان [ﷺ] في الهجرتين الهجرة إلى الحبشة، وبعد عودته لمكة المكرمة هاجر إلى المدينة المنورة)[3].

مما سبق يتبين للباحث أن عثمان ﷺ كان مشاركاً في أمور المسلمين وخدمة الإسلام بدليل إسهامه بدور كبير في انتشار الإسلام، ومشاركته للمسلمين في الهجرتين.

= في سننه جـ٤ ص١٨٨٦، رقم: ٢٨٩٤، وابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص١٠٣، وإسناده صحيح وهو موقوف على الزهري.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٦٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٢. والذهبي في تاريخ الإسلام جـ٣ ص٤٧٤. من طريق عفان بن مسلم قال: أخبرنا سليم بن أخضر قال: حدثني ابن عون عن ابن سيرين. وإسناده صحيح رجاله ثقات، رجال الشيخين، إلا سليم فلم يخرج له البخاري وخرج له مسلم.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

تناقض المستشرق دي لافيدا مع نفسه :

ذكر المستشرق دي لافيدا وهو في معرض تناوله لحياة عثمان ﷺ في عهد النبوة بعض الأفكار التي تناقض فيها مع نفسه، فقد رأينا في الشبهة السابقة كيف حاول المستشرق دي لا فيدا أن يصور عثمان ﷺ بأنه لم يكن مشاركا في الحياة العامة حين قال: (... على أن مشاركة عثمان بن عفان [ﷺ] في الحياة العامة أثناء حياة الرسول [ﷺ]، وأثناء خلافة أبي بكر [ﷺ] كان دورًا يكاد يكون غير محسوس)[١].

وها نحن نجد تناقضا واضحا من نفس المستشرق وفي نفس الموضع من دائرة المعارف حين يقول: (وكان لإسلام عثمان [ﷺ]، وهو من سراة القوم أثر في انتشار الدين الإسلامي، فعثمان [ﷺ] ليس من العوام، وإنما يمكن وصفه بأنه كان من الطبقة العليا في مجتمعه)[٢].

وهذه الفكرة تشتمل على شيئين:

الأول: أن عثمان كان من الأغنياء والأثرياء، وقد أشرت إلى ذلك من قبل في نسب عثمان وانتمائه إلى أسرة بني أمية الشهيرة الثرية.

الثاني: أثر عثمان ومشاركته في خدمة الإسلام حتى أنه ساعد على انتشار الإسلام سواء بجهاده أو إنفاقه أو تجهيزه للجيوش والمجاهدين، وقد أشرت آنفاً إلى ذلك.

وهذه الفكرة متناقضة مع كلام المستشرق سابقاً عن عدم مشاركة عثمان في الحياة العامة!.

شبهة عدم مشاركة عثمان ﷺ في غزوة بدر وإسهام الرسول ﷺ له بسهم:

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

يقول المستشرق ليفي دي لافيدا عن عثمان ﷺ: (لكنه لم يشترك في غزوة بدر لمكثه إلى جوار زوجته التي كانت تعاني المرض، ومع هذا فقد أسهم له الرسول [ﷺ] في الغنائم أسوة بمن حضر المعركة)[(١)].

ويمكنني عرض هذه الشبهة في المصادر الإسلامية كما يلي:

١- **عثمان لم يتخلف وحده**: لم يتخلف عثمان ﷺ وحده بل هناك جماعة من الصحابة تخلفوا لأسباب مختلفة، ومع ذلك أسهم لهم رسول الله ﷺ من غنائم غزوة بدر.

وقد عقد العلامة ابن القيم في زاد المعاد فصلاً بعنوان (فصل: من ضُرب له بسهم ولم يحضر)[(٢)] قال فيه: (وكان طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بالشام، ولم يشهدا بدراً، فقسم لهما رسول الله ﷺ سهميهما فقالا: وأجورنا يا رسول الله؟ فقال وأجوركما.

وذُكر أيضاً أن أبا لبابة والحارث بن حاطب وعاصم بن عدي خرجوا مع رسول الله ﷺ، فردهم وأمَّر أبا لبابة على المدينة، وابن أم مكتوم على الصلاة وأسهم له، والحارث بن الصمة كُسِر بالروحاء، فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، وخَوَّات بن جبير ضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، ولم يختلف أحد على أن عثمان بن عفان ﷺ تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرك)[(٣)].

إذن: لم يغب عثمان وحده عن غزوة بدر وأخذ سهمه من الغنيمة، بل

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد جـ٥ ص٦٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة جـ٢ ص٧٦٧، رقم: ٢٠٤٤، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي قال: قرئ على يعقوب بن إبراهيم بن سعد، وأنا حاضر، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، قال: زعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر... الحديث. وفيه إبراهيم بن سعد وهو عمدة في التاريخ. كما قال ابن حجر في التقريب.

تغيب صحابة آخرون، وأخذوا أسهمهم وأنصبتهم من الغنيمة.

٢- عثمان تخلف بأمر النبي ﷺ: وهذا ما نص عليه شيخ الإسلام حين قال: (غاب عثمان يوم بدر بأمر النبي ﷺ ليخلفه على ابنته، فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره)[(١)].

والحقيقة التاريخية الثابتة: أن المسلمين لما خرجوا لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ مريضة بمرض الحصبة، ولزمت الفراش في الوقت الذي دعا فيه رسول الله ﷺ للخروج لملاقاة القافلة، وسارع عثمان ﷺ للخروج مع رسول الله ﷺ إلا أنه تلقى أمراً بالبقاء إلى جانب رقية لتمريضها، فامتثل عثمان لهذا الأمر بنفس راضية، وبقي إلى جوار زوجته الصابرة الطاهرة التي اشتد بها المرض، وطاف بها شبح الموت[(٢)].

فعثمان ﷺ قد نوى الخروج، بل قد خرج بالفعل معني ذلك أن النبي ﷺ لو لم يأمره بالبقاء لكان في صفوف المقاتلين في المعركة لكنه أطاع رسول الله ﷺ في البقاء، فثبت له أجر الطاعة وفضيلة المتابعة لرسول الله ﷺ.

وإلى هذا المعنى يشير الأصبهاني في كتاب الإمامة والرد على الرافضة فيقول: (وإن طعن على عثمان بغيبته عن بدر قيل له: الغيبة التي يستحق بها العيب هو أن يقصد مخالفة رسول الله ﷺ، وعدم متابعته، ولولا طاعة الرسول ومتابعته لكان كل من شهد بدراً من الكفار كان لهم الفضل والشرف، وإنما الطاعة التي بلغت بهم الفضيلة، وهو كان ﷺ خرج فيمن خرج معه، فرده رسول الله ﷺ للقيام على ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله ﷺ، وتخليفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر؛

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٩٧ - تحقيق محمد رشاد سالم الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٨٦م - منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٣١.

لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما)[١].

ولذلك فعثمان رضي الله عنه معدود في أهل بدر بالاتفاق، ذكر ذلك البخاري وابن هشام وابن القيم وغيرهم[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إنما تغيب عثمان عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة فقال له النبي ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه)[٣].

وعن ابن عمر أيضاً (أن رسول الله ﷺ قام يوم بدر فقال: إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله، وإني أبايع له، فضرب رسول الله ﷺ بسهم)[٤].

فعثمان رضي الله عنه لم يغب عن بدر تخاذلاً ولا تقاعساً عن الجهاد كما يحاول المستشرقون أن يصوروا، ولكنه تغيب تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ.

ثم أنه لم يتغيب وحده، وإنما تغيب جماعة من الصحابة، وقد أسهم لهم رسول الله ﷺ، وعلى كل حال فهو بدري باتفاق المسلمين.

زواج عثمان بابنتين لرسول الله ﷺ:

يشير المستشرق دي لافيدا إلى زواج عثمان رضي الله عنه من ابنتي النبي ﷺ فيقول: (وبعد وفاة زوجته رقية [رضي الله عنها] زوجه الرسول [ﷺ] من ابنة أخرى له هي

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني: الإمامة والرد على الرافضة ص٣٠٣ - تحقيق علي بن محمد الفقيهي - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

(٢) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في مواضع عدة منها كما في كتاب الخمس،باب إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة أو أمره بالبقاء هل يسهم له جـ٤ ص٨٨ رقم: ٣١٣٠.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له جـ٣ ص٧٤، رقم: ٢٧٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: ٢٧٢٦.

أم كلثوم [رضي الله عنها])[1].

وهذه الحقيقة مذكورة في المصادر الإسلامية الصحيحة حيث أن رقية رضي الله عنها لما ماتت حزن عليها عثمان حزنًا بالغًا، فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعرض عليه أن يزوجه ابنته حفصة رضي الله عنها، وقد تأيمت فاعتذر إليه عثمان رضي الله عنه، ورده رداً جميلاً فأكرمه الله تعالى بزواجه من ابنة رسول الله ﷺ الأخرى، وأكرم حفصة بنت عمر بأن كانت زوج النبي ﷺ، وواحدة من أمهات المؤمنين[2].

وقد أسلمت أم كلثوم مع أخواتها الطاهرات، وهاجرت إلى المدينة المنورة بعد النبي ﷺ مع فاطمة وغيرها من عيال رسول الله ﷺ، فلم تزل بالمدينة، فلما توفيت أختها رقية تزوج بها عثمان رضي الله عنه، وهي بكر في ربيع الأول سنة ٣ هـ، ولم تلد له، وتوفيت في شعبان سنة ٩هـ، وعمرها نحو ٢٢ سنة[3]. فهذه مكرمة وخصيصة لعثمان أنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ، وليس ذلك لأحد غيره.

فعن عبد الله بن عمر بن أبان الجُعفي قال: (قال لي خالي الحسين الجُعفي: يا بني أتدري لم سُمي عثمان ذو النورين؟ قلت: لا أدري قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلذلك سمي ذو النورين)[4].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٤٧.

(٣) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب – تحقيق لجنة من العلماء – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ – دار الكتب العلمية – بيروت ص١٧.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب تسمية أزواج النبي ﷺ وبناته وتزويجه بناته جـ٧ ص٧٣ رقم: ١٣٨٠٩، وقال: حديث حسن، وذكر الذهبي: في تاريخ الخلفاء ص١٥١. عن الحسن عن الحسن، قال: إنما سمي عثمان ذا النورين لأنا لا نعلم أحدا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (وقف رسول الله ﷺ على قبر ابنته الثانية التي كانت عند عثمان، فقال: ألا أبا أيّم ألا أخا أيّم يزوجها عثمان، فلو كُنَّ عشراً لزوجتهن عثمان، وما زوجته ألا بوحي من السماء)(١).

وقال عثمان بن عفان ﷺ: (قال لي رسول الله ﷺ حين زوجني ابنته الأخرى لو أن عندي عشراً لزوجتكهن واحدة بعد واحدة، فإني عنك راض)(٢).

فزواج عثمان ﷺ من أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حقيقة واضحة في المصادر الإسلامية.

تعقيب:

هذا هو عثمان ﷺ في العهد النبوي: مشارك في الحياة العامة، مساهم بقوة في كل ما يهم المسلمين، مجاهد في أعظم المواقف وأشدها صعوبة.

فقد ظهر عثمان طيلة العهد النبوي. إما مجاهد مع رسول الله ﷺ يتقدم صفوف المقاتلين، وإما يستأمنه الرسول على المدينة، ويستخلفه عليها لثقته بقدرة عثمان في سياسة الأمور، بل يقف عثمان بجانب الشجعان، مثل: عمر،

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة، باب في فضل عثمان بن عفان جـ٢ ص٥٩٠، رقم: ١٢٩١، وأبو نعيم في معرفة الصحابة جـ٦ ص٣١٩٩، رقم: ٧٣٥٦، والطبراني في المعجم الكبير باب أم كلثوم بنت رسول الله جـ٩ ص٩٢ رقم: ٤٣٧، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق جـ٣٩ ص٤٥، من طرق عن محمد بن عثمان بن خالد، ثنا أبي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال الشوكاني في در السحابة في مناقب القرابة والصحابة – تحقيق: نشأت بن كمال المصري – مكتبة صنعاء الأثرية – صنعاء – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ص١١٥، رجال إسناده ثقات إلا عبدالرحمن بن أبي الزناد فإنه لين الحديث.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط باب بَابُ الْمِيمِ: مَنِ اسْمُهُ: مُحَمَّدٌ جـ٦ ص١٧٦، رقم: ٤٣٧. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٩ ص٩٢، رقم: ٤٥١٠. ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق جـ٣٩ ص٤٠، رقم: ٣٩٧٩٦، وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث، عن ابن عباس، عن عثمان إلا بهذا الإسناد، تفرد به يعقوب بن جعفر.

وعلي، وأبي دجانة ﷺ ليدفع أذى المشركين عن رسول الله ﷺ، فيصاب منهم بالأذى، وهو يستعذب ذلك ويستهونه في سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ.

ويظهر عثمان ﷺ مشاركاً للمسلمين ومواسيا لهم في حياتهم العامة بأمواله الكثيرة التي أنفقها في سبيل الله مخلصاً راجياً ما عند الله في الدار الآخرة، ثم هو بعد ذلك عالم معلّم للمسلمين مفتٍ لهم منفرد ببعض أنواع العلم كالمناسك والفرائض.

والواقع أن هذه الصورة المشرقة الصحيحة لعثمان تخالف تماماً ما حاول المستشرقون تصويره به من انعزالية، بل وعدم اهتمام بالأمور العامة ولا بالمشاركة في الحياة العامة للمسلمين، وليس له أي قدر ولا أهمية.

وهذا الذي يحاول المستشرقون أن يطعنوا به في عثمان ﷺ إنما المقصود منه تأسيس شبه وطعون يعتمدون عليها في الطعن عليه في خلافته وفي أعماله الجليلة فيها، وخاصة جمع المسلمين على مصحف واحد. كأن المستشرقين هنا يريدون أن يوهموا القارئ أن عثمان لم يكن له شأن يذكر في أمور المسلمين أيام النبي ﷺ، وبالتالي ليس حقيقاً بتولي منصب الخلافة ولا جديرا بها، ويكون كل ما سيقدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين ليس له أهمية.

وهذه نظرة مشبوهة سأقوم بعرضها وتفنيدها في الفصلين القادمين إن شاء الله.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

موقف المستشرقين
من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه من خلال
كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: موقفهم من الخلافة الراشدة.**
- **المبحث الثاني: موقفهم من بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه.**
- **المبحث الثالث: موقفهم من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

الفصل الثاني: موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

لقد حظيت خلافة عثمان ﷺ بالإنجازات العظيمة التى تمثل فى مجملها نصراً عظيماً للإسلام في كافة المجالات، فما بين فتوحات للأقطار شرقاً وغرباً، وما بين ازدياد لرقعة الخلافة الإسلامية وما بين زيادات واضحة لدخل وموارد بيت مال المسلين حتى عن عصر عمر ﷺ فى بعض الحالات، وما بين معالجة حكيمة للأمور التى استجدت فى عصر عثمان.

فعثمان ﷺ فى كل أحواله مجتهد، ومتبع لأفعال النبي ﷺ أولاً ثم لسيرة وأفعال الشيخين من قبله. ومع كثرة الحسنات والاجتهادات والانجازات فى عهد عثمان ﷺ إلا إننا سنلاحظ أن المستشرقين لم يولوا كل هذا اهتماماً، وإنما أغفلوا انجازات عثمان ﷺ ليركزوا على بعض الشبهات التى ظنوا أنها تضعف من مكانة هذا الخليفة الراشد، وتطعن فى خلافته.

وسوف أعرض في هذا الفصل موقف المستشرقين من خلافة عثمان ﷺ من خلال إبراز شبههم، ثم أرد عليها ردا علميا بالأدلة التي تظهر تهافتها. وسنلاحظ من خلال استعراضنا لهذه الشبهات أنها خليط من المفاهيم الغريبة التى اقتنع بها المستشرقون، وحاولوا إسقاطها على تاريخنا الإسلامي، وكذلك هى أفكار رافضية استقاها المستشرقون من كتب الرافضة، واقتنعوا بها وروجوا لها دون أن يكلفوا أنفسهم أدنى جهد فى أن يرجعوا إلى مصادر أهل السنة ليعرضوا وجهة النظر المخالفة أو يستيقنوا من صحة ما أخذوا به من أفكار. وسنلاحظ أخيراً أن هناك تطابقاً تاماً بين أفكار المستشرقين، وأفكار الروافض فيما أثير من شبهات حول خلافة عثمان ﷺ فى المباحث الثلاثة التى يتكون منها هذا الفصل وهى:

- المبحث الأول: موقف المستشرقين من الخلافة الراشدة.
- المبحث الثاني: موقف المستشرقين من بيعة عثمان بن عفان ﷺ.
- المبحث الثالث: موقف المستشرقين من خلافة عثمان ﷺ.

المبحث الأول

موقفهم من الخلافة الراشدة

مما هو محل اتفاق بين المسلمين في جميع عصورهم أن الخلافة الإسلامية من العناصر الأساسية في تكوين المجتمع الإسلامي، ومن ضروريات الحياة الإسلامية، فبها يقام ما اعوج من نظام الدنيا والدين، وبها تتحقق أهداف الدين ومقاصد الشرع.

وبذلك فهي ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، وهي مما تمس حياة المسلمين جميعا، فإنه لابد لهم من حاكم يسوس أمرهم، ويعالج قضاياهم، ويقيم فيهم أحكام الإسلام، فإن شريعة الإسلام مجموعة من الأحكام والقواعد، ففيها الحدود، والعقوبات، وفيها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفيها الجهاد في سبيل الله، وفيها إشاعة الأخلاق الإسلامية، والآداب الدينية التي لا يمكن أن تقام إلا إذا كان هناك حاكم يتولى تنفيذها، وإلى هذا يشير شيخ الإسلام ابن تيمية حين يقول:

(يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: {إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم}[1]، وقال: {لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة

---

(١) أخرجه: أبو داود جـ٣ ص٣٦، رقم: ٢٦٠٨، وأبو يعلى جـ٢ ص٣١٩، رقم: ١٠٥٤، من حديث حاتم بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه: أبو داود جـ٣ ص٣٦، رقم: ٢٦٠٩، والبيهقي جـ٥ ص٢٥٧، رقم: ١٠١٢٩، ⇐ =

من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم}[1]، فأوجب النبي ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر منبهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع.

ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج، والجُمع، والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة، ولهذا قيل: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان؛ والتجربة تبين ذلك)[2].

ولهذه الأهمية القصوى للخلافة والولاية العامة نقل ابن حزم الأندلسي الإجماع على وجوب قيامها فقال: (اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا: لا يلزم فرض الإمامة، وهذه فرقة ما نرى بقي منها أحد)[3].

ولقد لاحظ المستشرقون هذه الأهمية وهذه المكانة المميزة لهذا المنصب

= حاتم بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن أبي سلمة، عن أبى هريرة أيضًا. ورجح أبوحاتم في علل الحديث لابن أبي حاتم جـ٢ ص٧٧، والدارقطني في العلل جـ٩ ص٣٢٦، إرساله.

(١) أخرجه: أحمد جـ١١ ص٢٢٧، برقم: ٦٤٧، والطبراني في المعجم الكبير جـ١٣ ص٥٦، برقم: ١٣٩، والبيهقي في شعب الإيمان جـ٦ ص٥ حديث رقم: ٧٣٤٨، عن ابن عمر. قال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٤ ص٨٢، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: السياسة الشرعية - الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد ص١٣٠.

(٣) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل - مكتبة الخانجي - القاهرة - بدون تاريخ جـ٤ ص٧٢. ولابد من الإشارة إلى أنه ينبغي التنبيه إلى أنه إذا لم تجتمع الأمة على إمام واحد فقد صحح العلماء إمارة من تولى عليهم؛ لأنه منذ زمن الفتنة لم تجتمع الأمة على إمام واحد.

الجليل الذي يحافظ على الدين، ويساعد على إقامة قواعد الإسلام، وخاصة في عصر الخلافة الأول، وهو الخلافة الراشدة.

فكانت مسألة الخلافة الراشدة، وما جرى بين الصحابة من اختلاف في تعيين خليفة بعد النبي ﷺ من أهم المسائل التي درسها المستشرقون، وكتبوا حولها كتابات متعددة في دائرة المعارف الإسلامية وفي غيرها.

والحقيقة الملفتة للانتباه أن المستشرقين تركوا كل فائدة للخلافة في إقامة الدين وحراسة الإسلام، وراحوا يوجهون سهامهم نحو ما ظنوا أنه يمكن أن يعمل على إضعاف هذا المنصب ومكانته الدينية، وجاء ذلك في صورة شبه واهية يرددونها حول هذه المسألة، وذلك على النحو التالي:

الشبهة الأولى: قولهم أنه ليس هناك دليلا على أن لقب «خليفة» ليس خاصا بمن يخلف رسول الله ﷺ.

بعدما جمع المستشرق أرنولد[1] المعاني الواردة لكلمة خليفة في آيات القرآن، خرج بشبهة عبر عنها بقوله: (وليس في هذه الآيات كلها دليل واضح على أن المقصود بهذه الكلمة أن تكون لقبا لمن يخلف محمدًا [ﷺ])[2].

ومعنى هذه الشبهة أنه لا يوجد في القرآن دليل على استعمال لفظ خليفة للدلالة على من يخلف النبي محمدًا ﷺ.

ويمكننا الرد على هذه الشبهة المتهافتة بالردود الآتية:

---

(١) توماس أرنولد: مستشرق ومؤرخ إنجليزي مشهور (١٨٦٤م – ١٩٣٠م) تعلم في بريطانيا ودرس في عليكره في الهند ثم في بريطانيا أستاذاً في تدريس الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن ثم عميداً لها إلى وفاته، لم تظهر في كتاباته التعصب له كتابه المشهور "الدعوة إلى الإسلام"، وترجم إلى عدة لغات أظهر فيه إعجابه بالإسلام، حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٣ مادة متنوعة، منها مادة: خليفة. ينظر في ترجمته: الزركلي: الأعلام جـ٢ ص٩٤، والعقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٨٤، ونذير حمدان: مستشرقون ص١٢٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧١٩ – مادة: خليفة.

١) هل من مقاصد القرآن وغاياته أن يشرح كل لفظة عربية وكل مفردة لغوية؟ إن هذا مما يخرج بالقرآن عن مقصده الأساسي، وهو أنه كتاب هداية وإرشاد إلى الخير في الاعتقادات والعبادات والأخلاق.

إن القرآن يعلمنا أنه يمكن أن نستخدم لفظة معينة في معنى معين، ويعطينا إفادة بجواز ذلك، لكنه لا يستخدم اللفظة في جميع المعاني الممكنة لها؛ لأن القرآن ببساطة ليس معجما لغويا، بل هو كتاب سماوي مقدس محفوظ بحفظ الله، يعطينا دستورًا عام ينفعنا في جميع مناحي الحياة.

فإذا طبقنا ذلك على لفظة خليفة وجدنا القرآن قد استعملها في معنى من يخلف غيره في القيام بأمر من الأمور، كما ورد في حق سيدنا آدم ﵇: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(١)].

وفي حق سيدنا داوود ﵇: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[(٢)]، وبناء على ذلك فما المانع أن نستخدم لفظ - خليفة - فيمن يخلف النبي ﷺ في القيام بسياسة الدين والدنيا، وهذا المعنى اللغوي يصدق تماما على الخلفاء الراشدين الذين أتوا بعد النبي ﷺ.

وقد كان هناك من المستشرقين من عبروا عن هذا المعنى، وهو الوكالة والنيابة في أي أمر من الأمور، ثم هو يصدق على من أتى بعد رسول الله ﷺ. يقول المستشرق باول شمتز[(٣)]: (كلمة خليفة معناها: وكيل أو ممثل أو نائب،

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٢) سورة ص الآية: ٢٦.

(٣) المستشرق الألماني باول شمتز صاحب كتاب: الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمه إلى العربية د. =

فكان النبي ﷺ يولي من يخلفه على المدينة إذا خرج في غزواته، وكان هذا الوالي يقوم بمهام النبي ﷺ، وشبيه بهذا الظرف تعيين خليفة للنبي بعد موته ليرعى أمور المسلمين تأمينًا لاستمرار نشر الدين وحفظًا لكيان الدولة السياسي)(١).

وهذا النص واضح في أن لفظ خليفة يستعمل استعمالًا صحيحًا، فيمن يخلف النبي ﷺ خاصة بعد وفاته، وهو اللقب الذي استخدم للخلفاء الراشدين.

٢) هناك قصور واضح في بحث المستشرق أرنولد لهذه المادة ويتجلى هذا القصور في أنه اقتصر في بيان هذا اللفظ على القرآن فقط، ولم يرجع إلى السنة التي هي القسم الثاني من الوحي بعد القسم الأول وهو القرآن، كذلك يظهر القصور في أن هذا المستشرق لم يكلف نفسه مشقة البحث في معاجم اللغة العربية، ومصادرها ليتبين هل يصح إطلاق لفظ خليفة على من يخلف النبي ﷺ أم لا؟

فإذا نظرنا في السنة المشرفة: وجدنا أن النبي ﷺ يستخدم هذا اللفظ - خليفة - للدلالة على من يخلف غيره في أمر من الأمور.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: {ما استخلف خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله}(٢).

قال المحقق: (خليفة: من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده من الحكام،

= محمد شامة. نشر بمكتبة وهبة - القاهرة ١٩٨٣م.

(١) عبد المتعال الجبري: نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ-مكتبة وهبة - القاهرة ص٣٧.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله، جـ٦ ص٢٤٣٨، رقم: ٢٤٣٨، وكذلك في باب من انتظر حتى تدفن، رقم: ١٢٥.

والأمراء والقضاة والولاة)[1].

فالخليفة في عرف السنة، هو من يلي من قبله، ويأتي بعده ليقوم بشيء من مهامه، وهذا إطلاق صادق على الخلفاء الراشدين.

كذلك إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدناها تقرر نفس المعنى، فقد جاء في «معجم مقاييس اللغة»: (الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف: قدام، والثالث التغيير، فالمعنى الأول منه الخلافة، وإنما سميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائما مقامه)[2].

وجاء في المعجم الوسيط: (الخلافة: الإمامة، والإمارة)[3]. وجاء في «لسان العرب»: (استخلف فلانا من فلان: جعله مكانه، وخلف فلان فلانا إذا كان خليفة، يقال: خلفه في قومه خلافة، والخلافة الإمارة)[4].

فهناك اتفاق على أن (الخلافة هي في الأصل مصدر خَلَفَ: يقال: خلفه في قومه، يخلفه خلافة، فهو خليفة ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[5]، ثم أطلق في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها، والنهوض بأعبائها)[6].

---

(١) تعليقات د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م جـ٦ ص٤٣٨.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة – بتحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – بيروت – الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م جـ٢ ص٢١١.

(٣) المعجم الوسيط – نشر دار الدعوة بالقاهرة – بدون تاريخ جـ١ ص٢٥١.

(٤) ابن منظور: لسان العرب – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ-جـ٩ ص٨٤، مادة: خلف.

(٥) سورة الأعراف من الآية: ١٤٢.

(٦) القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة – تحقيق عبد الستار أحمد فراج – مطبعة الكويت – =

نستخلص من هذا: أن استعمال لفظ خليفة فيمن يخلف غيره في أمر من الأمور خاصة الولاية العامة هو استعمال صحيح في القرآن وفي السنة، وأجمعت عليه معاجم اللغة، ولذلك فإنه يصح استعماله في خلفاء النبي ﷺ الذين أتوا بعده، وأولهم الصديق أبو بكر ﷺ، فلا دليل لدى المستشرق أرنولد على ما ذهب إليه.

الشبهة الثانية: شبهة متعلقة بأول من تسمى باسم الخليفة:

تدور هذه الشبهة حول أول من تسمى باسم الخليفة، فقد جاء في الدائرة أن الكتاب المسلمين يذكرون أن أول من تسمى بهذا الاسم، وأخذه لقبا له هو الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ بينما تشكك الدائرة في ذلك، وهذا هو نص هذه الشبهة: (ويقرر المؤرخون المسلمون بصفة عامة أن أبا بكر [ﷺ] هو أول من استعمل هذه الكلمة في هذا المعنى، ومع ذلك يُشَكُّ في أن أبا بكر [ﷺ] قد اتخذها في أي وقت من الأوقات لقبا له)[1].

الرد على هذه الشبهة: بعد قراءة هذه الشبهة في دائرة المعارف يمكن بيان تهافتها بما يلي:

١ - هناك تناقض واضح في إيراد هذه الشبهة فبينما يذكر أرنولد كاتب هذه المادة أن هناك تقريرا عاما من قبل مؤرخي المسلمين على أن أول من استعمل هذه الكلمة لقبا له هو الصديق ﷺ نجده يخالف هذا الكلام في نفس السطر، ومع ذلك يُشَكُّ في أن أبا بكر ﷺ اتخذها في أي وقت من الأوقات لقبا له.

فنقول له: من أين أتيت بهذا الشك الذي يخالف الإجماع السابق؟ وما هو المصدر الذي استقيت منه ما يفيد أن هناك شكا في ذلك؟

= الكويت - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م ص٩.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧١٨ - مادة: خليفة.

٢- بالرجوع إلى المصادر الإسلامية تبين أن هذا اللقب - خليفة - قد أطلق على أبي بكر ﷺ كأول من ولي أمر المسلمين بعد رسول الله، والملفت للنظر أن هذا اللقب - خليفة رسول الله - قد أُطلق على أبي بكر ﷺ منذ اللحظة الأولى حين توليه الأمر في سقيفة بني ساعدة، وسأورد هنا بعض الآثار التي تدل على ذلك:

- قال الإمام أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (ذكر الروايات الصحيحة عن الصحابة ﷺ بإجماعهم في مخاطبتهم إياه أي: أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ)(١). وساق الحاكم عددًا كثيرا من الصحابة ﷺ نادوا أبا بكر بهذا اللقب.

- من أول لحظة سمي أبو بكر بهذا اللقب: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر ﷺ فقال: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد ابن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم ير عليًا فسأل عنه فقام ناس من الأنصار، فأتوا به فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله: أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه: أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال لا

(١) الإمام الحاكم: المستدرك على الصحيحين جـ٤ ص١٥٢.

تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه[1].

وقد آثرت أن أبدأ بهذه الرواية أولاً؛ لأنها تدلنا بوضوح على إجماع المسلمين منذ اللحظة الأولى وموافقتهم على هذا اللقب لأبي بكر ﷺ، فحينما ناداه علي والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بيا خليفة رسول الله كان ذلك بحضرة جميع المسلمين الذين لم يبد أحدهم اعتراضًا على ذلك.

- وأيضا ناداه كبار الصحابة في مواطن كثيرة بهذا اللقب، فقد ذكر المتقي الهندي في كنز العمال في باب بعث أسامة حديثا طويلا فيه (... فشق ذلك على كبار المهاجرين الأولين، ودخل على أبي بكر عمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالوا: يا خليفة رسول الله...)[2]، وفي هذه الرواية ما يدل على أن الخليفتين الثاني والثالث قد خاطبا أبا بكر بهذا اللقب.

- كذلك ناداه عثمان بن عفان بهذا اللقب، فقد روى الإمام أحمد في فضائل الصحابة قال: (كتب خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص إلى أبي بكر أن زدنا في أرزاقنا، وإلا فابعث إلى عملك من يكفيكه، فاستشار أبو بكر في ذلك، فقال عمر: لا تزدهم درهمًا واحدًا قال: فمن لعملهم؟ قال عمر: أنا أكفيه ولا أريد أن ترزقني شيئا، قال فتجهز، فبلغ ذلك

---

(١) أخرجه: أبو داود الطيالسي جـ١ ص٤٩٥، وابن أبي شيبة جـ٨ ص٥٦٩، رقم: ٢٠، وأحمد جـ٣٥ ص٤٨٩، والطبراني في المعجم الكبير جـ٥ ص١١٤، والحاكم المستدرك جـ٣ ص٧٦، من حديث وهيب، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي: رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٥ ص١٨٣.

(٢) أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٤ ص٤٩، عن الفضل بن دكين، عن حنش، عن أبيه. ومن طريقه: ابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٢ ص٥٧، وانظر: كنز العمال جـ١٠ ص٥٧٢، رقم: ٣٠٢٦٦. وقد ذكر الحاكم في المستدرك باب ذِكْرُ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِإِجْمَاعِهِمْ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ إِيَّاهُ بِيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وأورد روايات على شرطه.

عثمان، فقال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله إن قرب عمر منك ومشاورته أنفع للمسلمين من شيء يسير، فزد هؤلاء القوم في أرزاقهم، وهو الخليفة بعدك، فعزم على عمر أن يقيم، قال وزادهم ما سألوا)[١].

- كذلك نادته فاطمة بنت رسول الله ﷺ بهذا اللقب، فقد روى البيهقي: (أن فاطمة جاءت إلى أبي بكر ﷺ، فقالت: يا خليفة رسول الله أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا بل أهله. قالت فما بال الخمس؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أطعم الله نبيا طعمة، ثم قبضه كانت للذي يليه بعده، فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين، قالت فاطمة: أنت ورسول الله ﷺ أعلم ثم رجعت)[٢].

وهناك عشرات الآثار تدل على مخاطبة الناس لأبي بكر بلقب خليفة رسول الله، وبالجملة كما يقول الحافظ ابن حجر: إن الناس أطبقوا على تسمية أبي بكر خليفة رسول الله[٣].

فنحن قد نقلنا إجماع المسلمين في عصر الصحابة ﷺ على تسمية أبي بكر بهذا اللقب، ثم توالت العصور الإسلامية على الإجماع على ذلك جيلا بعد جيل، فمن أين أتى الشك الذي أشار إليه المستشرق أرنولد في أن أبا بكر لم يستعمل هذا اللقب في أي وقت من الأوقات؟!

---

(١) أخرجه: أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة جـ١ ص٢٩٢، برقم: ٣٨٤. بإسناد رجاله ثقات.

(٢) أخرجه: أحمد جـ١ ص٤، وأبو داود برقم: ٢٩٧٣، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة جـ١ ص١٩٨، والمروزي رقم: ٧٨، والبزار برقم: ٥٤، وأبو يعلى برقم: ٣٧، والبيهقي جـ٦ ص٣٠٣، وابن عبد البر جـ٨ ص١٦٧، من حديث محمد بن الفضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل: أن فاطمة أتت أبا بكر تسأله ميراثها، فقال أبو بكر.

وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في ((صحيح أبي داود)) برقم: ٢٥٧٥.

(٣) الحافظ ابن حجر: فتح الباري - بتعليق العلامة عبد العزيز بن باز - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ-دار المعرفة - بيروت جـ١٣ ص٢٠٨.

الشبهة الثالثة: شبهة متعلقة بطبيعة الخلافة الراشدة:

يصف المستشرقون الخلافة الراشدة بأنها نوع من الملك والسلطان والجاه، ويصفون الخلفاء الراشدين بأنهم من طلاب الجاه والسلطان الذين ينتظرون من محكوميهم أن يؤدوا لهم من التبجيل والاحترام ما كانوا يؤدونه للنبي ﷺ.

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن الخلافة والخلفاء: (لقد كان من شأن الثروة الطائلة والسلطان العظيم اللذين اكتسبهما خلفاء النبي [ﷺ] الأولين بفتحهم أقاليم من الإمبراطورية الرومانية، مثل: الشام ومصر علاوة على ما فتحوه من بلاد فارس، أن بلغ الخلفاء مركزا وجاها أكسبا هذا اللقب المتواضع الذي لقبوا به مدلولا جديدا، فقد غدا الخليفة حتى قبل أن تصل الفتوحات الإسلامية إلى غايتها من أقوى ملوك العالم وأغناهم...، وكان بوصفه خليفة ينتظر من رعاياه المسلمين أن يؤدوا له آيات التبجيل التي كانوا يؤدونها لصاحب الرسالة المحمدية)[(١)].

الرد على هذه الشبهة: نلاحظ في هذه الشبهة المنهج الاستشراقي الذي يحاول أن يسقط المفاهيم الغربية على الأحداث الإسلامية.

فالخلافة في نظرهم: ملك وجاه وسلطان.

والخليفة في نظرهم: ملك يعتبر نفسه من الأشخاص المعدودين على مستوى العالم، والعلاقة بين الخليفة والمسلمين في نظرهم: إنما هي علاقة بين ملك قوي ذي جاه وسلطان، ورعيته تحاول أن تسعى لاسترضائه والتزلف إليه بكل ما تستطيع، بل هذا الملك نفسه ينتظر منهم ذلك!

هذه هي التصورات الغريبة التي كانت حاضرة في أذهان الغالبية العظمى من المستشرقين، وهم يكتبون عن الإسلام وتاريخه وأحداثه وشخصياته.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧٢٠ - ٤٧٢١ - مادة: خليفة.

وبالطبع: هذه التصورات الغربية المشبوهة تخالف الحقيقة الناصعة، وتجافي الواقع الذي يشهد بالسمو الكامل الذي كان يتمتع به هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم.

والواضح من النص السابق أنه يتحدث عن الخلفاء الراشدين بالذات لأنه جاء فيه: (خلفاء النبي [ﷺ] الأولين)[1]، وجاء فيه: (فقد غدا الخليفة حتى قبل أن تصل الفتوحات إلى غايتها)[2]، وهذا يدل على أنه يقصد بشبهته تلك الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

هذا، ويمكننا الرد على هذه الشبهة فيما يلي:

١) **منزلة الصحابة** رضي الله عنهم: وإنما ذكرت هذه النقطة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم هم أهل القرن الأول أو الجيل الذي ينتمي إليه الخلفاء الراشدون، فإذا ثبتت فضائلهم ومكانتهم ثبتت مكانة الخلفاء ومنزلتهم من باب أولى.

وقد اهتم علماء الإسلام في كل عصر بالحديث عن الصحابة رضي الله عنهم، وألفوا في فضائلهم المؤلفات الخاصة، سواء في فضائل الصحابة عموما، أو في فضائل الخلفاء الأربعة، أو في فضائل كل صحابي على حده، وجريا على هذا المنهج سأذكر هنا بعضا من فضائل الصحابة رضي الله عنهم عموما من الكتاب والسنة.

القرآن الكريم: ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تثني على الصحابة رضي الله عنهم وتفضلهم على سائر من جاء بعدهم ومن ذلك:-

- قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[3]، ففي هذه الآية

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧٢٠ - مادة: خليفة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧٢٠ - مادة: خليفة.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

الكريمة إعلان واضح بسبق الصحابة إلى الإسلام، ثم إن الله قد رضي عنهم، وهم قد رضوا عن الله، ثم بين الله ما أعده لهم من الثواب الجزيل في جنات النعيم، وهذا هو الفوز العظيم.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيرها: (فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك.

وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من ﷺ؟ وأما أهل السنة فإنهم يرضون عمن ﷺ، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المصلحون، وعباده المؤمنون)[1].

- قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾[2] يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: (لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته، نبيه محمدًا ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسول الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء، رزقهم الله الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كاد يلتبس عليهم، إنه بهم رؤوف رحيم: أي أن ربهم

(١) الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - تحقيق سامي محمد سلامة - الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م - دار طيبة للنشر والتوزيع جـ٤ ص٢٠٣.

(٢) سورة التوبة الآية: ١١٧.

الذي خالط قلوبهم لما نالهم في سفرهم من المشقة. رؤوف بهم رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الإيمان بعدما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا على البأساء والضراء)[1].

- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾[2] قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: (إن فيها تشريفًا وإعلامًا برضاه عنهم حين البيعة، وبهذا سميت بيعة الرضوان)[3].

- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٠﴾[4] قال ابن كثير: (أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أنه قبل فتح مكة كان الحال شديدا، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون)[5].

ومعلوم أن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا من السابقين للإسلام المنفقين قبل فتح مكة.

وهكذا يشهد القرآن الكريم بتلك المنزلة الراقية، والمكانة السامية لجيل الصحابة كله، والسابقون الأولون منهم الذين ينتمي إليهم الخلفاء الراشدون.

السنة المشرفة: جاءت الأحاديث الكثيرة التي تشهد لمكانة الصحابة وتذكر فضلهم.

---

(١) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن - بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م - مؤسسة الرسالة جـ١٤ ص٢٤.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٨.

(٣) أبو محمد بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-دار الكتب العلمية - بيروت جـ٥ ص١٣٣.

(٤) سورة الحديد الآية: ١٠.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٨ ص١٠.

- فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ (سُئل: أي الناس خير؟ قال: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)(١).

- وأخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (... النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)(٢).

- ولهذه المنزلة الكبيرة جاء النهي عن سبهم، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: {لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه}(٣).

- وقوله ﷺ عن أصحابه: {لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه}(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد رقم: ٢٥٠٩، جـ٢ ص٩٣٨، ومسلم جـ٤ ص١٩٦٢، رقم: ٥٢ - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ورواه ابن ماجة في سننه باب كراهة الشهادة لمن لم يستشهد رقم: ٢٣٦٢.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه رقم: ٢٠٧، وأحمد جـ٣٢ ص٣٣٥.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا جـ٥ ص٨ رقم: ٣٦٧٣، ومسلم رقم: ٢٥٤١، في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ.

(٤) أخرجه: أحمد جـ٤ ص٨٧، رقم: ١٦٨٤٩، والبخارى فى التاريخ الكبير جـ٥ ص١٣١، والترمذى جـ٥ ص٦٩٦، رقم: ٣٨٦٢، كلهم من طريق عن سعد بن إبراهيم - وقال بعضهم: إبراهيم بن سعد قال: حدثنا عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: الله الله في أصحابي.

وفي نصوص السنة غير ما أوردت كثير من الأحاديث التي تبين لنا مكانة الصحابة جميعا، وأنهم خير القرون والعصور من هذه الأمة على الإطلاق.

٢) **منزلة الخلفاء الراشدين**: وصف رسول الله ﷺ الخلفاء الذين يأتون من بعده بأنهم أهل سنته، وأنهم أهل الرشد، وأهل الهداية، وأمرنا أن نتمسك بسنتهم، ونحرص عليها حرصا شديدا، فإن مخالفته ومخالفتهم بدعة.

فعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال: {أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة}(١).

وقد ألف الإمام أبو نعيم الأصبهاني كتابًا خاصًا بالخلفاء الأربعة هو كتاب (فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم)(٢)، وكذلك ألف الإمام أبو الحسن الدارقطني كتابًا خاصًا في ذلك هو كتاب (فضائل الصحابة ومناقبهم وقول

(١) أخرجه: أحمد جـ٤ ص١٢٦، والدارمي برقم: ٩٦، وأبو داود برقم: ٤٦٠٧، وابن ماجة برقم: ٤٣، والترمذي جـ٢٦٧٦، والحاكم جـ١ ص٩٥، من حديث عبد الرحمان بن عمرو السلمي، أنه سمع العرباض بن سارية. وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ليس له علة، وقد احتج البخاري بعبد الرحمن بن عمرو، وثور بن يزيد، وروي هذا الحديث في أول كتاب الاعتصام بالسنة والذي عندي أنها رحمها الله توهما أنه ليس له راو عن خالد بن معدان غير ثور بن يزيد، وقد رواه محمد بن إبراهيم بن الحارث المخرج حديثه في الصحيحين، عن خالد بن معدان. المستدرك للحاكم جـ١ ص٩٥، وقال ابن الملقن: هذا الحديث صحيح. البدر المنير جـ٩ ص٥٨٢، (صحيح) انظر: الإرواء برقم: ٢٥٢١.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم بتحقيق صالح بن محمد العقيل الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م - دار البخاري للنشر والتوزيع - المدينة المنورة.

بعضهم في بعض)[1] جمع هذان الكتابان كثيرًا مما في فضائل الخلفاء الأربعة الراشدين ﷺ.

٣) **هل كان الخلفاء الأربعة طلاب ملك وجاه وسلطان؟** من المهم أن نشير إلى تلك النقطة لنتبين من خلالها حقيقة ما تفوه به المستشرق أرنولد الذي ذهب إلى أن الخلفاء كانوا كذلك.

وأول ما يلفت النظر في تاريخ الخلفاء الأربعة الراشدين ﷺ أنه ما من كاتب ولا مؤرخ لسيرتهم الطاهرة إلا واهتم بإبراز زهدهم، وتواضعهم للخلق كجانب من أهم جوانب حياتهم، فإنهم ﷺ كانوا من أزهد الناس وأكثرهم ورعًا بعد رسول الله ﷺ، وقد رويت عنهم الروايات التي لا تحصى في التجرد لله والإخلاص له والزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، فإن كل همهم كان هو رضاء الله في الدار الآخرة. ونضرب لذلك الأمثلة التالية:

ففي شأن أبي بكر ﷺ عن الحسن بن علي ﷺ قال: لما احتضر أبو بكر ﷺ قال: يا عائشة: انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والحفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نليها، فإن كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا أنا مت فارديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر ﷺ أرسلت به إلى عمر ﷺ، فقال عمر: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك[2].

وفي شأن عمر ﷺ مع كونه الخليفة - إلا أنه كان يشارك الناس في محنهم وشدائدهم، فعن أنس قال: تقرقر بطن عمر قال: وكان يأكل الزيت عام الرّمادة، وكان قد حرّم عليها السَّمْن قال: فنقر عمر بطنه بأصبعه وقال تقرقر

(١) الدارقطني: فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض - تحقيق محمد خليفة الرباح - الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م - مكتبة الغرباء الأثرية.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير باب نسبة أبي بكر واسمه جـ١ ص٦٠ رقم: ٣٨، والمعجم الأوسط جـ٤ ص٥٤، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد باب فيما للإمام من بيت المال جـ٥ ص٤١٦ رقم: ٩١٧٠، وقال: رجاله ثقات.

إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس[1].

وفي شأن عثمان ﷺ روى الإمام أحمد عن شرحبيل بن مسلم قال إن عثمان بن عفان ﷺ كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت[2]. وعن الحسن: سُئل عن القائلين في المسجد قال: رأيت عثمان بن عفان ﷺ يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة قال: ويقوم وأثر الحصباء في جنبه[3].

وعن ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان ﷺ على بغلة وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة[4].

وعن زهد علي بن أبي طالب ﷺ، أنه لم يكن يملك ثمن إزار، فعن زيد بن محجن قال: كنا مع علي ﷺ بالرحبة فدعا بسيف فسله، فقال: من يشتري هذا؟ فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعتُه[5].

هؤلاء هم الخلفاء الأربعة الراشدون كما تحدثت عنهم المصادر الإسلامية

(١) أخرجه: الإمام أحمد بن حنبل: كتاب الزهد ص٩٦. وابن سعد جـ٣ ص٣١٣، وأبو نعيم فى الحلية جـ١ ص٤٨، وأطراف الغرائب والأفراد جـ١ ص٤٧، برقم: ٧٣، وابن عساكر جـ٤٤ ص٣٤٧. من طريق مُحَمَّد بن يَعْقُوب الزبالى ، وقد أذن أحمد لابنه بكتابة حديثه ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) المرجع السابق ص١٠٦. من طريق مُحَمَّد بن يَعْقُوب الزبالى ، وقد أذن أحمد لابنه بكتابة حديثه ، وبقية رجاله ثقات.

(٣) المرجع السابق ص١٠٥. من طريق مُحَمَّد بن يَعْقُوب الزبالى ، وقد أذن أحمد لابنه بكتابة حديثه ، وبقية رجاله ثقات.

(٤) الإمام أحمد بن حنبل: كتاب الزهد ص١٠٧. بإسناد جيد.

(٥) أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف جـ٨ ص١٥٧، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة جـ١ ص٥٣٧، برقم: ٨٩٧، من طريق يزيد بن محجن وإسناد حسن. وأبو بكر بن الخلال في السنة جـ٢ ص٣٥١.

الموثوقة.

يزهدون في الدنيا فلا يقبلون عليها، ويتورعون عن أقل شبهاتها لدرجة أن يدخل أبو بكر أصبعه في حلقه ليخرج ما في بطنه لما علم مصدره، وها هو يخالط مولى من مواليه فيأكل معه، وذلك هو متاعه البسيط أمر يرده إلى بيت مال المسلمين، وذلك هو كفنه الذي اختار أن يكون ثيابه القديمة البالية!

وهذا هو عمر بن الخطاب: يشارك الناس محنهم العامة فيحرم على نفسه الطعام الطيب ويأكل الزيت الذي أدى إلى أن تقرقر بطنه، ويتورع حتى أن تصيب أحد زوجاته نفحة من الطيب زائدة على باقي المسلمين.

وهذا هو عثمان ﷺ الذي كان من أغنى الصحابة وأكثرهم مالا لكنه وهو خليفة ينهج منهج الزهد ويتخذ الورع سبيلا إلى الله فيأكل الخل والزيت، ويركب مع غلامه بغلة وهو خليفة، ويقيل على الحصى في المسجد حتى يؤثر في جبينه وهو خليفة.

وهذا هو علي ابن عم النبي وزوج ابنته يأكل خشن الطعام ويلبس خشن الثياب ويبيع سيفه ليشتري إزارا ويمتنع أن يحمل الناس متاعه، أي زهد هذا؟ وأي تواضع هذا؟ وأي ورع هذا؟ ثم بعد ذلك نجد من المستشرقين من يتشدقون بأن الخلفاء الراشدين جمعوا مالا وأصبحوا ذوي ثروة عظيمة طائلة، وخرجوا عن التواضع الذي كان عليه النبي ﷺ إلى أوضاع جديدة ليكونوا من الملوك الذين يطلبون الدنيا وزينتها، إن هذا لهو الكذب الصراح الذي ما يصدر إلا عن حاقد على هؤلاء العظماء الذين نشروا دين الله وعلموا الدنيا كلها أن الخلافة والرئاسة العامة للمسلمين هي تكليف وليس تشريف، وان القائم بها لابد وأن يكون قدوة في زهده وتواضعه وحرصه على مصالح الناس وأموالهم. وهذه هي الصورة الحقيقية للخلافة وللخليفة في الإسلام.

أما أرنولد وغيره فنقول لهم لا تطبقوا أفكاركم ومخزوناتكم الثقافية على ما عندنا في التاريخ الإسلامي من مصادره النقية الصافية.

الشبهة الرابعة: شبهة حول طبيعة العلاقة بين الخلفاء وبين باقي المسلمين:

صورت لنا دائرة المعارف الإسلامية أن الخليفة كان ينتظر من رعاياه أن يؤدوا له آيات التبجيل والاحترام التي كانوا يؤدونها لصاحب الرسالة المحمدية(١).

ونرد على ذلك بما يلي:

إن جيل الصحابة ﷺ كانوا مع شدتهم على الكفار إلا أنه كان يسود بينهم الود والرحمة، هذا ما صرح به ربنا في كتابه حينما وصف هذا الجيل العظيم الذي ينتمي إليه الخلفاء الأربعة ﷺ فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾(٢).

قال الطبري: (محمد رسول الله وأتباعه من الصحابة الذين هم على دينه أشداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم قليلة بهم رحمته، ومع ذلك هم رحماء بينهم رقيقة قلوبهم بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم، وقال قتادة: ألقى في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض)(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾(٤) قال ابن كثير

---

(١) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية جـ١٥ ص٤٧٢١ – مادة: خليفة.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٣) الإمام الطبري: جامع البيان جـ٢٢ ص٢٦١.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٤.

في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه)(١).

فلا يكون المؤمن كامل الإيمان تام الإسلام إلا إذا كان متواضعا لإخوانه سهلاً لينًا هينًا معهم، وقد كان الصحابة والخلفاء منهم أتم المؤمنين في هذا المعنى، فهذا هو عمر ﷺ تراجعه امرأة في أمر الصداق، فيرجع عن رأيه ويقر بصحة قول المرأة على الملأ.

روى ابن كثير عن الشعبي عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله، ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صُدُق النساء، وقد كان رسول الله ﷺ، وأصحابه وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار تقوى عند الله وكرامة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق إمرأة على أربعمائة درهم، ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا الناس صداقهم على أربعمائة درهم، قال نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ قالت أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾(٢)، فقال اللهم غَفْرًا: كل الناس أفقه من عمر(٣).

وروى الإمام أحمد أن عمر سمع رجلا يقول: اللهم اجعلني من الأَقَلِّين، فقال يا عبد الله وما الأقلون؟ قال سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٤)، ويقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٥)، وذكر آيات أخرى فقال

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص١٣٦.

(٢) سورة النساء الآية: ٢٠.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٢٤٤.

(٤) سورة هود الآية: ٤٠.

(٥) سورة سبأ الآية: ١٣.

عمر: كل أحد أفقه منك يا عمر(١).

وقد مر بنا منذ قليل صور من تواضع ذي النورين الذي كان ينام في المسجد، ويؤثر الحصا في جنبه، وكذلك على الذي كان يحمل متاعه بنفسه تواضعا وإشفاقا على الخلق.

وهنا نتساءل أين هي آيات التبجيل التي كان ينتظرها هؤلاء الخلفاء من رعاياهم؟

كيف نعتقد بعدما أوردناه من آثار صحيحة أن هؤلاء الخلفاء العظماء في الخُلق والتواضع كان يجيش بنفوسهم، أو يدور في قلوبهم أن يعظمهم الناس، أو أن يتقدموا لهم بآيات التبجيل والاحترام على حد زعم المستشرق أرنولد الذي ذكر ذلك في دائرة المعارف الإسلامية.

(١) الإمام أحمد بن حنبل: كتاب الزهد ص٩٤، وفي المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي جـ٢ ص٣٣٤، ٧٥٧.

قال إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ) في كشف الخفاء كشف الخفاء ومزيل الإلباس،الناشر: المكتبة العصرية،تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م جـ١ ص٣٠٧: وسنده قوي. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة المحقق: محمد عثمان الخشت،الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م جـ١ ص٥١٢: وسنده جيد قوي.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من بيعة عثمان بن عفان ﷺ

أثار المستشرقون شبهات حول بيعة عثمان بن عفان ﷺ تدور معظمها في أنه قد تولى هذا المنصب، وهو - من وجهة نظرهم - لم يكن أهلا له بل لمجرد عرقه الأموي، ولمصاهرته للنبي - ﷺ -، وقبل أن نعرض لشبههم ونرد عليها نقدم أولا بتعريف البيعة في المصادر الإسلامية.

تعريف البيعة: يقول صاحب تهذيب اللغة: (البيعة: الصفقة لإيجاب البيع على المتابعة والطاعة)[1].

وقال ابن منظور: (بايعه عليه مبايعةً: عاهده، وبايعته من البيع والبيعة جميعاً، والتبايع مثله، وهو عبارة عن المعاهدة والمعاقدة كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[2].

البيعة فى الاصطلاح: من أفضل التعريفات المعبرة عن حقيقة البيعة، وطبيعتها فى النظام الإسلامى ما ذكره ابن خلدون بقوله:

(اعلم أن البيعة هى العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره أن يسلم له النظر فى أمر نفسه، وأمور المسلمين لا ينازعه فيه شيء من ذلك، بطبيعة فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم فى يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشترى فسمي

(١) الأزهرى: تهذيب اللغة - تحقيق محمد عوض - الطبقة الأولى ٢٠٠١م - دار إحياء التراث العربى: بيروت جـ٣ ص١٥٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب - الطبعة الأولى بدون تاريخ - دار صادر بيروت جـ٨ ص٢٣.

بيعة)[1].

وعرفت البيعة في كتب السياسة بأنها: (عبارة عن المعاقدة والمعاهدة والتولية وعقدها)[2].

والبيعة هى إحدى الطرق التى تنعقد بها الخلافة أو الإمامة أو الإمارة وكيفيتها (أن يجتمع أهل الحل والعقد، ويعقدون الإمامة لمن يستجمع شرائطها، ويكون ذلك فى موضعين:

أحدهما: أن يموت الخليفة الذى كان منتصباً عن غير عهد إلى أحد بعده.

والثاني: أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة، أو يخلعه أهل الحل والعقد لموجب اقتضى خلعه)[3].

وقد دل الكتاب والسنة على مشروعية البيعة.

فمن الكتاب: - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[4].

- وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[5].

- ومن المعلوم أن البيعة ليست خاصة بالرجال بل هى للنساء أيضاً كما

---

(١) ابن خلدون: المقدمة: - الطبقة الأولى سنة ١٩٨٤ - دار القلم - بيروت ص٢٠٩.

(٢) ينظر: الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية - المحقق: عبد الله الخالدي – دار الأرقم الطبعة الثانية ١ ص٢٢٢؛ والبركتي: قواعد الفقه - الناشر: الصدف ببلشرز - كراتشي الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ص٢١٦.

(٣) القلقشندى: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ص٤٢

(٤) سورة الفتح الآية ١٠.

(٥) سورة الفتح الآية ١٨.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[1].

ومن السنة: - ثبت من سيرته وسنته ﷺ أنه قد طلب البيعة من أصحابه أكثر من مرة، وأنه أخذها منهم، وكذلك أخذ النبي ﷺ البيعة فى العقبة مرتين[2] قبل الهجرة إلى المدينة، وسميت بالعدد، فالأولى سميت بيعة العقبة الأولى، والثانية سميت بيعة العقبة الثانية.

- وقد ورد فى صحيح البخارى عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرةٌ علينا، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[3].

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١٢.

(٢) بيعة العقبة الأولى:

عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قال: وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ. رواه مسلم في صحيحه جـ٤ ص٢١٢١، رقم: ٢٧٦٩.

بيعة العقبة الثانية:

عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهَّ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهَّ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُّ فَهُوَ إِلَى اللهَّ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ. رواه البخاري في صحيحه بَابٌ: عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَار جـ١ ص١٢ – ١٨، صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٧٠، برقم: ١٧٠٩.

(٣) رواه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الفتن باب قول النبي: سترون بعدى أموراً تنكرونها ⇐ =

وبناء على هذه الأدلة الشرعية انعقد إجماع العلماء على أن السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين فيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد فى معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم(١).

البيعة عند المستشرقين: يعرف المستشرقون البيعة عموماً بأنها: (مصطلح عربى يدل بمعنى واسع جداً على الفعل الذى بمقتضاه يعترف عدد من الأشخاص بسلطان شخص أخر، ومن ثم أصبحت البيعة للخليفة هى الإجراء الذي بمقتضاه ينادَى شخص، ويُعترف به رئيساً لدولة إسلامية، وكلمة مبايعة تعبير مرادف لها)(٢).

وجاء من موضع آخر من نفس المادة: «البيعة» أنها: (اختيار شخص لمنصب القيادة، وبخاصة اختيار خليفة عندما يقتضي الأمر وعداً بالطاعة، وهكذا ولي الخليفة أبو بكر [ﷺ] أول الخلفاء الراشدين بمقتضى البيعة التى تمت على يد جماعة السقيفة فى ١٣ ربيع الأول عام ١١هـ-٨ يونيه عام ٦٦٢م، وطبق الإجراء نفسه بلا خلاف فى جميع المناسبات التالية التى خلا فيها منصب الخلافة، ولم يولّ خليفة بوسائل أخرى)(٣).

فالمستشرق ليفى دى لا فيدا هنا محقٌّ فى ذكر تعريف البيعة بنفس المعنى الموجود فى المصادر الإسلامية، والذى ذكرته منذ قليل بأن البيعة تقتضى الاعتراف من عدة أشخاص - أهل الحل والعقد -، ثم باقى المسلمين بتولى شخص آخر عليهم، وهذه البيعة تستلزم الطاعة، وهذا ما حدث مع أبي بكر،

= جـ٦ ص٥٨٨، ومسلم جـ٣ ص١٤٦٥، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية جـ٣ ص١٤٧٠، برقم: ١٧٠٩.

(١) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-دار المعرفة بيروت ص٢٦٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٧ ص٢٠٦٠ - مادة: البيعة.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٧ ص٢٠٦١ - مادة: البيعة.

ثم من جاء بعده.

موقف المستشرقين من بيعة عثمان رضي الله عنه: تناول المستشرقون فى دائرة المعارف الإسلامية وفى غيرها مسألة بيعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة، وقد جاءت عباراتهم فى دائرة المعارف الإسلامية مختصرة، لكنها - مع اختصارها - قد أبانت عما يكنه المستشرقون من فكرة مغلوطة عن هذا الخليفة الراشد، وعن قضية مبايعته بالخلافة.

وترك المستشرقون الحقيقة الواردة فى عموم المصادر الإسلامية الموثوقة، وراحوا يختلقون بعض الأسباب الواهية التى يعتمدون عليها لتفسير اختيار هذا الصحابي الجليل خليفة للمسلمين بعد الفاروق رضي الله عنه.

يقول المستشرق ليفي دى لا فيدا عن اختيار عثمان رضي الله عنه للخلافة: (اختاره مجلس الشورى الذى أمر به عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] ليكون أحد المرشحين للخلافة، وربما كان ذلك لعرقه الأموي، ولصلته القوية بمحمد [ﷺ]، وكان بنو أمية قد استطاعوا حتى فى حياة النبي [ﷺ] أن يستردوا بعضاً مما كان لهم من نفوذ فى الجاهلية)[1].

هذا هو النص الوارد فى دائرة المعارف الإسلامية عن بيعة عثمان رضي الله عنه، والملاحظ على هذا النص أن كاتبه، وهو المستشرق ليفي دي لافيدا يرجع سبب اختيار عثمان خليفة للمسلمين إلى أمرين: الأول: عرقه الأموي. والثانى: صلته القوية بمحمد.

الشبهة الأولى: شبهة بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه للخلافة بسبب عرقه الأموي:

يقول المستشرق ليفي دى لا فيدا عن اختيار عثمان رضي الله عنه للخلافة: (اختاره مجلس الشورى الذى أمر به عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] ليكون أحد المرشحين للخلافة، وربما كان ذلك لعرقه الأموي...، وكان بنو أمية قد استطاعوا حتى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ - مادة: عثمان بن عفان.

فى حياة النبي [ﷺ] أن يستردوا بعضاً مما كان لهم من نفوذ فى الجاهلية)[١].

ويرى الباحث أنه ليس هناك أى علاقة بين العرق، أو النسب الأموي الذى ينتمي إليه عثمان ﷺ، وبين اختياره للخلافة.

فعلى الرغم من أن بني أمية - أسرة عثمان - تعتبر من أعظم بطون قريش، وأسرها القوية فى الجاهلية والإسلام كما يقول زين الدين الهمداني: عن بني أمية (إنهم جمع غفير من الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء والشعراء)[٢].

أقول: على الرغم من تلك المكانة إلا أنه لم يكن هذا هو مناط التفضيل، ولا سبب الاختيار عند الصحابة، ولو كان العرق أو النسب هو سبب الاختيار، ومناط التفضيل لكان فى الستة الذين نص عليهم عمر بن الخطاب ﷺ من هو أفضل من عثمان فى هذا الباب، وأقصد به علياً بن أبي طالب ﷺ فهو من بني هاشم الذين هم أفضل من بني أمية؛ لأنهم عرق النبي ﷺ ونسبه، وإليهم ينتمي علي ﷺ.

وقد ورد فى تفضيل بني هاشم على غيرهم أحاديث كثيرة يقول عنها مرعى الحنبلي: (واعلم أن الأحاديث الواردة فى فضل قريش، ثم فى فضل بني هاشم كثيرة جداً)[٣].

ومن هذه الأحاديث:

أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) زين الدين الهمدانى: عجالة المبتدي وفضالة المنتهى فى النسب - تحقيق عبد الله كنون - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م - الهيئة العامة للمطابع الأميرية - القاهرة ص١٨.

(٣) مرعى الحنبلى: مسبوك الذهب فى فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب - تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف - الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠هـ-مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض ص٤٠.

قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[1].

فلو كان مجرد العرق والنسب هو سبب التفضيل لاختار الصحابة من هو أقوى وأعرق فى هذا السبب، وهو علي ﷺ، لكن ذلك لم يحدث، فدل على أن هذا السبب الذى ذكره المستشرق هنا ليس صحيحاً. وليس صحيحاً أيضاً ما ذكره هذا المستشرق من أن بني أمية قد سيطروا على مقاليد الأمور فى الدولة الإسلامية حتى فى أيام النبي ﷺ، وهم الذين يتحكمون فى تعيين الخليفة ذاته، وإذا كانت لهم هذه السطوة – التى يراها المستشرق، فلماذا لم يعينوا عثمان بعد النبي ﷺ أو بعد أبي بكر ﷺ؟

إن المستشرقين يحاولون أن ينزعوا عن المسألة ثوبها الشرعي، ويلبسوها ثوباً سياسياً بحتاً تتحكم فيه النزاعات الحزبية كما هو حادث فى العالم المعاصر، فالحزب الأقوى هو الذى يحكم، ويكون منه رئيس الدولة، وهذا إسقاط للأحداث الحالية على التاريخ الإسلامي، وهو أمر يخرج بالأمور عن نصابها وحقيقتها، وهذا ما يريده هذا المستشرق وغيره.

الشبهة الثانية: شبهة بيعة عثمان بن عفان ﷺ للخلافة بسبب مصاهرته للنبي ﷺ:

يقول المستشرق ليفي دى لا فيدا عن اختيار عثمان ﷺ للخلافة: (اختاره مجلس الشورى.... لصلته القوية بمحمد [ﷺ]...).

وأما السبب الثانى الذى اعتقده دي لافيدا، وهو قرابة عثمان من النبي ﷺ، فإن هذا لا يصلح سبباً للاختيار؛ لأن علياً ﷺ كان أكثر قرابة للرسول ﷺ، فإذا كان عثمان ﷺ له فضيلة مصاهرة النبي وزواجه من ابنتيه رضي الله عنهما، فإن علياً قد اجتمع له فضيلتان هما: مصاهرة النبي ﷺ، وكذلك قرابته الوثيقة من النبي ﷺ فهو ابن عمه أبي طالب.

---

(١) أخرجه: مسلم جـ٤ ص١٧٨٢، برقم: ٢٢٧٦.

أضف إلى ذلك أنه قد وردت أحاديث تثبت فضيلة ثالثة لعلي ﷺ، وهى مؤاخاة النبي لعلي، والأحاديث فى هذا كثيرة:-

فعن سعيد المسيب ﷺ {أن رسول الله ﷺآخى بين أصحابه، فتبقى رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر وعلي فآخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك}(1).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه، فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وآخى بين عثمان بن عفان وعبد الرحمن عوف، فقال علي: يا رسول الله: آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال رسول الله ﷺ أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر: وكان علي ﷺ جلداً شجاعاً، فقال: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أنت أخي فى الدنيا والآخرة}(2).

إذن: لو كان سبب التفضيل هو مجرد قرابة النبي ﷺ كما يزعم المستشرقون لكان علي أولى بها من عثمان، لكن الحقيقة أن مجرد العرق والنسب، أو القرابة من النبي ﷺ لم يكن لها أي تأثير فى اختيار الخليفة الثالث ﷺ.

الشبهة الثالثة: شبهة أن عثمان بن عفان ﷺ ليس أهلا للخلافة:

---

(1) أخرجه: الإمام أحمد فى فضائل الصحابة جـ1 ص14 رقم: 1019، والدارقطني في العلل جـ9 ص205، وأبو يعلى: مسند أبي يعلى- تحقيق: حسين سليم أسد - الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة الأولى 1404هـ-1984م، جـ3 ص19. ورجح الدارقطني في العلل جـ9 ص205: إرساله عن سعيد بن المسيب.

(2) أخرجه: الترمذي في الجامع الصحيح كِتَاب الدَّعَوَاتِ، أبوابُ الْمَنَاقِبِ، بَاب مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ جـ5 ص636، رقم: 3720، وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن أبي شيبة فى مصنفه جـ7 ص246 رقم: 507 وابن الأعرابي في المعجم جـ2 ص681، والطبرانى فى المعجم الكبير جـ11 ص319 رقم: 321، والحاكم فى المستدرك على الصحيحين: كتاب الهجرة جـ4 ص65 رقم: 4289.

وقد تأثر المستشرقون الذين تناولوا سيرة عثمان ﷺ، وأحداث عصره بآراء كتاب دائرة المعارف الإسلامية، فساروا على دربهم في التقليل من شأن عثمان ﷺ، وأنه ليس أهلا للخلافة، وذلك أمثال المستشرقين دوزي وسيديو، وذلك يظهر مدى خطورة ما تمثله دائرة المعارف الإسلامية في تشكيل عقلية وتكوين وجهة نظر المستشرقين خصوصًا، بل والغربيين على وجه العموم.

ومما سبق يذكر الباحث بعضاً من أقوالهم لبيان كيف تناول بعض المستشرقين التاريخ الإسلامى بدون تفكير ولا وعى للحقيقة، ويقتنع أحدهم بفكرة، ثم يتابعه عليها من بعده بدون إحالة نظر ولا إعمال فكر، ولا حتى الرجوع إلى المصادر الإسلامية ليستقوا منها الحقيقة.

ومن النماذج على ذلك ما يلى:

يقول المستشرق دوزي[1] عن أحداث بيعة عثمان ﷺ: (بينما كان الخليفة عمر يعالج سكرات الموت إثر طعنه، سمَّى ستة من أقدم صحابة الرسول –

---

(١) رينهارت بيتر آن دوزي: (١٢٣٥ – ١٣٠٠هـ = ١٨٢٠ – ١٨٨٣م) Reinhart: pieter Anne, Dozy مستشرق هولندي، من أصل فرنسي بروتستانتي المذهب. مولده ووفاته في ليدن. درّس في جامعتها نحو ثلاثين عاما. أشهر آثاره: (معجم دوزي) في مجلدين كبيرين بالعربية والفرنسية، ملحق بالمعاجم العربية) ذكر فيه ما لم يجد له ذكرا فيها. وله (كلام كتّاب العرب في دولة العبّاديين) ثلاثة أجزاء، بالألمانية (تاريخ المسلمين في أسبانيا) ترجم كامل الكيلاني فصولا منه إلى العربية في كتاب: (ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام)، و (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذاري، و (شرح قصيدة ابن عبدون) لابن بدرون. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٣ ص٣٨ – ٣٩، مجلة مجمع اللغة بدمشق العدد: ٤٩ ص٤٦٨، ونجيب العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٥٨ – ٦٦٠، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٢٥٩ – ٢٦٣، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص٥١٩ – ٥٢١، ويوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات – طبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ–١٩٢٨م – جـ٢ ص٨٩٣، وتاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا ص٤٣، وجورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية – طبعة دار الهلال – القاهرة بدون تاريخ – جـ٤ ص١٥٥.

فيهم علي وعثمان والزبير وطلحة - ليكون أحدهم رئيساً للدولة من بعده، فلما أسلم عمر أنفاسه اجتمع هؤلاء الشيوخ مدة يومين دون أن ينتهوا إلى قرار ما لانصراف كل واحد منهم إلى التضخيم من خطر مواهبه وتصغير شأن منافسيه، فلما كان اليوم الثالث استقر الرأى على وجوب استخلاف من تكلم عن مزاياه فقط، وما كان أشد حسرة علي والزبير وطلحة حين استخلف القوم عثمان الأموي)[1]، فالمستشرق دوزي فى النص السابق ذكر أن الخليفة الثانى ﷺ قد سمى ستة من الصحابة ليكون من بينهم من يتولى خلافة المسلمين.

كما ذكر كثيراً من الأخطاء في النص السابق منها:

- قوله: ليكون أحدهم رئيساً للدولة، وهذان اللفظان - رئيس - ودولة -، وإن كانا ينطبقان على أيامنا المعاصرة إلا أنهما لا يطلقان أبداً على أيام الخلافة الراشدة، فلم يكن هناك رئيس، بل كان هناك خليفة أو إمام أو أمير للمؤمنين هذه هى ألقاب تلك المرحلة الزمنية المباركة، كذلك لفظ دولة، فإنه يطلق على دولة مخصوصة فى أيامنا الحالية، أما فى تلك المرحلة فقد وصل الإسلام إلى أرجاء كثيرة من مختلف أنحاء المعمورة مما يجعل لفظ دولة غير صحيح الإطلاق على تلك المرحلة، لكن المستشرق هنا يستخدم ألفاظه المعبرة عن مخزونه الثقافى الغربى الذى لا يعرف إلا تلك الألفاظ.

- ومن الأخطاء فى النص السابق أنه يحاول أن يصور المسألة بصورة سياسية، تتضمن نوعاً من المنافسة المحمومة، والسباق المسعور على ذلك المنصب.

- ومن الأخطاء أيضاً أنه يحاول أن يصور العلاقة بين الصحابة ﷺ على أنها مبنية على التباغض والتحاسد، والتنافس الدنيوى المذموم لدرجة أن يسعى بعضهم فى تنقيص إخوانه والقدح فيهم، وإظهار ميزات نفسه وتضخيمها.

---

(١) المستشرق دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا - ترجمة حسن حبشى - المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر بدون تاريخ جـ١ ص٣٨.

وقد لاحظ بعض الباحثين تلك الملاحظة فقال: (إن المستشرق نزع إلى إسقاط ما هم عليه فى دول الغرب وحكوماته فى انتخاباتهم، حيث يسعى الناخب إلى العمل على إشهار وإظهار مواهبه وقدراته ومكتسباته، وما يعد به جمهور الناخبين من العمل على إنجاح إنجازات طموحة، وكل ذلك حبر على ورق، أو صيحات وخطب رنانة بعيدة عن الحقيقة، وهذا تبعاً للمنهج الذى اعتمده فى الكتابة عن الصحابة ﷺ من إسقاط ما عليه المجتمع الغربى فى حكوماته وانتخاباته، إضافة إلى منهج فى التزوير والتلفيق بين الأحداث حتى يتمكن من القدح فى الصحابة ﷺ)(١).

ويواصل المستشرق دوزي قدحه فى بيعة عثمان ﷺ، وأنه كان غير أهل لها؛ لأنه كان صاحب عبادة وخلق، ولم يكن صاحب ذكاء وسياسية فيقول:

(لم يكن فى شخصية عثمان ما يبرر اختياره، ولا جدال فى أنه كان غنياً سمحاً قد بسط كفه بالمال غير مقصر فى مساعدة محمد وجماعته، ونكاد نكون قد أحصينا جل فضائله إذا أضفنا إلى هذا عكوفه على الصلاة والصوم، وأنه كان مثالاً للطيبة والوداعة، أما ذكاؤه الذى لم يكن قط قوياً، فقد أوهنته الشيخوخة، إذا كان أشرف على السبعين)(٢).

فالمستشرق هنا قد أبدى رأيه فى اختيار عثمان ﷺ ليكون خليفة للمسلمين بأنه لم يكن فيه ما يبرره.

وهذا تدخل سافر وتخطئة لكل من اختاره للخلافة بدءً من عمر ﷺ إلى آخر من بايعه من المسلمين بالخلافة، إضافة إلى أن علي ﷺ هو أحد من رضيه اختاره للخلافة، وبايعه رغم أنوف الرافضة، وأعداء الإسلام من المنافقين

(١) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ – الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ–٢٠١٠م – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – الرياض ص٣٨٣.

(٢) المستشرق دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا جـ١ ص٣٨.

والمستشرقين وغيرهم:

وفضائل عثمان ﷺ لم تُرضِ هذا المستشرق، ولا غيره من خصوم عثمان ﷺ بل وخصوم الإسلام والمسلمين، ففضائل عثمان ﷺ وأياديه فى الفضل والإحسان ونصرة الإسلام والمسلمين معروفة ومشتهرة لا ينكرها إلا مغموس فى العداوة والبغضاء(١).

ومن المستشرقين الذين تناولوا قضية بيعة عثمان ﷺ المستشرق سيديو(٢) الذى أخطأ وبالغ وغالى فى تناول هذه القضية، ويتبين هذا من خلال نصه الذى يقول فيه: (ولم يسر عمر على طريقة أبي بكر، فعهد إلى خمسة من سراة الإسلام فى انتخاب من يخلفه، فأُقصي علي من الخلافة بخدعه، فلم يختر الأجدر لها فى سنة ٦٤٤م، فما كان من عثمان بن عفان ﷺ، وهو الشريف الصالح قواماً بها لما لم يكن عنده من الحزم وقوة المبادرة ما يستطيع به أن يدير شئون دولة زادتها الفتوح أهمية، وكان اختيار عثمان من عمل بني أمية الذين كانوا سادة

(١) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ ص٣٨٨.

(٢) لوي (لويس) بيير أوجين أميلى سيديو: (١٢٢٣ - ١٢٩٢هـ = ١٨٠٨ - ١٨٧٥م) Louis Pierre, Eugene, Amelie Sedillot مستشرق فرنسي. مولده ووفاته بباريس. كان أبوه: جان جاك إمانويل من المستشرقين أيضا. أخذ عنه صاحب الترجمة بعض اللغات الشرقية. وتخرّج بكلية هنري الرابع، وعين مدرسا للتاريخ في كلية "بوربون" سنة ١٨٢٣م، واشتغل بعلم الفلك، وعلت شهرته. وهو صاحب كتاب: "تاريخ العرب" ألفه بالفرنسية، وأشرف علي مبارك باشا على ترجمته إلى العربية مهذبا، وسماه " خلاصة تاريخ العرب - ط " ثم ترجمه عادل زعيتر، كاملا، وسماه: "تاريخ العرب العام - ط " ومن آثار سيديو العربية: نشره كتاب "جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية" لأبي الحسن علي المراكشي، مع ترجمة فرنسية. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٥ ص٢٤٦، ومجلة المجمع العلمي العدد: ٧ ص٤٤٣، والعقيقي: المستشرقون جـ١ ص٢٢٣ - ٢٢٥، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٣٤٥ - ٣٤٧.

قريش)[١].

فأول ما نلاحظه فى هذا النص هذا الخطأ الفادح الذى لا ندري كيف وقع فيه هذا المستشرق، وهو زعمه أن عمر ﷺ عهد إلى خمسة من الصحابة، والصحيح أن العدد الذى عهد إليه عمر هو ستة بالإضافة إلى ابنه عبد الله بن عمر كشاهد على البيعة.

وثانى ما نلاحظه على هذا النص أنه يصور الصحابة على أنهم مجموعة من المخادعين غير الأمناء حيث عملوا على إقصاء علي، وتعيين عثمان الذى لم يكن أهلاً لهذا المنصب الرفيع – كما يزعمون – إلا أن أسرة عثمان – بني أمية – هم الذين لعبوا الدور فى هذه الخدعة حتى تم اختيار واحد منهم وهو عثمان.

هل يليق أن نصف أصحاب رسول الله ﷺ بهذه الأوصاف؟! أم هل يليق أن نجعل من خير قرون هذه الأمة صورة مشوهة بهذه الطريقة التى لا تنطبق إلا على شرذمة من الانتهازيين الذين لا يرعون شريعة ولا دين؟! حيث يخدعون من هو أولى بالخلافة – علي من نظرهم – ويقصونه، ويعملون على تعيين من ليس لها بأهل – عثمان من نظرهم – لمجرد أنه من سادة قريش، وقد سبق منذ قليل أن تحدثنا عن مكانة علي فى السيادة والشرف والنسب ليكون هذا الكلام السابق غير صحيح.

ويعلق الدكتور الماجد على الكلام السابق للمستشرق سديو فيقول: (وقوله هذا من أبطل البطلان، قاده إليه عدم التجرد والأمانة العلمية فى دراسة الروايات التاريخية، إضافة إلى منهجه من الكتابة عن هذه القضية، وإلا فعلي ﷺ لم يُعمل على إقصائه من الخلافة، ولم يخدع، وقد وقع الاختيار على عثمان ﷺ من الصحابة، ومن الستة أهل الشورى، وكان من بينهم علي الذى اختار عثمان

(١) المستشرق سيديو: تاريخ العرب العام – ترجمة: عادل زعيتر – الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ–دار إحياء الكتب العربية ص١٢٦.

للخلافة، فهل خدع فى اختياره؟)[1].

وتشير الدائرة إلى دور عبدالرحمن بن عوف: (لما مات عمر بن الخطاب [ﷺ] كان عبدالرحمن بن عوف [ﷺ] واحدًا من رجال الشورى الستة الذين عهد اليهم باختيار الخليفة الجديد فلعب دورًا قياديا في تعيين عثمان بن عفان [ﷺ])[2].

ويحق للباحث هنا أن يتساءل: من أين جاء المستشرقون بهذه الفكرة أعني الفكرة القائلة بأن علياً ﷺ قد تعرض لعملية خداع أدت إلى عدم مبايعته بالخلافة ومبايعة عثمان؟

الواقع أننى قد وجدت فى بعض كتب التاريخ الإسلامى ما يفيد ذلك، وربما تكون هذه الراوية هى التى تلقفها المستشرق سيديو لينسج عليها أوهامه التى عبر عنها فى النص السابق، وهذه الرواية وجدتها عند الطبري فى تاريخه، وهى رواية طويلة جداً جاء فيها:

(إن عبد الرحمن بن عوف صعد المنبر، فوقف وقوفاً طويلاً، ثم دعا بما لم يسمعه الناس، ثم تكلم، فقال: أيها الناس إنى قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين، إما علي وإما عثمان، فقم إليّ يا علي، فقام إليه علي تحت المنبر، فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله، وفعل أبي بكر وعمر، قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فأرسل عبد الرحمن يده، ثم نادى: قم إليّ يا عثمان، فأخذ بيده، وهو فى موقف علي الذي كان فيه فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده فى يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إنى قد

(١) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة ص٣٨٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٣٥ - مادة: عبدالرحمن بن عوف.

جعلت ما فى رقبتي من ذاك فى رقبة عثمان، قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكأ علي، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾[1]، فرجع علي يشق الناس حتى بايع، وهو يقول: خدعة وأي خدعة، وإنما قال علي خدعة؛ لأن عمرو بن العاص كان قد لقي علياً فى أيام الشورى فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك، ولكن الجهد والطاقة، فإنه أرغب له فيك، قال ثم لقى عثمان، فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة فأقبل، فلذلك قال علي خدعة...)[2].

هذه هى الرواية التى رواها ابن جرير الطبرى فى تاريخه، ويبدو أن المستشرقين قد اعتمدوا على هذه الرواية فقط فى فهم بيعة عثمان ﷺ؛ لأننا لاحظنا فيها أنها نفس كلام المستشرقين – خاصة المستشرق سيديو – الذى قال إن علياً خدع، وأن اختيار عثمان كان بواسطة بني أمية – حين قال لعلى: إنك إن قبلت ووافقت على عرض عبد الرحمن بالخلافة، وبأنك لا بد أن تعمل بسيرة الخليفتين من قبلك، فسيزهد فيك عبد الرحمن، ويذهب بها لعثمان، ولكن قل: الجهد والطاقة حتى يرغب فيك عبد الرحمن، فلما عرضها عبد الرحمن عليّ بشرط أن يعمل علي بعمل أبي بكر وعمر قال علي: بل بالجهد والطاقة أي نفذ كلام عمرو بن العاص، فكانت تلك هى الخدعة التى من خلالها ضاع حق على فى الخلافة، وذهبت إلى عثمان الأموي – الذى لم يكن أحق بها!

أي تنقيص للصحابة؟ وأي طعن فيهم؟ وأي صورة مشوهة تلك التى

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠.

(٢) ابن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ–دار التراث: بيروت جـ٤ ص٢٣٩.

تحويها تلك الرواية؟

والواقع أن هذه الرواية ليست صحيحة بل هى من نوع القصص الدخيلة[1] التى لا أصل لها ولا سند، بل هى تخالف الروايات الصحيحة الواردة فى هذا الأمر، ويعلق الحافظ ابن كثير على الرواية السابقة فيقول: (وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك، وليشاورك كل يوم فى شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[2] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت فى الصحاح، فهى مردودة على قائليها وناقليها، والله أعلم، والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة، وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعفيها، ومستقيمها

(١) من المعروف أن هناك علماً قائماً بذاته من علوم القرآن يعنى بدراسة القصص والأقاويل الدخيلة على التفسير وهو علم: الدخيل فى التفسير، والدخيل فى اللغة هو الوافد الذى تسلل من الخارج، وليس له أصل فى المحيط الذى تسلل إليه، وفى الاصطلاح هو الذى ليس له أصل صحيح فى الدين تسلل إلى رحاب التفسير على حين غرة وعلى حين غفلة من الزمن بفعل مؤثرات مختلفة بعد وفاة الرسول ﷺ وقد ظهر الدخيل فى تراثنا الإسلامى بفعل مؤثرات كثيرة أهمها اثنان هما:

مؤثر خارجى: ويتمثل فى أعداء الإسلام الحاقدين من اليهود والنصارى والشيوعيين، وسائر الكافرين الذين كانوا حريصين على اللغو فى القرآن والتشكيك فيه.

ومؤثر داخلى: وهو يتمثل فى طوائف مختلفة انتسبت إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، ولكنها فى الحقيقة وثيقة الصلة بأعداء الإسلام يريدون أن يشوشوه بالخرافات والتحريفات عبر مخططات وضعها لهم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس. راجع: عبد القادر محمد الحسين: تمييز الدخيل فى تفسير القرآن الكريم - مجلة جامعة دمشق للعلوم - المجلد ٢٩ - العدد الثالث سنة ٢٠٠٣م ص١٨. وانظر: حسين الذهبى التفسير والمفسرون -مكتبة وهبة - القاهرة بدون تاريخ جـ١ ص٤٦.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٠.

وسقيمها، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب)[١].

ويتحدث السيوطى عن مثل هذه الروايات التى لا سند لها ولا أصل فيقول: (ثم ألف قوم فأختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراً، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من ينسخ له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح)[٢].

ومن العجيب هنا أن يعتمد المستشرقون على مثل هذه الروايات الدخيلة، ويبنوا عليها أفكارهم وآراءهم غير ملتفتين إلى الروايات الصحيحة الكثيرة، والتى سأذكرها فى النقطة التالية:

الروايات الصحيحة فى بيعة عثمان ﷺ:

١- روى الإمام مسلم فى صحيحه: (أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبى الله ﷺ، وذكر أبا بكر، قال: إني رأيت كأن ديكاً نقرنى ثلاث نقرات، وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن أقواماً يأمروننى أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه، ولا خلافته ولا الذى بعث به نبيه ﷺ، فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو راضٍ عنهم، وإني قد علمت أن أقواماً يطعنون فى هذا الأمر، أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال... الحديث)[٣].

٢- وروى البخارى فى حديث طويل فى قصة البيعة (أن الصحابة قالوا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص٤٢٨.

(٢) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن - تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٩م - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة جـ٤ ص٢٤٢.

(٣) أخرجه: مسلم فى صحيحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو نحوها جـ١ ص٣٩٦ رقم: ٧٨.

لعمر ﷺ: أوص يا أمير المؤمنين: استخلف، قال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر والرهط الذين توفى رسول الله ﷺ، وهو عنه راضٍ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك،وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإنى لن أعزله عن عجز ولا خيانة،.... إلى أن قال: فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه وكذا الإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي، والله عليّ أن لا آلوا عن أفضلكم، فقالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ، والقدم فى الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له: مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايع له عليٌّ، وولج أهل الدار فبايعوه)[(١)].

٣- وروى الإمام البخارى بسنده (أن المسورة بن مخرمة أخبره أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم، فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط، ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالى، حتى إذا كانت الليلة التى أصبحنا منها فبايعنا عثمان، قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ٥ ص١٥ رقم: ٣٧٠٠.

استيقظت، فقال: أراك نائماً، فو الله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما، ثم دعاني فقال: أدع لى علياً فدعوته فناجاه حتى أبهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا قد وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت فى أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد)[1].

تعقيب: من خلال ذكر هذه الروايات السابقة ظهر للباحث عدة ملاحظات تفيد فى الرد على المستشرقين فى هذه النقطة وهى:

١- وردت هذه الروايات السابقة فى أصح المصادر الإسلامية، بل فى أصح الكتب بعد كتاب الله، وأعنى صحيح البخارى وصحيح مسلم رحمهما الله، فلا ندرى كيف ترك المستشرقون هذه الروايات الصحيحة الكثيرة، واعتمدوا على رواية واهية لا يعرف رواتها كما أشار إلى ذلك ابن كثير آنفاً.

٢- جاء فى عناوين تلك الروايات أن هناك اتفاقاً على بيعة عثمان ﷺ كما فعل البخاري حين عنون للباب الذى جاءت فيه رواية البيعة قائلاً: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، معنى ذلك أن هناك اتفاقاً على مبايعة عثمان ﷺ، فلم تكن هناك خدعة تعرض لها على ﷺ كما زعم المستشرقون.

٣- لاحظنا فى هذه الروايات الصحيحة، أن عمر ﷺ لم يقصر فى الاختيار، ولم يجامل أحداً بدليل أنه استثنى من أهل الشورى سعيد بن زيد ﷺ

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأحكام - باب كيف يبايع الإمام الناس جـ٩ ص٧١ رقم: ٧٢٠٧.

مع أنه من الذين توفي النبي ﷺ، وهو راضٍ عنهم، وفى هذا يقول الحافظ ابن حجر:

(وأما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر، فلم يسمه عمر فيهم مبالغة فى التبري من الأمر، وقد عده عمر من الذين توفي النبي ﷺ، وهو عنهم راضٍ إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه، وقال عمر: لا أَرَبَ لي فى أمركم، فأرغب فيها لأحد من أهلي)[1].

وكذلك أخرج عمر ابنه عبد الله بن عمر من أهل الشورى إلا أنه جعله من أهل الشهادة على البيعة كما جاء فى رواية البخارى. ومعنى ذلك أن عمر اجتهد فى أن يجعل الخلافة فى أحق الناس بها، وهم هؤلاء الستة الذين نص عليهم، وهذا يفيد أنه إذا وقع الاختيار على أي منهم، فهو جدير بهذا الأمر، فلا يحتاج المسألة إلى خدعة، وتلاعب كما ظنه المستشرقون.

٤- اجتهد الصحابة واجتهد عبد الرحمن بن عوف في اختيار خليفة المسلمين، والذى يهمنا هنا أن أنه شاور المسلمين فى الأيام الثلاثة.

٥- صرح عبد الرحمن بن عوف لعلي بنتيجة مشاوراته، وهي أن الناس لا يعدلون بعثمان أحداً أي أنهم يفضلونه على غيره، معنى ذلك أن نتيجة التشاور فى الأيام الثلاثة كانت الاتفاق على بيعة عثمان، وأنه أحق بها من غيره؛ ومن الواضح هنا أن علياً لما علم بهذا لم يعترض، ولم ينكر بل سلم لهذا الاتفاق والإجماع على عثمان، وكان من أوائل من بايعوا عثمان ﷺ أجمعين.

٦- كان من تدبير الله ﷻ أن المسلمين من جميع الآفاق كانوا موجودين فى هذا الوقت كما تفيد رواية البخاري: أن أمراء الأجناد كانوا قد وافوا فى تلك

(١) الحافظ ابن حجر: فتح البارى في شرح صحيح البخارى - تحقيق محب الدين الخطيب - الطبقة الأولى سنة ١٣٧٩ - دار المعرفة بيروت جـ٧ ص٦٧.

الحجة مع عمر ﷺ[1].

ويذكر ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث (أن أمراء الأجناد كانوا قد وافوا تلك الحجة مع عمر أي: قدموا إلى مكة، فحجوا مع عمر، ورافقوه إلى المدينة، وهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص[2]، والمغيرة بن شعبة أمير الكوفة[3]، وأبو موسى الأشعري أمير البصرة[4]، وعمرو بن العاص أمير مصر)[5].

ثم يستدل ابن حجر بذلك أن هناك إجماعاً من الصحابة على اختيار عثمان ﷺ سواء من المقيمين فى المدينة، أو من الذين جاءوا للحج، ثم يرجعون إلى بلادهم حاملين هذا الإجماع يقول ابن حجر: (وسكوت من حضر من أهل الشورى والمهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد دليل على تصديقهم عبد الرحمن فيما قال وعلى الرضا بعثمان)[6].

أقوال العلماء فى الإجماع على بيعة عثمان: تبين لنا أن هناك إجماعاً من

---

(١) صحيح البخارى: باب كيف يبايع الأمام الناس، جـ١ ص٣٥٩٥، حديث رقم: ٧٢٠٧.

(٢) حِمْص بالكسرة ثم السكون والصاد مهملة بلد مشهور كبير قديم مسود وفي طريقه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبير وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن المكلف. معجم البلدان جـ٢ ص٣٠٢.

(٣) الكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء وسميت بالكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفاناً للرميلة المستديرة، وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها. معجم البلدان جـ٤ ص٤٩٠.

(٤) البصرة: هي الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب والبصرة بلد عظيمة بالعراق طولها أربع وسبعون درجة وعرضها أحدي وثلاثون درجة وهي في الأقليم الثالث. معجم البلدان جـ١ ص٤٣٠.

(٥) الحافظ ابن حجر: فتح البارى في شرح صحيح البخارى جـ١٣ ص١٩٧.

(٦) المرجع السابق جـ١٣ ص١٩٧.

الصحابة على بيعة عثمان رضي الله عنه، وقد تناقل هذا الإجماع العلماء جيلاً بعد جيل ومن ذلك:

- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال لي عمر: من ترى قومك يؤمرون بعدي، قال: قلت: قد نظر الناس إلى عثمان وشهروه لها(١).

- قال حارثة بن مضرب: حججت فى خلافة عمر، فلم أرهم يشُكُّون أن الخليفة بعده عثمان(٢).

- قال ابن حزم: (إن بيعة عثمان كانت بإجماع الأمة، وكانت بيعة أبي بكر بعهد من النبي صلى الله عليه وسلم، وبيعة عمر كانت بعهد من خليفة واجب الطاعة)(٣).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (عثمان لم يصر إماماً باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان من عفان، ولم يتخلف عن بيعته أحد. قال الإمام أحمد: ما كان فى القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم، فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً، وإلا فلو قدر أن عبدالرحمن بايعه،ولم يبايعه علي، ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً)(٤).

وفى النهاية أقول: إن الإجماع على بيعة عثمان قد طَبَقَ الآفاق دانيها وقاصيها بإجماع الصحابة بمن فيهم علي نفسه، وتناقل هذا الإجماع العلماء جيلاً بعد جيل بحيث أضحت حقيقة لا يُشَكُّ فيها إلا رافضى قلبه منكوس،

---

(١) ابن شبة: تاريخ المدينة - تحقيق فهيم محمد شلتوت - جدة ١٣٩٩هـ جـ٣ ص٩٣٢.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف - تحقيق سعيد اللحام - دار الفكر - بدون تاريخ جـ١٤ ص٥٨٨.

(٣) ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ٤ ص١٢٠.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية - تحقيق - محمد رشاد سالم - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جـ١ ص٥٣٣.

أو مستشرق عقله معكوس.

ومع وضوح تلك الحقيقة إلا أن المستشرقين فى دائرة المعارف الإسلامية وفى غيرها تركوها، وراحوا يتشبثون بأوهام صنعوها، ومن الرواية الباطلة تلقفوها لينسجوا عليها شبهة تطعن فى بيعة الخليفة الثالث رضي الله عنه، اعتمدوا على الشبه القليلة الواهية، وتركوا الصحيح الكثير المتواتر.

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ

تولى عثمان بن عفان ﷺ خلافة المسلمين مدة اثنتي عشرة سنة سار خلالها سيرة العدل، وإتباع خطى الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كافة المناحي، ورغم ذلك لم تسلم فترة خلافته ﷺ من أقلام المستشرقين المسمومة محاولين التشكيك في سيرة الرجل وطريقة قيادته للدولة الإسلامية، مرددين شبهات كثيرة، مثل: توليته ﷺ لأقاربه، وأن الموارد المالية في عهده ﷺ قد نقصت، وأنه أعطى أقاربه من بيت مال المسلمين، كما أنه ﷺ منح القطائع للكثيرين، وتفصيل هذه الشبه والرد عليها فيما يلي:

الشبهة الأولى: شبهة تولية عثمان ﷺ لأقربائه فى المناصب الكبرى:

عبَّر المستشرق ليفي دي لافيدا عن تلك الشبهة التي تبناها قبله خصوم عثمان ﷺ بقوله: (وقد ألصق خصوم عثمان بن عفان به تهمة إيثاره لأقربائه فى تولي المناصب الكبرى، فقد ولّى قريبه عبد الله بن عامر بن كريز، والوليد بن عقبة، وكان أخاً غير شقيق مكان أبي موسى الأشعرى على البصرة، كما ولى سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وعندما اضطر لعزل الوليد بن عقبة ولى مكانه أموياً آخر هو سعيد بن العاص الذى ينسب إليه القول المشهور: «سواد العراق بستان قريش» كما ولى مصر لعبد الله بن أبي السرح، وكان قد ارتد عن الاسلام زمن الرسول [ﷺ]، ولكنه رجع إلى حضن الإسلام بعد ذلك وحسن إسلامه، وعفا الرسول [ﷺ] عنه، وكان مستشار عثمان [ﷺ] هو مروان بن الحكم، وتنسب إليه الأخبار أنه كان ذا نشاط ضار بالنسبة لعثمان [ﷺ]، ورغم هذا فقد كان هدف عثمان [ﷺ] هو تأسيس حكومة مستقرة مترابطة، وكان يرى أن

تعيين القريبين منه يحد من محاولات الولاة الاستئثار بالأمور، وكان عمر [ﷺ] يعمل أيضا فى اتجاه السيطرة على الولاة، وعدم السماح لهم بالاستئثار بالأمور، وقد استطاع عمر [ﷺ] بالفعل تحقيق ذلك، وفرض سيطرته حتى على القادة والولاة الذين كانوا ينتمون إلى عشائر وقبائل أخرى، أما عثمان [ﷺ] فقد كان يظن أنه يستطيع تحقيق الغرض نفسه بتعيين أقاربه، فانقلب الوضع وأصبح الخليفة نفسه تحت سيطرة هؤلاء الأقارب)[١].

هذه واحدة من الشبه المشهورة التى حاول من خلالها هذا المستشرق وأضرابه من المستشرقين أن يطعنوا فى خلافة عثمان ﷺ متأثرين فيها برأي خصوم عثمان ﷺ والخارجين عليه.

وفحوى هذه الشبه – كما هو واضح – أن عثمان ولى أهل الثقة لا أهل الكفاءة فحابى أقرباءه، واختارهم لتولى الولايات المهمة والمناصب الكبرى، وكان عثمان يرى أن ذلك مفيد فى بسط سيطرته واستقرار حكمه كما فعل عمر ﷺ من قبله، لكن النتائج لم تكن طيبة حيث إن هؤلاء الأقارب الأمويين سيطروا على مقاليد الأمور، بل سيطروا على الخليفة ذاته.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال الأمور التالية:

أولا: منهج دي لافيدا فى عرض هذه الشبة: لاحظنا أن المستشرق دي لافيدا ينسب هذه الشبهة إلى من سماهم «خصوم عثمان» وذلك فى قوله: (وقد ألصق خصوم عثمان بن عفان [ﷺ] به تهمة إيثاره لأقربائه فى تولي المناصب الكبرى)[٢].

أي أن قائلي هذا الرأي هم خصوم عثمان، لكن المستشرق لم يبين لنا رأيه الخاص فى هذه المسألة، وهل يوافق على رأي هؤلاء الخصوم أم لا؟

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – ٧٢٢١ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٠ – مادة: عثمان بن عفان.

والحقيقة أن هذه طريقة من طرق المستشرقين فى تناول كافة الموضوعات الإسلامية، ومنها الموضوعات التاريخية.

فالمستشرق انتقى رأيا معينا - وهو رأى خصوم عثمان - علما بأن عثمان تابع سابقيه في تولية بني أمية الذين كانوا أكثر استعمالا في زمن النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

وقد كان من دواعى الموضوعية والنزاهة العملية والمنهجية أن يسوق هذا المستشرق الرأي الآخر المخالف لهذا الرأي، فإن ذلك من أبجديات الموضوعية والنزاهة والحياد التى كثيراً ما يدعيها المستشرقون، وهم أبعد ما يكون عنها.

والغريب حقاً أن المستشرقين يعترفون بهذا الأمر، وهو عدم الحياد وتعذر التزامهم بالموضوعية حيث يقول المستشرق جوستاف لوبون(١): (إن استقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعياً، وإننا لا نكون البتة أحرارا من تفكيرنا كما ينبغي حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي)(٢).

بعد هذا الاعتراف من واحد من كبار المستشرقين هل ننتظر منهم أن يكونوا منصفين فى تناول قضايا وتاريخ الإسلام.

---

(١) جوستاف لوبون (١٨٤١ - ١٩٣١م). كاتب فرنسي، وباحث في علوم النفس والاجتماعي، ترجمت معظم أعماله إلى العربية، خصوصًا تلك التي أشادت بفضل الحضارة العربية على الحضارة الأوروبية عندما نقلت تراث اليونان وعندما وضعت تراثها الخاص. عرف عن لوبون أنه كان متعصبًا للعنصرية، وله اتجاهات مضادة للديمقراطية. تميز بإسهاماته العديدة في مجال علم النفس الاجتماعي. ومن أهم مؤلفاته: حضارة العرب؛ روح الجماعات؛ السنن النفسية لتطور الأمم؛ فلسفة التاريخ؛ الحشد. يراجع في ترجمته: الموسوعة العربية العالمية - الطبعة الثانية - الرياض ١٤١٩هـ جـ٨ ص٦٠٥.

(٢) مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي - ترجمة عبدالصبور شاهين - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ص٣٨.

ثانيا: حب ذوى القربى شيء جبلي بل أمر شرعي: إذا كان المستشرقون قد عابوا ذا النورين ﷺ؛ لأنه مال إلى أقاربه، واستعملهم على بعض الولايات الإسلامية فإن ذلك - عند المنصفين - سبب مدح لاسبب ذم، وذلك لأن محبة ذوي القربى، وصلتهم أمر طبيعى فى البشر عموماً يتوافق مع الفطرة الإنسانية، بل وتؤيده النصوص الشرعية.

فصلة الرحم فى تعريفها الشرعي: (عبارة عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم تارة بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة وغير ذلك)(١).

وهذا أمر قد جبل عليه الإنسان فى أصل فطرته، ويعبر ابن خلدون عن هذا الأمر الفطرى فيقول: (إن صلة الرحم طبيعة فى البشر إلا فى الأقل، ومن صلتها الحدب على ذوي القربى أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد فى نفسه عضاضة من ظلم قريبه، أو العداء عليه، ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك)(٢).

وبما أن الفطرة الإنسانية تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فقد جاءت عشرات النصوص القرآنية والنبوية تدعو إلى صلة الرحم، والإحسان إلى ذوى القربى، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾(٣).

- قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ

(١) النووى: شرح صحيح مسلم جـ١٦ ص١١٣، وانظر: ابن منظور لسان العرب جـ٧ ص٤٨٥١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة جـ١ ص١٢٨.

(٣) سورة الروم الآية ٣٨.

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[(١)].

- قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[(٢)].

ومن أحاديث النبي ﷺ:

- عن عمرو بن العاص ﷺ قال: كنت عند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأتاه رجل يمّت إليه برحم بعيده، فقال رسول الله ﷺ: {اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها}[(٣)].

- وعن ابن مسعود ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ، وهو في قبة من أدم حمراء في نحو من أربعين رجلاً فقال: {إنه مفتوح لكم وأنتم منصورون مصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، وليصل رحمه، ومثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل البعير يتردى، فهو يمد بذنبه}[(٤)].

---

(١) سورة النساء الآية ٣٦.

(٢) سورة النحل الآية ٩٠.

(٣) أخرجه: أبو داود الطيالسي جـ٤ ص٤٧٣، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى جـ١٠ ص١٥٧، وفي "شعب الإيمان" برقم: ٧٥٦٩، والحاكم جـ١ ص٨٩، والبخارى فى كتاب الأدب المفرد، باب تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ص٣٣، رقم: ٥٤. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجه واحد منهما، وإسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص قد احتج البخاري بأكثر رواياته عن أبيه.

وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم: ٢٧٧.

(٤) أخرجه: ابن أبي شيبة جـ١ ص٢١٤، وأحمد جـ١ ص٤٠١ رقم: ٣٨٠١، وأبو داود جـ٤ ص٣٣١، وابن ماجة برقم: ٣٠، والترمذي برقم: ٢٢٥٧، كلهم باختصار، والحاكم مطولا =⇦

– وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: {إن الله ليعمِّر بالقوم الديار، ويثمِّر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم لأرحامهم}(1) إلى غير ذلك من النصوص الشرعية التى تأمر بصلة الأرحام والاهتمام بذوي القربى، ومما لا شك فيه، أن هذه النصوص كانت حاضرة فى ذهن عثمان ﷛ حينما استعمل أقرباءه وولاهم الولايات، أي: أنه كان فى عمله هذا متوافقاً مع فطرته التى تقضي بهذا مع شريعته التى تأمر بهذا أمراً صريحاً.

ثالثا: عثمان ﷛ مجتهد: من الأمور الهامة التى يمكن أن يجاب بها عما ظنه المستشرقون قدحاً فى عثمان ﷛ أن نقول لهم: إن هذه الأمور صدرت عن عثمان بصفته حاكماً مجتهداً يجتهد فى ما يراه صالحاً للمسلمين ونافعاً لهم، وقد

= كتاب البر والصلة جـ٦ ص١٣٨ رقم: ص١٤٠.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبى: هذا حديث صحيح قال المناوى: بسند حسن،

قال ابن دقيق العيد في الاقتراح في بيان الاصطلاح ص: ١١٩: عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه أخرجه أبو داود هكذا موقوفا من حديث زهير عن سماك بن حرب ثم أخرجه مرفوعا من حديث سفيان عنه عن عبد الرحمن ابن عبد الله عن أبيه قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من أدم قال فذكر نحوه.

وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند جـ١ ص٤٠١: إسناده صحيح، إلا أن شُعبة شك في رفعه. وقد رجحنا أن عبد الرحمن سمع من أبيه عبد الله بن مسعود.

وانظر: السلسلة الصحيحة جـ٣ ص٣٧٢.

ومعنى يتردى: يسقط من مكان عال ومعنى بذنبه: بذيله.

(1) رواه الحاكم فى المستدرك – كتاب البر والصلة جـ٦ ص١٤٠ رقم: ٧٢٨٢. وقال الذهبي: صحيح غريب، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد جـ٨ ص٢٧٨.

نصت السنة النبوية على أن الحاكم إذا اجتهد، فله أجران إن أصاب، وله أجر إن أخطأ.

فعن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا اجتهد ثم أخطأ فله أجر}[١].

فهذه الأمور التى نقمها أعداء أهل السنة من المستشرقين والروافض من قبلهم هى من اجتهادات عثمان باعتباره حاكماً عالماً، وقد بين النبي ﷺ أن له أجرين فيما أصاب فيه، وأجر واحداً فيما أخطأ فيه.

فعثمان وغيره من الخلفاء وكافة الصحابة لم تثبت لهم العصمة من الخطأ؛ لأن العصمة هى من خصوصيات الأنبياء عليهم السلام فقط.

من أجل ذلك حرص شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد على الروافض في اتهامهم لعثمان وغيره من الصحابة أن يرسي قاعدة عظيمة تدل على ذلك. وقال شيخ الإسلام: (والقاعدة الكلية فى هذا أن لا نعتقد أن أحداً معصوماً بعد النبي ﷺ بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ. والذنوب التى تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضاً بمصائب يكفر الله عنهم، فكل ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنباً أو خطأً، وعثمان ﷺ قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة، منها: سابقته وإيمانه وجهاده وغير ذلك من طاعاته، وقد ثبت أن النبي ﷺ شهد له بل بشره بالجنة على بلوى تصيبه، ومنها: أنه تاب من عامة ما أنكروه عليه، وأنه ابتلى ببلاء عظيم، فكفر الله به خطاياه، وصبر حتى قتل مظلوماً شهيداً، وهذا من أعظم ما يكفر الله به الخطايا)[٢].

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب: الحاكم إذا اجتهد أو أخطأ جـ٩ ص١٠٨ رقم: ٧٣٥٢، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص١٩٧.

والعجيب من المستشرقين يذكرون هنات لا تذكر، ولها إجابات وتأويلات، ثم يعملون على تضخيمها حتى يغيروا الحقائق، ويشوهوا الصور النقية، ولا ينطقون بكلمة عن فضائل عثمان التى لا تُدفع، ومناقبه التى لا تُنكر.

ولعل اجتهاد عثمان رضي الله عنه فى تولية بعض أقاربه، والميل إليهم كان يبتغى من ورائه أن تكون له قوة بين الناس تناصره وتدفع عنه، وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام حينما يقول: (وبالجملة فلابد لكل ذوي أمر من أقوام يأتمنهم على نفسه، ويدفعون عنه من يريد ضرره، فإن لم يكن الناس مع إمامهم كما كانوا مع أبي بكر وعمر احتاج الأمر إلى بطانة يطمئن إليهم)[1].

ولعل عثمان رأى فى أقاربه تلك البطانة التى ربما تنفعه ذات يوم فأستعملهم ومال إليهم، ولا يعاب ولي الأمر أن يجتهد، وأن يفكر فى الأمور التى توطد حكمه، ويستقر بها عصره مادامت لا تخالف نصوص الشرع.

رابعا: عثمان متبع لا مبتدع: إن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن مبتدعاً شيئاً من عند نفسه، بل كان متبعاً مقتدياً مهتدياً بكتاب الله -تعالى-، ثم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم بسيرة وهدي الشيخين رضي الله عنهما من قبله.

وقد كان عثمان رضي الله عنه شديد الحرص على بيان ذلك لخواص الأمة، وعامتها حينما ولاه الله عليهم.

يُلاحظ ذلك من خلال الخطبة التى خطبها عثمان رضي الله عنه فى أوائل خلافته، والخطب التى تلت بعد ذلك للولاة والقواد والعمال على المصالح المختلفة بل وللعامة أيضاً، ومن الأمثلة على ذلك ما يلى:

-خطب عثمان رضي الله عنه قائلاً:- (أما بعد، فإنى حُمِّلْت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: إتباع

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٥١.

من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنن أهل الخير فيما سنوا على ملأ، والكف عنكم إلا فى فيما استوجبتم العقوبة، وإن الدنيا حلوة خضرة، وقد شهِّيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا، ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها)[١].

– ففى هذه الخطبة التى قيل إنه لما بويع بالخلافة قام خطيباً بها فى الناس[٢] يبين عثمان منهجه فى حكمه، وطريقته فى سياسته، وهى قائمة على:-

– التقيد بالكتاب والسنة.

– إتباع سيرة الخليفتين السابقين عليه الصديق والفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

– سياسة الناس بالحلم والعفو واللين.

– عدم التهاون فى فعل يستوجب العقوبة.

– التحذير من الدنيا، وبيان أن كثيراً من الناس قد مال إليها وافتتن بها.

– كتب عثمان ﷺ كتاباً قال فيه: (أما بعد فإنكم بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والإتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الدنيا صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعاجم والأعراب القرآن)[٣] ينبه عثمان هنا أيضاً أن الاقتداء والإتباع هو سبب بلوغ الناس إلى ما بلغوا إليه، فلذلك يأمر به.

(١) سيف ابن عمر الأسدي الضبي: الفتنة ووقعة الجمل – بتحقيق أحمد راتب عرموش – الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ – دار النفائس – بيروت ص٨٦. وراجع: الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٦٩٣.

(٢) سيف ابن عمر الأسدي الضبي: الفتنة ووقعة الجمل ص٨٦.

(٣) أحمد بن على المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك – بتحقيق عبد القادر عطا – الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت جـ٣ ص٣١٢، وراجع: الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٥٩١.

- كتب عثمان كتاباً للجنود في الأقاليم جاء فيه: (أما بعد فإنكم حماة الإسلام وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان على ملأ منا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه)(١).

ففي هذا الكتاب يبين للجنود أنه سائر على هدى عمر الذى وضع للجنود نظاماً بمشورة المسلمين، ومنهم عثمان فهو ملتزم به، ويحذرهم من التغيير والتبديل، والنماذج فى هذا المعنى كثيرة جداً، وهي في مجملها تدل على اتباع عثمان هدي من سبقه فى كلامه وأفعاله، ومن هذه الأفعال توليته لأرقابه من بني أمية، وهو الأمر الذى عده المستشرقون سقطة كبيرة لهذا الخليفة الراشد ﷺ.

ولكننا نرد عليهم قائلين: إن هذا الأمر من الأمور التي كان عثمان ﷺ متبعًا فيها لهدي من سبقه، ولم يحدثه ولم يبتدعه من عند نفسه، وبيان ذلك كالتالي:-

بنو أمية أكثر الناس استعمالا فى عهد النبي ﷺ وصاحبيه: من الحقائق المقررة تاريخياً أن بني أمية كانت قبيلة كبيرة مشهورة فى الجاهلية، وفى الإسلام وبناءاً على ذلك من الطبيعي أن يكون لهم حضور قوي فى المناصب والمسائل العامة للمسلمين أكثر من غيرهم، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام حين يقول: (ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس؛ لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد)(٢).

ثم يسوق لنا شيخ الإسلام عدداً من أشهر من ولاهم النبي ﷺ من بني أمية فيقول: (فاستعمل النبي ﷺ فى عزة الإسلام على أفضل الأرض - مكة - عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل على نجران أبا سفيان بن

---

(١) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٢ ص٥٩٠.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة جـ٦ ص١٩٢.

حرب بن أمية، واستعمل أيضاً خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذحج، وعلى صنعاء[١] اليمن، فلم يزل بها حتى مات رسول الله ﷺ، واستعمل سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عُرَينة، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا، ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمي حتى توفى رسول الله ﷺ، واستعمل الوليد بن عقبة بن معيط)[٢].

وبعد أن لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وتولى أبو بكر خلافة المسلمين سار على نهج الرسول ﷺ فى استعمال بني أمية، والاعتماد عليهم وتوليتهم المناصب العامة (فقد جعل أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على بعض الجيوش فى غزو الروم)[٣].

وبعد أن توفي الصديق رضي الله عنه، وبويع الفاروق بالخلافة (سار على نهج صاحبيه فى استعمال بني أمية والثقة بهم فلم يعزل أحداً منهم من عمل، ولم يجد على أحد منهم مأخذاً، وكلنا نعرف صرامة عمر فى مثل هذه الأمور، وتحريه الكامل فى اختيار ولاته وعماله وتقصيه أعمالهم وأخبارهم، ومحاسبتهم بكل دقة وحزم، فاستمرار بنو أمية فى أعمالهم فى عهد عمر يدل على أمانتهم وكفاءتهم، فقد بقي العمال الذين استعملهم أبو بكر كذلك فى عهد عمر، فبقي يزيد بن أبي سفيان والياً على دمشق، وبقي والياً على الشام. بل زاد عمر فى عمل معاوية، فضم إليه ولاية حمص فوق ما كان يتولاه من الأعمال)[٤].

(هؤلاء الأمويون الذين ذكرنا أسماءهم هم المشهورون الذين تولوا

---

(١) صنعاء: قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها، وليس باليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء. معجم البلدان جـ٣ ص٤٢٦.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة جـ٦ ص١٩٣.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة جـ٦ ص١٩٣ والذهبى: سير أعلام النبلاء جـ١ ص٢٦٠.

(٤) عبد الشافى محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموي – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ص١٤.

الولايات والمناصب العامة لكن هناك عدداً كثيراً منهم غير مشهورين، لأنهم فضلوا الجهاد فى سبيل الله فى ميادين القتال على الأعمال الإدارية، ولو كانوا يبحثون عن المناصب والجاه والمال لقعدوا فى ولاياتهم وأعمالهم الإدارية)(١).

نستخلص من هذا أن النبي ﷺ استعمل بني أمية، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده، وأن بني أمية اثبتوا جدارة واستحقاقا، ولم يكن للنبي ﷺ ولا لصاحبيه قرابة لبني أمية حتى يقال: إنهم استعملوا أقاربهم.

واستعمال النبي ﷺ لبني أمية، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده أمر مشهور ومتواتر كما قال شيخ الإسلام: (وهذا النقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه، بل متواتر عند أهل العلم، ومنه متواتر عند أهل الحديث، ومنه ما يعرفه العلماء منهم، ولا ينكره أحد منهم)(٢).

وبعد ذلك نقول للمستشرقين إن عثمان رضي الله عنه لم يفعل إلا ما فعله النبي ﷺ، ولم يستعمل إلا ما استعمله سابقيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فكان عثمان مطبقاً فعلياً ما ذكره فى خطبه، وهو اتباعه لمنهج وطريقة النبي وصاحبيه، وعدم ابتداعه شيئاً من عند نفسه فى كافة الأمور، ومنه استعمال العمال والولاة الذين كان من بينهم بنو أمية.

خامسا: من هم ولاة عثمان؟ يحاول المستشرقون جاهدين أن يثبتوا فكرتهم الأساسية عن محاباة عثمان لأقربائه، وأن اختياره لولاته وعماله لم يكن على أساس الكفاءة ورعاية مصالح المسلمين، وإنما كان الاختيار على أساس قرابتهم له فقط.

وكأن عثمان رضي الله عنه كان يأتي بأي إنسان من عرض الطريق ليعينه من منصب عام، ويوليه أمراً من أمور المسلمين لمجرد أنه قريبه، وينتمى إلى بني أمية.

(١) المرجع السابق ص١٤.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص١٩٣.

ومن الملفت للنظر أن نفس الأسماء التى يذكرها المستشرقون على أنهم أقارب عثمان الذين ولاهم بغير استحقاق منهم لذلك هى نفسها الأسماء التى وردت فى كتب الرافضة، وهى نفس التفاصيل التى أوردها ابن المطهر الحلِّي فى كتابه: «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة»، والتى قام شيخ الإسلام بالرد عليها فى كتابه: «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»[(١)].

وهنا لا نستطيع أن نتغافل عن حقيقة هامة تبدو للباحث فى هذه النقطة، وهي أن اعتماد المستشرقين على كلام الشيعة ومصادرهم كان أكثر بكثير من اعتمادهم على مصادر أهل السنة التى تبين الحقيقة، وتزيل الشبهة وترفع اللبس والإيهام.

فالمستشرقون يسوقون الشبهة، ولا يكلفون أنفسهم بيان صحتها أو خطأها، ولا بيان الرأي الآخر ولا وجهة النظر المقابلة لتلك الشبهة، ومن أكثر ما يدل على ذلك هؤلاء الولاة الذين ذكرهم المستشرق دي لافيدا على أنهم تولوا الولايات والمناصب لمجرد صلة قرابتهم بعثمان ﷺ وهم:

- عبد الله بن عامر بن كريز
- الوليد بن عقبة
- سعد بن أبي وقاص
- سعيد بن العاص
- عبد الله بن سعد بن أبي السرح
- مروان بن الحكم.

هؤلاء هم الولاة الذين ذكرهم المستشرقون – ومن قبلهم الروافض –

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص١٩٢ وما بعدها، جـ٦ ص٢٣٩ وما بعدها، وفيه يرد ابن تيمية على ابن مطهر الحلي في دعواه والتي تتطابق مع كلام المستشرقين.

طاعنين فى عثمان لاختياره إياهم، ولم يعلم المستشرقون مكانة هؤلاء الأفاضل، ومنزلة هؤلاء الأكارم، ومقدار ما قدموه للإسلام والمسلمين من خدمات جليلة، وأعمال نبيلة خلدت أسماءهم فى كتب السير والتاريخ.

وسوف أقوم بذكر كل واحد من هؤلاء مترجماً له ومبيناً إنجازاته وإسهاماته وخدماته للإسلام لنبين للمستشرقين وأضرابهم هل كان هؤلاء الولاة مستحقين لثقة الخليفة عثمان بناء على كفاءاتهم وقدراتهم أم لمجرد القرابة؟

عبد الله بن عامر بن كريز: أجمع المؤرخون على أن عبد الله بن عامر له من الفضل الشيء الكثير، أو على حد تعبير شيخ الإسلام عنه بقوله: (إن عبد الله بن عامر له من الحسنات، والمحبة فى قلوب الناس ما لا ينكر)(١).

فمن هو عبد الله بن عامر؟

نسبه: هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي ابن خالة عثمان بن عفان(٢).

مولده: ولد على عهد رسول الله ﷺ (فأتي به إلى رسول الله ﷺ، وهو صغير، فقال هذا شبهنا، وجعل يتفل عليه، ويعوذه فجعل عبد الله يتسوغ ريق رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: إنه لمسقى، وفى رواية قال النبي ﷺ: {أرجو أن يكون مسقيًا، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء})(٣).

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٤٨.

(٢) راجع فى ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ ص٩٣٣، وابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٥ ص١٧، والإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٦٤، وابن كثير: البداية والنهاية جـ٨ ص٨٨.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك – دار المعرفة، باب ذِكْرُ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ ﷺ جـ٣ ص٦٣٩، رقم: ٦٦٩٧. وسكت عنه الذهبي. وذكره الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٦٤، وابن كثير: البداية والنهاية جـ٨ ص٨٨، وابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ =

إذن: بدأ حياته آخذًا من بركة ريق رسول الله ﷺ حائزًا على شرف دعاء النبي ﷺ له بأن يكون صاحب خير وسقيا، فكان كما قال النبي ﷺ.

فضله: أثنى كثير من العلماء على هذا الرجل ثناءً عظيماً، فوصفه ابن سعد بقوله:

(كان عبد الله شريفاً سخياً كريماً كثير المال والولد محباً للعمران)(١).

وقال ابن حجر: (وكان عبد الله جواداً شجاعاً ميموناً جريئا)(٢).

بل كان (من أجود أهل البصرة، ومن أجود أهل الإسلام)(٣).

وذكر ابن الجوزي: (أنه كان شريف القدر كريماً سخياً، فلما تولى البصرة بعد أبي موسى قال أبو موسى للناس: قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا)(٤).

انجازاته السياسية والاقتصادية: أظهر عبد الله بن عامر الذى تولى البصرة، وهو ابن أربع وعشرين أو خمس وعشرين سنة براعة فائقة في كافة المجالات خاصة المجالين العسكري والاقتصادي.

ففى الجانب العسكري: كان عبد الله بن عامر شاباً ذا همة عالية، ونفس وثابة إلى معالي الأمور، فبالرغم من حداثة سنه إلا أنه تولى تحمل مسئولية الجهاد والمواجهة مع الفرس، وأظهر فى ذلك موهبة عسكرية فذة نتج عنها إنجازات ضخمة.

= ص٩٣٣، وابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٥ ص١٧.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٥ ص٧٣.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٥ ص١٧.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص٣٢١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، جـ٥ ص٣٠١

فقد فتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان حتى بلغ غزنة[1].

وقد كان له أثر كبير فى الفتوحات، فقد تمكن من القضاء على أمال الفرس بشكل تام عندما قضى على آخر ملوكهم يزد جرد بن شهريار بن كسرى، وخرزادمهر أخي رستم اللذين تزعما المعارضة الفارسية ضد المسلمين[2].

والواقع أن عبد الله بن عامر رغم ضخامة هذه الفتوحات، وعظمة هذه الانتصارات وتقويضه لأمال الفرس بقتل زعيمهم، وآخر أكاسرتهم إلا أنه لم يفاخر، ولم يظهر تكبرًا كحال القواد المنتصرين. بل تواضع وأرجع ذلك الفضل إلى الله سبحانه وتعالى.

يظهر لنا هذا المعنى جلياً من تلك الرواية التى أجمع عليها المؤرخون وهى (لما رجع عبد الله بن عامر من فتح هذه البلاد العظيمة قيل له: ما فتح الله على أحد مثل ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان[3]، فقال: لاجرم

(١) ابن العربى: العواصم من القواصم جـ١ ص٩٢. غزنة: هي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحدّ بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جدّا، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعدّ ولا يحصى من العلماء، وما زالت آهلة بأهل الدين ولزوم طريق أهل الشريعة والسلف الصالح، وهي كانت منزل بني محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٤ ص٢٠١ وما بعدها.

(٢) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ﷺ شخصيته وعصره ص٢٧١.

(٣) خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها: نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، وذلك في سنة ٣١ في أيام عثمان ﷺ، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز. ياقوت الحموي: معجم البلدان – دار صادر، بيروت – الطبعة: الثانية ١٩٩٥م، جـ٢ ص٣٥٠ وما بعدها.

لأجعلن شكري لله على أن أخرج معتمراً من موقفي هذا، فأحرم بعمرة من نيسابور ووفى بنذره، وفرق أموالًا كثيرة فى أهل المدينة)[1].

بل ويشير الباحثون إلى أن مما يميز عبد الله بن عامر صفة التواضع، ويذكرون فى ذلك أنه كان (رجلاً متواضعاً فاتحاً بابه لجميع الناس حتى وأنه عاقب الحاجب، وأمره إلا يغلق بابه ليلاً ولا نهارًا، فازدادت محبة الناس له واشتهر بينهم بسيرته الحميدة[2].

وأشار الذهبى أيضاً إلى هذه الصفة فيه فقال: (كان من كبار أمراء العرب وشجعانهم وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم)[3].

وأما بالنسبة للجانب الاقتصادى: فإنه قد أظهر فيه قدرة وكفاءة لا تقل، بل تزيد عن قدرته وكفاءته العسكرية السابقة، فقد اقترن باسم عبد الله بن عامر العديد من الانجازات الاقتصادية التى كان من أهمها:

- عنايته بسوق البصرة فقد اشتراه من ماله الخاص، ووهبه لأهل البصرة[4].

- كذلك اهتم بحفر الأنهار، فقد ذكر ابن قتيبة أن عبد الله بن عامر حفر فى البصرة نهرين أحدهما فى الشرق والآخر يعرف بأم عبد الله وهو منسوب إلى أم عبد الله بن عامر[5]، وكذلك أمر عبد الله بن عامر زياد بن أبي سفيان بحفر

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٥ ص١٧

(٢) محمد جاسم حمادي: ولاية عبدالله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الإقتصادية فيها – مقال بمجلة المؤرخ العربى – تصدر عن الأمانة العامة للمؤرخين العرب – العدد ٢١ – بغداد ١٩٨٢م، ص١٣٨ – عبد الله بن عامر.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٢١.

(٤) الطبقات الكبرى جـ٥ ص٧٣.

(٥) البلاذرى: فتوح البلدان ص٣٥١.

نهر الأبله[1].

وذكر البلاذري أن عبد الله بن عامر حفر نهراً تولى أمر حفره مولاه نافذ فغلب عليه فقيل: نهر نافذ[2].

وهناك نهر مُرة تولى حفره، مُرة مولى أبي بكر الصديق ﷺ، فغلب عليه فقيل: نهر مرة[3].

وهناك نهر الأساورة الذى حفره لهم عبد الله بن عامر[4]، وذكر البلاذري أن هناك بالبصرة قنطرة يقال لها: قنطرة قرة نسبة إلى قرة بن حيان الباهلي، وكان عندها نهر قديم، ثم اشترته أم عبد الله بن عامر، فتصدقت به على أهل البصرة[5].

ويبدو من الروايات السابقة أن عبد الله بن عامر كان شغوفاً بشق الأنهار، ولعل ذلك راجع إلى دعوة النبي ﷺ بقوله: أرجو أن يكون مسقياً، فاستجاب الله دعوة نبيه، وكان عبد الله بن عامر كما قال النبي ﷺ.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن شق الأنهار وانتشار المجارى المائية له قيمته الاقتصادية الكبيرة التى تتمثل فى (ازدهار الزراعة التى هي عماد الحياة الاقتصادية)[6].

ويشير د/ صالح العلي إلى قيمة انجازات عبد الله بن عامر فى البصرة فيقول: (وفى الحقيقة إن إصلاحاته هذه لا تقل أهمية عن فتوحاته فى المشرق

(١) المرجع السابق ص٣٥١.

(٢) المرجع السابق ص٣٥١.

(٣) المرجع السابق ص٣٥٤.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان ص٣٥٣.

(٥) المرجع السابق ص٣٥٣.

(٦) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٢٧٢.

التى قام بها، فقد كانت البصرة هى القاعدة العسكرية للخلافة في فتوحاتها ببلاد المشرق، وقد أدت هذه الفتوحات الواسعة إلى ازدياد دخل البصرة، وانتشار الرخاء الاقتصادي فيها مما شجع التجار ورجال الأعمال على التقاطر إليها، وبذلك بدأت الحياة المدنية تنمو سريعاً فى البصرة)(١).

ولم تتوقف إصلاحات عبد الله بن عامر على إمارة البصرة التى يتولاها، بل امتدت لتشمل بيت الله الحرام الذى أراد ابن عامر أن يقوم فيه بخدمات لحجاج بيت الله الحرام، فقد ذكر ابن كثير أن (عبد الله بن عامر أول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها الماء المعين)(٢).

وقد (ظل ابن عامر واليا على البصرة حتى بعد استشهاد عثمان ﷺ، وقد بلغ من قيمة عبد الله بن عامر أن معاوية ﷺ ولاه البصرة لمدة ثلاث سنين وزوجه ابنته، ولما توفى عبد الله بكاه معاوية، وقال بمن نفاخر؟ ! بمن نباهي)(٣).

هذا هو عبد الله بن عامر بن كريز أحد ولاه عثمان وعماله، والذى كان سبباً من أسباب طعن المستشرقين في خلافة عثمان ﷺ، فعبد الله بن عامر قد باركه النبي بريقه، ودعا له فاستجاب الله دعوه نبيه، وكان عبد الله بن عامر كما دعا النبي ﷺ.

ومع حداثة سن عبد الله إلا أنه فتح الفتوحات العظيمة، وضم إلى دولة الإسلام الولايات الكثيرة حتى لقد قتل فى عهده وفى فتوحاته أخر ملوك الفرس وهو مع ذلك متواضع لله وللناس، وهو كذلك صاحب الإصلاحات والإنجازات الاقتصادية في البصرة التى نقلت تلك المدينة إلى حياة المدنية

---

(١) صالح العلى: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ – دار الطليعة – بيروت ص٣٠ – ٣١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٨ ص٨٨.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم جـ٥ ص٣١٤٥.

والرخاء.

فنقول للمستشرقين ما رأيكم برجل بهذا القدر؟ هل كان أهلاً لأن يتولى ولاية عامة بقدرته، وبإمكاناته وبإنجازاته المتنوعة؟

أم أن عثمان ﷺ ولاه لمجرد صلة القرابة بينهما؟!

وإذا كان عثمان قد أخطأ فى هذا - كما فى زعمكم الكاذب - فما بال معاوية ﷺ، وهو الداهية الحاذق والسياسي الماهر كيف يثق بنفس الشخص الذي وثق به عثمان ﷺ، ويجعله على البصرة ثلاث سنين؟ بل وكيف تبلغ درجة ثقة معاوية به إلى الحد الذى يزوجه ابنته؟!

وبالطبع لن يجد المستشرقون ما يردون به على هذه الأسئلة، ولن يستطيعوا أن يواجهوا تلك الحقائق الساطعة إلا أنهم - كما قلت سابقاً - يفرون من تلك الحقائق الواضحة فى مصادر أهل السنة، ويلجأون إلى التشبث بروايات واهية، وحكايات ساقطة ابتدعها الروافض للنيل من مكانة أهل السنة دون تمحيص أو تحقيق تاريخى.

الوليد بن عقبة: هو: الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أم عثمان بن عفان، فالوليد أخو عثمان لأمه يكنى أبا وهب، أسلم يوم الفتح هو وأخوه خالد بن عقبة، وقد ناهز يومئذ الاحتلام(١).

مكانة الوليد بن عقبة فى زمن أبي بكر وعمر: كان الوليد بن عقبة من رجال الدولة الإسلامية فى عهد أبي بكر وعمر اللذين كانا يتخيران للأعمال ذوي الكفاءة والأمانة من الرجال، وكان ذلك من أعظم أسباب ذلك الانتشار السريع على أوسع نطاق للإسلام على عهدهما، وأنه كان محل ثقة واعتماد

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٤ ص١٥٥٢، وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٤١٢.

الخليفتين، وممن وسد إليه الأمور الهامة لما كانا يريان فيه من الكفاءة والصدق والإيمان[١].

وقد كان أول عمل له فى خلافة أبي بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة، وقائده خالد بن الوليد فى موقعة المذار مع الفرس سنة ١٢هـ[٢].

ثم وجهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري[٣]، وفى سنة ١٣هـ كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة[٤]، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والمكانة، فكتب إلى عمرو بن العاص، وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد، فسار عمرو بن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين[٥]، وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن[٦] ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥هـ أميراً على بلاد تغلب وعرب الجزيرة[٧]، وحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ[٨] مسلمهم وكافرهم، وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته

---

(١) محمد صالح الغرسى: فصل الخطاب فى مواقف الأصحاب - الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٦م - دار السلام - القاهرة ص٧٨.

(٢) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص١٦٨.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص١٦٨.

(٤) الطبري في تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص٣٩٠.

(٥) فِلَسْطِين: بالكسرة ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون وهي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس ومن مشهور مدنها عسقلان والرحلة وغزة وأريحا ويافا. معجم البلدان جـ٤ ص٢٧٤.

(٦) محمد صالح الغرسى: فصل الخطاب فى عهد مواقف الأصحاب ص٨٧.

(٧) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٨.

(٨) ربيعة: أحد الشعبين الرئيسيين الذين ينقسم إليهما جذم العرب العدنانية إلى جانب مضر ويقال لهم العرب الربعية. وكانت قبائل ربيعة وسط وشرق وشمال الجزيرة العربية فسكنت عبد القيس المناطق الشرقية من الجزيرة العربية وتستقر بنو حنيفة في اليمامة، واستقرت تغلب في العراق =

وقيادته على هذه الجهة التي كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية، فكان مع جهاده الحربي وعمله الإداري داعياً إلى الله يستعمل أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب[١] على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب[٢]، وزيادة على هذا الجهد الحربى الكبير، فقد ولاه عمر بن الخطاب على صدقات بني تغلب[٣].

= وشرقي الأردن والشام. و يرد اسم ربيعة في الأخبار القديمة عادةً كمقابل لاسم "مضر" الذي تنسب إليه قريش وكنانة وبنو تميم. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: السابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، جـ٢ ص٤١٩ – ٤٢٠، وقارن: دائرة المعارف الإسلامية جـ١٦ ص٥٠٩٥ – ٥١٠٣ – مادة: ربيعة ومضر.

تنوخ: هي مملكة جاهلية بدأت كحلف لعدة عشائر هاجرت من اليمن بسبب حادثة انهيار سد مأرب، حيث تم تشكيل الحلف وأعلن مالك بن فهم ملكا عليهم وقام هذا الحلف بالسيطرة على مناطق متعددة أثناء زحفه شمالا حيث تمكن من اخضاع عمان وشرق الجزيرة العربية ومناطق أخرى في الجزيرة العربية وكذلك أجزاء من العراق وسوريا وجنوب إيران وذلك في أقصى تمددها، دامت المملكة من بداية القرن الثاني الميلادي حتى منتصف القرن الثالث الميلادي. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة جـ١ ص١٣٣ – ١٣٤.

(١) إياد قبيلة إياد إحدى قبائل العرب كانت تسكن تهامة فحاربتهم قبائل مضر وربيعة فأجلتهم عن جزيرة العرب إلى العراق، وتخلف منهم في الجزيرة العربية قبيلة النخع وقبيلة ثقيف على قول بعض النسابين. أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – عالم الكتب، بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ، جـ١ ص٦٧.

تغلب: ينتسبون إلى: تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، بني تغلب في الأصل قبل الإسلام كانت في الجزيرة العربية ثم انتقلوا في القرن السابع الميلادي إلى العراق. وكانت ديارهم فيه تقع شمال الحيرة على نهر الفرات بالجزيرة الفراتية. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١٢٨.

(٢) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٥٦.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم جـ٦ ص٥.

وقد أثنى التابعى الجليل الإمام الشعبى على الوليد بن عقبة، وذكر غزوه وجهاده بقوله حين سمع الناس يتحدثون عن القائد مسلمة: كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وإمارته إنه كان ليغزو، فينتهى إلى كذا وكذا، ما نقص ولا انتقص عليه أحد حتى عزل عن عمله(١).

وقد كان الوليد أحب الناس إلى الناس وأرفقهم بهم، وقد أمضى خمس سنين، وليس فى داره باب(٢).

هذا هو الوليد بن عقبة الذى زعم المستشرقون أنه ما وُلّى إلا لقرابته لعثمان ﷺ، فهل يرتاب أحد فى أن هذا الرجل كان أهلاً للولاية؟ أم أهل يشك عاقل أنه كان حقيقا بالإمارة؟

والواقع أن الوليد لم يكن قريباً لعثمان فقط، بل كانت له صلة قربة وثيقة بالنبي ﷺ، وهذا ما يذكره ابن العربي حين يقول: (وقد قيل لعثمان إنك وليت الوليد؛ لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال: بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء وجدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله والد رسول الله ﷺ، وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه؟)(٣) فلماذا ذكر المستشرقون أن الوليد بن عقبة قريب عثمان، ولم يذكروا أنه قريب النبي ﷺ، فإما أنهم لا يعرفون، وإما أنهم يعرفون وينكرون الحقيقة.

وعلى كل حال فإن مسألة القرابة لم تكن هى السبب فى تولية الوليد على الكوفة بل كفاءته وجهاده ورعايته مصالح الناس كانت السبب فى ذلك.

---

(١) الأندلسي: التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان – يتحقق: محمود يوسف زياد. الطبعة الأولى سنة ١٤٥هـ–١٩٨٥م – دار الثقافة – الدوحة ص٤٠.

(٢) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٥١.

(٣) ابن العربي: العواصم من القواصم ص٩٧.

فقد ولاه الشيخان أبو بكر وعمر، فعثمان إذن لم يبتدع تعيين الوليد بن عقبة، بل أتبع فى ذلك سيرة وعمل الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فهل يقدح المستشرقون فى عثمان أم يقدحون في أبي بكر وعمر؟

أقول: لا وجه للقدح ولا للطعن فى رجل هذه سيرته، وهذا ماضيه المشرف قبل عثمان، وعندما يتولى فى عصر عثمان ﷺ كان من خيرة الولاة وأعدلهم وأرفقهم، وكانت جيوشه مدة ولايته تسير فى الأفاق فاتحه ظافرة موفقة كما سبق.

سعد بن أبي وقاص: لا ندرى كيف يسوغ المستشرقون لأنفسهم أن يطعنوا فى خلافة عثمان بسبب تولية سعداً بن أبي وقاص ﷺ على الكوفة، وهو من هو فى الفضل، والسبق إلى الإسلام، والمكانة التى قل أن توجد عند كثير من المسلمين.

إن هذا المأخذ من المستشرقين لم يسبقهم إليه أحد حتى الروافض الذين طعنوا فى خلافة عثمان مطاعن كثيرة لم يذكروا منها تولية عثمان سعداً على الكوفة. فهل يريد المستشرقون أن يطعنوا فى التاريخ الإسلامى بسبب وبدون سبب؟ أم هل كان المستشرقون أشد جهلا من الروافض؟ فمن هو سعد بن أبي وقاص؟

هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهري، يكنى أبا إسحاق كان سابع سبعة فى الإسلام، أسلم بعد ستة.

شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد، وهو أحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم، وأخبر أن الرسول ﷺ توفي وهو عنه راضٍ.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة[1]، وكان مستجاب الدعوة مشهوراً بذلك

(١) رواه أبو داود جـ٤ ص٢١١، برقم: ٤٦٤٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ١٤٨٠.

تُخاف دعوته وترجى لا يُشك فى إجابتها عندهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله(١).

وهو الذى جمع له الرسول أبويه هو والزبير، فقال لكل واحد منهما أرم فداك أبي وأمي، ولم يقل ذلك لأحد غيرهما(٢).

وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ محل ثقة عمر بن الخطاب ﷺ الذى كان يتحرى الدقة التامة فى اختيار عماله وولاته (فقد عين عمر سعداً أميرًا على الكوفة(٣)، وعينه عمر قائداً لجيوش المسلمين التى قابلت الفرس فى معركة القادسية(٤) التى تحقق فيها نصر عظيم للمسلمين حتى قتلوا رستم قائد الفرس.

بل اختاره عمر فى الستة الذين أوصى بهم لتولى خلافة المسلمين من بعده رجح عمر سعداً لتولي الخلافة من بعده حين قال: لو كنت مختاراً للخلافة واحداً لاخترت سعداً، وقال لمن حوله: إن وليها سعد فذاك، وإن وليها غيره فليستعن بسعد(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه جـ٥ ص١٥٦، برقم: ٤٣٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - بَابُ المِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ جـ٤ ص٣٩، رقم: ٢٠٩٥. ومسلم في صحيحه جـ٧ ص١٢٥، رقم: ٦٣١٢ وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٢ ص٦٠٧.

(٣) عَنْ نَافِعٍ وعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّهُمَا أَخْبَرَاهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَدِمَ الْكُوفَةَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ أَمِيرُهَا، فَرَآهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَمْسَحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ. فَأَنْكَرَ ذلِكَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: سَلْ أَبَاكَ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِ. رواه مالك في الموطأ - تحقيق الأعظمي جـ٢ ص٤٩، برقم: ١٠٠.

(٤) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: شَهِدْنَا الْقَادِسِيَّةَ مَعَ سَعْدٍ.رواه ابن أبي شيبة في مصنفه جـ٤ ص١٥٨، رقم: ١٦٤٢٣.

(٥) لما طعن عمر جعله أحد أهل الشورى. وَقَالَ: إن وليها سعد فذاك وإلا فليستعن به الوالي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - المحقق: علي محمد البجاوي - الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م جـ٢ ص٦٠٩.

هذا هو سعد بن أبي وقاص:

- أحد الذين بشرهم النبي بالجنة، ومات وهو عنه راض.
- أحد الستة المرشحين بقوة لتولى الخلافة.
- هو الذى نص عمر على ضرورة الاستعانة به إذا لم يتولى الخلافة.
- له خبرة فى العمل السياسى فى عهد عمر.
- له جهاد طويل وبطولات رائعة مع النبي فى كل غزواته، كذلك فى عهد عمر جهاده وبطولاته لا تنكر.

فإذا استعان به عثمان ﷺ فإنه مقتد بعمر الذى استعمل سعداً، وفى نفس المكان وهو إمارة الكوفة، بل هو منفذ لوصية عمر الذى أمر بأن يستعين الخليفة من بعده بسعد ﷺ، وفى هذا رد واضح على المستشرقين الذين يذكرون أن عثمان ولى سعداً لقرابته إياه.

سعيد بن العاص: هو سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان، أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن أبي قيس بن عمرو العامرية، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: له صحبة(١) ولد عام الهجرة وقيل: ولد سنة إحدى من الهجرة ، وكان له يوم مات النبي تسع سنين، وقتل أبوه يوم بدر كافراً قتله علي بن أبي طالب(٢)، وقيل إن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص: إني لم أقتل إباك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام، وما بي أن أكون أعتذر عن قتل مشرك! فقال له سعيد: لو قتلته كنت على الحق، وكان على الباطل، فتعجب عمر وقال: قريش أفضل الناس أحلاماً(٣).

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٣ ص١٠٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٢ ص٦٢٢.

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٦٢٢. وانظر أسد الغابة لابن الأثير،الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م جـ٢ ص٢٤٠.

وكان سعيد بن العاص أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، عن أنس قال (أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها - أي الصحف - فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش)[1].

وقد أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ[2].

وقد (استعمله عثمان ﷺ على الكوفة وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، ويقال: إنه افتتح أيضاً جرجان فى زمن عثمان سنة تسع وعشرين أو سنة ثلاثين[3]، وكان سعيد بن العاص يحب جمع شمل المسلمين، ويكره الفتنة ويفر منها، فقد اعتزل وقعة الجمل ووقعة صفين، وحث أهل الجمل على القعود وعدم الخروج)[4].

هذا هو سعيد بن العاص وهذه هى سيرته كرم وشجاعة وبر وجهاد وفصاحة أشبه ما تكون بفصاحة النبي ﷺ، فهل كانت توليته على الكوفة بسبب أنه قريب عثمان بن عفان ﷺ؟ أم بسبب تلك المؤهلات، والمواهب الشخصية التى تجعله أهلاً لأن يتولى أي منصب عام؟

وماذا فعل حين تولى؟ إنه عدل بين الناس، وأكرمهم، ثم جاهد فى سبيل الله، وفتح البلدان الكثيرة، فكانت مؤهلاته وأعماله هى سبب توليته ولاية الكوفة، وليس قرابته كما يزعم المستشرقون.

---

(١) رواه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن جـ٤ ص١٨٠، رقم: ٤٩٨٧.

(٢) ينظر: ابن أبى داود: المصاحف رقم: ٢٤.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٢ ص٦٢٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٥ ص٣٤.

عبد الله بن سعد بن أبي السرح: يذكر المستشرق دي لافيدا (أن من أسباب الطعن في خلافة عثمان [ﷺ] توليته أقاربه ومنهم عبد الله بن أبي السرح، وكان قد ارتد عن الإسلام زمن الرسول [ﷺ]، ولكنه رجع إلى حضن الإسلام، وحسن إسلامه، وعفا الرسول [ﷺ] عنه)[1].

وفي هذا النص السابق ما يكفي للرد على هذا المستشرق، فهو إن كان ذكر أن عبد الله بن سعد ارتد عن الإسلام إلا أنه يعود في نفس النص، ويثبت المناقب التالية لعبد الله بن سعد وهي .

أنه رجع إلى الإسلام. وحسن إسلامه. وأنه قد عفا عنه الرسول ﷺ،

فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: «اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ».... وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ)[2].

ومع ذلك فلا مانع من أن نبين من هو هذا الشخص، وهل كانت له أهلية لتلك الولاية أم أن ذلك لقرابته من عثمان؟!

هو: عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب بن خديجة ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا يحى. أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد مشركاً، وصار

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) أخرجه النسائي في سننه - باب الْحُكْمُ فِي الْمُرْتَدِّ جـ٧ ص١٠٥، برقم: ٤٠٦٧، وصححه الألباني: في صحيح الجامع برقم: ٢٤٢٦.

إلى قريش بمكة، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، فلم يظهر من شيء ينكر عليه بعد ذلك، وهو أحد النجباء العقلاء من قريش ثم ولاه عثمان بعد ذلك مصر فى سنة خمس وعشرين، وفتح على يديه أفريقية سنة سبعة وعشرين، وكان فارس بني عامر بن لؤي المعدود فيهم، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى افتتاحه، وفى حروبه كلها، وولى حرب مصر لعثمان أيضا[(١)].

إذن: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح على خبرة ودراية تابعة بأحوال مصر ونواحيها نتيجة ولايته على بعض النواحى أثناء خلافة عمر، فقد كان على صعيد مصر[(٢)]، وكذلك أول خلافة عثمان مما أهله لأن يصبح والياً عاماً على مصر[(٣)]، فكان أقوى المرشحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص نتيجة لتلك الخبرات، ويبدو أن عبد الله بن سعد تمكن من ضبط خراج مصر حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله.

ولعل ذلك راجع إلى اتباع عبد الله بن سعد لسياسة مالية جديدة فى المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو بن العاص، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوفرة فى مصر[(٤)].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ ص٩١٩.

(٢) أبو داود في كتاب الزهد جـ١ ص٣٣١، برقم: ٣٨٣. وانظر: محمد صالح الغرسى: فصل الخطاب فى مواقف الأصحاب ص٧٧.

(٣) محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين – دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م ص٤١٨.

(٤) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء – المحقق: حمدي الدمرداش – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – الطبعة: الأولى: ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م جـ١ ص١٢٣، لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فغزا أفريقية فافتتحها سهلًا وجبلًا، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار، وقيل: ثلاثة آلاف دينار، ثم فتحت الأندلس في هذا العام.

وانظر: عبدالعزيز إبراهيم العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين – دار اشبيليا للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، جـ١ ص١٨٠.

وقد قام عبد الله بن سعد أثناء ولايته بالجهاد فى عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزو أفريقية سنة سبع وعشرين، وفتوحه فيها وقتله ملكها جرجير، وكان يصاحبه فى تلك الغزوات مجموعة من الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر بن الخطاب(١).

ويتحدث ابن عبد البر عن بعض إنجازات عبد الله بن سعد فيقول: (وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فافتتح أفريقية من مصر سنة سبع وعشرين، وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة أحدى وثلاثين، وهو الذى هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وغزا الصواري من أرض الروم سنة أربع وثلاثين، ثم قدم على عثمان)(٢).

ويقول الصلابي: (ويعتبر عبد الله بن سعد بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقاتل أهلها وفرض عليهم الجزية، واستقرت الحال على ذلك فى أيامه بين أهل النوبة والمسلمين، كذلك من أهم أعمال عبد الله بن سعد العسكرية غزوة ذات الصواري، وقد انتصر فيها المسلمون على الروم)(٣).

ويبدو أن عبد الله بن سعد كان محل رضا وقبول المصريين الذين لم يبد منهم أى اعتراض ولا نقمة على ابن أبي السرح، بدليل ما يذكره المقريزى

---

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها – تحقيق: محمد الحجيري – دار الفكر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م ص١٨٣.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق: عادل أحمد الرفاعي – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ–١٩٩٦ – دار إحياء التراث العربي – بيروت جـ٢ ص٢٦٤، وانظر: الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٢٨٣.

(٣) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ﷺ شخصيته وعصره وانظر ص٢٨٣

وقال النويري: وأول من غزا النوبة في الإسلام عبد الله بن أبي السرح في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان ﷺ. انظر: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ج١ ص ١٤٥.

بقوله: (ومكث أميراً مدة ولاية عثمان رضي الله عنه كلها محموداً فى ولايته)(١).

وكذلك قال عنه الذهبي: (ولم يتعد ولا فعل ما يُنقم عليه، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم)(٢).

كذلك لم يكن ابن أبي السرح من مثيرى الفتن، ولا المشتركين فيها بل ثبت أنه اعتزل الفتنة وابتعد عنها.

يقول ابن حجر: (ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمان رضي الله عنه اعتزلها عبد الله بن سعد، وسكن عسقلان أو الرملة فى فلسطين، وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال: خرج ابن أبي السرح إلى الرملة بفلسطين، فلما كان عند الصبح قال: اللهم أجعل آخر عملى الصبح، فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه)(٣).

وبعد هذه المواهب والقدرات، والأعمال الجليلة والمناقب العظيمة لعبد الله بن سعد بن أبي السرح نسأل المستشرقين: هل يستحق رجل كهذا أن يولى فى منصب عام وولاية للمسلمين؟ وإذا عبتم على عثمان؛ لأنه ولاه لقرابته - كما تزعمون - فماذا تقولون إذا علمتم أن الذي ولاه أولاً قبل عثمان هو الفاروق عمر؟ وأن ولايته على مصر جاءت نتيجة لخبرته بأحوالها، ثم لم لما تولى زادت موارد الخراج من مصر أكثر من عهد عمرو بن العاص نفسه، ثم إنه لم يكن والياً على مصر منزوياً فى قصر من قصورها، بل باشر الجهاد وقاد الجيوش لينفتح الله على يديه أفريقية، وغيرها من البلدان التى كان هو أول من فتحها،

---

(١) تقي الدين المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ص٢٩٩.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٣٤.

(٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٤ ص١١٠، وانظر: الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٣٥، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ٢ ص١٦٩، الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية.

مروان بن الحكم: يذكر المستشرقون مروان بن الحكم على أنه قريب عثمان بن عفان الذى كان مستشاراً له، ولكنه لم يكن مخلصاً لعثمان، بل بالعكس من ذلك كان يعمل ضد مصلحة عثمان ويسعى فى ضرره، وهذا ما نفهمه من عبارة المستشرق دي لافيدا حين قال: (وكان مستشار عثمان [ﷺ] هو مروان بن الحكم، وتنسب الأخبار إليه أنه كان ذا نشاط ضار بالنسبة لعثمان [ﷺ])[(١)].

وهذا المستشرق يحاول أن يصل من عبارته تلك إلى عدة أمور:

١) أن مروان كان مستشاراً لعثمان لمجرد قرابته له.

٢) أن مروان كان هو المستشار الوحيد لعثمان.

٣) أن مروان لم يكن أميناً ولا مخلصاً لعثمان، بل كان يعمل بنشاط للإضرار بعثمان وخلافته.

ونستطيع أن نرد على ذلك بما يلى:

- من هو مروان بن الحكم: هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أبو عبد الملك، وهو ابن عم عثمان وكاتبه فى خلافته، يقال: ولد بعد الهجرة بسنتين، وقيل: بأربع وقيل ولد عام أُحد أي: سنة ثلاث، وقد كان فى الفتح مميزاً، وفى حجة الوداع، ولكن لا يدرى أسمع من النبي ﷺ شيئاً أم لا، وروى عن غير واحد من الصحابة منهم عمرو وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الأسود، وروى عنه من التابعين ابنه عبد الملك، وعلي بن الحسين، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وكان يعد من الفقهاء[(٢)]، بل نص ابن كثير (على أنه صحابي عند

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٦ ص٢٥٨، وانظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ ص١٣٨٨.

طائفة كثيرة من العلماء؛ لأنه ولد فى حياة النبي ﷺ)[١].

وكان مروان من أخص أقارب عثمان وألصقهم به، فقد كان كاتبه، وكان بمنزلة كاتم سر الدولة، أو حامل ختم الملك[٢].

وقد شهد له الإمام مالك بالفقه واحتج بقضائه وفتاواه فى مواطن عديدة من كتاب الموطأ كما وردت فى غيره من كتب السنة المتداولة فى أيدى المسلمين يعملون بها. وقال الإمام أحمد: يقال: كان عند مروان قضاء، وكان يتتبع قضاء عمر بن الخطاب[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مروان بن الحكم: (ومات النبي ﷺ، ومروان لم يبلغ الحلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين أو قريب منها، وكان مسلماً باطناً وظاهراً يقرأ القرآن ويتفقه فى الدين، ولم يكن قبل الفتنة معروفاً بشيء يعاب عليه، فلا ذنب لعثمان فى استكتابه، وأما الفتنة فقد أصابت من هو أفضل من مروان، ولم يكن مروان ممن يحاد الله ورسوله)[٤].

وقال عنه ابن العربي: (مروان رجل عدل من كبار الأئمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، أما الصحابة: فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه، وأما التابعون فأصحابه فى السنن وإن جازهم باسم الصحبة في أحد القولين، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته، والتلفت إلى فتواه والانقياد إلى روايته، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء، فيقولون على أقدارهم)[٥].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١ ص٢٥٧.

(٢) صادق عرجون: عثمان بن عفان ص١١٧.

(٣) حمدي شاهين: الدولة الإسلامية المفترى عليها – دار القاهرة للكتاب سنة ٢٠٠١م ص١٦٩.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة جـ٦ ص٢٦٩.

(٥) ابن العربى: العواصم من القواصم ص٩٤.

فالعلماء المعتد بآرائهم يقدرون قيمة هذا الرجل - سواء قلنا: إنه من الصحابة أو من التابعين - وأما أهل السفاهة ممن لا يعتد بهم ولا بآرائهم، فقد قدحوا فيه ووصفوه بما وصفوه به، ولذلك يذكر الإمام ابن القيم أن من الأحاديث المختلفة الكاذبة أحاديث ذم الوليد وذم مروان بن الحكم[١].

وقد بلغ من مكانة مروان بن الحكم فى مجال العمل السياسى أن معاوية استعمله على المدينة أكثر من مرة، قال الطبري: (ولى معاوية مروان بن الحكم على المدينة)[٢].

وقال ابن عبد البر: (وكان معاوية لما صار الأمر إليه ولاه المدينة، ثم ضم له إلى المدينة مكة والطائف)[٣]. وروى عبد الله بن المبارك عن جرير من حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية: من تركت لهذا الأمر من بعدك فقال: القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله الشديد فى حدود الله مروان بن الحكم[٤].

وقد استوثق له ملك الشام، ثم توجه إلى مصر فاستولى عليها، ثم بغته الموت فعهده إلى ولده عبد الملك، فكانت مدته فى الخلافة قدر نصف سنة ومات فى شهر رمضان سنة خمس وستين[٥].

قد ظهر لنا من هذه الترجمة الموجزة لمروان الحكم أنه:-

---

(١) ابن القيم: المنار المنيف فى الصحيح والضعيف - بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة - مكتبة المطبوعات الإسلامية - بدون تاريخ ص١١٧.

(٢) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ١ ص٩٤.

(٣) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٣ ص١٣٨٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٨ ص٢٥٨.

(٥) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة جـ٦ ص٢٥٨، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ٨ ص٢٦٠.

- إما صحابي وإما تابعي.

- وأنه عند المنصفين المعتمدين من العلماء من كبار الأئمة فى الفقه والرواية.

- وأن ما ورد بخلاف ذلك فهو كذب موضوع مختلق.

- وأنه فى الناحية السياسية لم يكن محل ثقة عثمان فقط، بل كان أيضاً محل ثقة معاوية الذى ولاه المدينة أكثر من مرة، ثم إن معاوية رشحه للخلافة من بعده لما فيه من المميزات التى تؤهله لذلك.

بل يتحدث مستشرق آخر فى دائرة المعارف الإسلامية عن مواهب مروان وكفاءته، وهو المستشرق بوسورث[(١)] فيقول: (لكن الواضح أنه - أي مروان بن الحكم - كان قائداً عسكرياً، ورجل دولة من الطراز الأول يتمتع بمهارة فائقة وحسم للأمور ويتصف بسعة الصدر والحلم، وعرف عنه أنه كان داهية، وهى الصفة التى ميزت الصفوة البارزة فى العشيرة الأموية، وأن وصوله إلى الخلافة اعتماداً على كفاءته الشخصية دون سند خارجى)[(٢)].

وبعد ذلك نقول للمستشرقين: هل اتخذ عثمان مروان بن الحكم كاتباً لكونه قريبه فقط، أم أنه كان عنده من القدرة والكفاءة ما يؤهله لأن يقوم بهذه المهمة؟!

وأما بالنسبة للنقطة الثانية فإن المستشرق دي لافيدا يحاول أن يصور الوظيفة التى يقوم بها مروان للخليفة عثمان على أنه مستشارًا له، وفى الحقيقة هو لم يكن مستشاراً، بل كان كاتباً لعثمان، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن عبارة المستشرق توحي بأنه كان هو المستشار الوحيد لعثمان، وهذا ما نفهمه من

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٣٠ ص٩٢٩٥ - مادة: مروان بن الحكم.

هذه العبارة: وكان مستشار عثمان هو مروان ابن الحكم[١]، وكأن المستشرق هنا يتبنى نفس الفكرة التى يروج لها الروافض في كتبهم، وهي أن مروان وأباه الحكم كانوا هما الحاكمين الفعليين للدولة الإسلامية، ولم يكن لعثمان من الخلافة إلا الاسم فقط، وهذا ما عبر عنه هذا المستشرق نفسه بقوله: (فانقلب الوضع وأصبح الخليفة نفسه تحت سيطرة هؤلاء الأقارب)[٢].

ونقول لهؤلاء المستشرقين ومن على شاكلتهم: إن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن يعتمد فى خلافته، وفى حكمه على رجل واحد يستمد أحكامه كما يصورون، بل كان يستشير الصحابة، فمن المؤكد أنه (لم يكن مروان هو المستشار الأوحد للخليفة، بل كان يستشير كبار الصحابة وصغارهم، ولم يكن بمعزل عن قادة الرأى فى مجتمع الإسلام، وكذلك لم يكن مروان الوزير الذى تجمعت تحت يده سلطان الدولة إنما كان كاتباً للخليفة، وهى وظيفة تستمد أهميتها من قرب صاحبه من إذن الخليفة وخاتمه)[٣].

ويمتد تأثير دائرة المعارف وما فيها من أفكار إلى المستشرقين من خارجها، فيعبر مستشرق آخر فى غير دائرة المعارف عن فكرة سيطرة مروان وأبيه الحكم على مقاليد الأمور، فيقول: (فكان الحُكم فى الواقع فى يد عمه الحكم لاسيما ابنه مروان، فلم يتركا لعثمان من الخلافة سوى لقبها، وتحمل تبعات الإجراءات الخطيرة التى ظل يجهلها طيلة الوقت)[٤].

ويرد بعض الباحثين على هذه الفرية قائلاً: (هذا من التحامل الشديد على عثمان رضي الله عنه، وقد جاء من قبل الروايات التاريخية، والتى يطعن فى عدالة رواتها.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ – مادة: عثمان بن عفان.

(٣) حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها – دراسة الشبهات ورد المفتريات – دار القاهرة للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص١٦٠.

(٤) المستشرق دوزي: تاريخ مسلمى أسبانيا جـ١ ص٣٨.

وكيف يظن بعثمان ﷺ أن يترك الخلافة لعمه وابنه، وهو الذى يقوم بالإمامة بالصحابة ﷺ فى مسجد رسول الله ﷺ، ويجتمع بالصحابة ﷺ ويشاور كبار الصحابة من أمثال علي والزبير وطلحة ﷺ، ويولي ويعزل الولاة عن الأقاليم والأمصار، ويحج بالناس، ثم يقال: إن الحُكم فى يد الحَكم وابنه؟!

ولو تنزلنا مع القائل: وقلنا أعطى عثمان الحكم وابنه بعض الصلاحيات، فليس معنى ذلك أن الخلافة تكون بأيديهما، بل هذا بمعنى التوكيل والتفويض.

وليس هذا بقادح فى خلافة عثمان ﷺ وعدالته، ولو وقعت بعض الأخطاء والتجاوزات فلا يظن أنه قاصد لها، بل هو مجتهد، فإن أصاب له أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده وخطأه مغفور له فيه.

وعلى ذلك فالقول: إن الحكم كان بيد الحكم وابنه قول باطل)(١).

وأما بالنسبة للنقطة الثالثة وهى التى عبر عنها المستشرق دي لافيدا بقوله: (وتنسب إليه الأخبار أنه كان ذا نشاط ضار بالنسبة لعثمان [ﷺ])(٢).

فلا نعلم أي أخبار تلك التى يتحدث عنها المستشرق، ولعله يقصد أمر الكتاب الذى وجده الوفد المصرى مدسوسًا معهم، وهو الذي فيه أمر من الخليفة عثمان لعامله على مصر عبد الله بن أبي السرح بقتل هذا الوفد، وقد قيل: إن الذى دسه هو مروان بن الحكم:

وسيأتى لهذه المسألة مزيد من التفصيل فى الفصل الأخير من هذا البحث - إن شاء الله - حينما نتناول أسباب فتنة مقتل عثمان. وفى نهاية الرد على هذه الشبهة وهى شبهة محاباة عثمان لأقاربه، وتوليته إياهم فى مناصب العامة على حساب المسلمين يطيب للباحث أن يقرر الحقائق التالية:

---

(١) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة ص٣٩٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ - مادة: عثمان بن عفان.

أولا: قلة عدد الولاة من بني أمية إذا قورنوا بالعدد الكلى لولاة عثمان وعماله، وقد اهتم المؤرخون فى كل عصر بذكر عمال وولاة كل خليفة من الخلفاء، فابن خياط فى تاريخه قد قدم لنا حصراً بأسماء العمال والولاة فى عصر النبي ﷺ، وكذلك عصر الخلفيتين من بعده، ثم فى عصر عثمان ﷺ، وكذلك فعل الطبري حين قدم لنا أسماء الولاة، وأسماء ولاياتهم فى عهد عثمان وهى كالآتى:-

م	اسم الوالى	اسم الولاية
١	أبو الأعور بن سفيان	الأردن(١)
٢	عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	حمص(٢)
٣	علقمة بن حكم الكناني	فلسطين
٤	جرير بن عبد الله البجلي	قرقيسياء(٣)

(١) الأردن: مملكة عربية تقع في الضفة الشرقية لنهر الأردن غربي آسيا تحدها الأقطار العربية التالية: سوريا - العراق- المملكة العربية السعودية وفلسطين وعاصمتها عمان التي هي أكبر مدينة فيها. الموسوعة العربية العالمية - الطبعة الثانية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، جـ١ ص٤٧٩، وراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١ ص١٤٩.

(٢) حمص: مدينة سورية بلغ عدد سكانها ٤٣٠٠٠٠ نسمة في عام ١٩٨٧م، وضمت مع محافظتها نحو 1,045,000 نسمة عام ١٩٩٥م، وتمتد مساحة محافظة حمص على رقعة تبلغ 42,223كم^2 أو ٢٣٫٨٪ من مساحة البلاد. وارتفاع المدينة عن سطح البحر ٥٣٣م. مناخها لطيف على مدار العام ولكنه شديد الرياح. وتقع حمص في قلب البلاد عند ملتقى طرق برية وحديدية من الطراز الأول، مثلما كانت تتصل مع بلاد ما بين النهرين مرورًا بتدمر ومع ميناء طرابلس في الماضي. الموسوعة العربية العالمية، جـ٩ ص٥٤١، وراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١ ص١٤٩.

(٣) قُرْقيْسياء: مدينة سورية قرب دير الزور. قال بطليموس: مدينة قرقيسيا طولها أربع وستون درجة وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة وعرضها خمس وثلاثون درجة. معجم البلدان جـ٤ ص٣٢٨.

م	اسم الوالى	اسم الولاية
٥	حبيب بن مسلمة	قنسرين[(١)]
٦	معاوية بن سفيان	الشام
٧	خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة	مكة[(٢)]
٨	عبد الله بن الحضرمي	مكة
٩	عثمان بن أبي العاص الثقفي	البحرين واليمامة[(٣)]
١٠	القاسم بن ربيعة الثقفي	الطائف
١١	يعلى بن منية	صنعاء
١٢	عبد الله بن أبي ربيعة	الجند
١٣	علي بن ربيعة بن عبد العزى العبشمي	مكة
١٤	مروان بن الحكم بن العاص الأموي	البحرين
١٥	عبد الله بن سواء العيدي	البحرين

(١) قنسرين: مدينة سورية تقع في حلب. الموسوعة العربية العالمية، جـ١ ص، وراجع ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١ ص١٤٩.

(٢) مكة: مكة المكرمة أشهر مدن العالم الإسلامي، تهفو إليها قلوب المسلمين جميعًا من شتى بقاع الأرض. بها المقدسات الإسلامية: البيت الحرام والكعبة المشرفة ومنى ومزدلفة وعرفات. الموسوعة العربية العالمية، جـ٢٣ ص٥٩٤ وما بعدها.

(٣) اليمامة: منطقة واحات وسط المملكة العربية السعودية، تحيط بها الرمال من جميع جهاتها. وقد حددها عبدالله بن خميس في كتابه معجم اليمامة برمال الربع الخالي جنوبًا، وبرمال الدهناء شرقًا، وبرمال السياريات والثويرات شمالاً، وبسلاسل رملية مجزأة من ناحية الغرب هي رمال الرغام ورمال الوركة ونفود قنيفذة ونفود الغزير، ثم فاصل يقدر بخمسين كيلومترًا، تبدأ بعده رمال الدِّحْي الممتدة حتى أسفل وادي الدواسر. الموسوعة العربية العالمية، جـ٢٧ ص٣٢٥. وراجع: معجم البلدان جـ٥ ص٤٤٢.

م	اسم الوالى	اسم الولاية
١٦	سُبره بن عمرو العنبري	اليمامة
١٧	النسير	همذان(١)
١٨	سعيد بن قيس	الري(٢)
١٩	سائب بن الأقرع	أصبهان(٣)
٢٠	سلمان بن ربيعة الباهلي	أرمينية(٤)
٢١	الأشعث بن قيس	أذربيجان(١)

(١) هَمَدان: بالتحريك والذال معجمة وآخره نون سميت بهمذان بن الفلوج من سام بـن نـوح ، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة وهمذان أعذب ماء وأطيب هواء. معجم البلدان جـ٥ ص٤١٠.

(٢) الريّ: مدينة تاريخية تقع في إيران بالقرب من طهران، وقد استولى عليها الفرس ثم الإسكندر ثم السلوقيون. فتحت الريّ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب تحت قيادة نعيم بن مقرن. وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن وهي محيط الحاج على طريق السابلة بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً. الموسوعة العربية العالمية، جـ١١ ص٤٣٣، معجم البلدان جـ٣ ص١١٦.

(٣) أصبهان من أكبر مدن إيران. عدد سكانها ١٠٧٢٠٦٦٢١ نسمة. وتقع في الجزء الأوسط الغربي من إيران، على طول نهر زاينده. تشتهر إصفهان، وتعرف أيضًا باسم أصبهان، بكثرة مساجدها وغيرها من آثار العمارة الإسلامية. وقلب المدينة هو ميدان الإمام. تشتمل المنتجات الصناعية في إصفهان على المنسوجات والصلب. وفي سوق كبير مغطى قرب الميدان، يقوم التجار ببيع المصنوعات اليدوية والقرميد اليدوي الطلاء والسجاجيد وغيرها من المواد الأخرى. الموسوعة العربية العالمية، جـ٢ ص٤٢٩، وراجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١ ص٢٠٦ وما بعدها.

(٤) أرمينية: دولة تقع في إقليم جبال القوقاز. استقلت عام ١٩٩١م بعد أن كانت جزءًا من الاتحاد السوفييتي (سابقًا) لقرابة سبعين عامًا. وأصبحت أرمينيا الآن عضواً في كومنولث الدول المستقلة، بعد انفراط عِقْد الجمهوريات السوفييتية السابقة، الموسوعة العربية العالمية، جـ١ ص٥٤٦، وراجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١ ص١٦٠.

م	اسم الوالى	اسم الولاية
٢٢	المغيرة بن شعبة الثقفي	أذربيجان وأرمينية
٢٣	عتيبة بن النهاس	حلوان(٢)
٢٤	عمرو بن العاص	مصر ثم الإسكندرية(٣)
٢٥	عبد الله بن سعد بن أبي السرح	مصر
٢٦	أبو موسى الأشعري	البصرة ثم الكوفة
٢٧	عبد الله بن عامر بن كريز	البصرة
٢٨	المغيرة بن شعبة الثقفي	الكوفة
٢٩	سعد بن أبي وقاص	الكوفة
٣٠	الوليد بن عقبة الأموي	الكوفة
٣١	سعيد بن العاص الأموي	الكوفة
٣٢	مالك بن حبيب	ماه
٣٣	حبيش	ماسبذان

(١) أذربيجان: دولة إسلامية تقع في منطقة جبال القوقاز على الشاطئ الغربي لبحر قزوين وقد حصلت على استقلالها ١٤١٢هـ-١٩٩١م بعد أن استمرت ما يقرب من سبعين عاماً جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق. الموسوعة العربية العالمية ج١ ص٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) حلوان: بالضم ثم السكون وهي مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد البصرة والكوفة وبغداد أكبر منها وهي بقرب الجبل يسقط بها الثلج. معجم البلدان جـ٢ ص٢٩١.

(٣) الإسكندرية: ثانية كبريات مدن مصر بعد القاهرة، تقعفي شمالي مصر، إذ تمتد على شريط ضيق من الأرض على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. الموسوعة العربية العالمية ج٢ ص٢٣، وراجع: ياقوت معجم البلدان جـ١ ص١٨٤.

م	اسم الوالى	اسم الولاية
٣٤	حذيفة بن اليمان	أذربيجان وأرمينية[(١)]

هؤلاء هم مجموعة الولاة على الولايات المختلفة فى عصر عثمان رضي الله عنه كله، ومجموعهم كما رأينا أربع وثلاثون والياً، ورأينا مجموع من يمتون بصلة قرابة للخليفة عثمان هم خمسة فقط، ولو كان الخليفة يحابي أقاربه ويجاملهم على حساب المسلمين لكان عدد أقاربه على الولايات الإسلامية أكثر بكثير.

ولبعض الباحثين المعاصرين ملاحظة طريفة هنا فى عدد أقارب عثمان الخمسة، وهى أنهم لم يكونوا كلهم فى وقت واحد أى لم يكن الخمسة يشغلون مناصبهم فى نفس الوقت وبيان ذلك: (أن عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد بن عقبة، ثم عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، ولم يتوفّ عثمان إلا وقد عزل سعيد بن العاص، فعندما توفي عثمان لم يكن من الولاة من بني أمية إلا ثلاثة وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط)[(٢)].

وبناء على ذلك نرى أن أقل من عُشر الولاة كانوا من بني أمية فأي وجهة للمعترضين على عثمان؟ وأي وجه للقائلين بأنه حابى وجامل أقاربه؟

ثانيا: هل كان هؤلاء الولاة - من بني أمية - أكفاء أم لا؟ وقد أجبنا على ذلك حين ذكرنا كل واحد على حدة، وما قدم من الانجازات والإسهامات فى كافة المجالات ونجمل القول هنا بأن نقول: (إن الولاة الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية، والمقدرة فى إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله

---

(١) راجع فى هذا الإحصاء: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق أكرم ضياء العمري - دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٣٩٧م ص٤٠، والإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٢٦ وما بعدها، وأكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص١٣٧.

(٢) عثمان الخميس: حقبة من التاريخ - دار الإيمان - الإسكندرية بدون تاريخ ص٧٥.

الكثير من البلدان على أيديهم، وساروا فى الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تولى المناصب قبل عثمان، ومنهم من ظل فى مكانه، أو فى ولاية أخرى بعد عثمان مما يدل على أنهم كانوا أكفاء أولاً وهو السبب الرئيسى وراء تقليدهم مناصبهم ووجودهم فى أماكنهم، وليس مجرد القرابة للخليفة ﷺ، وهؤلاء الولاة إن أخذت عليهم بعض المآخذ، فإن لهم حسنات كثيرة، وقد كانت أعمالهم عظيمة الفائدة للإسلام والمسلمين، وقد اهتدى على أيدى ولاة عثمان مئات الألوف إلى الإسلام، وبسبب فتوحاتهم انضم إلى ديار الإسلام أقاليم واسعة، ولو لم يكن عند هؤلاء الولاة من الشجاعة والدين ما يحثهم على الجهاد ما قادوا الجيوش إلى الجهاد وفيه مظنة الهلاك، وفيه ترك الراحة ومتاع الدنيا، ونتج عند ذلك أن كان لكل واحد من هؤلاء الولاة فتحاً، أو فتوحات فى الجهات التى تجاور ولايته مع مناقب وصفات حسنة تؤهله لذلك)[1].

ثالثا: وفى الأخير أقول: إن مبنى هذه الشبهة - كغيرها - هو التهويل والتضخيم لشيء صغير ونسيان أشياء عظيمة بجانبه، وهذه عادة المستشرقين فى الموضوعات الإسلامية عموماً والتاريخية خصوصاً، ينتقون بعض الموضوعات، ويقومون بتضخيمها وتهويلها، وتصويرها على خلاف حقيقتها معتمدين فى ذلك على انتقاء بعض المصادر التى تؤيد فكرتهم، وإن كانت مصادر غير موثوقة، ويتركون المصادر التى تعارض فكرتهم أو تصححها، ولو كانت كثيرة ومتواترة وموثوق فى مؤلفيها، ثم يستنتجون من ذلك نتائج مجانبة للحقيقة، وبعيدة عن الصواب ومتعارضة مع الوقائع التاريخية الثابتة.

وعلى كل حال: فإن عثمان لم يجامل، ولم يحاب أحداً من أقاربه على حساب المسلمين، بل كان مجتهداً فى تعيينهم، وكان متبعاً لمن قبله فى استعمال بني أمية، ثم أن عدد من ولاهم من أقاربه كان قليلاً بالنسبة إلى مجموع عدد

(١) محمد حسين شراب: المدينة المنورة في فجر الإسلام والعصر الراشدي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، جـ٢ ص٢١١.

عماله، ومع ذلك فقد كانوا أصحاب كفاءة وقدرة وتأثير؛ نتج عنه أن قدموا للإسلام والمسلمين خدمات جليلة.

الشبهة الثانية: شبهة نقصان موارد بيت المال في خلافة عثمان بن عفان ﷺ:

يصور المستشرق دي لافيدا هذه الشبهة بقوله: (وثمة مسألة أخرى أثرت فى اضطراب الأمور فى عهد عثمان [ﷺ]، فقد كان بيت المال الذى أرسى فى عهد عمر بن الخطاب [ﷺ] يتطلب دائماً فيضاً من الغنائم الناتجة من حركة الفتوح، ولم تكن مبالغ الجزية المحصلة من أهل الذمة كافية لسد احتياجات العسكر الجدد، ولم تكن الفتوح فى عهد عثمان [ﷺ] - رغم اتساعها - بذات مردود مالي يسد حاجة بيت المال)(١).

وفحوى هذه الشبهة - كما هو واضح - أن من أسباب اضطراب الأمور، وإثارة الفتنة فى خلافة عثمان ﷺ السبب المالي والاقتصادي الذى يتخلص فى تناقص موارد بيت مال المسلمين، فلم تكن الفتوح الإسلامية الواسعة، وما ينتج عنها من غنائم، وكذلك أموال الجزية التى تحصل من أهل الذمة قادرة على سد احتياجات بيت المال، وما يترتب عليه من نفقات عامة.

وهذه الشبهة تأتى فى سياق عام لدى المستشرقين، وهو أن عثمان ﷺ لم تكن لديه كفاءة على إدارة شئون الخلافة، مثل ما كان لعمر ﷺ، ومن هذه الشئون الشأن المالي أو الاقتصادي ، وتدور هذه الشبهة حول - معنى واحد هو تناقص إيرادات بيت المال فى عهد عثمان عما كان عليه فى عهد عمر.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي:-

أولا: اتفاق السياسة المالية عند عثمان مع ما كان فى عهد عمر:
أول ما يلفت النظر فى طريقة عثمان ﷺ فى التعامل مع المسألة الاقتصادية هو التشابه الكبير بين سياسته وسياسة عمر ﷺ، وهذا أمر يكاد يكون محل إجماع

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ - مادة: عثمان بن عفان.

المنصفين الذين يرون أن (السياسة المالية التى أعلنها ذو النورين تكاد تتفق مع السياسة المالية التى نفذها الفاروق حين ولي أمر المسلمين، فقد أعلن ونفذ بقوله: أن هذا المال لا يصلحه إلا خلال ثلاث: أن يؤخذ بالحق، وأن يعطى فى الحق، وأن يمنع من الباطل، فالسياسة العمرية والعثمانية فى التعامل مع المال تنبعان عن مشكاة واحدة، وهى مشكاة الإسلام ومبادئه وأصوله وقواعده)(١).

ولم تختلف سياسة عثمان المالية عن سياسة عمر إلا فى التوسعة على الناس فى عهد عثمان ﷺ (لما تولى الخلافة لم يغير من سياسة عمر المالية، وإن كان قد سمح للمسلمين باقتناء الثروات وتشييد القصور، وامتلاك المساحات الشاسعة من الأرض)(٢).

وقد اهتم عثمان فى أوائل خلافته بتنظيم المسألة المالية وقيامها على الحق والأمانة والوفاء وعدم الظلم لأي أحد، فكتب إلى عمال الخراج بهذا يقول ابن جرير الطبري: (وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم)(٣).

وعمل عثمان على التوسعة على الناس كافة والزيادة فى أرزاقهم، فقد روي عن عامر الشعبي أنه قال: (أول خليفة زاد الناس فى أعطياتهم مائة عثمان، وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء فى رمضان درهماً فى كل

---

(١) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٧٦.

(٢) سعاد إبراهيم صالح: مبادئ الاقتصاد الإسلامى – الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧ – دار عالم الكتب – الرياض ص٢١٧.

(٣) الإمام الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٤٥، وأنظر: الخراج لأبي يوسف ص ١١٧.

يوم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين، فقيل له لو صنعت طعاماً فتجمعهم عليه! فقال: أُشبع الناس في بيوتهم، فأقر عثمان الذي كان قد صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: هذا للمتعبد الذي يتخلف في المسجد، وابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان)(١).

ثانيا: إيرادات بيت المال في عهد عثمان: تعددت موارد بيت مال المسلمين في عهد عثمان ﷺ ما بين جزية وخراج وفيء وغنيمة، وزكاة أموال بحيث درت هذه الموارد على بيت المال أموالاً كثيرة. واقتصر هنا على نموذج واحد يبين لنا وفرة موارد بيت المال في عهد عثمان، وهو مورد الجزية الذى يقول المستشرقون إنه لم يكن كافياً في سد احتياجات بيت المال.

الجزية هي: مقدار من المال يفرض على أهل الكتاب الذى يعيشون فى المجتمع الإسلامى كاليهود والنصارى، ومن يلحق بهم ممن لهم شبهة كتاب كالمجوس، وعرفت أيضا بأنها: ما يؤخذ من أهل الكفر جزاء على تأمينهم وحقن دمائهم مع إقرارهم على الكفر، وهي مشتقة من الجزاء وهو المقابلة لأنهم قابلوا الأمان بما أعطوه من المال فقابلناهم بالأمان وقابلونا بالمال(٢)، وهذا المقدار من المال يؤخذ من البالغين من الرجال دون النساء والأطفال، وقد شرعها الله - سبحانه وتعالى - فى القرآن وأخذها الرسول ﷺ فى حياته، فلما

---

(١) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٤٦.

(٢) عن سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرًا، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَمْرِو بْنِ أَوْسٍ فَحَدَّثَهُمَا بَجَالَةُ سَنَةَ سَبْعِينَ، عَامَ حَجَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ عِنْدَ دَرَجِ زَمْزَمَ، قَالَ: كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَمِّ الأَحْنَفِ، فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ، فَرِّقُوا بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنَ المَجُوسِ، وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الجِزْيَةَ مِنَ المَجُوسِ، حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ". رواه البخاري في صحيحه - بَابُ الجِزْيَةِ وَالمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ جـ٤ ص٩٣، رقم: ٣١٥٦.

انظر: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني « باب في الزكاة » باب في زكاة العين ص٤٩٢.

توفى أخذها أبو بكر الصديق ﷺ[١].

وفى عهد عمر استقرت أحكام الجزية وقواعدها ونظام تطبيقها وتحصيلها، ولذلك كان دور بيت المال فى عهد عثمان أن يتلقى ما يتم تحصيله من جزية بعد الاتفاق على قيمتها، وأن تقر الدولة ما تم عقده من صلح فى عهود سابقة، أو إقرار صلح جديد، وأن تتكفل الدولة لمن أدوا الجزية بالحقوق التى تترتب على هذا الأداء[٢].

وفى عهد عثمان ﷺ استمر على نفس سياسة عمر فى المناطق المفتوحة، وتحديد المقدار المعين من المال الذى يدفعه أهل كل منطقة تقوم بأخذه السلطات المحلية، وتقدمه إلى الدولة الإسلامية[٣].

ويسوق لنا ابن جرير الطبرى نموذجاً من إيرادات الجزية لبيت المال كما يلى:

١- لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى أفريقيا كان الذى صالحهم عليه بطريق أفريقيا جرجير ألفي ألف دينار، وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وكان الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب[٤].

٢- غزا الوليد بن عقبة فى إمارته على الكوفة فى عهد عثمان أذربيجان وصالح أهلها على ثمانمائة ألف درهم حبسوها عند وفاة عمر، فوطئهم بالجيش، وانقادوا له وقبض منهم المال[٥].

---

(١) أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص١٨١.

(٢) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان ص١٠٣.

(٣) أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤.

(٤) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٥٦، وراجع تاريخ خليفة بن خياط ص٣٤.

(٥) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٤٦.

٣- صلح قبرص وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها للمسلمين[(١)].

٤- صالح سعيد بن صالح أهل جرجان، وكان يجبون أحياناً مائة ألف، وأحياناً مائتى ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف[(٢)].

٥- غلب عبد الله بن عامر على نيسابور، وخرج إلى سرخس، فأرسل إليه أهل مرو يطلبون الصلح فبعث إليهم ابن حاتم الباهلي فصالح مزربان مرو على ألفي درهم[(٣)].

٦- سار الأحنف بن قيس إلى بلخ فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف فرض منهم بذلك، واستعمل ابن عمه هو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما هو صالحوه عليه[(٤)]. ويذكر أكرم العمرى أننا إذا جمعنا دخل الدولة الاسلامية فى عصر عثمان ﷺ من الجزية والخراج لكان المجموع ٢٢٠٠٠٠٠٠٠ درهما موزعة على الأقطار المفتوحة[(٥)].

ويلاحظ فى نفس الوقت أن هناك زيادة كبيرة فى جباية مصر من الجزية والخراج فى خلافة عثمان ﷺ، فقد كانت فى جبايتها فى خلافة عمر ﷺ ميلوني دينار واثنتي عشرة ألف درهم، فارتفعت فى خلافة عثمان ﷺ إلى أربعة ملايين دينار وأربعة عشرة درهم، ولعل الزيادة الكبيرة الحاصلة ترجع إلى دخول قرى ومدن جديدة فى ولاية ابن أبي السرح أثناء خلافة عثمان من ناحية، كما ترجع إلى النمو السكاني والاصلاحات الزراعية، واستقرار الأمن مما أدى إلى الازدهار

---

(١) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٥٥.

(٢) المرجع السابق جـ٥ ص٢٦١.

(٣) المرجع السابق جـ٥ ص٢٦١.

(٤) المرجع السابق جـ٥ ص٣١٨.

(٥) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٣٠٧، وانظر: أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤.

الاقتصادى وارتفاع عوائد الجباية(١).

فنحن الآن أمام حقيقة تاريخية تخالف تماما ما ذهب إليه المستشرقون الذين زعموا أن سياسة عثمان المالية أدت إلى قلة موارد بيت المال، وأن ما يدخل اليه عن طريق الجزية ليس كافيا لسد حاجاته، فتأتى الحقيقة لتقرر أن بيت المال فى عهد عثمان إما أن يكون سار على نفس المنهج الذى كان عليه أيام عمر أو زاد عليه، ويذهب المستشرقون أن بيت المال أصبح عاجزاً عن سد احتياجات الجند بينما يحدثنا صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها أن نصيب الجنود والفرسان فى فتح إفريقيا وحدها قد بلغ مبلغا عظيما، فقال: حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة قال أبو الأسود غزونا مع عبد الله بن سعد أفريقيا، فقسم بينا الغنائم بعد إخراج الخمس، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار للفرس ألفا دينار، وللفارس ألف وللراجل الف دينار، فقسم لرجل من الجيش توفى بذات الحمام، فدفع إلى أهله بعد موته(٢)، ومن حديث لعثمان بن صالح وغيره قال: فكان جيش عبد الله بن سعد ذلك عشرين ألفا ومن المعروف أن يؤول الخمس لبيت المال استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ (٣).

وقد رفع نصيب الرسول ﷺ ووجه إلى السلاح والكراع(٤)، وسايره عمر بن الخطاب ﷺ، والأربعة أخماس الباقية من الغنائم توزع على الفاتحين بنسبة ثلاثة للفارس وفرسه وواحد للراجل، فمن الخبرين السابقين يمكن حساب قيمة الخمس الذى آل إلى بيت المال، وكذلك قيمة الغنائم كلها بافتراض أن

---

(١) أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤.

(٢) أبو القاسم بن الحكم القرشى المصرى: فتوح مصر وأخبارها – تحقيق محمد الحجيرى – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م – دار الفكر بيروت ص٣١٣.

(٣) سورة الأنفال الآية ٤١.

(٤) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح. ابن منظور: لسان العرب جـ٨ ص٣٠٧، إبراهيم مصطفى وآخرين: المعجم الوسيط جـ٢ ص٧٨٣.

الفوارس عشر الجيش الذى بلغ عشرين ألفاً، وأن الباقين من الراجلين يكون الحساب كالتالى:

٢٠٠٠ فارس × ٣٠٠٠ دينار = ٦٠٠٠.٠٠٠ دينار.

١٨٠٠٠ رجل × ١٠٠٠ دينار = ١٨٠٠٠.٠٠٠ دينار.

مجموع ما يخص المحاربين = ٢٤ مليون دينار وهو ما يمثل أربعة أخماس قيمة الغنائم، ويكون نصيب بيت المال خمس الغنائم أي ستة ملايين دينار، ويكون مجموع ما غنمه المسلمون = ٣٠ مليون دينار[١]، وبهذه الروايات يتضح لنا أن موارد بيت المال فى عهد عثمان لم تقل عن عهد عمر، بل زادت فى بعض المناطق، مثل: مصر وأن أرزاق الجند وأنصبتهم لم تقل عما كانت عليه فى عهد عمر، وأن عثمان انتهج نفس سياسة عمر فى المسائل المالية.

الشبهة الثالثة: شبهة إعطاء عثمان رضي الله عنه لأقاربه من مال المسلمين:

هذه الشبهة مما يتعلق بسياسة عثمان رضي الله عنه المالية وتعامله مع أموال المسلمين أثناء مدة خلافته، ويعبر المستشرق دي لافيدا عن هذه الشبهة بقوله: (وقد اتهم عثمان [رضي الله عنه] بأنه احتفظ بجانب من الغنائم لعماله وأقاربه، وذلك بتوسيعه لمفهوم القطائع إلى حد كبير، وربما كان عثمان [رضي الله عنه] يقصد من هذا تكوين أمولا الدولة بدلا من تقسيم كل الغنائم على المحاربين)[٢].

ويفهم من هذه الشبهة أن المستشرقين يأخذون على عثمان بل ويطعنون فى خلافته بسبب أمرين هما:

الأول: إعطاؤه لأقاربه من مال المسلمين.

الثاني: إعطاؤه القطائع لكثير من الناس فما حقيقة هذين الأمرين.

---

(١) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان ص٩٥

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ – مادة: عثمان بن عفان.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو إعطاؤه لأقاربه من أموال المسلمين، فإنه يمكن الرد على المستشرقين وأمثالهم ببيان ما يلي:

عثمان كان يعطى أقاربه من ماله لا من مال المسلمين: من الثابت من المشهور أن عثمان ﷺ كان من أغنياء الصحابة، بل أكثر الناس مالا فى الجاهلية والإسلام.

وقد ذكر المسعودى قيمة ثروة عثمان ﷺ فقال (وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين[1] وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلا كثيرا وإبلا)[2].

وما يدل على انفاق ماله على مصالح المسلمين ابتغاء مرضاة الله فى عهد النبي ﷺ وبعده ما يلي:-

- **بئر رومة:** التي كان يباع ماؤها للمسلمين كل قربة بدرهم، اشتراها عثمان ﷺ، وأوقفها للمسلين على أن له أن يشرب منها كما يشرب سائر المسلمين دون مزية على غيره.

وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أن النبي ﷺ ندب الناس إلى شراء هذه البئر، ودعا لمن يفعل ذلك بالجنة، فكان عثمان هو الذى قام بذلك قال رسول الله ﷺ: {من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان}[3]. وفى رواية قال رسول الله ﷺ: {من يشترى بئر رومة، فيكون دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير

(١) حُنَيْن: واد قبل الطائف وقيل واد حنين ذي المجاز . ينظر: معجم البلدان جـ٢ ص٣١٣.

(٢) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر - اعنى به وراجعه: كمال حسن مرعي - المكتبة العصرية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ج١ ص٣٠٥.

(٣) رواه البخارى في صحيحه. كتاب المساقاة باب فى الشرب رقم: ٢٣٥١ جـ٣ ص١٠٩.

له منها فى الجنة قال عثمان: فاشتريتها من صلب مالى}[1]، وقيل: إن عثمان اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم[2].

- **جيش العسرة:** عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرغها عثمان فى حجر النبي ﷺ قال: {فجعل النبي ﷺ يُقلبها، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم قالها مرارا}[3].

- توسعة مسجد رسول الله ﷺ بعد أن زادت مهام المسجد النبوي من العبادة إلى التعلم إلى الانطلاق منه للغزو وضاق المسجد، وذلك بشراء بقعة بجانب المسجد لكى تزداد فى مساحة المسجد فقال: {من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة، فاشتراها عثمان من خالص ماله بخمسة وعشرين ألف درهم، ثم أضيفت إلى المسجد}[4].

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه. بَابٌ فِي مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، جـ٣ ص٢٠٩ حديث رقم: ٣٧٠٣، والنسائي جـ٦ ص٥٤٥، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حسن، وقد روي من غير وجه عن عثمان. وقال الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل جـ٦ ص٣٩، وقال حديث حسن.

(٢) ابن حجر: فتح البارى جـ٥ ص٤٠٨.

(٣) أخرجه أحمد جـ٥ ص٦٣، وفي فضائل الصحابة جـ١ ص٥١٥، والترمذي برقم: ٣٧٠١، والحاكم فى المستدرك جـ٤ ص١٨٥ رقم: ٤٥٥٣، من حديث عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار... وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم: ٢٩٢٠.

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه. بَابٌ فِي مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، جـ٣ ص٢٠٩ حديث رقم: ٣٧٠٣، والنسائي جـ٦ ص٥٤٥، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حسن، وقد روي من غير وجه عن عثمان. وقال الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل جـ٦ ص٣٩: هذا حديث حسن.

- وفى عهد أبي بكر الصديق ﷺ حدث للناس مجاعة شديدة وقحط، وأمسكت السماء عن المطر، وأمسكت الأرض عن الإنبات، والناس فى شدة شديدة، وذهب التجار ليشتروا الطعام من عثمان فما كان منه إلا أنه تصدق بالطعام على الناس ليحل هذه الأزمة، ويفرج هذه الكربة على المسلمين(١).

ويعبر ابن كثير عن حب عثمان للإنفاق فيقول: (كان عثمان ﷺ كريم الأخلاق، ذا حياء كثير وكرم عزيز يؤثر أهله وأقاربه فى الله تأليفا لقلوبهم من متاع الدنيا الفاني لعله يرغبهم فى إيثار ما يبقى على ما يفنى كما كان النبي ﷺ يُعطِي أقواما ويدع آخرين إلى ما جعل فى قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ(٢).

إذن عثمان ﷺ كان ذا مال كثير، وكان يحب الإنفاق على سائر المسلمين، وفى عامة مصالحهم، فالمال الذى يزعم المستشرقون وغيرهم أن عثمان أعطاه لأقاربه يمكن تفسيره بأنه مال عثمان الخاص به، ولا حرج أن يعطي الإنسان من ماله من شاء من أقاربه أو غيرهم، وقد ذكر عثمان نفسه أنه إنما أعطى الناس من ماله فى خلافته كما كان ينفق من ماله قبل أن يتولى الخلافة فى عهد النبي ﷺ وغيره، وأنه لم يمس شيئا من أموال المسلمين يذكر الطبري أن عثمان ﷺ ذكر ذلك، فقال: (وقالوا: إني أحب أهل بيتى وأعطيتهم فأما حبى لأهل بيتي، فإني لم أمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطائهم فإني إنما أعطيتهم من مالي، ولا استحل أموال المسلمين لنفسى، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة من صلب مالي أزمان النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفنى

---

(١) ابن قدامة: الرقة والبكاء - تحقيق: محمد خير رمضان يوسف - دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ص١٩٠، حسن أيوب: الخلفاء الراشدين ص١٩١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص٢٠١.

عمري ووضعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا؟!)[1].

هذا تأكيد من عثمان أنه أعطى من ماله الخاص لا من مال المسلمين، وكيف يظن بعثمان الغني الثري التقي أن يسلب مال المسلمين ويستحقه لصالح أقاربه؟ بل قد ثبت فى الروايات الصحيحة أن عثمان قد (قسم ماله وأرضه فى بني أمية، وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ بني أبي العاص، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم فى بني العاص، وفى بني العيص وفى بني حرب)[2].

وهذا هو الراجح عند كثير من كتاب سيرة عثمان ﷺ أنه أنفق على أقاربه من ماله الخاص.

وبناءً على ذلك تكون شبهة إعطاء عثمان لأقاربه من مال المسلمين شبهة واهية، حيث كان يعطيهم من ماله الخاص.

الشبهة الرابعة: شبهة إعطاء عثمان ﷺ القطائع لكثير من الناس:

اتهم المستشرقون عثمان ﷺ بأنه كان قد وسع مفهوم القطائع وزاد فيها.

ويعبر المستشرق دي لافيدا عن هذه الشبهة بقوله: (وقد اتهم عثمان [ﷺ] بأنه احتفظ بجانب من الغنائم لعماله وأقاربه، وذلك بتوسيعه لمفهوم القطائع إلى حد كبير، وربما كان عثمان [ﷺ] يقصد من هذا تكوين أمولا الدولة بدلا من تقسيم كل الغنائم على المحاربين)[3].

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي:-

ما هي القطائع: هي كل أرض لها ساكن فى قديم الدهر، فانقرضوا حتى

---

(١) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٣٤٨.

(٢) المرجع السابق جـ٤ ص٣٤٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠١ - مادة: عثمان بن عفان.

لم يبق بها أحد فحكمها إلى الإمام، ومثله فيما يصلح للإقطاع موات الأرض مما لم يستحييه أحد، وجملة الأمر ما لم يقع عليه ملك مسلم، ولا معاهد، فإن حكم ذلك إلى الإمام يقطعه من اختاره[1].

ويعرفها أبو يوسف بأنها: (المال الذى لم يكن لأحد، ولا فى يد وارث، فللإمام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له غناء فى الإسلام، ويضع ذلك موضعه، ولا يحابي به)[2]، فإذن القطائع هي الأرض التى لا مالك لها فمصيرها إلى ولي الأمر الذى يعطيها لمن شاء من الناس دون مجاملة ولا محاباة.

ولكن هذه القطائع لا تذهب كلها لمن يأخذها، وإنما يبقى عليها حق للدولة يقدره ولي الأمر كما يشاء إن رأى أن يصير عليها العشر فعل، وإن رأى أن يصير عليها عشرين فعل[3].

ويبدو أن هناك غرضاً اقتصادياً وراء إعطاء الناس هذه القطائع، وهو استصلاحها واستثمارها بعد تأليف قلوب أصحابها حتى لا تبقى بدون منفعة للمسلمين.

ولذلك ثبت أن النبي ﷺ فعل ذلك، والخلفاء من بعده، وقد أقطع رسول الله ﷺ، وتألف على الإسلام أقواماً، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن فى إقطاعه صلاحاً، ومن ذلك ما يلى:-

- روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[4].

---

(١) أبو الفرج قدامه بن جعفر البغدادى: الخراج وصناعة الكتاب - الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ دار الرشيد - بغداد ص٢١٥.

(٢) أبو يوسف: كتاب الخراج - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ ص٩٦.

(٣) المرجع السابق ص٧٠.

(٤) عَنِ الْحَارِثِ بْنِ بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ فِي الْمَعَادِنِ الْقَبْلِيَّةِ الصَّدَقَةَ، وَأَنَّهُ قَطَعَ لِبِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ الْعَقِيقَ أَجْمَعَ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ ﷺ، قَالَ لِبِلاَلٍ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَقْطَعْكَ = ⇦

- وكذلك أبو بكر الصديق ﷺ قد مضى فى تطبيق السياسة النبوية فى إقطاع الأراضي للناس طلباً لاستصلاحها[(١)]، فأقطع عدداً من المسلمين بعض الأراضي[(٢)].

- وكذلك فعل عمر الذي توسع فى إقطاع الأرض طلباً لاستصلاحها، وأعلن فى الناس: من أحيا أرضاً مواتاً فهي له، وقام عمر بإقطاع بعض الصحابة والمسلمين بعض الاقطاعات[(٣)].

مما سبق يتضح لنا أن مسالة الإقطاع وإعطاء بعض الأراضي لبعض المسلمين هى سنة نبوية فعلها النبي ﷺ، وكذلك الصديق ﷺ، وكذلك الفاروق ﷺ الذي توسع فى هذا الأمر إلى حد كبير. فما الذي يعيبه المستشرقون وأمثالهم على عثمان ﷺ حينما فعل نفس السنة التى فعلها النبي والشيخان من بعده؟

إن الدولة الإسلامية قد اتسعت رقعتها فى عهد عثمان، ومن الطبيعى أن تكثر الأراضى التي لا مالك لها، وهي ما يسمى بالقطائع، ولما كان عثمان ﷺ حريصاً على مصلحة المسلمين، فقد قام بإقطاع الأرض لمن يراه مستحقاً لذلك.

ويذكر أكرم العمري أن الإقطاعات فى عهد عثمان قد اتسعت، وزادت فيقول: (ولما تولى عثمان ﷺ الخلافة توسع فى الإقطاع، وخاصة فى المناطق

= لِتَحْتَجِزَهُ عَنِ النَّاسِ، لَمْ يَقْطَعْكَ إِلاَّ لِيُعْمَلَ. قَالَ: فَأَقْطَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلنَّاسِ الْعَقِيقَ. رواه الحاكم في المستدرك - دار المعرفة جـ١ ص٤٠٤.

قال الحاكم: قَدِ احْتَجَّ الْبُخَارِيُّ بِنُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، وَمُسْلِمٌ بِالدَّرَاوَرْدِيِّ، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(١) راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٣ ص١٠٤.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص٣٦.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه- باب:مَنْ قَالَ إِذَا أَحْيَى أَرْضًا فَهِيَ لَهُ. جـ٧ ص٧٣، رقم٢٢٨٢١، ويحيى بن آدم: كتاب الخراج ص٨٨، وابن زنجويه: الأموال - تحقيق شاكر ذيب فياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، جـ٢ ص٦٢٦. بإسناد صحيح.

المفتوحة حيث ترك عدد من الملاك أراضيهم فارين، فصارت صوافى تقوم الدولة باستثمارها، فأقطع عثمان ﷺ منها خوفاً من بوارها)[(١)].

ويذكر الماوردي فى الأحكام السلطانية مقدار الزيادة الكبيرة التى تحققت من إقطاع عثمان ﷺ فيقول: (كان مبلغ غلتها – أي: القطائع – فى عهد عمر تسعة آلاف درهم كان يصرفها فى مصالح المسلمين، ثم إن عثمان ﷺ أقطعها أنه رأى أن إقطاعها أوفر لغلتها من تعطيلها، وشرط على من أقطعها إياه أن يأخذ منه حق الفيء، فتوفرت غلتها حتى بلغت على ما قيل خمسين ألف ألف درهم، فكان منها صلاته، وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء من بعده)[(٢)].

وفى هذا دلالة واضحة على مقدار حرص عثمان على المصلحة العامة من جهة، ومن جهة أخرى يدل على نجاح سياسته وإدارته لهذا الرافد من روافد بيت المال. وأما ما يطعن به المستشرقون بأن هذه القطائع كانت خاصة بأقارب عثمان ﷺ، فإن ذلك مردود عليه من خلال ما تذكره لنا المصادر من أسماء الذين أقطعهم عثمان، وغالبيتهم ليسوا من أقاربه وهم:

م	أسماء الذين أقطعهم عثمان	ما خصص له
١	عبد الله بن مسعود الهذلي	أرض بين نهري بيل[(٣)] وبين فى السواد
٢	عمار بن ياسر العنسي	أستينيا
٣	خباب بن الأرث التميمي	صعنبي[(٤)] – قرية بالسواد
٤	عدى بن حاتم الطائي	الروحاء[(١)]

(١) أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص٢٤٢.

(٢) الماوردى: الأحكام السلطانية – دار الحديث – القاهرة – بدون تاريخ ص٢٨٨.

(٣) نهر بيل: بكسر الباء وياء ساكنة من سواد العراق متصل بنهر بوق. معجم البلدان جـ٥ ص٣١٨.

(٤) صَعْنَبِىّ: بالفتح ثم السكون ونون مفتوحة وباء موحدة مقصورة وفي كتاب الفتوح: أن عثمان بن عفان ﷺ أقطع خباب بن الأرت قرية بالسواد تسمى صعنبي. معجم البلدان جـ٣ ص٤٠٧.

م	أسماء الذين أقطعهم عثمان	ما خصص له
٥	سعد بن أبي وقاص	قرية هرمس ببر فارس
٦	الزبير بن العوام	
٧	سعيد بن زيد القرشي	
٨	أسامة بن زيد الكلبي	أرض على شاطئ الفرات
٩	جرير بن عبد الله البجلي	أرض على شاطئ الفرات
١٠	ابن هبار	
١١	طلحة بن عبيد الله التميمي	التساستج - صنيعة بالكوفة
١٢	وائل بن حجر الحضرمي	أرض توالى قرية زرارة(٢) بالكوفة
١٣	خالد بن عرفطة القضاعي	أرض عند حمام أعين الكوفة
١٤	الأشعث بن قيس الكندي	موضع بين الكوفة والقادسية(٣)
١٥	أبو مربد الحنفي	أرض بالأهواز(٤) على نهر نيرى
١٦	نافع بن الحارث من كلدة الثقفي	قطيعة بشط عثمان(١) بالبصرة

(١) الروحاء: هي قرية من قري بغداد على نهر عيسي قرب السندية. معجم البلدان جـ٣ ص٧٦.

(٢) قرية زرارة: محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكار، وكانت منزلة فأخذها معاوية منه ثم أصفيت حتى أقطعها أبو جعفر محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي. معجم البلدان جـ٣ ص١٣٥.

(٣) القادسية: كانت القادسية تسمى قديساً ومرَّ بها إبراهيم فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال: قُدِّستَ من أرض فسميت القادسية وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في زمن عمر بن الخطاب سنة ٣٦هـ.. معجم البلدان جـ٤ ص٢٩١.

(٤) الأهواز: هي تلك المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من العراق والجنوب الغربي من إيران يحدها جبال زاغروس ومن الغرب بلاد العراق ومن الجنوب يحدها: الخليج العربي الحد الجغرافي الطبيعي الفاصل بينها وبين الهضبة الإيرانية أو ما يعرف ببلاد فارس. ياقوت الحموي جـ١ ص٢٨٤.

م	أسماء الذين أقطعهم عثمان	ما خصص له
١٧	أبو موسى الأشعري	قطيعة بحمام عمرة
١٨	عثمان بن أبي العاص الثقفي	شط عثمان بالبصرة(٢)

وهذا الجدول يكشف لنا أنه لا محاباة ولا مجاملة من عثمان لأحد من أقاربه فى العطاءات والإقطاعات، فكم عدد أقاربه من هذا العدد الكبير من المسلمين؟!

ثم إن الروايات الصحية تذكر لنا أن عثمان ﷺ كان يسترد الإقطاعات ممن أخذوها – حتى ولو كانوا من أقاربه – إذا اشتكى أحد المسلمين من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره الطبرى فى فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبي السرح: (إن عثمان قال لعبد الله بن سعد: إن فتح الله ﷻ عليك غداً أفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، فخرجوا حتى قطعوا مصر، وفتحوا أفريقية، وأوغلوا فى أرضها، فكان لهم سهلها وجبلها.

ثم اجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم، وقسم عبد الله ما أفاء الله عليه من الجند، وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان من ابن وثيمة النصري، وضرب فسطاطًا فى موضع القيروان، ووفد وفداً فشكوا عبد الله فيما أخذ، فقال لهم أنا نفلته، وقد أمرت له بذلك، وذاك إليكم فإن رضيتم جاز، وإن سخطتم فهو رد، قالوا: فإنا نسخطه قال فهو رد، وكتب إلى عبد الله يرد ذلك واستصلاحهم، قال فأعزله عنا لا نريد أن يتآمر علينا، وقد وقع ما

---

(١) شط عثمان: موضع بالبصرة كانت سباخاً ومواتاً فأحياها عثمان بن ابي العاصي الثقفي وكتب عثمان بن عفان ﷺ إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو والي البصرة من قبل أن أقطع عثمان بن أبي العاصي الثقفي ما كتب له بالمشط. معجم البلدان جـ٣ ص٣٤٤.

(٢) راجع فى هذا الجدول: أكرم العمرى: عصر الخلافة الراشدة ص٢٤٤، ومحمد بن علي العواجي: خلافة عثمان بن عفان. رسالة ماجستير بإشراف أكرم العمري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص١٨٠–١٨٢، وابن زنجويه: الأموال جـ٢ ص٢٣٥.

وقع، فكتب إليه أن استخلف الذي كنت نفلتك فى سبيل الله، فإنه قد سخطوا النفل، ففعل ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر، وقد فتح أفريقيا)[1].

أي رعاية لمصلحة المسلمين تلك التي فعلها عثمان؟! فبالرغم من أن هو الذي وعد قائده عبد الله بن سعد بهذه الزيادة إن تحقق له الفتح، ورغم أنه من حق الإمام أن يزيد وينقل من له مزية فى الجهاد والفتوحات إلا أن الخليفة عثمان لما رأى شكوى من بعض الناس أخذ هذا النفل من قائده، وقسمه على المسلمين، بل لما أرادوا عزله استجاب لهم الخليفة. أليس عبد الله هذا هو قريب عثمان؟ فأين المحاباة وأين المجاملة، وأين العطاءات الزائدة التى ادعى المستشرقون أن عثمان كان يخص بها أقاربه؟! إن جميع ما يدعيه المستشرقون ويروجون له فى هذا الصدد هو نوع من التضخيم والتهويل وترك للحقائق الثابتة، وكل ذلك نابع من اعتماد المستشرقون على مصدر واحد يأخذون منه معلوماتهم، وهو هنا مصادر الرافضة بلا شك، فقد ثبت لنا مدى التشابه والتطابق بين كلام المستشرقين وكلام الرافضة فى تلك الشبه التى ظنوا أنهم من خلالها أنهم يستطيعون أن يشوهوا، وأن يطعنوا فى خلافة عثمان ﷺ.

(١) الإمام الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٥٤.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

وفيه مبحثـــان :

۞ المبحث الأول : موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه.

۞ المبحث الثـاني : موقـف المستـشرقين من تعـدد المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه.

الفصل الثالث: موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

يتناول هذا الفصل - إن شاء الله - شبهات المستشرقين حول عمل من أعظم أعمال عثمان ﷺ، وهو الخاص بجمع القرآن، وموقف المستشرقين من تعدد المصاحف في عهد عثمان.

والواقع أن الطعن في جمع القرآن في عهده ﷺ ليس طعناً، ولا تشكيكاً في خلافة عثمان، وبعض أحداث خلافته بقدر ما هو طعن، وتشكيك في الإسلام ذاته؛ لأن القرآن الذي تم جمعه في صورته النهائية في عصر عثمان ﷺ هو المصدر الأول والأساسي للإسلام.

ونظراً لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي في شرائع الإسلام، وفى رسالة محمد ﷺ، لذا وجه المستشرقون كل طاقاتهم لإثارة الشبهات حول هذا الكتاب العظيم.

لكن ينبغي التنبيه هنا على أن منهج التشكيك والطعن في القرآن ليس منهجاً مستحدثاً على أيدي المستشرقين، بل هو منهج قديم ظهر في حياة النبي ﷺ نفسه، وفى أيام نزول القرآن عليه.

فقد وجدنا المشركين يحاولون التشكيك في القرآن، واللغو فيه، بغرض التغلب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾(1)، فالكفار والمشركون تواصوا بينهم ألا يطيعوا القرآن، وألا يستمعوا لأوامره، وأن يحاولوا التغلب عليه بالمكاء والصفير، ظانين أنهم بذلك يستطيعوا أن يغلبوا الرسول ﷺ، ويتغلبوا على القرآن.

ولما فشلوا في تلك الوسيلة بحثوا عن وسيلة أخرى، وهي محاولة خداع النبي ﷺ بأن يقترحوا عليه استبعاد القرآن، والإتيان ببديل عنه، فحكى الله ﷻ

(1) سورة فصلت الآية: ٢٦.

عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾[1].

واستمرت محاولات التشكيك والطعن للتغلب على القرآن إلى أن ظهرت على أيدي المستشرقين في ثوب جديد اتسم بالتشكيك، واعتماد النصوص الشاذة، والروايات الغريبة، والأخبار الضعيفة الواهية ليحاولوا إثارة الشكوك، وإظهار الطعون حوله.

وجدير بالذكر أن إثارة الشكوك، ومحاولة الطعن في القرآن ليس خاصاً بدائرة المعارف الإسلامية وحدها التى هي ميدان هذا البحث، ولكن هذا الأمر شائع في كافة دوائر المعارف التى اهتمت بالعلوم والتاريخ والثقافة الإسلامية. مثل دائرة المعارف الدولية، ودائرة معارف هارفر العالمية، ودائرة المعارف البريطانية، وغيرها من دوائر المعارف الغربية، وقد سبق التعريف بها في التمهيد لهذه الرسالة.

ولكن الذي يلفت النظر في طعون المستشرقين وشبهاتهم أنها لا تتطرق فقط إلى مسألة جمع القرآن وتدوينه وعدد المصاحف وموقف عثمان رضي الله عنه منها، بل تطرقت إلى مسائل ثابتة، وقضايا مسلمة معلومة بالضرورة لا يجوز التشكيك فيها لمن كان له عقل سليم، ومع ذلك حاول المستشرقون أن يثيروا حولها شبهاتهم وشكوكهم، ومن ذلك نسبة أشهر كلمات القرآن إلى أصول غير عربية سريانية أو عبرية أو آرامية.

وسوف أعرض في هذا الفصل موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه من خلال إبراز شبههم، ثم أرد عليها ردا علميا بالأدلة التي تظهر تهافتها. في المبحثين الرئيسيين في هذا الفصل وهما:

---

(١) سورة يونس الآية: ١٥.

- المبحث الأول: موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ.
- المبحث الثاني: موقف المستشرقين من تعدد المصاحف في عهد عثمان ﷺ.

المبحث الأول

موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان ﵁

اهتم المستشرقون بقضية جمع القرآن اهتمامًا بالغًا، واحتلت هذه القضية مكانة هامة في بحوثهم ودراساتهم التي حاولوا من خلالها أن يثيروا الشبه مشككين في القرآن الكريم.

وقد جاءت شبه المستشرقين عموماً، وفي دائرة المعارف الإسلامية خصوصًا على أقسام:

- قسم يتصل بجمع القرآن في عهد النبي ﷺ.
- قسم يتصل بجمع القرآن في عهد الصديق ﵁.
- قسم يتصل بجمع القرآن في عهد عثمان ﵁، وهو موضوع دراستنا.

وبالرغم من أن الكلام ينبغي أن ينصب على موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان ﵁ لكن لابد من إشارة موجزة لجمع القرآن في عهدي النبي ﷺ، وأبي بكر ﵁؛ وذلك للتأكيد على حقيقة هامة، وهي أن عمل عثمان ﵁ لم يكن بدعا كما يحاول بعض المستشرقين أن يصوروه، ولكنه كان في عمله هذا متبعا لعمل النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق ﵁.

أولاً: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ: فى البداية يشير المستشرق ولش[(١)] إلى أن القرآن قد تم تدوينه، وكتابته في عهد نزوله بأمر من النبي ﷺ.

فيقول ولش: (وقد أوصى الرسول [ﷺ] بكتابة القرآن - تدوينه كتابة -

---

(١) سبقت ترجمته في التمهيد في الجزء الخاص بتراجم المستشرقين.

وجمعه، وقد تم جزء من هذا العمل - كتابة النص القرآني، وجمعه - أيام محمد [ﷺ]، وبتوجيه منه، وتشير أحاديث الرسول [ﷺ] إلى توجيهاته فيما يتعلق بترتيب النص القرآني وتتابع الآيات)(١).

وهذا النص يحتوي على:-

١) أن النبي ﷺ أمر بكتابة القرآن وتدوينه.

٢) أن النبي ﷺ أمر بترتيب النص القرآني، وبوضع الآيات مرتبة ترتيباً معيناً.

وبالنسبة للفكرة الأولى وهي: أمر النبي ﷺ بتدوين ما ينزل من الوحي وكتابته:-

لقد كانت عناية النبي ﷺ بكتابة القرآن وتدوينه عناية بالغة جداً، فإن القرآن كان ينزل على النبي ﷺ، فيحفظه أولاً عن ظهر قلب، ثم يدعو كتاب الوحي من أصحابه فيأمرهم بكتابة ما نزل من القرآن.

وقد ورد العديد من الأحاديث التى تؤكد أن النبي ﷺ أمر بكتابة القرآن منها فعن زيد بن ثابت قال: (كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل الوحي أرسل إلى فكتبت الوحي)(٢).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو}، وفى لفظ لمسلم أن رسول الله ﷺ قال: {لا تسافروا بالقرآن، فإني

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٦٨ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) أخرجه: ابن أبي داود في المصاحف ص٣٧، والطبراني في المعجم الأوسط جـ٨ ص٣٠١، وفي المعجم الكبير للطبراني جـ٥ ص١٤٠، من حديث الوليد بن أبي الوليد، عن سليمان بن خارجة بن زيد، عن خارجة بن زيد قال: دخل نفر على زيد بن ثابت.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٩ ص١٧.

لا آمن أن يناله العدو}[(١)].

ولم يكتف النبي ﷺ بالكتابة، بل كان يراجع الكتاب بعد كتابتهم، فعن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وهو يملي، عليَّ، فإذا فرغت قال: اقرأه عليَّ فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه[(٢)].

إذن كتب القرآن ودُوِّن على عهد النبي ﷺ بطريقة فيها من الاحتياط والدقة والتحري ما يجعل هذا النص محفوظاً بكل عناية كما وعد الله ﷻ.

وأما بالنسبة للفكرة الثانية وهي: أن النبي ﷺ هو الذي أمر بترتيب النص القرآنى بطريقة معينة بوضع كل آية في موضعها، فإن ذلك ثابت ومجمع عليه وأشهر ما في هذا الباب حديث عثمان بن عفان ﷺ في الجمع بين الأنفال وبراءة بدون بسم الله الرحمن الرحيم، والذي تضافرت كتب السنة على روايته روى البيهقى في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك على الصحيحين:

أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: {قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض ما كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو جـ٤ ص١٥ رقم: ٢٩٩، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب النهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار جـ٣ ص١٤٩٠ رقم: ١٨٦٩.

(٢) أخرجه: الفسوي في المعرفة والتاريخ جـ١ ص٣٧٧، والطبراني في المعجم الأوسط جـ٢ ص٢٥٧، وفي الكبير جـ٥ ص١٤٢ من حديث: سعيد بن سليمان عن أبيه سليمان بن زيد عن جده زيد بن ثابت وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله موثقون، إلا أن فيه: في كتاب خالي، فهو وجادة. وقال في موضع آخر جـ٨ ص٢٥٧: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ١ ص١٥٢، و جـ٨ ص٢٥٧.

السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، فكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها، وظننا انها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم}[(١)].

والواقع أن هناك إجماعاً من الأئمة على أن النبي ﷺ قد رتب آيات كل سورة، ولم يترك ذلك لاجتهاد الناس، يقول القاضي الباقلاني: (إن ترتيب آيات السور إنما حصل بالنص والتوقيف دون الاجتهاد، وأنه ليس لأحد أن يخلط آيات السور بغيرها، ولا يضع مكان الآية غيرها مما قبلها أو بعدها؛ لأن النبي ﷺ هو الذي كان يأمرهم ويوقفهم على إثبات آيات السورة وترتيبها، وأنهم ليس لهم في ذلك خيار، ولا هو مما رد إلى آرائهم، فيجب أن يكون هذه حال التلاوة والدرس)[(٢)].

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﵁: يقول المستشرق ولش: (ثمة ما يشبه الإجماع على أن أول جمع كامل للقرآن الكريم في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق [﵁] (٦٣٢ - ٦٣٤م، وقد كتبت هذه النسخة الأولى

---

(١) أخرجه: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في فضائل القرآن ص٢٨٥، وأحمد جـ١ ص٤٥٩، والترمذي جـ٥ ص٢٧٢، والنسائي في فضائل القرآن ص٨٤، وفي السنن الكبرى للنسائي جـ٧ ص٢٥٣، والحاكم في المستدرك جـ٢ ص٣٣٠.

قال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس» ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس، غير حديث، ويقال هو: يزيد بن هرمز، ويزيد الرقاشي هو: يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس إنما روى عن أنس بن مالك، وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) القاضي الباقلاني: الانتصار للقرآن - تحقيق محمد عصام القضاة - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ سنة ٢٠٠١م - دار الفتح - عمان جـ١ ص٢٩٣.

في غضون عامين من وفاة النبي [ﷺ]، ووفقا لما ذكره البخاري، وما ورد في فتح الباري لابن حجر العسقلاني، فإن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] خشى من ضياع بعض القرآن بعد مقتل عدد كبير من حفاظه في معركة اليمامة، فاقترح على أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] جمعه وتدوينه بشكل كامل، فتردد أبو بكر [رضي الله عنه] خشية القيام بعمل لم يعمله رسول الله [ﷺ]، لكن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] أقنعه بضرورة ذلك وجدواه، فأرسل أبو بكر [رضي الله عنه] إلى زيد بن ثابت [رضي الله عنه] أحد كتاب الوحي، وعهد إليه بجمع القرآن الكريم، فتردد زيد بدوره لكن أبا بكر [رضي الله عنه] أقنعه بضرورة ذلك، فجمع زيد بن ثابت [رضي الله عنه] القرآن الكريم من العسب واللخاف والأكتاف والكرانيف وصدور الحفاظ، وكتبها في صحف متساوية، وقدمها إلى أبي بكر الصديق [رضي الله عنه]، فلما مات أبو بكر [رضي الله عنه] انتقلت هذه الصحف إلى عمر [رضي الله عنه] بتوليه الخلافة سنة ٦٢٤م، فلما مات انتقلت إلى ابنته حفصة [رضي الله عنها] التي كانت زوجة للنبي [ﷺ])(١).

وهنا نجد المستشرق ولش يتعمد أن يشوه الحقائق فيخفي صفات من كُلف بجمع القرآن من قبل أبي بكر رضي الله عنه، ومتغافلا عمدا عن المنهج والطريقة المتبعة في جمع القرآن ولنرجع إلى المصادر الإسلامية وأقوال السلف لنتبين منها الحقائق:

فعن الزهري قال أخبرني ابن السباق أن (زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي، قال: أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، وكان عنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني، أرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٠ - ٨١٧١ - مادة: القرآن الكريم.

بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] إلى آخرهما، وكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر)[2].

فالمصادر الإسلامية تظهر لنا عدة حقائق هامة وهي:

١) أن أول تجميع بشكل كامل للنص القرآني في مصحف واحد قد حدث في عهد الصديق ﷺ، وهذا محل إجماع بين المسلمين حتى أصبح من مناقب أبي بكر التى يذكرها الصحابة أنفسهم له أنه أول من جمع القرآن في مصحف واحد، فعن علي ﷺ قال: (رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين، وفى رواية عن علي أيضاً قال: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع بين اللوحين)[3].

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٨.

(٢) رواه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب قوله: لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم جـ٦ ص٧١ رقم: ٤٦٧٩.

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف جـ١٠ ص٥٤٤، وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في فضائل الصحابة جـ١ ص٢٣٠، وابن أبي داود في المصاحف ص٤٨ والمُسْتَغْفِرِيُّ، في فضائل القرآن جـ١ ص٣٦٠، من حديث سفيان الثوري، عن السدي، عن عبد خير، عن علي ﷺ.
= ⇐

٢) أن السبب الدافع لأبي بكر في فعله هذا، وهو الخوف على ضياع شيء من القرآن مع استشهاد الصحابة الذين كانوا يحفظونه أثناء خروجهم للجهاد في سبيل الله، وأن عدداً كبيراً من الصحابة قد قتلوا يوم اليمامة.

٣) أن المواد التى كان القرآن مكتوباً فيها وهى:

- الرقاع: جمع رقعة، وهى قطعة الجلود.
- الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاه.
- العُسُب: هو جريد النخل.
- اللخاف: وهى حجارة بيض رقاق.
- الكرانيف: قال الأصمعى: أصول السعف الغلاظ هى الكرانيف واحدتها كرنافة(١).

٤) أن في مصير هذه النسخة التى تم جمعها في عهد أبي بكر ﷺ بقيت عند أبي بكر مدة حياته ثم عند عمر مدة حياته، ثم عند أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٥) أن المستشرق ولش أخفى ما ذكره الإمام البخاري من ذكر أبي بكر ﷺ لمؤهلات زيد التي تجعله جديراً بأن يقوم بهذه المهمة الضخمة، وهذه المؤهلات هي كما وردت في رواية البخاري:-

- كونه شاباً وفى هذا من القوة والنشاط ما يجعله قادراً على القيام بتلك المهمة.
- كونه صاحب عقل راجع حصيف ييسر له القيام بما يطلب منه على خروجه.
- أنه من أصحاب الأمانة والثقة عند الصحابة، فليس محلاً للتهمة ولا

= قال القاري: سنده حسن. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ٤ ص١٥١٧.

(١) ابن منظور: لسان العرب جـ١ ص٧١١.

الظن به، فيكون ما يقوم به ادخل في باب القبول.

- وتأتى أهم صفة من صفاته، وأهم مؤهل من مؤهلاته التى تتعلق بهذه المهمة، وهى أنه كان كاتباً للوحي في عهد رسول الله ﷺ.

فرغم إطلاع المستشرق ولش على رواية البخاري وشرحه لابن حجر كما أشار هو نفسه، فلم لم يأت بذكر هذه الصفات لمن يتولى القيام بهذه المهمة الصعبة، وهو زيد بن ثابت ﵁، في محاولة منه لطمس حقيقة واضحة وهي أن القرآن نال من العناية والاهتمام والتدقيق من الأمة ما يقطع لسان كل مشكك.

٦) أن المستشرق ولش أخفى أي ذكر لمنهج زيد بن ثابت في الجمع الذي يعتمد على الدقة والضبط والتحرى الكامل، فقد روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف قال: (لما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب، ولزيد بن ثابت اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه)[(١)].

إذن كانت هناك دقة متناهية في جمع القرآن وتدوينه وأتبع زيد في ذلك منهجاً يتحرى الضبط، فكان لا يكتب إلا بشهادة شاهدي عدل حتى أنه لم يثبت ما جاء به عمر ﵁؛ لأنه كان وحده.

وكانت هاتان هما المرحلتان السابقتان لجمع القرآن قبل عهد عثمان ﵁ أعنى: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ أي: بتسجيله وتدوينه بعد حفظه، ثم مراجعته بعد تدوينه، ومرحلة الجمع في عهد أبي بكر الصديق بمعنى: نسخه

---

(١) أخرجه: بن وهب في تفسير القرآن من الجامع له جـ٣ ص٢٧، وعنه ابن أبي داود في المصاحف ص٥١، وابن كثير في فضائل القرآن ص٥٩، وفي التفسير جـ١ ص٢٦. من حديث هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: «اقعدوا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه». قال ابن كثير: منقطع حسن. قلت لأن عروة لم يلق أبا بكر. وقال ابن حجر: رجاله ثقات مع انقطاعه. فتح الباري لابن حجر جـ٩ ص١٤.

من المواد المتفرقة، وجمعه في مصحف واحد.

ثالثاً: موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ: بدأ المستشرق ولش الحديث عن جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ بذكر السبب الدافع وراء جمع القرآن فقال:

(وكان ذلك - أي: جمع القرآن - بسبب الخلاف بين القوى الإسلامية في الشام والعراق حول الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن في الصلوات الجهرية أثناء الحملة إلى أرمينيا وأذربيجان، فقد كتب قائد الحملة حذيفة بن اليمان [ﷺ] بهذه المشكلة إلى الخليفة عثمان [ﷺ] طالباً من أن يحول بين الناس وبين الاختلاف في القرآن، فطلب عثمان [ﷺ] صحف القرآن من حفصة [رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا]، وجمع زيد بن ثابت [ﷺ]، ومعه ثلاثة آخرون من حفاظ مكة، وطلب منهم نسخ القرآن بلهجة قريش، فلما انتهى النسخ احتفظ عثمان [ﷺ] بنسخة في المدينة المنورة، وأرسل نسخة لكل من الكوفة والبصرة ودمشق، كما أرسل نسخة، وفقاً لبعض الروايات إلى مكة مع تعليمات بإتلاف كل ما عدا نسخته، وبالفعل تم تنفيذه تعليماته)[1].

وبالنظر فيما ذكره المستشرق ولش يتضح لنا بعض الأمور وهي:

أولا: السبب في جمع القرآن في عهد عثمان: تبين من خلال النص السابق أن المستشرق ولش يعزو السبب في جمع القرآن في عهد عثمان إلى اختلاف المسلمين حول القراءة الصحيحة للقرآن معنى ذلك أن هناك عدة قراءات للقرآن الكريم منتشرة بين الناس، وأنه حدث خلاف بينهم للدرجة التى أزعجت حذيفة بن اليمان مما جعله يشكو ذلك الأمر، ويرفعه إلى الخليفة.

فقد اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان ﷺ شرقاً وغرباً، وتفرق الصحابة ﷺ، والقراء والحفاظ منهم في مختلف الأقطار المفتوحة، وأخذ

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٣ - مادة: القرآن الكريم.

كل صحابي يعلم القطر الذي يصل إليه بقراءته التى تعلمها في حدود الأحرف السبعة التى أنزل القرآن بها على النبي ﷺ، فأدى ذلك إلى تعدد القراءات واختلاف القراء.

- (فكان أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب ﷺ.
- وأهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ.
- وغيرهم يقرؤن بقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ.

فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءات، فكانوا إذا ضمهم موطن من المواطن في الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتى كاد الأمر يصل إلى التنازع والشقاق بينهم، وأنكر بعضهم على بعض وخاصة الذين لم يسمعوا من النبي ﷺ القراءات القرآنية)[(١)].

بيد أن هناك سبباً آخر لجمع القرآن على عهد عثمان لم يذكره المستشرق هنا، وهو ما رواه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف: (أنه لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك على المعلمين حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، فأكتبوا للناس إماماً)[(٢)].

وعن أنس بن مالك: (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم

---

(١) علي بن سليمان العبيد: جمع القرآن حفظاً وكتابة - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بدون تاريخ، ص٦٢.

(٢) أخرجه: ابن أبي داود في المصاحف ص٩٥، والطبري في تفسيره جـ١ ص٦١، والداني في المقنع ص١٧ من حديث إسماعيل ابن علية قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة.

في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)(١).

ثانيا:- أن عثمان ﷺ اعتمد في النَّسْخ على النسخة التى كانت عند حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، والتى ورثتها عن أبيها الذي آلت إليه بعد وفاة أبي بكر ﷺ.

ثالثا:- أن حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا لم ترفض، ولم تمانع في إعطاء الخليفة تلك النسخة المحفوظة عندها، والتي لما فرغ الكتاب من نسخها ردوها إليها مرة أخرى.

رابعا:- في اللجنة التى كلفها عثمان بالقيام بعملية نسخ القرآن من المصحف الذي كان عند حفصة، وعلى رأس اللجنة زيد بن ثابت ﷺ، غير أن المستشرق لم يُسَم أفراد اللجنة الذين ورد ذكرهم بأسمائهم في رواية البخاري.

خامسا:- أن اللغة التى تم اختيارها مرجعاً لهم عند الاختلاف هى لغة قريش.

سادسا:- أنهم لم ينسخوا نسخة واحدة، بل نسخوا العديد من النسخ التى تم إرسال كل واحدة منها إلى قطر من الأقطار، بعد الاحتفاظ بنسخة في

---

(١) أخرجه: البخاري جـ٦ ص١٨٣، رقم: ٤٩٨٦، والترمذي جـ٥ ص٢٨٤، رقم: ٣١٠٤، عن أنس بن مالك.

المدينة المنورة.

سابعا:- أن الخليفة أمر بكل ما سوى هذه النسخة الرسمية أن يحرق.

ورغم هذه الحقائق المذكورة في المصادر الإسلامية والواضحة أما المستشرقين إلا أنهم لم يألوا جهدا في الطعن والتشكيك في القرآن الكريم.

الشبهة الأولى: حول لغة القرآن هل كانت عامية أو فصحى.

فى البداية يثير المستشرقون شكوكاً حول اللغة التى كان النبي ﷺ يقرأ القرآن بها أول الأمر، وأنها كانت لهجة عامية ليست فصيحة، وأن العلماء المتأخرين هم الذين حاولوا أن يضفوا طابع الفصاحة عليها.

يقول المستشرق الألمانى فوللرز[1] karl vollers في رسالة بعنوان:

«لغة الكلام واللغة المكتوبة في بلاد العرب القديمة» يقول: (إن محمد [ﷺ] كان يقرأ القرآن في أول الأمر بلهجة عامية أى: بلغة الكلام دون إعراب

(١) كارل فوللرز: Karl Vollers مستشرق ألماني. تلقى تعليمه في هيلدسهايم وييفر، وأتم دراسته الثانوية عام ١٨٧٥، ثم درس علم اللاهوت البروتستانتي واللغات الشرقية في توبنغن وهاله وبرلين وستراسبورغ، وتخرج في الجامعة عام ١٨٧٩م، ليعمل معلمًا خصوصيًا بالأستانة في الفترة من خريف سنة ١٨٧٩ إلى يوليو ١٨٨٠م، وفي سنة ١٨٨٠م حصل على شهادة الليسانس من جامعة يينا. وعقب مناقشة أطروحته للدكتوراه بجامعة هاله عُين في أكتوبر ١٨٨٢م مساعدًا بالمكتبة الملكية في برلين تحت إدارة كارل لبسيوس. وفي سنة ١٨٨٦م عُين فولرس مديرًا للكتبخانة الخديوية بالقاهرة، وهو منصب تعاقب عليه عدد من المستشرقين الألمان قبل الحرب العالمية الأولى، وكان من أوائل الباحثين في اللهجة المصرية المعاصرة. ظل فوللرز في مصر حتى سنة ١٨٩٦، ثم عاد إلى ألمانيا وصار أستاذًا للغات الشرقية بمدرسة الفلسفة في جامعة يينا. كان فولرس عضوًا بالجمعية الشرقية الألمانية، وكان من أساتذة جامعة يينا نشر بالعربية ديوان "المتلمس" مع ترجمة له ألمانية. وكتب بالألمانية "العربية العاميّة عند قدماء العرب" و "اللهجة العربية في مصر" ووصف "المخطوطات الشرقية التي بمكتبة ليبسيك" في مجلد ضخم. ينظر في ترجمته: الزركلي: الأعلام جـ٥ ص٢١٢، والعقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٣٣، ويوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات جـ٢ ص١٦١٥.

مما يميز بينها وبين الفصحى التى يستخدمها الشعراء العرب، وإن لغة القرآن كما تعرفها الآن قد ضبطها علماء اللغة المتأخرون الذين حاولوا إضفاء الطابع الكلاسيكي عليها)[1].

تفيد هذه الشبهة أن القرآن كان يقرؤه النبي بلغة عامية، وأن الشعر كان بلغة العرب الفصيحة أى: أن الشعر أفصح من القرآن، وقد حاول العلماء المسلمون المتخصصون في اللغة استدراك هذا الأمر، فقاموا بضبط لغة القرآن.

ويمكن الرد على هذه الشبهة بما يلي:

هذه خرافة جديدة يحاول من خلالها هذا المستشرق الألمانى فوللرز أن يثير شبهة حول القرآن لكنها جاءت في غاية التدني للدرجة التى عارضها، إخوانه من المستشرقين، ورفضوها وأثبتوا خطأها.

ويبدو أن تلك النظرة لم تلق استحساناً من جموع المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، فأثبتوا خطأها وردوا عليها.

وإذا كان الباحث في كل مرة يرد على الشبهة المثارة بالرجوع إلى المصادر الإسلامية، فإنني في تلك الشبهة سأرد عليها من خلال كلام المستشرقين أنفسهم في دائرة المعارف الإسلامية كما يلى:

١) مستشرقون آخرون يثبتون خطأ تلك الشبهة:

تذكر الدائرة أنه لم يتفق مع تلك الفكرة عن لغة القرآن مع فوللرز إلا المستشرق بول كالي[2] paulkahle الذي حاول أن يؤيدها لكنه فشل فشلاً ذريعاً: فقد جاء في الدائرة بعد عرض رأي فوللرز السابق: (وقد أثارت نظرية فوللرز مناقشات كثيرة للغة القرآن، ولكنها لم تحظ بالتأييد خارج ألمانيا باستثناء عدة مقالات نشرها بول كالي عام ١٩٤٩م تتضمن أدلة على أن القرآن كان يقرأ

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨٢٢٠ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) لم أجد له ترجمة.

على الأقل خلال القرن الثاني للهجرة دون إعراب، وهي خصيصة من خصائص العامية.

وقد عجز كالى أيضاً عن إقناع الآخرين: بحجته، وانتهى العلماء إلى تقبل الأدلة التى تثبت خطأ نظرية فوللرز وكالي، وأقام نولدكه[(١)] وشفالي[(٢)] الحجة على عكس ما ذهب إليه فوللرز)[(١)].

---

(١) تيودور نولدكه: (١٢٥١ – ١٣٤٩هـ = ١٨٣٦ – ١٩٣٠م) Theodor Noldeke من أكابر المستشرقين الألمان. ولد في هاربورج بألمانيا، وتعلم في جامعات غوتنجن وفينا وليدن وبرلين. وانصرف إلى اللغات السامّية والتاريخ الإسلامي فعُين أستاذاً لهما في جامعة غوتنجن سنة ١٨٦١م، فجامعة كيل سنة ١٨٦٤م ثم في جامعة ستراسبورج ١٨٧٢م، ومات في كارلسروه له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها: "تاريخ القرآن" و "حياة النبي محمد" و "دراسات لشعر العرب القدماء" و "النحو العربيّ" و "خمس معلقات" ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثا كثيرة، منها رسالة في: "أمراء غسان" ترجمها إلى العربية بندلي جوزي وقسطنطين زريق. وله بالعربية "منتخبات الأشعار العربية" واشترك في الإشراف على طبع "تاريخ الطبري" وترجمته إلى الألمانية. قال الأب أنستاس الكرملي: لم نجد بين حملة العلم – المعاصرين – من بلغ تحقيقه. كان يحسن اللغات الشرقية كلها كالعربية والأرمية والعربية والصابئية والحبشية وغيرها، وله تصحيحات وتحقيقات في هذه الألسنة فضلا عن معرفته بلغات الغرب كاليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والأسبانية ولغته الألمانية. ". ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٢ ص٩٦، العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٧٣٨ – ٧٤٠، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٥٩٥ – ٥٩٨، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين ص١٠٥٣ – ١٠٥٦، أمراء غسان: مقدمته. ومجلة لغة العرب – السنة التاسعة ١٩٣١م، ص١٥٥، ويوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات جـ٢ ص١٨٧٦، مجلة المشرق – المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – السنة الثانية ١٨٩٩م – العدد: ٣١، ص٧١٥.

(٢) فريدريش شفالي: (١٨٦٣ – ١٩١٩م) Schwally Fridrich ولد شفالي في ١٠ آب ١٨٦٣م، ثم حضر للتعليم ابتداء من خريف ١٨٧٧م، في دارمشتات حيث أكمل تعليمه في خريف ١٨٨٣م. وقد درس اللاهوت والاستشراق. مع برنارد ستاد الشهير مشرفا له، أكمل شفالي درجة الدكتوراه في دراسات العهد القديم في ١٨٨٨م. وقد حضر دروس مع البروفيسور نولدكه في جامعة القيصر فيلهلم في ستراسبورغ، وعمق معرفته بفقه اللغة. وفي عام ١٨٨٩م ⇐=

فالمستشرقان المختصان في دراسة القرآن ولغته وتاريخه، وهما نولدكه الذي يلقب بشيخ المستشرقين، وكذلك المستشرق شفالي لم يوافقا على كلام فوللرز بل أقاما الحجة على عكسه.

٢) مستشرقون يصححون هذه الشبهة بالأدلة:

يرد المستشرق ولش على هذه الشبهة فيقول: (كان معظم علماء المسلمين في العصور الوسطى يعتقدون أن القرآن نزل بلغة قريش أي باللغة التى كان النبي [ﷺ] يتكلمها، وأنها كانت أيضًا اللغة المستعملة في شعر العربية الفصحى في عهد محمد [ﷺ]، وكان يفترض أن قريشاً وشعراء الفصحى كانوا ما يزالون يستخدمون اللغة النقية للبدو الأعراب.

وقد وجد العلماء دعماً لهذه النظرية في القرآن الكريم نفسه الذي يقول في سورة النحل: ﴿وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾[2]، وفى سورة الشعراء أنه نزل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[3]، وفى سورة فصلت أنه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[4]، وهى

= حصل على الاعتماد التدريس للدين والعبرية والألمانية. وأدى حب شفالي للغات السامية ليصبح مرة أخرى طالبا للمستشرق الألماني الرائد في وقته، تيودور نولدكه. في الجامعات الألمانية، ثم تمت ترقيته إلى أستاذ مشارك في اللغات السامية. ثم رحل إلى القاهرة في ربيع عام ١٩٠٣ وعام ١٩٠٤م، ودرس شفالي في مكتبة الخديوية والجامع الأزهر أساليب ترجمة القرآن، وانغمس في اللغة والثقافة المحلية من خلال العيش في الأسر العربية. وفي ١٩٠٨م تمت ترقيته إلى درجة الأستاذية في غيسن. وفي بداية عام ١٩١٣م تولى منصب رئيس كلية الفلسفة في جيسين، وفي ٥ يوليو ١٩١٣م حصل على وسام النسر الأحمر، ويعتبر العمل العلمي الذي جعل شفالي مشهورا من خلال ١٩٠٩ و ١٩١٩م، بمراجعته الكاملة لكتاب تاريخ القرآن لأستاذه تيودور نولدكه. يراجع ترجمته في: يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين - نشرة إليكترونية عبر شبكة كتب عربية، ص٧٤٠ - ٧٤١.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨٢٢١ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) سورة النحل الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الشعراء الآية: ١٩٥.

(٤) سورة فصلت الآية: ٣.

الآيات التى فسرها المفسرون بأن لغة القرآن هى اللغة العربية النقية)[١].

وهكذا يرد هذا المستشرق على زميله السابق بعدة ردود:

– أن القرآن نزل باللغة التى كان يتكلم بها النبي ﷺ، وهى الفصحى المستعملة في شعر العرب.

– أن هذه اللغة هى العربية الخالصة النقية للبدو والأعراب.

– أن هناك أدلة من القرآن تؤيد هذا الإتجاه بقوة.

فلا يبقى هناك وجه لهذه الخرافة التى أثارها المستشرق فوللرز حول لغة القرآن، ولمزيد من الرد على هذه الشبهة يرد معنا تفصيل أكثر في الشبهة التالية.

الشبهة الثانية: حول اللغة التي كتب بها القرآن في عهد عثمان ﷺ هل كانت لغة قريش أو غيرها؟:

وهذه الشبهة أثارها المستشرق شفالي ليشكك في رواية جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية: (ويقبل الدارسون الغربيون الآن ما يقول به شفالي في كتابه عن تاريخ القرآن وغيره من أن القرآن ليس بلهجة قريش، وإذا كان الأمر كذلك انهارت إحدى ركائز الرواية السابقة عن جمع القرآن ونسخه في عهد عثمان [ﷺ])[٢].

فهذه الشبهة تنطوي على فكرة أساسية وهي أن القرآن الذي تم نسخه في عهد الخليفة عثمان ﷺ لم يكن بلغة قريش، وإذا كان الأمر كذلك انهارت رواية جمع القرآن في عهد عثمان؛ لأنه قد جاء فيها أن عثمان أمر الكُتَّاب بأنهم إذا اختلفوا في شيء، فيجب عليهم أن يكتبوه بلغة قريش التي نزل القرآن بها.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨٢٢١ – مادة: القرآن الكريم.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٤ – مادة: القرآن الكريم.

ويمكن الرد على هذه الشبهة بما يلي:

أولا: هناك إجماع على أن عثمان رضي الله عنه قد أمر الصحابة المكلفين بنسخ المصحف أن يرجعوا إلى لغة قريش عند اختلافهم في أمر من الأمور أثناء عملية النسخ، وذلك واضح جداً من رواية البخاري السابق ذكرها، والتي فيها: (وقال عثمان للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)[1].

ثانيا: وهذه آراء ثلاثة في اشتمال مصحف عثمان على لغة قريش فقط، أو عليها مع غيرها، وهذه الآراء يلخصها الشيخ أبو شهبة فيما يلي:

(ما ذهب إليه الطبري ومن وافقه على رأيه في الأحرف السبعة من أن المصاحف تشتمل على حرف واحد منها، وهو حرف قريش الذي جمع عثمان عليه المصاحف، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وهو المعتمد وهو مذهب المحققين.

وذهب جماعة من الفقهاء والمتكلمين إلى أنها مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وقالوا: إنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وكانت بجميع الأحرف السبعة، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، وقد أجيب عنه بما ذكره ابن جرير الطبري من أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة قد تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد أجمعوا على ذلك إجماعًا شائعًا، وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام.

وذهب جماعة من السلف والخلف إلى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على

(١) سبق تخريجه في ص٢٧٧.

جبريل متضمنة لها لم نترك منها حرفاً واحداً)[1].

ونستفيد من ذلك أن الراجح أن القرآن نزل بلغة قريش، ومع هذا فلا مانع من أن تكون في القرآن لغات أخرى من لغات العرب غير لغة قريش: (إن وجود ألفاظ في القرآن وردت في لغات بعض العرب أمر طبيعي لتوافق لغات العرب في معظم الألفاظ، ولا يمكن القول: إن لفظة ما في القرآن ليست من لغة قريش لمجرد وجودها في لغة أخرى من لغات العرب، وكذلك الشأن في الألفاظ التي وردت في القرآن مما وقع مثله في بعض اللغات الأعجمية لا يمكن القول بناء على ذلك إن القرآن نزل بتلك اللغات)[2].

وفي هذا المعني يقول ابن قتيبة: (غير جائز أن يكون في القرآن لغة تخالف لغة قريش لقوله تعالي: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[3] إلا أن يكون القائل لهذا أراد ما وافق هذه اللغات لغة قريش)[4].

ثالثا: أن عمر ﷺ أمر بقراءة القرآن بلغة قريش: يورد القاضي أبو بكر الباقلاني عن عمر ﷺ فيقول: (وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يختار ألا يقرأ الناس إلا بلغة قريش، وروى الناس عنه أيضاً أنه سمع رجلاً يقرأ هذا الحرف من يوسف "ليسجننه عتي حين"، فقال له عمر من أقرأك هذا؟ قال: ابن مسعود، قال عمر: "ليسجننه حتى حين"، ثم كتب إليَّ ابن مسعود: سلام عليك، أما بعد: فإن الله أنزل هذا القرآن، فجعله قرآناً عربياً مبينًا، وأنزله بلغة هذا الحي من قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة هذا الحي من

(١) أبو شهبة: المدخل إلى دراسة القرآن الكريم - الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م - مكتبة السنة - القاهرة ص٢١٥ - ٢١٦.

(٢) غانم قدوري الحمد: دراسات قرآنية - منشورات كلية التربية جامعة تكريت - العراق ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ص٨٦.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٤.

(٤) ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن - تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية- بيروت - بدون تاريخ ص١٧.

قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، فهذا عمر يختار ألا يقرأ الناس إلا بموافقة لغة قريش)[1].

رابعا: لماذا لغة قريش؟ الواقع أن العلماء يذكرون لقريش ولغتها خصائص جعلت من المقبول أن يكون القرآن قد كتب بلغة قريش، يقول الباقلاني: إن القرآن كتب بلغة قريش؛ (لأنها هي الأظهر المعروفة، والناس لها آلف، والألسن بها أجرى، والقلوب لها أوعي)[2].

ويقول الزرقاني عن جمع لغة قريش لجميع لغات العرب: (ولا يغيبنَّ عن بالك أن هذه اللغات تمثلت في لغة قريش باعتبار أن لغة قريش كانت المتزعمة لها والمهيمنة عليها، والآخذة منها ماتشاء مما يحلو لها ويروق في ذوقها، ثم يأخذه الجميع عنها حتى صح أن يعتبر لسان قريش هو اللسان العربي العام، وبه نزل القرآن)[3].

ولغة قريش هي لغة الرسول ﷺ الذي نشأ وتربى في مكة، وتحدث لغة أهلها، ونزل عليه الوحي بها (إن القول بنزول القرآن بلغة قريش يتوافق مع شواهد التاريخ وطبيعة اللغات البشرية، والعقل يقتضي أن تكون لغة مكة ذات خصائص لغوية متجانسة، وأن لغة الرسول ﷺ كانت متطابقة مع تلك اللغة، وأن معنى نزول القرآن بلغة قريش أن رسول الله ﷺ كان يتلو القرآن، ويبلغه

---

(١) أخرجه: أبو بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء جـ١ ص١٣، وابن جني في المحتسب جـ٢ / ٢٢٠، والخطيب البغدادي جـ٤ ص٦٤١، رقم: ١١٩٢، وابن عبد البر في التمهيد جـ٨ ص٢٧٨ كلهم من حديث هشيم عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك،عن أبيه عن جده. وقد روي عن عثمان بن عفان مثل قول عمر هذا أن القرآن نزل بلغة قريش بخلاف الرواية الأولى وهذا أثبت عنه لأنه من رواية ثقات أهل المدينة. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد جـ٨ ص٢٧٩.

(٢) الباقلاني: الانتصار للقرآن جـ٢ ص٥٥٣.

(٣) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م – دار الفكر – بيروت جـ١ ص١٢٧.

على نحو يطابق نطق العربية السائدة في مكة، وكان أهل مكة يسمعون منه القرآن، ولا يستشكلون ذلك النطق كما أنهم لا يصعب عليهم تقليده)[1].

يشير الدكتور جابر قميحة إلى أن لغة قريش كانت تمثل كل لغات القبائل الأخرى، وأن ذلك راجع لعدة عوامل فيقول: (فلهجة قريش كانت تمثل اللغة المشتركة لقبائل العرب كلها، وذلك لعدة عوامل:

العامل الديني: فمكة هي مركز الكعبة، وبيت الله الحرام حيث يحج العرب، ويغدون إليها بالآلاف كل عام.

العامل الاقتصادي: فقد كانت مكة مركزاً هاماً للتجارة في الجزيرة العربية، ومنها كانت تنطلق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف.

العامل الاجتماعي والأدبي: فقد كانت قريش موضع توقير وتبجيل بين القبائل العربية، ذلك أصلاً ناتج عن مكانتها الروحية، فقصدت قريشاً للتحكيم في القضايا والدماء بين القبائل والسفارة بينها للسلام وحقن الدماء، وكانت سوق عكاظ تقام قرب مكة كل عام، وهي سوق شاملة بمعنى: أنها كانت تجارية أدبية فيها بيع وشراء ومضاربات، ومباريات في الشعر والخطابة بلغة قريش مما ساعد على إنمائها وانتشارها.

العامل اللغوي: فقد كانت هي أفصح اللغات لخلوها من العيوب النطقية واللغوية، مثل: عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة مضر، وعجرفية ضبة، واستنطاء اليمن، وعجعجة قضاعة.

ويعلل ابن خلدون فصاحة لغة قريش ببعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما المجاورون لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج

(١) غانم قدوري الحمد: دراسات قرآنية ص٩.

بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية)[١].

وأخيراً فإن القول بنزول القرآن بلغة قريش، وبالتالي تدوينه وتسجيله ينأى عن الاشكالات التي يثيرها القول بنزول القرآن بلغة عدد من قبائل العرب أو لغة جميعهم، وهذا هو الغرض الأساسي من نسخ القرآن في عهد عثمان ﷺ، وهو الابتعاد من مواطن الخلاف الذي يجر إلى التباغض، بل والتقاتل في بعض الأحيان كما وردت بذلك بعض الروايات التي سبق ذكرها.

وبعد هذه الوجوه كلها نقول للمستشرق شفالي: إنك جانبك الصواب، وتجنيت على الحقيقة حين زعمت أن القرآن ليس بلهجة قريش، وأوردت هذا القول على أنه هو الوجه الوحيد للحقيقة، وليس هناك وجوه أخرى أقوى وأدخل في الحقيقة مما ذكرته، وقد كان من دواعي الإنصاف أن تذكر أن ذلك رأي من ضمن آراء عديدة، وهو رأي مرجوح على كل حال.

الشبهة الثالثة: حول اللجنة التي كلفها عثمان ﷺ بنسخ المصحف.

بعدما قرر المستشرقون في الشبهة الثانية أن القرآن لم يكتب بلغة قريش، وقرروا بناءً على ذلك انهيار رواية جمع القرآن على عهد عثمان ﷺ نجدهم في هذه الشبهة الثالثة يشككون في اللجنة التي كلفها عثمان بنسخ المصحف.

فيقول المستشرق ولش: (أصبح من الصعب أن نعرف الدور الذي قامت به هذه اللجنة التي عينها عثمان [ﷺ]، وقد بين شفالي أن الأشخاص المذكورين في مختلف الروايات على أن عثمان [ﷺ] قد رشحهم لهذه المهمة كانوا غير مقبولين)[٢].

وهم بهذا التشكيك الخفي يرمون إلى: أولا: إلى صعوبة معرفة عمل

---

(١) جابر قميحة: لماذا نزل القرآن بلغة قريش - مقال منشور بجريدة الأهرام المصرية - الثلاثاء ٢٤ شوال ١٤٢٢هـ-٨ يناير ٢٠٠٢م - العدد ٤٢٠٣٦ السنة ١٢٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٧٤ - مادة: القرآن الكريم.

اللجنة، وثانيا: إلى أنها كانت غير مقبولة، ولا ندري ممن كانت غير مقبولة؟ هل من الخليفة الذي عينها؟! أم من جموع المسلمين الذين وافقوا على هذا العمل الذي قامت به تلك اللجنة وتلقوه بالقبول؟ لم يوضح لنا المستشرق هذه النقطة.

ويمكن الرد على هذه الشبهة كما يلي:

١: من هم أفراد هذه اللجنة؟ وما عددهم؟

تذكر رواية البخاري أن الخليفة عثمان ﷺ أمر زيد بن ثابت، ومعه عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يقوموا بتلك المهمة، وهي نسخ المصحف من مصحف أبي بكر ﷺ، فهؤلاء هم الأربعة المشهورون الوارد ذكرهم في رواية البخاري. (١)

ويذكر ابن أبي داود(٢) أن عثمان جمع لهذه المهمة اثني عشر رجلاً، وذكر

(١) روى البخاري في صحيحه جـ٦ ص١٨٣، رقم: ٤٩٨٧، عن أنس بن مالك، حدثه: أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف "، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق.

(٢) أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٣ ص٣٨١، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٧ ص٣٤٦، وابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٩٣، والفسوي في المعرفة والتاريخ جـ١ ص٤٨٧، وابن أبي داود في المصاحف ص١٠٥.

قال الذهبي: هذا إسناد قوي لكنه مرسل وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أبيا ولو كان كذلك لاشتهر ولكان الذكر لأبي لا لزيد والظاهر وفاة أبي في زمن عمر حتى إن الهيثم بن عدي = ⇦

أسماء بعضهم، وذكر منهم الأربعة المذكورين في رواية البخاري، وبذلك يكون عدد اللجنة المكلفة من قبل الخليفة للقيام بمهمة نسخ المصحف اثني عشر رجلاً لكن الباحثين يشيرون عادة اعتماداً على ما ذكره ابن حجر أن هناك أسماء عشرة منهم معروفون لنا أما الاثنان الآخران، فلم يذكرهما ابن حجر، ولا يعرف من هما.

فمن هم هؤلاء العشرة؟

١) زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل؛ لأن المستشرقين أفردوا له شبهة خاصة.

٢) عبد الله بن الزبير بن العوام أبو بكر القرشي الأسدي رضي الله عنه كان أول مولود في الإسلام في المدينة من المهاجرين، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل سنة ثلاث وسبعين من الهجرة[(١)].

٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنه، وقد ذكرناه في الفصل السابق عند حديثنا عن ولاة عثمان رضي الله عنه.

٤) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي رضي الله عنه قيل: كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم له رؤية، وهو من كبار ثقات التابعين، وقال الذهبي في الميزان: تابعي شهير ثقة من كتاب المصحف لعثمان لا صحبة له[(٢)].

هؤلاء هم الأربعة المشهورون الذين اتفقت على تسميتهم الروايات مع زيد الذي يعتبر رئيس اللجنة، وكان هؤلاء الثلاثة في غاية الشباب والنشاط والقوة على أداء هذه المهمة.

= وغيره ذكرا موته سنة تسع عشرة. سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٢٤٢.

(١) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال – تحقيق: بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م جـ١٤ ص٥٠٨.

(٢) الحافظ ابن حجر: تقريب التهذيب – تحقيق: محمد عوامة – دار الرشيد – سوريا – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، جـ١ ص٣٠٣.

ويبدو أن عثمان رضي الله عنه كان يجعل كل واحد من أعضاء اللجنة يخصص للعمل الذي يتميز فيه، يدل على ذلك أنه رضي الله عنه قال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص قال عثمان فيلمل سعيد وليكتب زيد(١).

أما بقية أسماء العشرة الذين اشتركوا في هذا العمل فهم:

٥) أنس بن مالك رضي الله عنه.

٦) أبي بن كعب رضي الله عنه.

٧) أفلح بن كثير مولى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

٨) مالك بن أبي عامر جد مالك بن أنس، وهو حميري يماني رضي الله عنه.

٩) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

١٠)عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وقد لاحظ بعض الباحثين ملاحظة طريفة على تكوين لجنة نسخ المصحف، وهي أنها قد روعي فيها أن يكون النصف من قريش، والنصف تقريباً من الأنصار وواحد من اليمن، وواضح من تكوين هذه اللجنة أنها من العرب الخلص ما عدا أفلح بن كثير، فهو مولى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، والموالي كثيرون في الصحابة، فلعل عثمان رضي الله عنه راعى في تكوين اللجنة أن تمثل المهاجرين والأنصار واليمن من جهة، وأن تمثل الموالي من جهة أخرى، فهذا من حسن الاختيار، وكان موفقاً كل التوفيق(٢).

---

(١) أخرجه: عمر بن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٩٤، وابن أبي داود في المصاحف ص١٠١، وابن كثير في فضائل القرآن ص٨٤، قال ابن كثير: إسناد صحيح.

(٢) عبد الله شحاته: تاريخ القرآن والتفسير – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ص١٨٥، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي: جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م، ص١٨٦.

٢: مالمنهج الذي وضعه عثمان ﷺ لعمل تلك اللجنة:

من الواضح أن عثمان ﷺ قد وضع خطة صارمة تحكم عمل لجنة نسخ المصحف تضمن أن تتم العملية في إطار محكم من الدقة والعناية فوضع القواعد الآتية:

- لا يكتب شيء إلا بعد التحقق من أنه قرآن.
- لا يكتب شيء إلا بعد العلم بأنه قد استقر في العرضة الأخيرة.
- لا يكتب شيء إلا بعد التأكد أنه لم ينسخ.
- لا يكتب شيء إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة.
- إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش.
- يحافظ على القراءات المتواترة، ولا تكتب قراءة غير متواترة.
- اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة.
- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات، ويمكن رسمه في الخط محتملاً لها كلها يكتب برسم واحد مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1]، فإنها تصح أن تقرأ بالقراءة الأخرى، فتثبتوا؛ لأن الكتابة كانت خالية من النقط والشكل.
- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات، ولا يمكن رسمه في الخط محتملاً لها يكتب في نسخة برسم يوافق بعض الوجوه، وفي نسخة أخرى برسم يوافق الوجه الآخر مثل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾[2]، فإنها في نسخة أخرى (وأوصي)[3].

---

(١) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٢.

(٣) راجع في هذه الشروط والقواعد: محمد بكر إسماعيل: دراسات في علوم القرآن - دار المنار - =

وبهذا المنهج الدقيق والأسس السليمة كتب المصحف العثماني، فكان في غاية الدقة والضبط والتحري، ولله الحمد والمنة[1].

وبعد ذلك نقول للمستشرقين المشككين في لجنة نسخ المصحف في عهد عثمان ﷺ سواء في أفرادها أو في عملها، هل رأيتم لجنة شكلت بهذه الصورة للقيام بعمل من الأعمال؟

- فاللجنة أعضاؤها من الصحابة الأخيار ومن التابعين.
- وهؤلاء الأعضاء من العرب الخلص الذين تتوفر فيهم القدرة على القيام بهذه المهمة.
- ثم هم مؤهلون بميزات خاصة بهذه المهمة من الحفظ والكتابة والفصاحة.
- وخليفة المسلمين هو المشرف العام على عمل تلك اللجنة.
- ثم هذه اللجنة لا تعمل في الخفاء، ولا بعيداً عن العيون حتى يقول المستشرق: إنه من الصعب تحديد دور اللجنة، بل هناك رقباء من الصحابة، ومن باق المسلمين حيث كان من شروط عمل اللجنة أن يعرضوا ما يكتبوه على جمع من الصحابة.

فإذا قال المستشرق ولش: أنه من الصعب أن نعرف الدور الذي قامت به اللجنة، قلنا له: بل هو من السهولة بمكان، إن دور تلك اللجنة التي كلفها عثمان ﷺ خشية الاختلاف في القراءات فتم نسخ المصحف الذي جمع في أيام

= القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص١٢٨، وعدنان زرزور: القرآن ونصوصه – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ-مطبعة خالد بن الوليد – دمشق ص٨٥، الزرقاني: مناهل العرفان جـ١ ص٢١١.

(١) عوض أحمد الناشري: المصحف العثماني: توصيفه – تاريخه – بحث منشور بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد – أبها ص٣.

أبي بكر ﷺ على يد عمر الفاروق ﷺ، وزيد بن ثابت ﷺ نُسخاً متعددة لحاجة أقطار المسلمين إليها.

وإذا قال المستشرق ولش: إن أعضاء اللجنة غير مقبولين، قلنا له: هذا ادعاء باطل عار عن الدليل، بل الدليل يقوم على خلافه، فإذا رجع إلى أي كتاب من كتب التراجم والسير علم أن هؤلاء الأشخاص ثقات عدول مرضيون مقبولون من جموع المسلمين سواء منهم من كان من الصحابة أو من التابعين. والذي يبدو لي في نهاية هذه الشبهة أن المستشرقين ليس هدفهم الأول هو الطعن والتشكيك في أعضاء اللجنة، وإنما هو الطعن والتشكيك في العمل العظيم الذي انتجته هذه اللجنة، وهو جمع المسلمين على مصحف واحد، ووأد فتنة التفرق والتقاتل التي بدأت تطل برأسها، والتي كانت سبباً رئيساً في جمع المصحف، ونسخه في عهد الخليفة عثمان ﷺ.

الشبهة الرابعة: وهي المتعلقة بزيد بن ثابت ﷺ.

شكك المستشرقون في اللجنة المكلفة بجمع القرآن، ونسخه في عهد عثمان عموماً، ثم شككوا في رئيس في هذه اللجنة، وأهم شخصية في جمع القرآن سواء في عهد أبي بكر، أو في عهد عثمان، وهو زيد بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا-.

يقول المستشرق ولش: (ويقبل معظم الباحثين الغربيين أيضاً أن زيداً [ﷺ] لعب دوراً ما في إقامة النص القرآني العثماني، وإن كان من الصعب تحديد ماهية هذا الدور.

وقد أثار بيرتون[(١)] شكوكاً خطيرة حول دور زيد في إقامة النص القرآني)[(٢)].

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص١١٧٥ - مادة: القرآن الكريم.

والذي يبدو من هذه الشبهة أن المستشرقين يعتقدون أن زيداً بن ثابت ﷺ كان له دور في إقامة النص القرآني، وبذلك يكون في نص القرآن دورا للبشر، وهذا ما يفهم من عبارة المستشرقين ولش وبيروتون حيث استخدماً كلمة: Establishing، وهي تعني في الإنجليزية إنشاء يعني أن زيداً وضع في القرآن ما ليس فيه، هذه هي حقيقة تلك الشبهة، والمستشرقون يرمون أساساً إلى الطعن والتشكيك في النص القرآني، فاختاروا طريقة لذلك، وهي الطعن في أشهر الشخصيات التي لها صلة بتدوين القرآن وكتابته، وهو زيد بن ثابت ﷺ.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي:

أولا: موقف زيد من جمع القرآن في عهد أبي بكر: أول ما يلفت النظر في شخصية زيد بن ثابت ﷺ أنه شخصية متواضعة لا يطلب مجداً ولا يسعى إلى شهرة، ويظهر ذلك من خلال الرواية التي ذكرناها سابقاً، والتي عرض فيها أبو بكر ﷺ على زيد أن يجمع القرآن، وعندما سمع زيد ﷺ هذا الأمر من أبي بكر ﷺ استشعر خطر هذه المهمة، فلم يقبل لأول وهلة، بل بعد مراجعات من أبي بكر ﷺ وفي هذا يقول زيد ﷺ:

(فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال والله هو خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)(١).

فلم يقبل زيد تكليف الخليفة بل فكر في نفسه أولاً مستشعراً عظم هذه الأمانة الثقيلة، ويبدو أن أبا بكر طلب منه مراراً حتى ألقى الله في قلبه القبول لهذا الأمر العظيم الذي يتعلق بأهم ما لدى المسلمين، وهو القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه: البخاري جـ٩ ص٧٤، والترمذي جـ٥ ص١٣٤، والنسائي في السنن الكبرى جـ٧ ص٢٤٩، وأحمد جـ١ ص٢٢٤ عن زيد بن ثابت، قال: والله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما كلفني من جمع القرآن.

ومع أن هذا التروي والتفكير يعتبر من مفاخر زيد ﷺ هنا إلا أن بعض المستشرقين أساء فهم هذا التروي ظنًا أنه من خلالها يستطيع أن يثير شبهة في هذا الشأن حول كاتب الوحي زيد بن ثابت ﷺ، وهو المستشرق جلكرايست[(١)] الذي يقول: (إن تردد زيد [ﷺ]إزاء هذه المهمة التي أسندت إليه كأن سببه من جهة كون محمد[ﷺ]نفسه لم يهتم بجمع القرآن، ومن جهة أخرى ضخامة المشروع هذا ما يظهر أن المهمة لم تكن سهلة بتاتاً، فإذا كان زيد [ﷺ] يحفظ القرآن جيداً، ويعرفه بأكمله عن ظهر قلب ولا يجهل أي جزء منه، فإن عملية جمع القرآن لن تكون إلا سهلة)[(٢)].

فهذا المستشرق ينظر إلى زيد أنه تردد بسبب أنه لا يحفظ القرآن، بل يجهل أجزاء كثيرة منه، ولم يفهم المستشرق هنا أن هذا لم يكن ترددًا، وإنما كان تفكيراً في هذه الأمانة الثقيلة، وعلى كل فهذه نظرة المستشرقين إلى أعلام الإسلام والصحابة منهم خصوصاً.

وكما كان تكليف زيد في عهد أبي بكر من الخليفة نفسه، فقد كان الأمر كذلك في عهد عثمان، فقد صدر الأمر من الخليفة نفسه إلى زيد بتكوين لجنة لنسخ المصحف.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن اختيار عثمان لزيد لم يكن ابتداعاً منه، بل اتباع لمن اختاره الرسول ﷺ لكتابة الوحي، ثم لمن اختاره أبو بكر ﷺ لجمع المصحف.

ثانيا: مؤهلات زيد ﷺ: هي التي أهلته للعمل في نسخ المصحف وأهمها الأمانة، وقبول الصحابة له منذ عهد أبي بكر، وهذا ما لاحظناه في رواية

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) جون جلكرايست: جمع القرآن ص١٥. موقع الرد على الإسلام:

http://answering-islam.org/Arabic/Gilchrist/Jam/index.html

البخاري السابقة، والتي ذكر فيها أبو بكر المؤهلات التي تؤهل زيد للقيام بهذه المهمة، فقال له أبو بكر ﷺ: (إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ)(١).

فزيد ﷺ يتميز بالميزات الآتية:

- تأتي أهم ميزة له متعلقة بهذه المهمة، وهو أنه ذو خبرة طويلة في هذا المجال، فيكفي أنه كان كاتب الوحي الأساسي لرسول الله ﷺ، ولذلك كلفه عثمان ﷺ بمهمة الكتابة حين قال: (فليمل سعيد وليكتب زيد)(٢).

- كونه أميناً غير ذي تهمة عند الصحابة، بل لديه من الثقة والأمانة ما يجعل عمله يقع موقع القبول والاطمئنان إلى نتيجته.

- يضاف إلى ذلك أن زيداً لم يكن كاتباً فقط، بل كان أيضاً من حفاظ القرآن، وهذا على خلاف ما يعتقده المستشرقون مثل قول جلكرايست السابق، ومثل قول نولدكه: (غير أن المصادر المذكورة لا تقول شيئاً على قدرة زيد على حفظ القرآن غيباً، فلو كان قادراً على ذلك لكانت المصادر أتت على ذكر هذا الأمر مراراً)(٣).

- كونه شاباً فهو أنشط، وأقدر على القيام بما يطلب منه.

- كونه عاقلاً فطناً ليكون أوعى لما يقوم به من مهمة جليلة، فالعقل

---

(١) أخرجه: البخاري جـ٩ ص٧٤، والترمذي جـ٥ ص١٣٤، والنسائي في السنن الكبرى جـ٧ ص٢٤٩، وأحمد جـ١ ص٢٢٤ عن زيد بن ثابت، قال: والله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما كلفني من جمع القرآن.

(٢) أخرجه: عمر بن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص٩٩٤، وابن أبي داود في المصاحف ص١٠١، وابن كثير في فضائل القرآن ص٨٤، من حديث أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد.

قال ابن كثير: إسناد صحيح.

(٣) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٥١.

جماع الفضائل؛ لأنه يحفظ العمل من النقص والخلل.

- إضافة إلى أن زيداً كان من الحفاظ وتدل على ذلك الروايات الكثيرة التي تفيد بأن زيداً حضر العرضة الأخيرة للقرآن التي عرضها رسول ﷺ على جبريل للمرة الثانية في السنة التي كانت فيها وفاته، فيدل على أنه كان حافظاً مستثبتاً واعياً لما يحفظ، وأنه لم يترك الصواب لأي اعتبار[1]، ومن ذلك أن زيداً كان يحفظ أشياء من النبي ﷺ، وحين لم يجدها وقت جمع القرآن سأل عنها وطلبها.

ومن ذلك ما رواه زيد بن ثابت ﷺ حين قال: (فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ لما كتبت المصاحف، فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾[2])[1]، وهذه المؤهلات قد اتفق عليها المسلمون، بل ومن المستشرقين

---

(١) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة -الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م ص١٤٤.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرأون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان على طول أيامه يقرأ مصحف عثمان، ويتخذه إماما. ويقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، وهي التي بين فيها ما نسخ وما بقي. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. شرح السنة للبغوي جـ٤ ص٥٢٦، وانظر: الإيضاح في القراءات ص١٠٥، البرهان في علوم القرآن جـ١ ص٢٣٧، ومنهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٥٣، وفتح الباري جـ٩ ص١٧.

قال الذهبي: كان زيد أحدث القوم بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ عام توفي على جبريل. سير أعلام النبلاء جـ١ ص٤٨٨.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.

من ذكر هذه الميزات التي رشحت زيداً لهذه المهمة الجليلة سواء في عهد أبي بكر، أو في عهد عثمان رضي الله عنه أجمعين.

من ذلك ما يشير إليه نولدكه قائلاً: (أما فيما يتعلق بالأسباب التي جعلت من زيد الشخص المناسب لجمع الوحي، فثمة إجماع في مصادرنا كلها على التشديد على شبابه وذكائه وعلى عمله السابق كسكرتير خاص لمحمد في شئون الوحي، أما عن شبابه فثمة تفهم عند الدارسين لهذا الموضوع، إذ ينتظر من شاب مطاوعة أكبر لأوامر الخليفة من موظف كبير في السن وعنيد)[٢].

وهذا النص السابق من المستشرق نولدكه رغم أن فيها ذكر لميزات زيد من كونه شاباً وذكياً، وكان قريباً للنبي ﷺ في كتابه الوحي إلا أن المستشرق لا يذكره هنا على كونه من مناقب زيد، بل هناك غمز واضح في اختيار زيد، وهو كونه شابًا، فإن ذلك يتيح فرصة أكبر لكون الخليفة هو المتحكم في الأمر في هذا الشاب الذي يكون أطوع من غيره.

كما أن هناك أسقاطاً لمفاهيم هذا المستشرق ومصطلحاته، فهو يطلق على زيد أنه «سكرتير» لمحمد، وباقي الصحابة موظفون!

وبغض النظر عن تلك النظرة الاستشراقية، فإن زيداً رضي الله عنه يبقى في نظر المسلمين له من المكانة والمنزلة ما يجعله مؤهلاً لهذه المهمة.

من ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في ترجمته، فقال بعد ذكر اسمه ونسبة: (الإمام الكبير شيخ المقرئين والفرضيِّين مفتي المدينة حَدَّث عن النبي ﷺ، وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن كله أو بعضه ومناقبه جمه)[٣].

---

(١) أخرجه: البخاري جـ٥ ص٩٥، والترمذي جـ٥ ص٢٨٤ رقم: ٣١٠٤، والنسائي في السنن الكبرى جـ١٠ ص٢١٧، وأحمد جـ٣٥ ص٥٠١ .

(٢) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٥١.

(٣) الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٢ ص٤٢٦.

وكان محل ثقة النبي ﷺ يأتمنه على المهام الجسيمة الخاصة، ومن ذلك ما رواه زيد بن ثابت أنه أتي به إلى النبي ﷺ مقدمه إلى المدينة، فقالوا يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة فأعجبه ذلك، وقال: يا زيد تعلم لي كتاب اليهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي قال زيد فتعلمته فما مضي لي نصف شهر حتى حذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب لهم(١).

وروي عن زيد أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: أتحسن السريانية؟ قلت: لا، قال لي: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً(٢).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم(٣).

(١) أخرجه: أحمد جـ٣٥ ص٤٩٠ برقم: ٢١٦١٨، والبخاري في التاريخ الكبير جـ٣ ص٣٨٠. وأبوداود جـ٣ ص٣١٨ برقم: ٣٦٤٥، والترمذي ت شاكر جـ٥ ص٦٧ برقم: ٢٧١٥، والطبراني في المعجم الكبير جـ٥ ص١٣٣، والحاكم في المستدرك جـ١ ص٧٥، وعلقه البخاري في صحيحه: ٧١٩٥.

كلهم من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد، أن أباه زيدا، أخبره: أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال زيد: ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ، وقال: «يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي» قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب "

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت».

(٢) أخرجه: أحمد جـ٣٥ ص٤٦٣ برقم: ٢١٥٨٧، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني جـ٤ ص٨٦، والفسوي في المعرفة والتاريخ جـ١ ص٤٨٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار جـ٥ ص٢٨٠، وابن حبان في صحيح جـ١٦ ص٨٤، والطبراني في المعجم الكبير جـ٥ ص١٥٥، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف وانظر تغليق التعليق جـ٥ ص٣٠٧ من حديث الأعمش، عن ثابت بن عبيد الأنصاري، عن زيد بن ثابت، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية» وانظر: صحيح ((المشكاة)) برقم: ٤٦٥٩.

(٣) أخرجه: البغوي في معجم الصحابة جـ٢ ص٤٧٠، رقم: ٨٥٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق =

وقال الإمام مالك كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ابن عمر، وقال علي بن المديني: لم يكن من الصحابة أحد له أصحاب حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة زيد وعبد الله وابن عباس(1).

والواقع أن زيداً لم يكن من طالبي الشهرة والجاه كما قررنا من قبل، وأكبر دليل على ذلك أنه يوم السقيفة قام فخطب الناس، ورغم أنه أنصاري إلا أنه رجح أن يكون الخليفة بعد رسول الله مهاجري.

روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصاري فتكلموا، وقالوا: رجل منا ورجل منكم، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، ونحن أنصاره، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره، فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً. يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم لو قلتم غير هذا ما صالحتكم)(2).

هذا غيض من فيض مما ورد في فضائل، ومناقب هذا الصحابي الجليل العظيم الأثر في الإسلام، وفي حفظ كتاب الله ﷻ.

= جـ19 ص322. عن مغيرة قال ثنا ابن عباس قال لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت كان من الراسخين في العلم. وإسناده صحيح.

(1) أخرجه: الفسوي في المعرفة والتاريخ جـ1 ص353، ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد وذيوله جـ10 ص242، من حديث محمد بن عبد الرحيم . وإسناده صحيح .
وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ19 ص327، والذهبي في سير أعلام النبلاء جـ2 ص438، من حديث محمد بن عبد الرحيم.

(2) أخرجه: أبو داود الطيالسي جـ1 ص495، وابن أبي شيبة جـ8 ص569، رقم: 20، وأحمد جـ35 ص489، والطبراني في المعجم الكبير جـ5 ص114، والحاكم المستدرك جـ3 ص76 من حديث وهيب، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قال الهيثمي: رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ5 ص183.

ونقول بعد ذلك للمستشرقين: لماذا الطعن في شخصية كهذة؟ أهو مجرد الطعن؟ أم أن الغرض الأساسي عندكم هو الطعن في القرآن؟!

زيد لم يكن وحده في جمع القرآن:

إذا كان المستشرقون يطعنون في زيد ﷺ، ويدعون أنه قام بدورٍ في وضع نصوص في القرآن، أو على حد تعبيرهم إقامة النص القرآني، فإنا نقول لهم إن زيداً ﷺ لم يكن وحده أثناء القيام بتلك المهمة سواء في عهد النبي ﷺ، فقد كان زيد واحداً من كثيرين يكتبون الوحي للنبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر ﷺ شاركه الكتابة عمر ﷺ، ثم ما كان يكتب شيئاً إلا بشهادة عدلين من المسلمين، وفي عهد عثمان ﷺ كان زيد واحداً من لجنة مكونة من اثني عشر كاتباً من المسلمين كما مر ذكرهم.

فلو فرضنا مع بعض المستشرقين أن زيداً تدخل في النص القرآني بزيادة أو إضافة أو حذف أو نقصان فأين جموع الصحابة؟ أين عثمان ﷺ؟ الذي كان يشرف على لجنة نسخ المصحف بنفسه؟ هل تلاعب زيد بالنص القرآني في حضرة هذا الجم الغفير من الصحابة ورضوا بذلك؟ إن هذا طعن في جميع الصحابة لا في زيد وحده.

ويعترف كثير من الباحثين الغربيين بتلك الحقيقة، وهي أن زيداً لم يكن يقوم بهذه المهمة بمفردة، بل بمرأى ومسمع من المسلمين، يقول روم لاندو: (كُلف كاتب الوحي زيد بن ثابت بجمع الآيات القرآنية في شكل كتاب، وكان أبو بكر قد أشرف على هذه المهمة، وفيما بعد إثر جهد مستأنف بذل من قبل الخليفة عثمان بن عفان اتخذ شكله التشريعي الذي وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه تحريف)[1].

---

(١) روم لاندو: الإسلام والعرب – ترجمة منير البعلبكي – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م – دار العلم للملايين – بيروت ص٢٩٦.

الشبهة الخامسة وهي المتعلقة بترتيب الآيات والسور:

يزعم المستشرقون أن القرآن في سوره وآياته لم يكن مرتباً هذا الترتيب الحالي أيام النبي ﷺ، وإنما تم ترتيبه بهذه الصورة في عهد عثمان ﷺ ليصلوا إلى أن المجموع في عهد عثمان ﷺ ليس هو المجموع في عهد النبي ﷺ.

يقول المستشرق ولش عن رواية جمع المصحف ونسخه في عهد عثمان: (إن الباحثين الغربيين يقبلون من هذه الرواية عدة نقاط جوهرية، منها: أن القرآن الكريم كما نعرفه اليوم وفقاً لترتيب سوره وآياته يعود إلى زمن عثمان [ﷺ]، وهذا لا يعني بالتأكيد على أية حال أنه كان مرتباً على هذا النحو في زمن محمد [ﷺ]) [1].

فهذه الشبهة تؤكد أن النبي ﷺ ترك القرآن بدون ترتيب لسوره وآياته، وأن هذا الترتيب تم في عهد عثمان ﷺ، والحقيقة أن هذه الشبهة تخالف ما عليه جماهير العلماء الذين قرروا أن النبي ما رحل عن الدنيا إلا والقرآن مكتوب، وأن سوره وآياته مرتبة الترتيب الحالي بتوقيف منه ﷺ.

قال البغوي في شرح السنة: (الصحابة ﷺ جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا ولا نقصوا شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا ترتيباً له لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا) [2].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٥ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) البغوي: شرح السنة - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م - جـ٤ ص٥٢١ - ٥٢٢.

(فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن كان مكتوباً في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة.

وقال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، فيوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فمن قدم أو أخر فقد أفسد نظم القرآن)(١).

هكذا تم ترتيب القرآن في عهد النبي بتوقيف من جبريل، ثم ترك النبي ﷺ القرآن مرتباً هذا الترتيب، وجاء أبو بكر ﷺ ليضم القرآن المتفرق في مصحف واحد على نفس الترتيب، وهذا المصحف هو الذي نسخه عثمان ﷺ.

وقد جاء في شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ما يلي: (والأظهر أن يكون مصحف عثمان منتسخاً من مصحف أبي بكر على ما هو معروف الآن من ترتيب، والأصل أن ترتيب كل ما يتعلق بالقرآن من النبي ﷺ، وكذا مصحف أبي بكر ﷺ، ومن ثم فإنه يكون على ما كان عليه القرآن في عهد الرسول ﷺ.

ولقد كان الكاتب زيد بن ثابت ﷺ الذي ذكر أنه حضر العرضة الأخيرة من أعلم الصحابة بالقراءة وبالمنزل على النبي ﷺ، وهو الذي كتبه في عهد النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر الصديق بمعونة عمر ﷺ، ثم كتبه في عهد عثمان ﷺ، ولم يرد عن واحد أن ما فعله عثمان يخالف ما فعله أبو بكر؛ لأن عثمان كان عمله هو النسخ فقط من مصحف أبي بكر، ولم يرد أن ما فعله أبو بكر مخالف لما كان على عهد النبي ﷺ، فإذا لم يرد هذا فالأصل البقاء على الأصل، والأصل أن يكون

---

(١) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي: تاريخ القرآن الكريم – ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة – طبع للمرة الأولى: بمطبعة الفتح بجدة – الحجاز عام ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م – ص٦٣.

المصحف في عهد الرسول ﷺ كما هو في عهد عثمان ﷺ)[1].

وهذا النص صريح في أن القرآن رتب على عهد النبي ﷺ، وأن المصحف الذي جمعه أبو بكر ﷺ كان على نفس الترتيب، وقد اعتمد عثمان ﷺ على مصحف أبي بكر ﷺ، وكل ما فعله هو أنه نسخ هذا المصحف، فيكون بنفس الترتيب بلا شك.

إذن عمل عثمان ﷺ هو إتباع ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر ﷺ، وجمع المسلمين على نسخة واحدة، ثم نسخها بنفس الترتيب الوارد عن النبي ﷺ، ولعل المستشرق الفرنسي المتعصب بلاشير[2] قد نطق بالحقيقة مرة حين قال: (إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان لإسهامه في إبعاد

(١) مساعد بن سليمان الطيار: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ-دار ابن الجوزي ص٤٢.

(٢) ريجيس، ل. بلاشير: R.L.Blachere مستشرق فرنسي، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق، والمجمع الفرنسي الأعلى (الأنستيتو) بباريس. ضليع في العربية. ولد في مون روج (من ضواحي باريس)، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء (بالمغرب)، وتخرج بكلية الآداب في الجزائر ١٩٢٢م، وسمي أستاذا في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط ١٩٢٤ - ١٩٣٥م، وانتقل الى باريس محاضرا في السوربون سنة ١٩٣٨م، فمديرا لمدرسة الدراسات العليا العلمية ١٩٤٢م، وأشرف على مجلة (المعرفة) الباريسية، بالعربية والفرنسية، وألف بالفرنسية كتبا كثيرة ترجم بعضها إلى العربية، ووفق الى فرض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية. وشارك في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية. من كتبه: (ترجمة القرآن الكريم) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ الأدب العربيّ) نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم الكيلاني، و (قواعد العربية الفصحى) و (أَبُو الطَّيِّب الْمُتَنَبِّي) ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد أحمد بدوي، و (معجم عربي فرنسي انكليزي). ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢م - جـ٢ ص٧٢، مجلة مجمع اللغة بدمشق العدد: ٤٩ ص٤٦٨، ونجيب العقيقي: المستشرقون جـ١ ص٣١٦ - ٣١٨، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص١٢٧، يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين - نشرة إليكترونية عبر شبكة كتب عربية - ص٢٦٣ - ٢٦٧.

المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بتثبيت نص كتابهم المنزل)(١).

فعثمان ﷺ إذن نسخ مصحف أبي بكر الذي هو مرتب بتوقيف النبي ﷺ، ويبقى الفضل لعثمان ﷺ أنه جمع المسلمين على نسخة واحدة بدل تفرقهم واختلافهم الذي كان الدافع الأساسي لجمع المصحف، ونسخه في عهد الخليفة عثمان ﷺ.

الشبهة السادسة: صحة رواية جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ.

وفي هذا الشأن يجزم المستشرقون أن رواية جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ رواية موضوعة.

وينسب كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية المستشرق ولش إلى المستشرق شفالي أنه تحدث عن رواية الجمع في عهد عثمان، وقال إنها رواية موضوعة فيقول: (إن هذه الأجزاء من الرواية تشير جميعاً إلى ظروف تاريخية أدت إلى وضعها، إذ يبدو أن إدراج اسم حفصة [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] كان ببساطة وسيلة لربط الروايتين المتعلقتين بجمع القرآن معاً رواية جمعه في عهد أبي بكر[ﷺ]، ورواية جمعه في عهد عثمان [ﷺ]؛ لإثبات سلسلة متتابعة موثقة للنص القرآني منذ وفاة الرسول [ﷺ])(٢).

بل ويذكر المستشرق ولش ماهو أكثر من ذلك حين ينسب إلى بعض المستشرقين أنه ذهب إلى أن الوضع ليس خاصاً برواية جمع القرآن في عهد عثمان فقط، بل أيضاً الوضع ثابت لرواية جمع القرآن في عهد أبي بكر نفسه.

فيذكر ولش عن المستشرق بيرتون هذا الرأي فيقول: (ويؤكد بيرتون أن

(١) المستشرق بلاشير: تاريخ الأدب العربي - طبعة وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٧٤م جـ٢ ص٢٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٤ - مادة: القرآن الكريم.

روايتي جمع القرآن كلتاهما موضوعتان تماماً، وأن ورود اسم زيد بن ثابت [رضي الله عنه] في كليهما، وإسناد دور مهم له راجع إلى كونه كان أحد كتاب الوحي للرسول [صلى الله عليه وسلم]، وأنه كان شابًا، وأنه كان واحداً من آخر من ماتوا من الصحابة)(١).

ولكن إذا كانت هاتان الروايتان موضوعتين فمن الذي وضعهما؟!

هنا يحتمل المستشرق بيرتون (أن الروايتين وضعهما فقهاء متأخرون ليؤكدوا أن النص النهائي للقرآن الكريم لم يظهر في عهد عثمان بن عفان [رضي الله عنه]، بل ظهر في عهد محمد [صلى الله عليه وسلم])(٢).

تتضمن هذه الشبهة العديد من الأفكار الواهية التي لا يصح أن تصدر عن جاهل فضلاً عمن يدعون العلم والتحقيق، ومن هذه الأمور.

١) أن تلك الروايات الخاصة بجمع القرآن موضوعة، وهذا يقتضي أن نرجع إلى كتب السنة الصحيحة لنحكم على رواية جمع القرآن في عهد أبي بكر:

- رواها الإمام أحمد في المسند - باب مسند أبي بكر الصديق جـ١ صـ٧٢، وقال: إسناده صحيح.

- رواها الإمام البخاري في الصحيح - كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، جـ٦ صـ٧١ رقم ٤٦٧٩.

- رواها الترمذي في كتابه الجامع الصحيح - باب سورة التوبة جـ٥ صـ٢٨٣ رقم ٣١٠٣، وقال: حديث صحيح.

- رواها النسائي في سننه باب ذكر كاتب الوحي جـ٥ صـ٧ رقم ٧٩٩٥.

- رواها المتقي الهندي في كنز العمال - كتاب مسند أبي بكر الصديق -

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٤ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٤ - مادة: القرآن الكريم.

باب جمع القرآن جـ٢ صـ٦٧٦ رقم ٤٧٥١.

- هذا بالإضافة إلى عشرات الأئمة والكتب التي روت هذه الرواية وأجمعت على صحتها.

وأما بالنسبة للرواية الثانية وهي رواية جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ، فإنها مثل الرواية السابقة رواية صحيحة اجتمعت أقوال المحدثين على صحتها ومن ذلك ما يلي:

- رواها البخاري في صحيحة كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن جـ٤ صـ١٩٠٨ رقم ٤٧٠٢.

- رواها ابن حبان في صحيحة باب الخلافة والإمارة جـ١٠ صـ٣٥٩ رقم ٤٥٠٦، وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- رواها ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول كتاب في تأليف القرآن وترتيبه جـ٢ صـ٥٠٣ رقم ٩٧٥.

- رواها الحميدي في الجمع بين الصحيحين باب ما انفرد به البخاري جـ١ صـ١٨ رقم ٩، وهكذا فإن روايتي جمع القرآن في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليستا موضوعتين كما زعم المستشرقون، بل هما صحيحتان تطابقت أقوال الأئمة على صحتهما.

٢) قول المستشرقين: إن من علامات وضع هذه الرواية أن تم إدراج اسم حفصة واسم زيد فيها، معنى ذلك أن واضعي هذه الروايات عن جمع القرآن - كما يزعم المستشرقون حرصوا على أن يخترعوا سلسلة متصلة بين الوحي الذي أنزل على رسول الله ﷺ، وبين المصحف الذي تم نسخه، واعتماده في عصر الخليفة عثمان، وذلك حينما أدرجوا اسم حفصة زوج النبي ﷺ، وزيد كاتبه.

ونرد على هذا الكلام الساقط فنقول: إننا أثبتنا في النقطة السابقة أن

الروايتين صحيحتان، وذكرنا بعض مظانهما في كتب الحديث، ونقول هنا: إن كل الكتب التي وردت فيها تلك الروايتان - رواية الجمع في عهد الصديق، ورواية الجمع في عهد ذي النورين- قد ذكرت هذين الأمرين:

الأول: أن زيد بن ثابت ﷺ كاتب الوحي للرسول ﷺ هو الذي قام بالجمع والتدوين في عهد أبي بكر ﷺ مع عمر بن الخطاب، وأن زيدا هو الذي كان بمثابة رئيس لجنة جمع المصحف ونسخه في عهد عثمان ﷺ، وكانت اللجنة فيها ثلاثة أو تسعة كما ذكرنا، وقد تنبه نولدكه إلى هذه الملاحظة، فقال في أهلية زيد للقيام بما أمر به عثمان، وذلك بسبب عمله السابق، والواقع أنه كان في موقع لاينافسه عليه أحد، ولهذا كان الشخصية الوحيدة التي تتفق كل الروايات على انتمائها إلى اللجنة التي عملت على نص القرآن[1].

الثاني: أن المصحف المجموع في عهد أبي بكر ﷺ ظل عنده طيلة حياته ثم انتقل إلى عمر ﷺ طيلة حياته، ثم انتقل إلى ابنته أم المؤمنين حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إلى أن طلبه منها الخليفة عثمان ﷺ ليعتمد عليه في نسخ المصحف، وأنها أرسلت إليه بهذا المصحف. وما من رواية ألا وذكرت هذين الأمرين مما يدل على أنه لا وضع فيهما ومما يدل على أن ورود أسمي أم المؤمنين حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وزيد بن ثابت ﷺ ليس مفتعلاً ولا موضوعاً كما زعم المستشرقون، وإنما هي ا لحقيقة، وهي الوقائع التاريخية التي حدثت بالفعل، وتناقلها الرواة الثقات جيلاً بعد جيل بحيث أصبح هناك إجماع من الأمة سلفاً، وخلفاً على صحة تلك الوقائع والأحداث التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على تسخير الله ﷻ للأسباب، وتذليلها لحفظ هذا الكتاب العظيم تحقيقاً لوعد الله تعالى حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2].

---

(١) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٨٦.

(٢) سورة الحجر الآية: ٩.

المبحث الثاني

موقفهم من تعدد المصاحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ

يدور هذا المبحث بصفة أساسية حول قضية هامة من القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، وهي قضية تعدد المصاحف في عهد عثمان ﷺ، وكيف نظر المستشرقون إلى تلك القضية، وكيف حاولوا أن يثيروا الشبه والشكوك حول المصحف الذي تم نسخه في عهد عثمان ﷺ.

وقد حاول المستشرقون بذكرهم لموضوع اختلاف المصاحف أن يشككوا في القرآن نفسه، لكن - ولله الحمد والمنة - قد ارتد المستشرقون على أعقابهم خاسرين، واعترفوا - بعد طول بحثهم ودراساتهم القائمة على التخمينات والأوهام - بأن القرآن الذي تم إقراره في عهد عثمان ﷺ هو الصورة الصحيحة، والثابتة التي عليها القرآن منذ عهد النبي ﷺ إلى الآن كما سيأتي.

وبعد النظر في دائرة المعارف الإسلامية، والوقوف على أقوال المستشرقين وآرائهم في تلك القضية الهامة ظهر للباحث أن آراء المستشرقين بخصوص قضية تعدد المصاحف تنقسم إلى:

أولا: شبهات عامة تتعلق بتعدد المصاحف.

ثانيا: شبهات تتعلق بموقف بعض الصحابة من مصحف عثمان ﷺ.

ثالثا: اعترافات المستشرقين بأن كل محاولاتهم للتشكيك هنا قد باءت بالفشل، وحول هذه الأقسام الثلاثة سوف ينتظم حديثنا في هذا المبحث - إن شاء الله -:

أولاً: شبهات عامة تتعلق بتعدد المصاحف:

وتحت هذا القسم نجد كاتب مادة القرآن الكريم يذكر الشبهات التالية:

الشبهة الأولى: أن عثمان ﵁ أضفى الشرعية على مصحف المدينة دون غيره:

يقول المستشرق ولش: (كان النص القرآني الذي اعتمده عثمان بن عفان [﵁] مجرد نص واحد بين نصوص أخرى، والرأي العام أن عثمان [﵁] أضفى الشرعية على النص القرآني المتداول بين أهل المدينة المنورة باعتباره الأشد ارتباطاً بالوحي الأصلي الذي نزل على محمد [ﷺ]، وثمة مصاحف أخرى ارتبطت بعدد من الصحابة يقال: إنها انتعشت في الكوفة والبصرة والشام)(١).

الرد على هذه الشبهة بما يلي:

يثير المستشرق ولش هنا شبهة، وهي أن المصحف الذي تم اعتماده في صورة رسمية في عهد عثمان ما هو إلا مجرد نص واحد كغيرة من المصاحف التي كانت منتشرة في أنحاء الدولة الإسلامية، ونقول لهذا المستشرق: هل من المعقول والمنطقي أن يكون المصحف الذي تم جمعه بأمر من الخليفة أبي بكر ﵁ على يد كاتب الوحي زيد بن ثابت ﵁ بحضور الخليفة الثاني فيما بعد عمر ﵁، وبشهادة الصحابة - ﵃ أجمعين -، وورثه الخليفة عمر عن الخليفة أبي بكر، ثم ورثته أم المؤمنين حفصة عن الخليفة عمر، ثم طلبه الخليفة عثمان ﵁ ليعتمد عليها في نسخ المصحف، هل من المعقول أن تكون هذه النسخة مجرد نص مثل: النسخ الأخرى التي عند بعض الصحابة؟! إن هذا شيء يخالف المنطق والعقل يلجأ إليه هذا المستشرق ليشكك في النسخة النهائية للقرآن، والتي هي بين أيدينا اليوم محفوظة سالمة من التحريف.

ولو أننا فرضنا - جدلا - أن النسخة النهائية هي نسخة عبد الله بن

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٧٥ - مادة: القرآن الكريم.

مسعود، أو نسخة أُبي، أو نسخة أبي موسى ، أو غيرهم ﷺ لقال المستشرقون مشككين أنها نسخة غير معتمدة، وأين النسخة التي جمعها أبو بكر وزيد وعمر - ﷺ أجمعين -؟ المهم أن يفتحوا باباً من الشك، وأن يثيروا شيئاً من الشبهة يشوشون به حول القرآن الكريم.

عدد مصاحف الصحابة ﷺ: ينقل المستشرق ولش عن المستشرق جفري[(١)] Jeffery في كتابه مواد لدراسة القرآن الكريم.

عدد المصاحف التي كانت موجودة في عهد عثمان ﷺ، وإلى من تنسب وهي:

(مصاحف الخليفة الثاني والرابع عمر وعلي [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]، وثلاثة منها لزوجات النبي [ﷺ] حفصة بنت عمر، وعائشة بنت أبي بكر، وأم سلمه [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]، وأربعة منها تختلف عن القراءة التقليدية لأهل المدينة المنورة؛ زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن الزبير [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]، بالإضافة إلى ثلاثة أخرى لكل من سالم مولى أبي حذيفة، وعُبيد بن عمير،

---

(١) أرثر جفري: Jeffery, A. مستشرق استرالي، عين أستاذاً في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم في جامعة كولومبيا، آثاره: نشر كتاب المصاحف للسجستاني - مؤسسة دي خويه، الجزء ١١ - ليدن ١٩٣٧م، وله عن نصوص القرآن الكريم وقراءاته دراسات وفيرة، أشهرها: القرآن ١٩٢٤م، ونصوص من القرآن ١٩٣٥، ودراسة عن مختصر شواذ القراءات لابن خالويه - الدراسات الإسلامية ١٩٣٨م، وأبو عبيد والقرآن ١٩٣٨، والفاتحة ١٩٣٩م، وقراءة زيد بن علي - مجلة الدراسات الشرقية ١٩٣٧ و ١٩٤٠، وبمعاونة مندلسون: طريقة كتابة القرآن في سمرقند - الصحيفة الأمريكية الشرقية ١٩٤٢م. وله: كتابة القرآن ١٩٥٠م. والاختيار في الإسلام ١٩٢٢م، والجدل الإسلامي المسيحي ١٩٢٥م، وتاريخ محمد ١٩٢٦م، والأدب المناهض للنصرانية ١٩٢٧م، ونصارى مكة ١٩٢٩م، ونبي الإسلام ١٩٣٨م، والإسلام ١٩٤٠م، والحركات الإسلامية ١٩٤٣م، ومحمد إقبال - الشرق الحديث ١٩٣٤م، والرسائل المتبادلة بين عمر الثاني وليون الثالث - مجلة هارفارد اللاهوتية ١٩٤٤م، والبيروني ومقارنة الأديان ذكري البيروني ١٩٥١م. ينظر في ترجمته: العقيقي: المستشرقون جـ٣ ص١٠١٣.

وابن عمرو بن العاص [رضي الله عنهم])[1].

وبالرجوع إلى مصادر أهل السنة يذكر لنا ابن أبي داوود المصاحف المنسوبة إلى الصحابة رضي الله عنهم، وهي التي ذكرها في باب اختلاف مصاحف الصحابة وهي:

- مصحف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- مصحف علي أبن أبي طالب رضي الله عنه.
- مصحف أُبيّ بن كعب رضي الله عنه.
- مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
- مصحف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
- مصحف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.
- مصحف عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
- مصحف عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
- مصحف حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
- مصحف أم سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم[2].

وهناك مصادر أخرى تنسب مصاحف إلى سالم مولى أبي حذيفة، وعبيد بن عمير، وإلى أبي موسى الأشعري[3].

وبمقارنة بسيطة يظهر لنا حقيقة جلية، وهي أن المستشرق ولش ومن قبله المستشرق جفري قد أسقطا من قائمة مصاحف الصحابة مصحف أبي بن كعب، ومصحف عبدالله بن مسعود، ومصحف أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٧٩ – مادة: القرآن الكريم.

(٢) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص٥٠ – ٨٧.

(٣) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٦٠.

رغم معرفتهم الأكيدة بهذه المصاحف الثلاثة(١)؛ لأن هذه المصاحف الثلاثة إذا ذكرت ضمن مصاحف كثيرة للصحابة، تصبح مصاحف عادية شأنها شأن باقي مصاحف الصحابة الآخرين. أما وهم يريدون أن يشككوا في القرآن الكريم، فقد أفردوا الحديث عن هذه المصاحف الثلاثة ورفعوا من شأنها، بالقول بأنها كانت شائعة في الكوفة والبصرة والشام، حتى يعطوا هذه المصاحف أهمية كبيرة، ويكون ترك عثمان ﷺ تركا لما هو عظيم الشأن عند جمعه للقرآن، ويكون القرآن الذي بين أيدي المسلمين مشكوكا فيه، وهذه هي طريقة المستشرقين التي تقوم على عزل بعض الحقائق عن سياقها، ثم الإتيان بها في مكان آخر لمحاولة التشكيك وخداع القارئ لدائرة المعارف.

۞ الشبهة الثانية: قوله باختلاف القراءات بين المصاحف:

يذكر المستشرق ولش أن هناك بعض الاختلافات في طريقة القراءة بين بعض المصاحف، فيقول: (وتتحدث المصادر أحيانا عن قراءات مختلفة.. ومعظم ما ترده المصادر متعلق بالاختلاف في القراءات، ونقصد بذلك الخلاف بين ما يسمى مصحف ابن مسعود [ﷺ] الذي كان شائعاً في الكوفة، ومصحف أُبيّ [ﷺ] الذي كان شائعاً في الشام، ومصحف أبي موسى الأشعري [ﷺ]، الذي كان شائعاً في البصرة)(٢).

إن المستشرق ولش يشير في هذا النص السابق إلى أن هناك اختلافاً بين مصحف عثمان وبين بعض المصاحف الأخرى، وخص بالذكر منها ثلاثة مصاحف كان له انتشار في بعض المناطق الإسلامية وهي:

- مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ، وكان منتشراً في الكوفة.
- مصحف أُبيّ بن كعب ﷺ، وكان منتشراً في الشام.

---

(١) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٧٧ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٧٧ - مادة: القرآن الكريم.

- مصحف أبي موسى الأشعري ﷺ، وكان منتشراً في البصرة.

الرد على هذه الشبهة:

بأن نبين إن أوجه الاختلافات في طريقة القراءة بين مصحف عثمان، وتلك المصاحف، كما هو معلوم أن اختلاف القراءات لا يؤدي إلى اختلاف المعنى، وما زال القرآن إلى يوم الناس هذا يقرأ بقراءات متعددة، وهي مع تعددها لا تؤدي أبداً إلى اختلاف في المعنى.

ولكي أدلل على ذلك فسوف أذكر هنا أوجه الاختلافات التي وردت في مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ؛ لأنه كان أشهر هذه المصاحف؛ ولأن صاحبه كان من أحفظ الناس وأعلمهم بالقرآن؛ ولأن المستشرقين نسبوا إليه شبهة سأذكرها بعد قليل.

مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ، وبعض ما فيه من اختلاف القراءات.

من المعروف أن عبد الله بن مسعود ﷺ كان معلماً يقرئ الناس بعامة وفيهم الهذلي والتميمي والقرشي وغيرهم، وقد أُرسل إلى الكوفة لهذا الغرض التربوي، فأخذوا من أدبه ولغته وقراءته، وهو قد لقنهم كتاب الله بقدر ما فقه من طريق رسول الله ﷺ، وفي حدود رخصة الأحرف السبعة، ولذا وجدنا في رواياته ظواهر من هذيل ومن تميم ومن قريش(١).

وهذه الاختلافات الموجودة بين مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ، ومصحف عثمان ﷺ ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يتعلق باللهجات العربية: فلكل قبيلة من القبائل العربية لهجة معينة، واللهجة هي لغة الإنسان التي جبل عليها فاعتادها،

---

(١) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية - الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥م - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ص٩٧.

وطريقة من طريق الأداء في اللغة وجرس الكلام(١)، وقد جاء في قراءة عبد الله بن مسعود أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات ومنها ما يلي:

١. إبدال حرف مكان حرف، مثل إبدال: الحاء عيناً في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾(٢) قرأ ابن مسعود: [عتى حين]، وهذا يعرف في علم اللهجات بالفحفحة، وهي: جعل الحاء عيناً، وهي لغة هذيل(٣).

وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ سمع رجلاً يقرأ بهذه القراءة [عتى حين] فقال له: من أقرأك هذا؟ قال ابن مسعود، فكتب عمر إلى ابن مسعود إن الله ﷻ أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام(٤).

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾(٥) قرأ ابن مسعود: [وطلع منضود]، ومن هذا أيضاً إبدال العين حاء كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾(٦) قرأها ابن مسعود: [إذا بحثر]، وهما لغتان صحيحتان، قال ابن منظور: (بحثر الشيء وبحثر المتاع فرقه يقال: بحثر وبعثر)(٧).

وقال ابن جني: (العرب تبدل هذين الحرفين – العين والحاء – لتقاربهما

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص٨٤١.

(٢) سورة يوسف الآية: ٣٥.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة – تحقيق فؤاد علي منصور – الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ–دار الكتب العلمية– بيروت جـ١ ص١٧٦.

(٤) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ–سنة ١٩٩٩م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة جـ١ ص٣٤٣.

(٥) سورة الواقعة الآية: ٢٩.

(٦) سورة العاديات الآية: ٩.

(٧) ابن منظور: لسان العرب جـ٤ ص٤٧.

في المخرج كقولهم: بحثر ما في القبور أي: بعثر وضبعت الخيل أي: ضجت)(١).

٢. إبدال تشكيل مكان تشكيل، مثل: كسر حروف المضارعة كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾(٢) قرأها ابن مسعود: [لِترِكبن] بكسر التاء، ومثل قوله تعالى: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(٣) قرأها ابن مسعود: [تِسود] بكسر التاء، ومثل قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾(٤) قرأها ابن مسعود: [الم إِعهد اليكم] وهذا الكسر هو لغة تميم(٥).

---

(١) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها جـ١ ص٣٤٣.

(٢) سورة الإنشقاق الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٦.

(٤) سورة يس الآية: ٦٠.

(٥) أخرجه: أبو بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء جـ١ ص١٣، وابن جني في المحتسب جـ٢ صـ٢٢٠، والخطيب البغدادي جـ٤ ص٦٤١ رقم: ١١٩٢، وابن عبد البر في التمهيد جـ٨ صـ ٢٧٨ كلهم من حديث هشيم عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك،عن أبيه عن جده .

قلت: وقد أخرجه ابن عبد البر من طريق ابي داود، ثم قال ابن عبد البر: ويحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن ما قرأ به ابن مسعود لا يجوز وإذا أبيح لنا قراءته على كل ما أنزل فجائز الاختيار فيما أنزل عندي والله أعلم وقد روي عن عثمان بن عفان مثل قول عمر هذا أن القرآن نزل بلغة قريش بخلاف الرواية الأولى وهذا أثبت عنه لأنه من رواية ثقات أهل المدينة. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد جـ٨ ص٢٧٩، وقد نسبه الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى أبي داود حيث قال: وقد أخرج أبو داود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى بن مسعود أن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل. فتح الباري جـ٩ ص٩.

قال أبو بكر الباقلاني: فهذا عمر يختار أن لا يقرأ الناس إلا بموافقة لغة قريش، وليس هذا القول من عمر، ومن كل من روى عنه إنكارا لأن يقرأ الناس بغير لغة قريش إذا كان منزلا بلغة قريش، وبوجه يخالف لغتهم، وكانت الحجة قد قامت بذلك، ولكنه اختيار منهم لملازمة لغة قريش، لأنها هي الأظهر المعروفة. والناس لها آلف، والألسن بها أجرى، والقلوب لها أوعى، وليس يمنع ذلك من أن ينزله الله سبحانه بخلاف الوجه الأظهر، كما أنزله على الوجه الأظهر ⇐ =

٣. الإتيان بالإدغام أو تركه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾[١] قرأها ابن مسعود: [بل سَّوَّلت لكم] بالإدغام.

ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم﴾[٢] قرأها ابن مسعود: [أفَتَّختُّم] بالإدغام، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي عُذۡتُ﴾[٣] قرأها ابن مسعود: [وأني عُتُّ] بالإدغام.

وأحياناً يترك الإدغام، ويأتي بالأصل مثل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٤] قرأها ابن مسعود: [كانما يَتَصَعَّد في السماء] بترك الإدغام ومثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ①﴾[٥] قرأها ابن مسعود: [يا أيها المتزمل] بترك الإدغام[٦].

= المعروف " وقد ينظم الشاعر قصيدة وينشىء الخطيب خطبة، ويعمل المترسل رسالة، فيعرب كل واحد منهم بكلمة في قصيدته وخطبته فيكون ذلك سائغا جائزا، غير أنه مما يقل استعماله ومعرفة الناس بجوازه، ويكون الأظهر الأشهر غيره، وكذلك يسوغ أن ينزل الله الكلمة بقراءتين إحداهما أظهر وأشهر، ولا ننكر مع ذلك أن يكون الرسول قد أقرأ في أكثر أيامه في آخر عمره، وآخر عرضه عرض القرآن فيها بالوجه الذي يخالف خط المصحف.

ليبين لهم أنه منزل على ذلك الوجه، وليستفيض ويظهر عنه، وأن يكون كثر الناس قد قرأوا على عصره وبعده بموافقة خط المصحف للذي هو الأقل في الاستعمال، ولم يلتفتوا إلى أن ذلك ليس بمعروف في لغة قريش، لأن الغرض في ذلك القراءة بالجائز، وما كثر استعماله وأن يؤثروا القرءاة على آخر ما وقع عليه العرض، وإن كان غيره شائعا جائزا، وإذا كان ذلك كذلك ثبت بما وصفناه جواز القرائتين جميعا وأن الكلمة منزلة على الوجهين جميعا. الانتصار للقرآن للباقلاني جـ٢ ص٥٥٣.

(١) سورة يوسف الآية: ١٨، ٨٣.

(٢) سورة الرعد الآية: ١٦.

(٣) سورة الدخان الآية: ٢٠.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٢٥.

(٥) سورة المزمل الآية: ١.

(٦) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها جـ٢ ص٢١٠.

النوع الثاني: اختلافات تتعلق بالمترادفات: بمعنى: أن تكون قراءة مصحف عثمان بكلمة فتأتي قراءة ابن مسعود بكلمة مترادفة معها متساوية في المعنى، وذلك كثير جداً في القرآن من أوله إلى آخره، وقد جاء إحصاء كامل لهذه المترادفات عند ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ومن ذلك ما يلي:

م	القراءة المشهورة	قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
١	اهدنا الصراط المستقيم	أرشدنا الصراط المستقيم
٢	مشوا فيه	مضوا فيه أو مروا فيه
٣	يكتبون الكتاب بأيديهم	يكتبون الكتاب بإيمانهم
٤	نبذه فريق منهم	نقضه فريق منهم
٥	فولوا وجوهكم شطره	فولوا وجوهكم قِبلَه
٦	أسلمت وجهي لله ومن اتبعن	أُسلمت وجهي لله ومن معى
٧	إلى كلمة سواء بيننا وبينكم	إلى كلمة عدل بيننا وبينكم
٨	حتى تنفقوا مما تحبون	حتى تنفقوا بعض ما تحبون
٩	إن الله لا يظلم مثقال ذرة	إن الله لا يظلم مثقال نملة
١٠	أعزة على الكافرين	غلظاء على الكافرين
١١	له خوار	له جؤار
١٢	وجلت قلوبهم	فرقت قلوبهم
١٣	إني أراني أعصر خمراً	إني أراني أعصر عنبا
١٤	وإذ تأذن ربكم	وإذ قال ربكم
١٥	يوم ظعنكم	حين ظعنكم
١٦	بيت من زخرف	بيت من ذهب

وقد ذكر ابن أبي داود وغيره من علماء القراءات عشرات، بل ومئات الأمثلة التي جاء فيها ابن مسعود ﷺ بكلمات مترادفة مع ما في المصحف الإمام[1].

النوع الثالث: اختلافات متعلقة بالتدخل لتفسير كلمة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[2] جاء في قراءة ابن مسعود: "فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن". قال أبو حيان الأندلسي: (ينبغي أن يحمل هذا على التفسير؛ لأنه مخالف للسواد، وقد صح أن ابن مسعود قرأ وأقرأ على رسم السواد)[3] أي: رسم المصحف العثماني المجمع عليه من عامة المسلمين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾[4] قرأ ابن مسعود: "فأذاقها الله الخوف والجوع"، ولا يذكر لباس، والذي أقوله: (إن هذا تفسير المعنى لا قراءة؛ لأن المنقول عنه مستفيضاً، مثل: ما في سواء المصحف)[5].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[6] قرأها ابن مسعود: "تخرج

---

(١) راجع في هذا: ابن أبي داود: كتاب المصاحف من ص٥٨ إلى ص٦٩، وأبو حيان الأندلسي: البحر المحيط تحقيق: صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - الطبعة ١٤٢٠هـ جـ١ ص٢٥١، وابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها جـ٢ ص٨٣، وغيرها من كتب القراءات والتفسير.

(٢) سورة النساء الآية: ٣٤.

(٣) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط جـ٣ ص٢٥٠.

(٤) سورة النحل الآية: ١١٢.

(٥) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط جـ٥ ص٥٢٥.

(٦) سورة المؤمنون الآية: ٢٠.

بالدهن" قال ابن جني (أي: تخرج من الأرض ودهنها فيها)[1]، وقال أبو حيان: (قراءة ابن مسعود تفسير لا قراءة لتواتر قراءة الجماعة عن ابن مسعود)[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[3] قرأ ابن مسعود: "إن الدين عند الله الحنيفية" قال ابن الأنباري: (ولا يخفى على ذي تمييز أن هذا كلام من النبي ﷺ على جهة التفسير أدخله بعض من ينقل الحديث في القراءات)[4].

ومما يدل على أن هذا تفسير من النبي ﷺ ما قاله القرطبي:

(كان النبي ﷺ يقرأ: إن الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية)[5].

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك النوع الذي وردت فيها بعض الكلمات على سبيل التفسير من عبد الله بن مسعود، ولم تكن في المصحف الإمام، وهذه الأنواع الثلاثة السابقة سواء الخاص باللهجات أو الخاص بالمترادفات، أو الخاص بالكلمات الشارحة المفسرة ليس فيه أدنى اختلاف في المعنى، أو في تغيير المقصود من آيات القرآن الكريم، وإن قراءة ابن مسعود ليس فيها اختلاف جوهري يؤدي إلى تغيير معنى ومضمون ومقاصد القرآن.

وقد ذكرت دائرة المعارف أن هناك عدة اختلافات بين مصحف عبد الله بن مسعود ﷺ، ومصحف عثمان بن عفان ﷺ منها:

---

(١) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها جـ٢ ص٨٩.

(٢) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط جـ٦ ص٣٧٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٤) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط جـ٢ ص٤٢٦.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ٤ ص٤٣.

ما أورده المستشرق برجشتريسر[1] Bergestraser، والمستشرق جفري Jeffry من أن من أوجه الاختلاف (ليس مجرد اختلاف في القراءة، أو طريقة الكتابة وهي اختلافات تبدو واضحة، ومن هذه الاختلافات ما يمكن أن يعتبر بمثابة التعليق أو تحشية أو شرح لمصحف عثمان [ﷺ])[2].

وهذا النوع هو الذي ذكرته منذ قليل المتعلق بالتدخل لتفسير بعض الكلمات. ما أورده المستشرق ولش، وهو يذكر الألفاظ المترادفة فقد أورد القائمة التالية من آيات سورة الفرقان.

---

(١) برجشتريسر: (١٨٨٦ – ١٩٣٣م) مستشرق ألماني، مسيحي بروتستانتي؛ برز في نحو العبرية واللغات السامية بعامة، وعني بدراسة اللهجات العربية، وبقراءات القرآن. ولد في ٥ إبريل سنة ١٨٨٦م بألمانيا، وتوفي في ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٣م، وتعلم في جامعة ليبتسك الفلسفة وعلم اللغة، ثم تفرغ لدراسات اللغات السامية، وكان أستاذه فيها المستشرق الكبير أوجست فشر. ثم حصل في سنة ١٩١٢م على دكتوراه التأهيل برسالة عنوانها: "حُنين بن إسحق ومدرسته. إنتاجه العلمي: توزع نشاطه العلمي بين اللغات السامية، وتاريخ العلوم عند العرب، وقراءات القرآن. ففي اللغات السامية شرع في إعادة كتابة كتاب جيزنيوس، وكتب لمحة عامة عن اللغات السامية في كتاب بعنوان: "المدخل إلى اللغات السامية"، وبالنسبة إلى اللغة السريانية كتب بحثا بعنوان: "حكايات باللغة الآرامية الحديثة ونصوص أخرى من لهجة قرية معلولا" و "رسائل في علوم الشرق". وفي تاريخ العلوم عند العرب أصدر: "المنحولات على جالينوس" و "شذرات جديدة لثيوفرسطس في الآثار العلوية" و "رسالة حنين بن إسحق في الترجمات السريانية والعربية لكتب جالينوس" و "مواد جديدة عن رسالة حُنين في مجموعة مؤلفات جالينوس". وفيما يتعلق بالقراءات نشر: "كتابات اللامات لأحمد بن فارس" و "قراءة الحسن البصري" و "قراءة القرآن في القاهرة" و "القراءات الشاذة في كتاب "المحتسب" لابن جِني" ونشر: ابن خالويه: "القراءات الشاذة في القرآن" و ابن الجَزَري: ""طبقات القُراء" وفي الفقه الإسلامي: له دراستان: الأولى بعنوان: "أوليات وخصائص الفكر الفقهي في الإسلام" والثانية بعنوان: "في مناهج البحث في الفقه". يراجع في ترجمته: عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٨٥ – ٨٧، نجيب العقيقي: موسوعة المستشرقين، جـ٢ ص٧٤٧ – ٧٤٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨٠ – مادة: القرآن الكريم.

	مصحف عثمان	مصحف ابن مسعود
١	هو الذي أرسل الرياح	هو الذي جعل الرياح
٢	لنحي به بلدة ميتاً	لننشر به بلدة ميتاً
٣	تبارك الذي جعل في السماء بروحاً	تبارك الذي جعل في السماء قصوراً
٤	لمن أراد أن يذكر	لمن أراد أن يتفكر
٥	يجزون الغرفة	يجزون الجنة

وذكر المستشرق ولش أن من أوجه الخلاف بين مصحف عثمان [ﷺ]، ومصحف ابن مسعود [ﷺ] الاختلاف في الألفاظ المترادفة[١]. وهذا المثال الذي ذكره ولش هو ما عنونت له سابقاً بالاختلافات الخاصة بالكلمات المترادفة.

وننتقل الآن إلى القسم الثاني من كلام المستشرقين حول قضية المصاحف في عهد عثمان ﷺ، وهو: الشبه التي تمسك بها المستشرق: وهي عبارة عن شبهة واهية ناتجة عن سوء الفهم تارة، وعن الاعتماد على بعض الروايات دون بعض تارة أخرى، وعن التعصب ضد القرآن في جميع الأحوال.

ثانياً: شبهات تتعلق بموقف بعض الصحابة من مصحف عثمان ﷺ:

ويضمن هذا القسم العديد من الشبهات وهي كالتالي:

الشبهة الأولي: موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان ﷺ:

يتمسك المستشرق بشبهة واهية يدَّعي فيها أن عبد الله بن مسعود ﷺ رفض تنفيذ أوامر الخليفة عثمان باعتماد المصحف الإمام كمصحف رسمي

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨١ - مادة: القرآن الكريم.

وإتلاف ما عداه.

يذكر هذه الشبهة المستشرق ولش لكنه - بخبث ودهاء شديدين يمهد لهذه الشبهة بذكر منزلة عبد الله بن مسعود، ومنزلته فيما يتصل بالقرآن يقول ولش: (عبد الله بن مسعود [ﷺ] الذي كان رفيقاً لرسول الله [ﷺ] في حله وترحاله، والذي كان من أوائل من فسروا القرآن الكريم، ويقال: إنه سمع سبعين سورة مباشرة من النبي [ﷺ]، وكان من أوائل من دخلوا في الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وكان من كتاب الوحي، وكان إماما في الفقه والحديث، وقد ولي بعد وفاة النبي [ﷺ] بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان [ﷺ]، وتوفي فيها، وقد رفض عبد الله بن مسعود [ﷺ] تنفيذ أوامر عثمان بن عفان [ﷺ] بإتلاف مصحفه "نسخته القرآنية"، كما رفض التعليم وفقاً لمقتضاها)(١).

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي:

١. ما يلفت النظر في هذه الشبهة أن المستشرق ولش بدأ على غير عادة المستشرقين في ذكر شيء من فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ، فذكر من هذه الفضائل:

- أنه كان رفيقاً لرسول الله ﷺ في حلة وترحاله.
- كان من أوائل من فسروا القرآن الكريم.
- سمع من رسول الله ﷺ سبعين سورة مباشرة.
- كان من أوائل من دخلوا في الإسلام.
- كان من العشرة المبشرين بالجنة.
- كان من كتاب الوحي.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٧ - مادة: القرآن الكريم.

- كان إماما في الفقه والحديث.
- كان والياً على بيت مال الكوفة.

٢. حقيقة موقف عبد الله بن مسعود ﷺ: نستطيع أن نلتمس حقيقة موقف ابن مسعود ﷺ من مصحف عثمان ﷺ من خلال تتبع الروايات والأقوال التي ذكرها العلماء في هذا الصدد لنبين لماذا رفض ابن مسعود في أول الأمر الإقرار بمصحف عثمان؟ وهل استمر ابن مسعود ﷺ على رفضه ذلك؟

كان ابن مسعود (أحد أئمة القراءة من أصحاب النبي ﷺ، وكان أول من جهر بالقرآن بين المشركين في مكة، وكان أحد الأربعة الذين أمر النبي ﷺ أن نأخذ القرآن منهم، وهم عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب، فلما جمع عثمان ﷺ القرآن ونسخه في المصاحف، وأرسلها إلى الأمصار كره ابن مسعود ذلك، فقد كان يكره أن يمنع أحد من قراءة شيء سمعه من رسول الله ﷺ)[1].

ولما أرسل عثمان ﷺ المصحف إلى الكوفة مع حذيفة بن اليمان كره ذلك ابن مسعود؛ لأنه كان يرى أنه أحق بجمع القرآن من زيد بن ثابت ﷺ لما كان له من الفضل والمكانة في صحبة رسول الله ﷺ، والتلقي عنه فقد روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف أن ابن مسعود ﷺ قال: (على قراءة من تأمروني أقرأ؟ لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإن زيداً لصاحب ذؤابتين يلعب مع الصبيان)[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي بن كعب جـ٥ ص٣٦، حديث رقم: ٣٨٠٨، ومسلم جـ٤ ص١٩١٤.

(٢) أخرجه: النسائي جـ٨ ص٥١٠، وأحمد جـ٧ ص٢٣، وابن أبي داود في المصاحف ص٧٧ من حديث الأعمش عن أبي وائل قال خطبنا ابن مسعود فقال كيف تأمروني أقرأ على قراءة زيد بن ثابت بعد ما قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة وإن زيدا مع الغلمان له ذؤابتان.

وأخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) من حديث الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، =

ومع ذلك فإن كثيراً من أصحاب النبي ﷺ، قد كره هذا الموقف من ابن مسعود.

ويعد اختيار زيد لمهمة كتابة المصحف، ونسخه في عهد عثمان، ومن قبله أبي بكر، ومن قبلهما النبي ﷺ كان لمزايا خاصة فيه، وقد مرَّ ذكرها، ويؤكد شيخ الإسلام على هذه الفكرة فيقول: (وكان زيد بن ثابت قد انتدبه قبل ذلك أبو بكر وعمر لجمع المصحف في الصحف فندب عثمان من ندبه أبو بكر وعمر، وكان زيد بن ثابت قد حفظ العرضة الأخيرة، فكان اختيار تلك أحب إلى الصحابة، فإن جبريل عارض النبي ﷺ بالقرآن في العام الذي قبض فيه مرتين)[(١)].

وقد ذكر الباقلاني أن عثمان وعظ ابن مسعود وحذره الفرقة، فرجع واستجاب إلى الجماعة، وحث أصحابه على ذلك وقال لهم: (فمن قرأ عليّ قراءتي فلا يدعها رغبة عنها، ومن قرأ عليّ شيئاً من هذه الحروف، فلا يدعنه رغبة عنه، فمن جحد بحرف منه فقد جحده كله)[(٢)].

= أنه قال: {ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة} [آل عمران: ١٦١] ثم قال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ؟ فلقد «قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ، أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه» قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ، فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه، ولا يعيبه.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٥٣.

(٢) أخرجه: أحمد جـ٦ ص٣٩٥ رقم: ٣٨٤٥، والطبراني في المعجم الكبير جـ١٠ ص٩٧، و البيهقي في شعب الإيمان جـ٣ ص٥٣٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣٣ ص١٤١ والشجري جـ١ ص١٣٨.

عن عبد الرحمن بن عابس، قال: حدثنا رجل، من همدان – من أصحاب عبد الله، وما سماه لنا – ، قال: لما أراد عبد الله، أن يأتي المدينة، جمع أصحابه، فقال: والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن، إن هذا القرآن أنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط، فإذا قال = ⇦

وقد عنون ابن أبي داود في كتاب المصاحف عنوانًا خاصًا بهذا الموقف من ابن مسعود فقال: (رضا عبد الله بن مسعود لجمع عثمان ﷺ المصاحف)(١).

وأورد فيه هذا الأثر عن فلفلة الجعفي قال: (فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد)(٢).

= القارئ: هذا أقرأني، قال: أحسنت. وإذا قال الآخر، قال: كلاكما محسن، فأقرأنا: إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، واعتبروا ذاك بقول أحدكم لصاحبه: كذب وفجر، وبقوله إذا صدقه: صدقت وبررت، إن هذا القرآن، لا يختلف ولا يستشن، ولا يتفه لكثرة الرد، فمن قرأه على حرف، فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف، التي علم رسول الله ﷺ، فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من يجحد بآية منه، يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: اعجل، وحي هلا، والله لو أعلم رجلا أعلم بما أنزل الله على محمد ﷺ مني لطلبته، حتى أزداد علمه إلى علمي، إنه سيكون قوم يميتون الصلاة، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم تطوعا، وإن رسول الله ﷺ كان «يعارض بالقرآن في كل رمضان، وإني عرضت في العام الذي قبض فيه مرتين، فأنبأني أني محسن، وقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة».

قال الهيثمي: رواه الإمام أحمد في حديث طويل والطبراني وفيه من لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد جـ٧ ص٣١٧، وانظر: الباقلاني: الانتصار للقرآن ص٣٧٠.

(١) ينظر تخريج الحديث السابق.

(٢) أخرجه: أحمد جـ٧ ص٢٨٣، والنسائي في السنن الكبرى جـ٧ ص٢٤٤، والبخاري في التاريخ الكبير جـ٦ ص٢١٩، وابن أبي داود في المصاحف ص٨٢، وابن حبان جـ٣ ص٢٠، والطبراني في المعجم الكبير جـ٩ ص٢٦، والحاكم في المستدرك جـ١ ص٥٥٣ من طرق عن زهير بن معاوية الجعفي الكوفي ثنا أبو همام الوليد بن قيس اليشكري عن عثمان بن حسان، عن فلفلة الجعفي، قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئناك حين راعنا هذا الخبر فقال: " إن القرآن نزل على نبيكم ﷺ، من =

وقد روى العلماء أن عبدالله أخذ يدعو إلى التمسك وعدم التفرق، والالتزام بما ورد عن الرسول ﷺ، وعدم الابتداع في أمر القراءة، فعن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود قال: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم(١).

وعن الأعمش عن شقيق قال قال عبد الله بن مسعود: إني سمعت القراء فرأيتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف، وإنما هو كقولك: هلم وأقبل وتعال(٢).

وقد أشار الدكتور عبد الصبور شاهين في تاريخ القرآن إلى أنه من الحقائق التاريخية المقررة أن عبد الله بن مسعود دخل في إجماع الصحابة على مصحف عثمان فقال: (لابد من الإشارة إلى حقيقة تاريخية متواترة الثبوت، وهي أن المصحف المجمع عليه، والذي يقرؤه المسلمون في أقطار الأرض على

= سبعة أبواب، على سبعة أحرف "، أو قال: " حروف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد، على حرف واحد ". قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. المستدرك جـ١ ص٥٥٣.

(١) أخرجه: وكيع في الزهد رقم: ٣١٥، وأحمد في الزهد رقم: ٨٩٤، والدارمي جـ١ ص٢٨٨ ص٢١١، وابن نصر المروزي في السنة رقم: ٧٩، كلهم من حديث الأعمش، عن حبيب، عن أبي عبد الرحمن، قال: قال عبد الله ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم».

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ١ ص١٨١) قال في التمييز تبعًا للأصل: رواه الدارمي عن ابن مسعود من قوله، قال النجم: وسنده صحيح، وأخرجه الديلمي في مسنده وكذا ابن عدي والطبراني عن ابن مسعود، وأدلته كثيرة. كشف الخفاء ت هنداوي جـ١ ص٤٤.

(٢) أخرجه: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في فضائل القرآن ص٣٤٧، والطبري في تفسيره جـ١ ص٥٠، رقم: ٤٨، والطبراني في الكبير رقم: ٨٦٨٠، والبيهقي في السنن الصغير جـ١ ص٣٥٤، من حديث الأعمش، عن شقيق، قال: قال عبد الله: إني قد سمعت إلى القرأة، فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال. وإسناده صحيح.

أنه المصحف العثماني لم يخل إجماع الصحابة عليه من وجود عبد الله بن مسعود ثبت ذلك في حياته)[١].

ثم قال: (وربما زادت المسألة جلاءً إذا فحصنا أسانيد القراء السبعة لمعرفة مدى وجود ابن مسعود فيها، فقراءة حمزة عن الأعمش عن ابن حبيش عن ابن مسعود.

وقراءة عاصم بن أبي النجود عن زر، وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو الشيباني كلهم عن ابن مسعود.

وأبو عمرو بن العلاء عن عاصم بإسناده السابق، والكسائي عن حمزة بإسنادة السابق كذلك قال ابن الجزري في ترجمته لابن مسعود: وإليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش)[٢].

وخلاصة هذا العرض الذي سقته لاستبيان حقيقة موقف ابن مسعود من مصحف عثمان في نقاط محددة للرد على تلك الشبهة:

- أن عبد الله كان اعتراضه على طريقة لجنة الجمع لا على نفس الجمع، وأن هذا يعتبر بمثابة شبهة وقعت له ﷺ في أول الأمر.

- أن عبد الله فعل ما فعله في بداية الأمر حرصاً على سلامة النص القرآني الذي سمع أكثره من فم النبي ﷺ.

- لم يستمر عبد الله على موقفه الرافض طويلاً، بل لما ذكره الصحابة تذكر ورجع إلى إجماعهم بلا مخالفة.

- وأمر أصحابه معلماً لهم أن أي قراءة في حدود الأحرف السبعة والقراءات المتواترة عن الرسول ﷺ هي قراءة صحيحة.

---

(١) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٦٤.

(٢) المرجع السابق ص١٦٥.

- ثم أمرهم بالاتباع وحذرهم من الابتداع.

وهكذا ظهر لنا حقيقة موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان، وأنه لم يرفضه على الإطلاق، كذلك لم يأمر أصحابه بهجر مصحف عثمان، ولم يمنع التعليم بمقتضى مصحف عثمان كما صور المستشرقون.

۞ الشبهة الثانية: أن مصحف ابن مسعود لا يضم الفاتحة والمعوذتين.

يذكر هذه الشبهة المستشرق ولش فيقول: (ويقال: إن مصحف ابن مسعود [ﷺ] يختلف عن النص العثماني في عدة نقاط مهمة، إذا يقال إن مصحف ابن مسعود [ﷺ] لم يكن يضم سورة الفاتحة والمعوذتين اللتين أصبحتا سورة الفلق وسورة الناس في مصحف عثمان [ﷺ])[1].

تفيد هذه الشبهة أن مصحف ابن مسعود ﷺ لم يكن مشتملاً على سورة الفاتحة ولا المعوذتين أي: أنه لم يكن يعترف بكون الفاتحة، والمعوذتين من القرآن الكريم.

وأستطيع أن أرد على هذه الشبهة بما يلى:

١. صيغة التضعيف التى استخدمها المستشرق ولش هنا حيث كرر مرتين كلمة: «يقال» و «إذ يقال» معنى ذلك أن هذا المستشرق يستخدم هذه الصيغة لإثارة الشبهة ليدلل على أن هناك قولاً يقال، لكن ما حقيقة هذا القول؟ وما درجته؟ وما صحته؟ هذا ما يعلمه المستشرق جيداً أنه قول باطل وموضوع ومردود عليه؟ لكنه أشار إلى القول فقط الذي يثير في نفس القارئ شبهة، وهذا هو كل ما يريده المستشرق، إذ إنه يعلم علم اليقين ضعف هذا القول بدليل أنه سيذكر بعد قليل أن ابن النديم رأى نسخة من مصحف ابن مسعود، وكانت تشتمل على الفاتحة والمعوذتين.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨ - مادة: القرآن الكريم.

٢. حقيقة القول في المصادر الإسلامية:- إن علماء الإسلام قد اهتموا بذكر هذه الشبهة وتوضيحها، والرد عليها مبينين حقيقتها كما يلي:-

أ. الروايات التى تنسب إلى ابن مسعود ﷺ عدم كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن مدسوسة على ابن مسعود ﷺ، وقد نقل محي الدين النووى الإجماع على ذلك فقال: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً من ذلك كفر، وما نقل عن ابن مسعود ﷺ في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه) [(١)].

وصرح بذلك ابن حزم الأندلسي فقال: (وكل ما روي عن ابن مسعود ﷺ أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه عن قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ﷺ، وفيها أم القرآن والمعوذتان)[(٢)].

وقال القاضى الباقلاني: (أما دعوى من ادعى أن عبد الله بن مسعود ﷺ أنكر أن تكون المعوذتان قرآناً منزلاً من عند الله تعالى، وجحد ذلك، فإنها دعوى تدل على جهل من ظن صحتها وغباوته وشدة بعده عن التحصيل، وعلى بهت من عرف حال المعوذتين وحال عبد الله وحال سائر الصحابة)[(٣)].

ومعنى النصوص السابقة أن هناك استبعادًا من جمهور العلماء أن يقع ابن مسعود في مثل هـذه الزلة، وهو من هو في صلته بالنبي ﷺ.

وفى تلقيه وحفظه وتعليمه للقرآن الكريم، كما أن ابن مسعود من السابقين إلى الإسلام، ولم يزل يسمع النبي ﷺ يقرأ بالفاتحة في الصلاة ويقول:

---

(١) النووي: المجموع شرح المهذب - طبعة دار الفكر بدون تاريخ جـ٣ ص٣٩٦.

(٢) ابن حزم: المحلى - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ جـ١ ص٢١.

(٣) الباقلاني: الانتصار للقرآن جـ١ ص٣٠١.

(لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب)[1].

ب. معظم القراء حفظوا القرآن كاملاً، وفيه الفاتحة والمعوذتين، وسندهم ينتهي إلى ابن مسعود، وأعنى أربعة من القراء السبعة المشهورين وهم:

١. عاصم وهو أحد القراء السبعة قرأ القرآن كله، وفيه المعوذتين بأسانيد صحيحة بعضها يرجع إلى ابن مسعود ﷺ نفسه، ذلك أن عاصماً قرأ على ابن عبد الرحمن عبد الله بن حبيب، وقرأ على ابن مريم زر بن حبيش الأسدي، وعلى سعيد بن عباس الشيباني، وقرأ هؤلاء على ابن مسعود ﷺ نفسه، وقرأ ابن مسعود ﷺ على رسول الله ﷺ.

٢. حمزة وهو من القراء السبعة أيضاً قرأ القرآن كله بأسانيده الصحيحة، وفيه المعوذتان عن ابن مسعود ﷺ نفسه، ذلك أن حمزة قرأ على الأعمش أبي محمد سليمان مهران، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى على علقمة الأسود، وعبيد بن نضلة الخزاعي، وزر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي، وهم قرأوا على ابن مسعود ﷺ وهو على النبي ﷺ.

٣. الكسائي: قرأ القرآن وفيه المعوذتان بسنده إلى ابن مسعود ﷺ أيضاً ذلك أنه قرأ على حمزة الذي انتهى سنده إلى ابن مسعود ﷺ.

٤. خلف: قرأ المعوذتين في ضمن القرآن الكريم بسنده إلى ابن مسعود ﷺ أيضاً، وذلك أنه قرأ على سليم، وهو على حمزة الذي انتهى إلى ابن مسعود ﷺ كما تقدم.

هذه القراءات كلها التى رويت بأصح الأسانيد، وبإجماع الأمة فيها المعوذتان والفاتحة على اعتبار أن هذه السور الثلاث أجزاء من القرآن وداخلة

(١) رواه البخاري جـ١ ص١٥١، رقم: ٧٥٦، ومسلم جـ١ ص٢٩٥، رقم: ٣٩٤، من حديث عبادة بن الصامت.

فيه[١].

ما موقف الصحابة ﷺ من ابن مسعود ﷺ: نتساءل هنا على سبيل الفرض والجدل: إذا كان ابن مسعود ﷺ أنكر الفاتحة والمعوذتين – كما زعموا –، ولم يعتبر أنهما من القرآن، فأين الصحابة ﷺ؟ هل رضوا بإنكار ابن مسعود ﷺ ووافقوه؟ وبذلك ينكرون شيئاً سمعوه من النبي ﷺ، فيقع الإثم عليهم جميعاً أم أنهم أنكروا عليه، ولو أنهم أنكروا عليه لماذا لم ينقل إلينا هذا الإنكار على ابن مسعود ﷺ؟ خاصة وأنه قد نقل إلينا ما هو أهون من ذلك، وهو أنهم ﷺ كرهوا اعتراضه على أنه لم يكن ضمن اللجنة المكلفة بنسخ المصحف كما مرَّ.

- أقول: يستحيل أن يوافق الصحابة على إنكار شيء من القرآن، كما يستحيل أن يكونوا رفضوا، ولم ينقل إلينا رفضهم، وإذا كان هذان الوجهان محالين، فالذي يؤدي إليهما محال، وهو كون ابن مسعود ﷺ ينكر قرآنية الفاتحة والمعوذتين، ويثبت ضده وهو أن ابن مسعود ﷺ لم ينكر شيئاً من القرآن لا الفاتحة ولا المعوذتان، وهذا هو المطلوب.

- المستشرق لا يجد مفراً من الحقيقة: بعدما حاول المستشرق ولش أن يثير الشبهة السابقة رجع إلى الحقيقة في آخر النص، وذكر أن ابن النديم رأى نسخة قديمة من مصحف ابن مسعود ﷺ، ورأى فيها الفاتحة والمعوذتين.

يقول المستشرق ولش: (إلا أن ابن النديم ذكر أنه رأى عدداً من مصاحف ابن مسعود [ﷺ]، وأن إحدى نسخ هذه المصاحف كان يعود إلى مائتي سنة خلت، وأنها أي: نسخة مصحف ابن مسعود [ﷺ] كانت تشمل على الفاتحة، وقد قرر ابن النديم ذلك)[٢].

وبعد الرجوع إلى كتاب ابن النديم وجدت ما ذكره صحيحًا، ونصها

---

(١) الزرقاني: مناهل العرفان جـ١ ص٤٧٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨٠ – مادة: القرآن الكريم.

الوارد فيها هو قول ابن النديم عن مصحف ابن مسعود ﷺ: (وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب)[(١)].

وبذلك يظهر لنا أن تلك الشبهة لا وجه لصحتها سواء قلنا: إنها نقلت عن ابن مسعود ﷺ، فيكون معناها أنه لم يثبت الفاتحة والمعوذتين؛ لأنه لا يخاف على تلك السور من النسيان كباقي القرآن، وسواء قلنا بأنها ليست صحيحة، فقد نقل النووي وابن حزم والباقلاني وغيرهم إجماع العلماء على أنها رواية موضوعة مدسوسة على ابن مسعود ﷺ، ولا مفر من الرجوع إلى الحقيقة، وهى أن مصحف ابن مسعود ﷺ فيه القرآن كاملاً مشتملاً على الفاتحة والمعوذتين كمصحف عثمان ﷺ.

(١) ابن النديم: الفهرست - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ-سنة ١٩٧٨م - دار المعرفة - بيروت ص٣٩.

الشبهة الثالثة: مصحف أبي بن كعب ﷺ كان يضم سورتي الخلع والحفد.

يصور المستشرق ولش هذه الشبهة وهو يتحدث عن مصحف أبي بن كعب ﷺ، فيقول: (أما مصحف أُبيّ [ﷺ]، فتشير الدلائل إلى أنه كان أقل قيمة من مصحف ابن مسعود [ﷺ]، ومع هذا فيبدو أنه كان مصدراً لمصاحف ثانوية أخرى كما أنه لم يتفرد إلا باختلافات قليلة، فمعظم اختلافات مصحف أُبيّ [ﷺ] يشترك فيها مع مصحف ابن مسعود [ﷺ]، ومصحف ابن عباس [ﷺ]، وربما كان أهم ملمح في مصحف أُبيّ [ﷺ] ما يقال إنه كان يضم سورتين قصيرتين لا وجود لهما في مصحف ابن مسعود [ﷺ]، أو مصحف عثمان [ﷺ]، وهما سورة الخلع، ويقال: إنهما من ثلاث آيات، وسورة الحفد وهى في ست آيات)(١).

ويضيف المستشرق ولش قوله: (ووفقا لبعض الروايات فإن أبا موسى [ﷺ] طلب من أتباعه عند وصول مندوب عثمان بن عفان [ﷺ] حاملا منه النسخة المعتمدة من القرآن الكريم ألا يحذفوا من مصحفه شيئا - أي مصحف أبي موسى - حتى لو لم يجدوه في مصحف عثمان [ﷺ]، أما ما وجدوه في مصحف عثمان [ﷺ] ولم يجدوه في مصحفه - مصحف أبي موسى - فليضيفوه. لذا فإن بعض الروايات تذكر أن مصحف أبي موسى الأشعري [ﷺ] كان ضخما وأنه كان يحتوي على السورتين الزائدتين في مصحف أُبي [ﷺ]، بالإضافة لآيات أخرى غير موجودة في المصاحف الأخرى)(٢).

فى هذه الشبهة يذكر كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية المستشرق ولش أنه لا يوجد اختلاف كبير بين مصحف أبي بن كعب ﷺ، وبين بقية المصاحف الموجودة آنذاك، وهذه حقيقة مؤكدة، ولذلك لن يقف المستشرق عند تلك الحقيقة المؤكدة، بل سيلجأ إلى بعض الروايات التى

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨٣ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٧١٧٨ - ٧١٧٩ - مادة: القرآن الكريم.

يمكن أن تثير شبهة حول القرآن الكريم.

هو هنا يذكر أن مصحف أبي ابن كعب ﷺ كانت توجد به سورتان ليستا موجودتين في غيره خاصة مصحف عثمان ﷺ الرسمي الموجود بأيدي المسلمين الآن، وهما سورة الخلع وسورة الحفد، والمستشرق يريد أن يطعن هنا في تواتر القرآن، ويتهم الصحابة في عدم الحرص على جمع كل القرآن.

والواقع أن هذا الشبهة لم ينفرد بها ولش، ولم تنفرد بها دائرة المعارف الإسلامية، بل هى شبهة ذائعة وشائعة عند معظم المستشرقين يرددونها بغرض النيل من القرآن، ومن أشهر من احتفى بهذه الشبهة ورددها المستشرق الألماني الشهير نولدكه في كتابه: «تاريخ القرآن».

يقول نولدكه: (ثمة أمر ذو أهمية كبيرة وهو أن مجموعة أُبيّ تحوي سورتين لا نجدهما في النسخة الرسمية، وترد هاتان السورتان باسميها الخاصيين سورة الخلع وسورة الحفد، وطورًا باسم الاختصار سورتا القنوت أو سورة القنوت)[1].

ولكن نولدكه يتميز بعرضه لتلك الشبهة بميزتين لا توجد عند ولش في دائرة المعارف الإسلامية وهما:-

١) أن ولش ذكر اسم السورتين، ولم يذكر نصهما في حين أن نولدكه يذكر لنا نص تلك السورتين المزعومتين وهما:

- سورة الخلع (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك)[2]

- سورة الحفد (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، وإن عذابك

(١) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٦٥.

(٢) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٦٦.

بالكفار ملحق)[1].

٢) أن ولش في نصه السابق ذكر هاتين السورتين بصيغة: يقال، ولم يذكر لنا من القائل، وما المصدر الذي اعتمد عليه بينما وجدنا نولدكه يذكر المصادر الذي أتى بهاتين السورتين منهما وهو كتاب: الفهرست، لسان العرب، والصحاح للجوهرى، تفسير الزمخشرى، والإتقان للسيوطى.

كما يذكر نولدكه أنه اعتمد في نص هاتين السورتين على ما ذكره المستشرق همر[2] J.v.Hammer أول من نشر النصين من المستشرقين[3]، والحقيقة أنه بالرجوع إلى تلك المصادر[4] وجدناها فعلاً قد تحدثت على هاتين

---

(١) نفس المرجع جـ١ ص٢٦٧.

(٢) جوزيف هَمّر بُرْجُشتّال (١١٨٨ - ١٢٧٣هـ = ١٧٧٤ - ١٨٥٦م) Freiherr Von Hammer Purgstall مستشرق نمساوي، من أعيان العلماء. ولد في جراتز (بالنمسا) وتعلم في مدرستها ثم في جامعة فينا. وبرع في العربية والفارسية والتركية. وكان شاعرا بالألمانية. وعين سكرتيرا ومترجما للسفير النمساوي في الآستانة، فمستشارا للسفارة النمساوية في باريس ١٨١٠م فترجمانا للأمبراطور فرنسيس الأول. فمستشارا له. ومنحه الإمبراطور لقب "بارون" سنة ١٨٣٥م، وتنقل كثيرا في أوربا، وزار مصر والشام وإيران. وأنشأ في فينا "أكاديمية العلوم" وتولى رئاستها. وتوفي في فينا، ودفن في قبر بناه لنفسه على الطراز العربيّ. كان يحسن عشر لغات. وصنف بالألمانية كتبا كثيرة، منها: "تاريخ الآداب العربية " في سبعة مجلدات، ولم يتمه، و " تاريخ الدولة العثمانية " في ١٠ مجلدات. وترجم " ديوان المتنبي " إلى الألمانية شعرا. وله " ميقات الصلاة في سبعة أوقات - ط " بالعربية والألمانية. ونشر كتبا عربية منها " أطواق الذهب " للزمخشري، ورسالة " أيها الولد " للغزالي. ينظر في ترجمته: خير الدين الزركلي: الأعلام جـ٨ ص٢٢٣، ويوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات جـ٢ ص١٨٨٩، العقيقي: المستشرقون جـ٢ ص٦٢٧ - ٦٢٩، يوسف جيزا: تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا - دار الكتب المصرية ١٩٢٩م ص٣٤، ولويس شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر جـ١ ص١١٥ - ١١٦.

(٣) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٦٦.

(٤) راجع: ابن النديم: الفهرست ص٤٠، وابن منظور: لسان العرب جـ٣ ص١٥٣، والجوهرى: =⇦

السورتين وأوردت نصهما.

الرد على تلك الشبهة:

١. هذه شبهة قديمة حديثة بمعنى أن المستشرقين ليسوا هم أول من أثار تلك الشبهة حديثاً، بل ترددت قديماً، وتصدى لها علماء أهل السنة بالرد والتفنيد.

وقد عرض القاضي الباقلاني لهذه الشبهة بالتفصيل، فرواها على لسان أصحابها قائلاً: (فإن قال قائل إذ كان أمر القرآن في الظهور والانتشار، وحصول علم الأمة بما هو منه، وما ليس من جملته على ما ذكرتم وجب أن يكون أبي بن كعب من أعلم الناس بذلك وأحفظهم له، وأشدهم حرصاً عليه، وأعرفهم بما هو منه وما ليس منه، فكيف جاز أن يذهب عليه مع ذلك أن كلام القنوت ليس من القرآن الذي أنزل، وقفت الأمة عليه، ويجب – كيف دارت القصة – أن يكون أمر القرآن على خلاف ما ادعيتم من الظهور والانتشار بين الصحابة ومن بعدهم لأجل أن سورتي القنوت أما أن تكونا قرآناً أو ليستا بقرآن، فإذا كانتا غير قرآن فقد ذهب على أُبيَ وأثبتهما في مصحفه، واعتقد أنهما قرآناً، وإذا جاز عليه ذلك جاز مثله على غيره وجاز منه ومن غيره أن يعتقدوا أيضاً في كلام آخر من كلام الرسول ﷺ، والأدعية أنه من كلام الله تعالى، ولم يأمن أن يكون فيما أثبتوه كثير هذه سبيلهم فيه. وذهب عن علمه جمع الأمة سوى أُبيّ ﷺ وحده، وإذا جاز ذلك في سورتي القنوت جاز مثله في غيرهما، وبان بذلك أن إثبات جميع ما هو من القرآن، وما ليس منه لم يقع من النبي ﷺ على وجه واحد من الإشاعة والإذاعة والإعلام، وقطع عذر الكافة فيه، وأن منه ما قد أثبت بظن واجتهاد وإعمال رأي وظن بمن رواه لهم من جهة الآحاد،

= الصحاح جـ٢ ص٤٦٦، والزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ جـ٢ ص٢٦٠، والسيوطي: الاتقان في علوم القرآن جـ١ ص٢٢٦.

وشهر عندهم من العدول بأنه سمعه من الرسول وتلقاه، وكل هذا نقض لما أصلتموه، وخلاف ما ادعيتموه)[1].

هذه هي نفس الشبهة التى ساقها المستشرقون، وهي أن هاتين السورتين إما أن تكونا من القرآن، فلماذا أثبتهما أبي بن كعب وحده دون باقي الصحابة؟ وإذا كانتا ليستا من القرآن، فإن أبياً أدخل في القرآن ما ليس منه! وإذن فهي شبهة قديمة حديثة.

٢. سبب ورود تلك الشبهة: أنه قد وردت بعض الآثار تدل على أن أبي بن كعب كان قد أثبت هاتين السورتين، وكان يدعو بهما في القنوت، ولذلك يسميهما بعض العلماء سورتي القنوت.

وقال ابن الضريس عن عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال: (في مصحف ابن عباس ﷺ قراءة أبي ﷺ وأبي موسى ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق)[2].

وبناءً على تلك النصوص في تلك المصادر وأمثالها نبتت هذه الشبهة وتلقفها المستشرقون كعادتهم محاولين أن يجدوا من خلالها ثغرة ينفذون منها إلى القرآن ولكنهم لن يستطيعوا.

٣. حقيقة هاتين السورتين: يمكن فهم هاتين السورتين، والروايات التى أوردتها على عدة وجوه كلها حسنة ونافعة في هذا المقام، وأهمها ما يلي:

الوجه الأول: جاءت الروايات التى ذكرت هاتين السورتين أو هذين

---

(١) الباقلاني: الانتصار للقرآن جـ١ ص٢٦٨.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن جـ١ ص٢٢٨.

الدعائين تخبر بأن أُبيًّا ﷺ أثبتهما في المصحف لا أنه ادعى أنهما قرآن، وهذا هو ما نص عليه الباقلاني حين قال: (لا يقدر أحد أن يروي عن أُبيّ لفظة واحدة في أن دعاء القنوت قرآن نزل، وإنما روى قوم أنه أثبت دعاء القنوت في مصحفه، وإذا لم يقل ذلك تصريحاً ولا حفظ عليه، ولم يكن إثباته له في مصحفه، أو رقعة من مصحفه يدل دلالة قاطعة على أنه يعتقد بعدم كونه قرآناً، فبان بهذه الجملة أنه لاحجة لأحد فيما يروى من إثبات أُبيّ لهذا الدعاء واعتقاده كونه قرآناً)[1].

الوجه الثاني: ربما تكون هاتان السورتان من الموضوعات المدسوسة على مصحف أُبيّ ﷺ بقصد القدح في القرآن بأنه لم يثبت فيه بعض السور (فإذا وجد مصحف ينسب إلى أُبيّ ﷺ فيه دعاء القنوت لوجب أن يعلم أنه مكذوب موضوع قصد بوضعه إفساد الدين، وتفريق كلمة المسلمين، والقدح في نقلهم، والطعن في مصحفهم الذي هو أمامهم، ولا ينبغي لعاقل أن يقطع الشهادة على أُبيّ ﷺ بأنه أثبت دعاء القنوت في مصحفه، واعتقد أنه قرآن بوجود صحيفة ذلك فيها يذكر أنه مصحف أُبيّ ﷺ من وجه لا يوجب العلم ولا يقطع العذر، ولا يحل في الظهور والانتشار محل ما من شأنه أن يظهر، مثل: أُبيّ ﷺ ويكثر الخوض فيه والرواية له، وكذلك فلا يجب أن تقطع الشهادة بذلك برؤية صحيفة هذا سبيلها على ما هو دون أُبيّ من المؤمنين، وأن الوضع الكذب والتلفيق قد يرسم في المصحف، وينسب إلى أهل الفضل لقصد ما ذكرناه)[2].

الوجه الثالث: (ويمكن أن يكون لم يثبت دعاء القنوت في مصحفه، ولكن في صحيفة أو ورقة كان فيها كلام أراد نقله وضمه إلى المصحف، وكما يتفق مثل ذلك للناس عند الحاجة إلى التعليق والضبط، فلما حملت الصحف والرقاع إلى أبي بكر رضوان الله عليه ليجمع ما فيها، ويضمه ويجعله إماماً وجد دعاء القنوت في بعض ما كان عند أُبيّ ﷺ ثم درس ذكر ذلك والخوض فيه،

---

(١) الباقلاني: الانتصار للقرآن جـ١ ص٢٦٩.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص٢٧١.

والسؤال لأُبيّ عنه لعلمه بارتفاع الشبهة عنه في أنه دعاء ليس بقرآن)(١).

الوجه الرابع: لعل تلك السورتين من القرآن لكن نسخت كتابتهما (فقد زعم قوم أنه لا يمتنع أن يكون دعاء القنوت كان قرآناً فنسخ أو أزيل فرض كتابته وتلاوته مع القرآن لما فيه من الفصاحة والجزالة ومناسبته ومقاربته لنظم القرآن، وإن كان هذا هكذا، فإثبات أُبيّ ﷺ له كإثبات قوم غيره الأشياء نسخت بعد أن أنزلت)(٢).

يقول السيوطي: (إن القرآن قد وقع فيه النسخ كثيراً للرسم حتى لسور كاملة وآيات كثيرة، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر من العرضة الأخيرة، ولم يبلغ ذلك أُبياً ﷺ كما لم يبلغه نسخ ما في مصحفه من القراءات التى تخالف المصحف العثماني، ولذلك كتب أُبيّ في مصحفه سورة الحفد والخلع وهما منسوختان) (٣).

الوجه الخامس: استجابة أُبيّ ورضاه بمصحف عثمان ﷺ من الأمور المشهورة أن أُبياً ﷺ قد سارع إلى الاستجابة لمصحف عثمان ﷺ، ولم يتردد أو ينتظر كما فعل ابن مسعود ﷺ، وهذه نقطة أشار إليها المستشرقون أنفسهم في حديثهم عن مصحف أُبيّ ﷺ كما يقول المستشرق ولش: (وقد ذكرت الروايات أن أُبياً [ﷺ] هذا قد أتلف مصحفه - نسخته - استجابة لأمر عثمان [ﷺ]، ولم يرفض مثل ابن مسعود [ﷺ]، وهذا يبين من منظور تاريخي كيف أن أهل الشام تخلوا عن قراءتهم «قراءة أُبيّ» [ﷺ])(٤).

---

(١) الانتصار للقرآن جـ١ ص٢٧٣.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص٢٧٤.

(٣) السيوطي: أسرار ترتيب القرآن - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ-دار الفضيلة للنشر والتوزيع ص٤٨.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٧٨ - مادة: القرآن الكريم.

فمن الطبيعي أن تكون نسخة عثمان وصلت إلى أُبيّ، وقرأها وعلم ما بها، وعلم أنها خالية من تلك السورتين، فإذا كانت تلك السورتان من القرآن، فلماذا لم يعترض أُبيّ ﷺ؟ أو حتى لماذا لم يسأل أين السورتان من القرآن؟ وهل لمثل أُبيّ من جلالة قدره ومكانته، وكونه من كتاب الوحي أن يعرف أن هناك شيئاً ناقصاً من القرآن، ثم لا يبدي اعتراضاً أو استفساراً؟ إن هذا غير ممكن.

وقد روى محمد بن أُبي بن كعب قال: (قدم ناس من أهل العراق إليّ فقالوا: إنا قد أعملنا إليك المطيّ من العراق، فأخرج لنا مصحف أُبي فقلت لهم قد قبضه عثمان، فقالوا: سبحان الله! أخرجه إلينا، فقلت قد قبضه عثمان)(١).

وهذا يدل على أن أُبيًّا استجاب لأمر عثمان في المصاحف، وأصبح مصحف عثمان هو الرسمي المعتمد عند أهل الشام الذين كانوا قبل ذلك على مصحف أُبيّ.

الوجه السادس: نقل عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: (وقد رأيت أن مصحف أنس بالبصرة عند بعض ولد أنس فوجدته مساوياً لمصحف الجماعة لا يغادر منه شيئاً، وكان يروى عن ولد أنس عن أنس أن هذا المصحف هو خط أنس وإملاء أُبيّ)(٢).

فهذا دليل على أن مصحف أُبيّ كان موافقاً لمصحف الجماعة لا خلاف بينهما، ولا وجود لتلك السورتين فيه.

الوجه السابع: يفرض بعض العلماء جدلاً أنه لو سلمنا بأن تلك السورتين قد صح وجودهما في مصحف أُبيّ على أنهما قرآن -، وهذا افتراض

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن ص٢٨٥ - تحقيق مروان العطية - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ-سنة ١٩٩٥م - دار ابن كثير - دمشق. من طريق ابن لهيعة وأحاديثه محسنة بالمتابعة.

(٢) الباقلاني: الانتصار جـ١ ص٢٧٧.

جدلى -، فإن انفراد أُبيّ بهذا لا يقوم حجة أمام إجماع الصحابة على خلافه، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة حين قال: إنه لا يمكن أن يصيب أُبيّ وحده في إثبات هاتين السورتين، ويخطئ جميع المهاجرين والأنصار في محوهما[(١)].

الوجه الثامن: أن نظم تلك السورتين مخالف لنظم القرآن وأنزل في منزلة الفصاحة والبلاغة من نظم القرآن، والعجيب أن يعترف بهذا الوجه المستشرق المتخصص في القرآن نولدكه حين يقول عند ذكر سورة الخلع وسورة الحفد: (إنهما ليستا سورتين بل مجرد صلوات ونادراً ما نقع على كلمات نصوصهما، وبما أن هذه النصوص صلوات شكلاً ومضموناً، فإنه لا يمكن نسبتها إلى الوحى)[(٢)].

ويشير الباقلاني إلى ذلك حينما يذكر أن من أسباب رفض أن تكون تلك السورتان من القرآن أننا (قد علمنا قصور نظمهما في البلاغة والفصاحة عن رتبة القرآن، وإن كان أوضح وأوجز من كلام كثير من العرب، وإنما يعلم ذلك بتأمله أهل العلم والفصاحة، وأهل البيان والبلاغة والمعرفة بنظوم الكلام وأوزانه، وموقع معاينة وشرف تأليفه ومبانيه، ومباينته لسائر ما قصر عن بلاغته)[(٣)].

الوجه التاسع: وهذا الوجه يشير إليه الشيخ الزرقانى حين يقول: (وقد ذكر أن أُبياً ﷺ كتب هذا الدعاء في مصحفه، وسماه سورة الخلع وسورة الحفد لورود مادة هاتين الكلمتين فيه.

والخلاصة: أن بعض الصحابة الذين كانوا يكتبون القرآن لأنفسهم في

---

(١) ابن قتية الدينورى: تأويل مشكل القرآن - تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية بدون تاريخ ص٣٥.

(٢) نولدكه: تاريخ القرآن جـ١ ص٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) الباقلاني: الانتصار للقرآن جـ١ ص٢٦٨.

مصحف، أو مصاحف خاصة بهم ربما كتبوا فيها ما ليس بقرآن مما يكون تأويلاً لبعض ما غمض عليهم من معاني القرآن، أو مما يكون دعاء يجرى مجري أدعية القرآن في أنه يصح الإتيان به في الصلاة عند القنوت، أو نحو ذلك، وهم يعلمون أن ذلك كله ليس بقرآن، ولكن ندرة أدوات الكتابة، وكونهم يكتبون القرآن لأنفسهم وحدهم دون غيرهم هون عليهم ذلك؛ لأنهم أمنوا على أنفسهم اللبس واشتباه القرآن بغيره، فظن بعض قصار النظر أن كان ما كتبوه في مصاحفهم، فهو قرآن مع أن الحقيقة خلاف ذلك)[١].

الوجه العاشر: وهذا الوجه متصل بسند القراءات السبعة حيث تبين أن ستة من أصحاب القراءات السبعة قد اتصل سندهم بأبي كعب ﷺ، وهم:

١. نافع بن أبي نعيم الذي قرأ على سبعين من التابعين، ومنهم سعيد بن المسيب الذي قرأ على ابن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وكلهم جميعاً قرءوا على أبي بن كعب الذي قرأ على النبي ﷺ.

٢. عبد الله بن كثير، وقد قرأ على عبد الله بن السائب، وعلى مجاهد بن جبر المكي، وعلى درباس مولى ابن عباس، وابن عباس والسائب قد قرأ على أُبي بن كعب.

٣. أبو عمرو بن العلاء، وممن قرأ عليهم أبو العالية الرياحي الذي قرأ على أبي بن كعب.

٤. عاصم بن أبي النجود، وقد قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على أبي بن كعب.

٥. حمزة الزيات، وهو مثل عاصم في جهة اتصاله بأبي بن كعب.

٦. الكسائي، وقد قرأ على حمزة، ونافع، فهو متصل بأبي بن كعب من

(١) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص١٨٩.

طريقهما[1].

وإذا كان هؤلاء جميعاً قرءوا على من قرأ على أبي بن كعب ﷺ، ووصلتنا قراءاتهم وقرأنا بها، ولم يشر أحد منهم قط إلى أنه كان عند أُبيّ في قراءته شيء اسمه سورة الخلع، ولا شيء اسمه سورة الحفد.

وبهذه الأوجه العشرة قد ظهر لنا جلياً أن دعوى المستشرقين بأن مصحف أبي بن كعب كان فيه زيادة سورتين لم تثبتا في المصحف الإمام الذي عليه جميع المسلمين دعوى ساقطة لا وجه لها، مثل: باقي شبهات المستشرقين.

ثالثا: اعترافات بعض المستشرقين بأنه لا قيمة لما يثيره المستشرقون من شبه حول جمع القرآن وتعدد المصاحف.

لم يجد المستشرقون مفرًا من الاعتراف بالحقيقة التى طالما حاولوا أن يزيفوها ويشككوا فيها، وهي أن كل ما أثير في مسألة جمع القرآن على عهد عثمان، وما أثير حول الخلافات بين مصاحف الصحابة محاولات لا قيمة لها، وهذه نتيجة وصلوا إليها بعد بحث طويل.

يقول المستشرق ولش: (وليس هناك إجماع بين الغربيين على قيمة هذه المصاحف السابقة على مصحف عثمان، ومدى إمكانية اعتمادها في مجال التاريخ للقرآن الكريم إلا أنه في الثلاثينات من القرن العشرين كان المستشرقون قد جمعوا بالفعل هذه الاختلافات وحللوها، وانتهوا أنه لا قيمة لها، وبعبارة أخرى: انهارت الثقة فيها)[2].

معنى ذلك: أن المستشرقين بعد بحث طويل لمحاولة الطعن في جمع القرآن، وفى مسألة المصاحف انتهوا إلى أنه لا ثقة في نتائج هذه البحوث ولا قيمة لها.

(١) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٧٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨٤ - مادة: القرآن الكريم.

ويواصل المستشرق ولش اعترافاته بالحقيقة فيقول: (وبينما ظل برجشتريسر في كتابه عن: «تاريخ القرآن» يقيم وزناً لهذه الاختلافات، فإننا نجد جفرى في كتاب: «مواد لدراسة القرآن» يذكر أنه مع زيادة الروايات عن موضوع الاختلافات هذه، فإن المرء يشعر بالميل إلى أنه من المغامرة أن يتجرأ بالحكم عليها، وقد وصل الباحث برتسل إلى النتيجة نفسها، ونتيجة هذه البحوث الأوروبية سقطت محاولات المستشرقين إصدار نسخة أخرى من القرآن الكريم غير نسخة عثمان [ﷺ] لقد ظهر أن هذه المحاولة عرجاء)[(١)].

بل ينتهي بعض المستشرقين إلى أبعد من ذلك، فيحكم على جميع الخلافات بين المصاحف بأنها مكذوبة، وهو المستشرق فيشر[(٢)] الذي يقول: (إن معظم الاختلافات في المصاحف المنسوبة إلى الصحابة [رضي الله عنهم] قبل مصحف عثمان - [ﷺ] ما هي إلا اختلافات موضوعة مكذوبة)[(٣)].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٨٥ - مادة: القرآن الكريم.

(٢) آوغست فِيشَر: (١٢٨٢ - ١٣٦٨هـ = ١٨٦٥ - ١٩٤٩م) August Fischer مستشرق ألماني. من أهل ليبسيك، تخصص في اللغات الشرقية على يد توربكه ١٨٣٧ – ١٨٩٠م في جامعة هالة في نهاية عام ١٨٨٩م برسالة عنوانها (تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحق)، وقد عمل فيشر في معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٨٩٦م مدرسًا للغة العربية وأمينًا للمعهد، وقد كان فيشر حريصًا على تأكيد الأهمية القصوى للغة العربية من أجل التصدي للأبحاث الخاصة بالتاريخ والفلسفة والفقه. عند العرب والمسلمين، كان أستاذا في جامعة هالّه، ومن أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية. أشهر آثاره: "معجم فيشر - خ"، قضى أربعين سنة في جمعه وترتيبه وإعداده للطبع. وله: "زمام الغناء" "المطرب في النظم السائر في أقاصي المغرب - ط" بالعربية مع ترجمته إلى الألمانية. ونشر كتابا لمحمد بن إسحاق في تراجم من روى عنهم. ينظر في ترجمته: الزركلي: الأعلام جـ١ ص٢٦، عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٤٠٣ - ٤٠٧،مجلة المجمع العلمي العربيّ العدد: ٢٤ ص٥٠٠، ومجلة لغة العرب - السنة الثانية ١٩٣١م، ص٢٥، ومجلة اللغة العربية: دور الانعقاد الثاني ١٧٦ و ١٧٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٦ ص٨١٨٥ - مادة: القرآن الكريم.

ولكن مع ذلك مازال هناك من المستشرقين من يتشبث بالأوهام والشبه ويتعسف تعسفاً شديداً لإثبات شيء من الطعن والشك في القرآن، وهما الباحثان ونسبرو[1] في كتابه: «دراسات قرآنية»، والباحث بيرتون في كتابه: «جمع القرآن»، فيرد عليهما زميلهما المستشرق ولش ملاحظاً أن كلامهما فيه كثير من المبالغة، وليس معهما دليل.

يقول المستشرق ولش عن هذين المستشرقين: (وإن كان هذا لا يمنع من القول أن كلا الكاتبين قد بالغ كثيراً دون تقديم أسباب مقنعة لإنكار قصة جمع القرآن في عهد عثمان [ﷺ] أو في الزعم بأن القرآن الكريم ظل حتى القرن الثالث الهجري غير مجموع، وغير متفق عليه، وهو ما ذهب إليه ونسبرو)[2].

وأقول في نهاية هذا المبحث: الحمد لله الذي أظهر الحق وأبان الحقيقة، وبيّن دليلاً على حفظ كتابه على لسان أعدائه من المستشرقين الذين أقروا أن كل بحوثهم خالية من الأدلة العلمية التى تؤيد وجهة نظرهم التى تسير في اتجاه واحد هو محاولة الطعن في القرآن، وأن هذه المحاولات عرجاء غير ذات قيمة، وانهارت الثقة بها سواء في شبهاتهم في روايات جمع القرآن، أو شبهاتهم حول اختلاف المصاحف.

وأصبح من الحق أن نقرر أن الروايات الإسلامية أصدق وأوثق من تخمينات المستشرقين وظنونهم، وتلك الروايات تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن القرآن محفوظ بحفظ الله، وقد هيأ الله له من الأسباب والرجال والظروف التى تؤكد وعد الله تعالى بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3].

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٦ ص٨١٨٦ - مادة: القرآن الكريم.

(٣) سورة الحجر الآية: ٩.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: موقفهم من الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- المبحث الثاني: موقفهم من فتنة الخوارج في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- المبحث الثالث: موقفهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الفصل الرابع: موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية

في هذا الفصل نلقي الضوء على الفتنة الكبرى التي تمثل حدثا من أهم أحداث الإسلام في عصر الخلافة الراشدة، وأعني به فتنة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسيحتوي هذا الفصل مباحث ثلاثة ففي المبحث الأول: سأعرض آراء المستشرقين حول أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وأن هذه الآراء تشمل مغالطات وشبه غير صحيحة، مثل: تفسير أسباب الفتنة بأنها كانت لأسباب اقتصادية، ومثل: تفسير أسباب الفتنة بأنها كانت لأسباب شخصية بين أبي ذر والخليفة عثمان رضي الله عنهما، علما بأنه لم تنقل لنا المصادر الإسلامية خلاف بين أبي ذر وعثمان رضي الله عنهما، وقد حاول المستشرقون تضخيم بعض الأحداث وتصويرها على غير حقيقتها، مثل: تفسير الفتنة بتفسير غير واقعي وغير مفهوم، وذلك كشبهة سقوط الخاتم في بئر أريس.

وسنقف على دور محمد بن أبي حذيفة ربيب عثمان رضي الله عنه في الفتنة، ودوافعه الشخصية في الخروج على عثمان لمنعه من الولاية، وكذلك الموقف الذي زعم به المستشرقون لعمرو بن العاص رضي الله عنه بسبب عزل عثمان رضي الله عنه له من ولاية مصر، ومثل: الكتاب المزعوم المدسوس على عثمان رضي الله عنه الذي كان من أسباب الفتنة الرئيسة.

وفي المبحث الثاني: سأعرض آراء المستشرقين حول الخوارج، والمنحرفين الذين خرجوا على الخليفة في الأمصار المختلفة خاصة الكوفة والبصرة ومصر، ودوافعهم للخروج على الخليفة، وأن هذا الخروج كان غير مبرر، ولم يكن له أسباب غير إثارة الفتن، وإشاعة الاضطرابات في كل مكان، وسأعرض موقف الخليفة عثمان رضي الله عنه من هؤلاء الخوارج، وموقفه رضي الله عنه من مطالبهم.

وفي المبحث الثالث سأعرض حادثة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه من المنظور الإسلامي حيث لم يتناول المستشرقون هذا المشهد، مما يثير أسئلة مهمة، مثل:

أن مقتل الخليفة كان نتيجة طبيعية لأسباب الفتنة، والخروج على الخليفة، فلماذا ركز المستشرقون على ذكر الأسباب، وذكر الخروج على الخليفة، ولم يوضحوا لنا موقفهم من مقتل الخليفة الشهيد الصابر عثمان ﵁.

وسوف أعرض في هذا الفصل موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان ﵁ من خلال إبراز شبههم حول ذلك، ثم الرد عليها ردًا علميا بالأدلة التي تظهر تهافتها من خلال عرض الآراء من المصادر والروايات المعتمدة عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول

موقفهم من الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

الشبهة الأولى: السبب الاقتصادي:

يتحدث المستشرق ليفي دي لافيدا عن بداية الفتنة ضد عثمان رضي الله عنه فيشير إلى أن بداية الفتنة كانت بسبب أزمات اقتصادية ظهرت في المجتمع الإسلامي خاصة في العراق فيقول: (بدأت الفتنة ضد عثمان [رضي الله عنه] في العراق حيث كانت الأزمة الاقتصادية فيه أوضح مما في سواه)[١]. فالسبب الأول لاشتعال الفتنة ضد الخليفة رضي الله عنه في نظر هذا المستشرق هو الأزمة الاقتصادية.

الرد على هذه الشبهة:

يمكنني الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي:

١) **منهج المستشرق في إيراد هذه الشبهة**: من الواضح أن المستشرق دي لافيدا قد اعتمد في إيراد الشبهة السابقة على منهج مشهور عند المستشرقين يعتمدون عليه في إثارة الشبه المختلفة، وأعني به المنهج المادي.

والمنهج المادي هو المنهج الذي أسسه الفيلسوفان الغربيان كارل ماركس[٢]

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) كارل ماركس: هو أكبر دعاة الشيوعية، ولد سنة ١٨١٨م من أبوين يهوديين كانا قد اعتنقا البروتستانتية قبل أربع سنوات درس الفلسفة، وأعجب بجدل هيجل، ولكنه أنكر عليه أسرافه في التصورية فاعتنق المادية، ثم زج بنفسه في العمل السياسي والاجتماعي، فكان صحفياً وداعياً إلى الثورة وأشهر كتبه: نقد النظام السياسي والاقتصادي، ورأس المال توفي في لندن ١٨٨٣م. =⇦

وفريدريك إنجلز[1] واللذان كان لفلسفتهما أثر على الفكر الغربي الأوروبي، وقد ألغيت فيها الاهتمام بالجوانب الروحية والأخلاقية، وفسرت التاريخ بالصراع بين طبقات المجتمع، وركزت على الاقتصاد، وأنه المحرك الرئيسي لأحداث التاريخ، حيث ينص ماركس على أن نمو الحياة الإنسانية فردية أو اجتماعية إنما يتوقف كله على الظروف المادية والاقتصادية، وأن درجة الحضارة تقاس بدرجة الثروة الزراعية والصناعية[2].

ولقد أثر هذا المنهج المادي على معظم المستشرقين الذين أخذوا يفسرون أحداث التاريخ الإسلامي وفقاً لهذا المنهج.

يقول الدكتور سعد الماجد: (وقد تأثر بعض المستشرقين بمادية ماركس في تفسيرهم لأحداث التاريخ الإسلامي، وخاصة في كتاباتهم عن الصحابة ﷺ، وأن ما حصل بسبب الصراع بين الطبقات، أو من أجل المال والرئاسة، دون أن ينظروا إلى الجوانب الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة في عصر الصحابة ﷺ، والتي قادتهم إلى الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام في أصقاع الأرض)[3].

ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق دي لا فيدا الذي حاول أن يصطنع سبباً يبرر الخروج على عثمان ﷺ، فذكر لنا هذا السبب الاقتصادي.

= راجع في ترجمته: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة - الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م - دار المعارف - القاهرة ص٤٠١، وبرتدانراسل: تاريخ الفلسفة الغربية - ترجمة محمد فتحي الشنيطي - الهيئة العامة المصرية للكتاب - القاهرة سنة ٢٠١٢م، جـ٣ ص٣٦٩.

(١) فريدريك إنجلز: فيلسوف اجتماعي وصحفي ثوري ولد في روسيا بألمانيا سنة ١٨٢٠م، وكان واسع المعرفة باللغات الأوروبية والتقي بكارل ماركس وأصدرا سوياً: البيان الشيوعي، وكان له نشاط في الدعوة إلى الثورة والشيوعية توفي عام ١٨٩٥م. راجع في ترجمته: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص٣٨٣.

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٠٠.

(٣) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة ص٣٢.

ومما لا شك فيه أن هذا المستشرق متأثر بالمنهج المادي السائد في أوروبا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه يحاول إسقاط المفاهيم الغربية التي يقتنع بها على أحداث التاريخ الإسلامي، وسير الصحابة ﷺ.

والمفهوم الذي يسيطر على فكر هذا المستشرق هنا هو الثورة الأوروبية التي قامت في الأساس لأسباب اقتصادية.

يقول ول ديورانت وهو يصف أحوال أوروبا وأسباب قيام الثورات بها (إن الدول قد حرمت الفقراء في معظم المدن من المجالس والوظائف العامة واستبدَّت بالفلاح والصانع، واحتكرت مكاسب التجارة، وأرهقت الأهلين بالضرائب الفادحة، وأنفقت معظم إيرادات الحكومة المحلية في المنازعات الداخلية والحروب الخارجية التي تبغي بها الاستحواذ على الأسواق والقضاء على المنافسين، وحاولت أن تقضي على هيئات الصناع، وحرمت عليهم حق الإضراب، وإلا تعرضوا للإعدام أو النفي، وعلى أثر ذلك قامت الثورات خاصة الثورة الفرنسية)[1].

هذه الأحوال المزرية في أوروبا كانت حاضرة بقوة في ذهن المستشرق دي لافيدا وهو يثير هذه الشبهة، فيحاول أن يسقط هذه المفاهيم على الوقائع الإسلامية في عصر عثمان ﷺ.

٢) حقيقة الأوضاع الاقتصادية في عصر الخليفة الراشد عثمان ﷺ: إن الناظر في جميع الروايات التي ذكرت الأسباب التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان ﷺ. لم يأت فيها أي ذكر لا من قريب ولا من بعيد للحالة الاقتصادية، أو أنها كانت متدهورة لدرجة أن تكون سبباً في مقتل عثمان ﷺ، بل الحقيقة أنني وجدت المصادر الإسلامية تتحدث عن أن الحالة الاقتصادية في عصر عثمان ﷺ كانت في قمة ازدهارها للدرجة التي خاف الخليفة نفسه من أن ينجرف

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ٦ ص١٩١.

الناس إلى الترف والبذخ الناتجين عن ازدياد الأموال والثروة بأيديهم.

(فقد اقتفى ذو النورين سيرة الفاروق في سياسة المال وأقر الأوضاع الإدارية السائدة التي أسسها وشيدها، كالدواوين والعطاء والموارد والمصارف والحمى وإقطاع الأراضي، مع إضافات واضحة في زيادة النفقات والعطاء والرخاء المادي، والتوسع في النعيم الذي عمَّ جميع الناس)(١).

وقد أشرت في الفصل الثاني إلى أن الفتوحات الإسلامية في عصر عثمان ﷺ قد امتدت شرقاً وغرباً مما ترتب عليه زيادة موارد الدولة الإسلامية بحيث عمَّت هذه الزيادات على عموم المسلمين.

وهذه شهادة بعض أعلام التابعين على الحال الاقتصادية المزدهرة في عصر عثمان ﷺ وهو الحسن البصري رحمه الله الذي يقول: (أدركت عثمان على ما نقموا عليه قلَّ ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، الأعطيات جارية والأرزاق دارّة والعدو متَّقي وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ومن لقيه فهو أخوه)(٢).

---

(١) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م - دار النهضة العربية - بيروت ص٣٢.

(٢) أخرجه: ابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص١٠٢٣، والطبراني في المعجم الكبير جـ١ ص٨٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٨ ص١٤٣٨، من طريق المبارك بن فضالة.

قال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ٩ ص٩٤.

وعن أنس بن مالك، عن أسيد بن حضير ﷺ، أن رجلا من الأنصار قال: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلانا؟ قال: «ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» صحيح البخاري جـ٥ ص٣٣، صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٧٤.

وذكر ابن شبة في تاريخ المدينة قال: (كثر المال في زمن عثمان رضي الله عنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم)(١).

وقال عامر الشعبي: (أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان فجرت، وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء في رمضان درهماً في كل يوم، وفرض لأزواج الرسول ﷺ درهمين درهمين، فقيل له: لو صنعت لهم طعاماً فجمعتهم عليه! فقال: أشبع الناس في بيوتهم، فأقر عثمان الذي كان صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان فقال: للمتعبد الذي يتخلف في المسجد، وابن السبيل والمعترّين بالناس في رمضان)(٢).

وفي عصر عثمان رضي الله عنه نشطت الحركة الزراعية والصناعية والتجارية، وبسبب ما منَّ الله به على المسلمين من فتوح أصبح المسلمون عامة في نعمة ويسار، وكان يقترن بهذا الثراء ضروب واسعة من الحضارة(٣).

ولهذا يطلق الأستاذ محب الدين الخطيب على عصر عثمان رضي الله عنه العصر الذهبي للإسلام(٤).

وكان هذا الرخاء العام مسموحاً به في حدود الشرع، فإذا ما تجاوز الحدود الشرعية وأدى إلى ارتكاب المناهي، والمحظورات فإن الخليفة عثمان كان يقف لأي مظهر من مظاهره بالمرصاد(٥).

هذه هي الصورة الحقيقية لما كان عليه الوضع الاقتصادي وأحوال الناس

---

(١) عمر بن شبة النميري: تاريخ المدينة – تحقيق فهيم محمد شلتوت – طبعة جدة سنة ١٣٩٩هـ جـ٣ ص١٠٢٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٤٥.

(٣) واضح الصمد: الحضارة العربية في الإسلام – المؤسسة الحديثة للكتاب بيروت – بدون تاريخ ص١١٤.

(٤) تعليقات محب الدين الخطيب على كتاب العواصم من القواصم هامش ص١١٦.

(٥) راجع نماذج على ذلك في: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جـ٥ ص١٩٦.

المالية في عهد عثمان ﷺ وهو بالطبع خلاف ما حاول المستشرق دي لافيدا تصويره من أنه كان هناك ثورة على عثمان تحركها العوامل الاقتصادية كما اقتنع هو وحاول أن يبث ذلك في دائرة المعارف الإسلامية ليخترع أي مبرر للخروج، وأي سبب للفتنة وإن كان غير واقعي وغير مطابق للحقيقة التاريخية الصحيحة.

الشبهة الثانية: دور أبي ذر ﷺ في الفتنة:

يتحدث المستشرق دي لافيدا عن أن من أسباب فتنة مقتل عثمان ﷺ دور أبي ذر ﷺ الذي تم نفية إلى الشام، فأخذ يعمل هناك على إثارة الاضطرابات ضد عثمان ﷺ.

يقول دي لافيدا: (وقد أثرت أقوال أبي ذر [ﷺ] الذي نفي إلى الشام مع عدد من أتباعه، ثم بعد ذلك إلى الربذة حيث مات في إثارة بعض الاضطرابات)[(١)].

يتبنى المستشرق دي لافيدا هنا وجهة النظر القائلة: إن عثمان ﷺ هو الذي نفى أبا ذر إلى الرَّبَذَة، وبدوره قام أبو ذر بتأليب الناس وإثارتهم ضد الخليفة عثمان الذي قام بنفيه.

والواقع أن هذه الفكرة هي السائدة عند المستشرقين عن أبي ذر في دائرة المعارف الإسلامية، فقد كتب مستشرق آخر هو المستشرق روبسون[(٢)] مادة بعنوان "أبو ذر الغفاري" تبني فيها نفس الفكرة حيث يقول: (واعتكف أبو ذر [ﷺ] أو قل أُشخص إلى الرَبَذَة حيث توفي سنة ٣٢هـ أو سنة ٣١هـ)[(٣)].

ونفهم من هذا أن المستشرق روبنسون لا يعتقد أنه أبا ذر اعتكف في الربذة باختياره، وإنما "أُشخِصَ" أي أجبره عثمان على الاعتزال في هذا المكان.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) سبقت الترجمة له في التمهيد في الجزء الخاص بتراجم المستشرقين.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ ص٣٣٣ - مادة: أبو ذر الغفاري.

الرد على هذه الشبهة:

هناك بون شاسع بين الفهم الاستشراقي الذي اعتنقه، وروج له المستشرقون وخاصة دي لافيد وربسون للعلاقة بين أبي ذر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبين الروايات الإسلامية الواردة في كتب أهل السنة، ومنها ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: {**قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها**}[1].

فعلم أبو ذر بعد توجيه رسول الله له أن فيه ضعفا يحول بينه وبين الإمارة؛ لأنها أمانة عظيمة وخزي وندامة يوم القيامة، إلا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها، فآثر العزلة، وتفيدنا روايات أخرى أن أبا ذر ﷺ هو الذي اختار هذا المكان بمطلق حريته، وأن عثمان ﷺ قد أعطاه العطايا وأجرى عليه الأرزاق في حياته، ثم قام بكفالة أبناء أبي ذر بعد وفاته.

وأورد هنا هذه الرواية، وأقوال العلماء حولها لنتبين منها الحقيقة الكاملة:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يحيي المالقي الأندلسي تحت باب: ذكر حديث أبي ذر وخروجه إلى الربذة: (وفي سنة ثلاثين جرى بين معاوية وأبي ذر مناظرة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[2]، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: بل نزلت فينا وفيهم، فكان بينهما في ذلك كلام، فكتب معاوية إلى عثمان ﷺ، إن أبا ذر قد أفسد الشام، فكتب إليه عثمان ﷺ: أن جهزه وأبعث به إليّ ففعل، فكلمه عثمان في ذلك، فقال أئذن لي في الخروج من المدينة،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كِتَاب الْإِمَارَةِ - بَاب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ جـ٣ ص١٤٥٧، برقم: ١٨٢٥.

(٢) سورة التوبة الآية: ٣٤.

فأذن له فخرج إلى الربذة وبنى مسجداً، وأقطعه عثمان ﷺ صرمة من الإبل، وأعطاه مملوكين وأجرى عليه جراية، ثم بعث معاوية بأهله إلى الربذة)[1].

وقال ابن سعد: (كتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان فقدم عليه، فلما قدم المدينة قال له عثمان: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح، قال: لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال: أئذن لي حتى أخرج إلى الربذة فأذن له فخرج إلى الربذة، وقد أقيمت الصلاة وعليها عبد لعثمان حبشيّ فتأخر، فقال أبو ذر: تقدم فصلّ، فقد أمرت أن أسمع وأطيع، ولو لعبد حبشيّ فأنت عبد حبشيّ)[2].

وعن زيد بن وهب قال: (مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ﷺ فقلت له ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان - تحقيق د. محمود يوسف زايد - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ-دار الثقافة - الدوحة ص٨٣ - ٨٤. وانظر: ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - بدون تاريخ جـ٥ ص٩٥.

وأصله في صحيح البخاري كتاب الزكاة باب: ما أدي زكاته فليس بكنز جـ٢ ص٥١٠، رقم: ١٣٤٢ كما سيأتي.

(٢) أخرجه: ابن شبة في تاريخ المدينة جـ٣ ص١٠٣٧، السنة لأبي بكر بن الخلال جـ١ ص١٠٧، والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٤ ص١٧١، عن ابن سيرين، أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: «إذا رأيت البناء قد بلغ سلعا فاخرج من المدينة، ووجه بيده نحو الشام، ولا أرى أمراءك يدعوك ورأيك». قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي، وأضرب به من حال بيني وبين أمرك، قال: «لا، ولكن إن أمر عليك عبد حبشي مجدع فاسمع له وأطع»، قال: "فلما بلغ البناء سلعا خرج حتى أتى الشام فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه، يذكر أنه يفسد عليه الناس، فكتب إليه عثمان أن اقدم، فقدم المدينة على عثمان، فقال له عثمان: يا أبا ذر، أقم تغدو عليك اللقاح وتروح، قال أبو ذر: لا حاجة لي فيها، هي لكم، ثم استأذنه إلى الربذة، فأذن له، فقدم الربذة وعليها عبد حبشي أمير، فحضرت الصلاة، فقال لأبي ذر: تقدم، فقال: لا، إني أمرت إن أمر علي عبد حبشي مجدع أن أسمع له وأطيع، فتقدم الحبشي". وله شاهد عند الترمذي قال فيه حسن صحيح.

يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾ (١)، فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب، فقلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليه عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعت)(٢).

هذه هي الرواية التي أجمع علماء أهل السنة على ذكرها سبباً لاعتزال أبي ذر ﷺ بالربذة، وهذه الرواية أستطيع أن استنتج منها النتائج التالية التي تصلح أن تكون رداً على هذه الشبهة التي أثارها المستشرقون حول أبي ذر ﷺ:

١) **زهد أبي ذر** ﷺ: إن أبا ذر ﷺ كان صحابياً جليلاً ملازماً لرسول الله ﷺ لكنه غلب عليه الزهد، واشتهر به ككثير من الصحابة ﷺ أجمعين.

والواقع أن اشتهار أبي ذر بالزهد قد غلب عليه حتى أنه لفت نظر المستشرقين أنفسهم، فقالوا عن أبي ذر ﷺ: (وقد اشتهر أبو ذر [ﷺ] بالتواضع والزهد حتى ليقال: إنه كان يشبه في ذلك المسيح [عليه السلام]، وكان شديد التقوى شغوفاً بالعلم ويقال: إنه كان يسامي ابن مسعود [ﷺ] في تفقهه في الدين)(٣).

بل إن أبا ذر قد وردت الأخبار أنه يعيش وحيدا، ويموت وحيدا، ويبعث يوم القيامة وحيدا، وهذا يفسر لماذا اختار أن يستقر وحيدا في الربذة رغم أن الخليفة عثمان خيره البقاء بجواره في المدينة:

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: {لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل

(١) سورة التوبة الآية: ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة - باب ما أدي زكاته فليس بكنز جـ٢ ص٥١٠ رقم: ١٣٤٢.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ ص٣٣٣ - مادة: أبو ذر الغفاري.

لا يزال يتخلف الرجل فيقولون: يا رسول الله! تخلف فلان، فيقول: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. حتى قيل: يا رسول الله! تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال رسول الله ﷺ: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. فتلوم[(١)] أبو ذر رضي الله عنه على بعيره فأبطأ عليه، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، فخرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيا، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، ونظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر. فلما تأمله القوم، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فضرب الدهر من ضربته، وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه إذا مت فاغسلاني وكفناني، ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك فاطلع ركب، فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر. فاستهل ابن مسعود رضي الله عنه يبكي، فقال: صدق رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فنزل فوليه بنفسه حتى أَجَنَّه -أي: دفنه-، فلما قدموا المدينة ذكر لعثمان قول عبد الله وما ولي منه}[(٢)].

---

(١) تلوم: جاء في القاموس المحيط وتلوم في الأمر: تمكث، وانتظر. الفيروزآبادى: القاموس المحيط - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان - الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج١ ص١١٥٩.

(٢) رواه ابن إسحاق في "المغازي"، كما في مختصرها "السيرة النبوية" لابن هشام جـ٢ ص٥٢٤، ومن طريقه الحاكم في "المستدرك" ج٣ ص٥١، ومن طريقه البيهقي في "دلائل النبوة" ج٥ ص٢٢١ – ٢٢٢، عن بريدة بن سفيان الأسلمي - في إسناد الحاكم: يزيد بن سفيان، وهو تصحيف -، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن مسعود رضي الله عنه به. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال ابن حجر: ويقال: إنه صلّى عليه عبد اللهَّ بن مسعود في قصة =

٢) **أبو ذر مجتهد**: وبناءً على هذا الزهد السابق، فقد اجتهد أبو ذر ﷺ في فهم آية سورة التوبة التي تتوعد الكانزين للمال بوعيد شديد، وكان هذا الفهم سبباً للخلاف بينه وبين معاوية ﷺ.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله -: (إن أبا ذر سكن الربذة ومات بها لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس، فإن أبا ذر ﷺ رجلاً صالحاً زاهداً، وكان من مذهبه أن الزهد واجب، وأن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته فهو كنز يكوى به في النار، وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك مثاب على طاعته ﷺ كسائر المجتهدين من أمثاله، وتوسع أبو ذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات، فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب)(١).

ويقول ابن العربي: (وأما نفيه - يعني عثمان - أبا ذر فلم يفعل، كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرع عمال عثمان، وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فكتب إليه عثمان أن يقدم إلى المدينة، فلما قدم اجتمع الناس إليه، فقال لعثمان: أريد الربذة، فقال له: أفعل، ولم يكن يصلح له إلا ذاك لطريقته)(٢).

إذن: كان أبو ذر مجتهدًا في فهمه لهذه الآية، وكان له طريقته في نهي الناس عن التوسع في المباحات والاستكثار منها، وهذا الأمر وإن كان يناسب الزمن الماضي في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد أبي بكر ﷺ، وفي عهد عمر ﷺ فإنه أصبح لا يناسب كثيراً من الناس في عهد عثمان، الذي كثر فيه الخير، وعمت فيه النعمة وزاد الفضل على المسلمين.

= رويت بسند لا بأس به. وقال المدائني: إنه صلى عليه ابن مسعود بالرّبذة، ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل. الإصابة في تمييز الصحابة جـ٧ ص١٠٩.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم ص٢٨٤.

٣) جماهير الصحابة على خلاف رأي أبي ذر: على الرغم من هذا الاجتهاد من أبي ذر ﷺ إلا أن جمهور الصحابة قد خالفوه، وقالوا: إن الوعيد الوارد في آية سورة التوبة إنما هو محمول على مانعي الزكاة، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: {ليس فيما دون خَمْس ذود صدقة، وليس فيما دون خَمْس أوسق صدقة}(١).

قال الحافظ ابن حجر: (ومفهوم الحديث أن ما زاد على الخمس ففيه صدقة، ومقتضاه: أن كل ما أخرجت منه الصدقة فلا وعيد على صاحبة، فلا يسمى ما يفضل بعد إخراجه الصدقة كنزاً)(٢).

فأبو ذر قد اجتهد والصحابة قد اجتهدوا، ولكن رأي الجمهور من الصحابة ﷺ أقوى وأرجح من رأي أبي ذر ﷺ هنا.

٤) عثمان ﷺ يخير أبا ذر ﷺ ويرجح بقائه بالمدينة قريبا منه: من الأمور المهمة التي يجب التنبيه عليها أن جميع الروايات الإسلامية تذكر أن الخليفة عثمان ﷺ خيّر أبا ذر بين المكث في المدينة وبين تركها، بل كان عثمان يرجح لأبي ذر البقاء بالمدينة بدليل الرواية التي رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى أن عثمان قال لأبي ذر: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح(٣).

وبدليل ما جاء في صحيح البخاري أن (عثمان ﷺ قال لأبي ذر إن شئت تنحيت فكنت قريباً)(٤).

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة باب ما أدي زكاته فليس بكنز، جـ٢ ص٥٠٩ رقم: ١٣٤٠. وينظر: محمد بن عبد الله بن عبد القادر الغبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١ ص١٠٤ – ١٠٥.

(٢) الحافظ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٣ ص٢٧٢. وينظر: محمد بن عبدالله بن عبد القادر غبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١ ص١٠٤ – ١٠٧.

(٣) تقدم تخريجه في ص٣٤٧.

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه – كتاب الزكاة – باب ما أدي زكاته فليس بكنز جـ٢ ص٥١٠ =⇐

فدّلت هذه الشواهد أن الخليفة عثمان خير أبا ذر في البقاء في المدينة أو الرحيل عنها، فاختار أبو ذر الرحيل عن المدينة، ولو كان أبو ذر عاصيا لعثمان لما خيره في ذلك.

ولو افترضنا جدلاً أن أبا ذر لم يشأ الرحيل عن المدينة، فإن الخليفة كان سيستجيب له، ولو افترضنا جدلاً من ناحية أخرى أن عثمان هو الذي قام بنفي أبي ذر فعلاً، فإنه لا شيء في ذلك خاصة وأن عثمان هو أمير المؤمنين وحاكم المسلمين له أن يقدر من الأمور ما شاء، ما دام في حدود الشريعة ورعاية مصالح الرعية. لكن كل ذلك لم يحدث، بل خرج أبو ذر مختاراً راضياً غير مكره.

٥) **المكان الذي خرج إليه أبو ذر:** تجمع الروايات على أن المكان الذي اختاره أبو ذر للإقامة فيه هو الرَّبَذَة فما هي: الرَّبذة؟

يقول ياقوت الحموي: (الربذة بفتح أوله وثانية وذا معجمة مفتوحة أيضاً قرية من قرى المدينة على ثلاث أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وقد بقي بها أبو ذر إلى أن مات سنة ٣٢هـ)[(١)].

معنى ذلك أن المكان الذي نزل فيه أبو ذر ﷺ مكان قريب من المدينة، بل يذكر ابن جرير الطبري في تاريخه: أن الربذة هي أحسن المنازل بين مكة والمدينة[(٢)].

فلو صح ما يقوله المستشرقون من أن عثمان قام بنفي أبي ذر لكان من المقبول عقلاً أن يتم هذا النفي إلى أقاصي البلاد شرقاً أو غرباً خصوصاً مع اتساع رقعة الإسلام في عهد عثمان، وبناءً عليه فإن المكان القريب الذي نزل به

= رقم: ١٣٤٢.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص٢٤.

(٢) ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص٢٨٦.

أبو ذر ﷺ لهو أكبر دليل على بطلان زعم من يزعم أن عثمان هو الذي نفى أبا ذر.

٦) الحال التي خرج عليها أبو ذر من المدينة إلى الربذة: تجمع الروايات الصحيحة أيضاً على أن أبا ذر خرج من المدينة على أكرم حال، فقد أذن له الخليفة وزوده بعطاء عبارة عن:

- أقطعه عثمان من إبل الصدقة.
- أعطاه مملوكين.
- أجرى عليه رزقاً ما دام حياً[1].

وهنا أقول للمستشرقين هل إذا نفى الحاكم فرداً من رعيته يكرمه هذا الإكرام ويعطيه هذا العطاء؟!

هذا في حياة أبي ذر، وكذلك بعد وفاته أكرم الخليفة عثمان ذرية أبي ذر من بعده لدرجة أنه ضم عيال أبي ذر إلى عياله في المدينة[2].

٧) موقف أبي ذر من عثمان بعد رحيله من المدينة: ظهر لنا من الروايات الصحيحة أن أبا ذر ﷺ أعلن طاعته الكاملة للخليفة عثمان، ولم نجد في أي رواية من الروايات أن أبا ذر اعترض على عثمان، أو تكلم بكلمة واحدة يعيب فيها على عثمان ﷺ، وهذا هو أحسن رد على المستشرقين الذين زعموا أن أقوال أبي ذر كانت موجهة ضد عثمان لدرجة أنها أثارت الاضطرابات ضده.

إن ما يقوله المستشرقون هنا هو أثر من آثار الرافضة نقله عنهم المستشرقون دون تدقيق أو تمحيص.

---

(١) راجع: ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٥٩، وابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ٤ ص٣٤٦، وابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٤ ص٢٢٧.

(٢) محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان ص٨٨.

يقول المالقي الأندلسي: (وأما ما ذكر في سبب إخراج أبي ذر من الأمور الشنيعة، وسبّ معاوية إياه، وتهديده بالقتل، وحمله من الشام إلى المدينة بغير وطاء، ونفيه فلا يصح النقل به، بل هو من أكاذيب الرافضة قبحهم الله تعالى)[1].

فليس بين عثمان وأبي ذر خلاف شخصي يدعو أبا ذر للتشنيع على عثمان أو النيل منه بأي كلام، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام حين يقول: (فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب، ولم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض)[2].

ويقول ابن العربي: (وأما نفي عثمان أبي ذر إلى الربذة فإنه لم يفعل، وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل في الربذة فوافقة عثمان على ذلك)[3].

ومن خلال سياق هذه الرواية الإسلامية الصحيحة، وتعليق الأئمة عليها ظهر لنا بجلاء أن المستشرقين مخطئون خطئاً فادحاً في زعمهم أن من أسباب فتنة مقتل عثمان ﷺ أقوال أبي ذر ضده.

والواقع أن المستشرق هنا اعتمد على آراء الرافضة، ولم يكلف نفسه التدقيق ولا التمحيص، ولا حتى الرجوع إلى الروايات التاريخية الثابتة الصحيحة.

أسباب الفتنة كما ذكرها المستشرقون:

بعد أن حاول المستشرقون أن يرجعوا الفتنة إلى أسباب إقتصادية، ثم حاولوا اتهام أبي ذر ﷺ، إذ بهم يحاولون إرجاع الفتنة إلى أسباب أخرى، ومن هذه الأسباب:

---

(١) محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان ص٨٤.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٧٥.

(٣) ابن العربي: العواصم من القواصم ص٧٣.

أولا: محاولة المستشرقين إقحام عمرو بن العاص في فتنة مقتل عثمان ﷺ:

حاول المستشرقون أن يقحموا اسم الصحابي الجليل عمرو بن العاص كأحد أسباب فتنة مقتل عثمان ﷺ وها هي نصوصهم كما أوردوها في دائرة المعارف الإسلامية، وأول هذه النصوص للمستشرق دي لافيدا حيث يقول: (ويقال: إن عمرو بن العاص [ﷺ] كان يشجع الاضطرابات في مصر سراً)[1].

ثم يضيف المستشرق فنسنك تفصيلاً أكثر من هذا، ليبين السبب الدافع لعمرو بن العاص إلى موقفه من عثمان ﷺ فيقول: (ولم يكن فتح مصر هو أحد أعمال العبقري عمرو بن العاص [ﷺ] فقط، ولكنه أيضاً عُين والياً عليها، وقام بتنظيم إدارتها وقضائها والضرائب، كما أسس مدينة الفسطاط التي عرفت فيما بعد بمصر، ثم أُطلق عليها اسم القاهرة في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، ولقد شعر عمرو بالإهانة عندما قام الخليفة عثمان [ﷺ] بعد فترة قليلة من توليه الخلافة بعزله عن ولاية مصر، وتولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح [ﷺ] مكانه، فاعتزل الحياة العامة مما أكد شعوره بالإهانة، وعندما تغيرت الظروف المحيطة بعثمان كان عمرو [ﷺ] أحكم من أن ينضم إلى أعداء عثمان [ﷺ]، ولكنه قام في الخفاء بالتأليب ضده)[2].

فالمستشرقان هنا متفقان على أنه كان لعمرو بن العاص دور في التأليب سراً ضد عثمان ﷺ، ولكن المستشرق دي لافيدا اقتصر على ذلك فقط، ولم يذكر لنا السبب في ذلك بينما فصَّل فنسنك الأسباب في ذلك وهي:

- أن عمراً هو الذي فتح مصر.
- وقد كان والياً عليها قبل عثمان.
- وقام فيها بإصلاحات كبيرة.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٤ ص٧٥٠٨ ص٧٥٠٩ - مادة: عمرو بن العاص.

- وكان يرى أنه أولى بحكمها من غيره.

- ثم لما عزله الخليفة عثمان ﷺ شعر بالإهانة فأخذ في التأليف ضده.

الرد على هذه الشبهة:

أولا: بالنسبة لعبارة دي لافيدا نلاحظ أولا أنه استخدم كلمة: "يقال"، وهي صيغة تضعيفية تستخدم عندما يكون الرأي ضعيفا، أو غير موثوق به، وهذا بالتأكيد ما يعرفه جيدا واحد مثل دي لافيدا كمستشرق تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي، بل وألف فيه الكثير من الكتب، التي علم من خلالها أنه لم يكن لعمرو بن العاص أي دور في فتنة مقتل الخليفة عثمان ﷺ، ولكنها أمراض تمكنت من نفوس المستشرقين ليبثوا سمومهم في شبه وأقوال عارية عن الدليل يضعونها أمام قارئ دائرة المعارف الإسلامية ليصوروا له أن الخوارج على الخليفة عثمان كانت لهم مظالم، وأنهم أصحاب حق، وأنهم ناصرهم حتى كبار الصحابة، ثم نسأل دي لافيدا هذه الأسئلة الثلاثة:

أ - أين المصدر الذي اعتمد عليه في قوله: إن عمرو كان يشجع الاضرابات في مصر سرًا؟

ب - كيف كان التشجيع في مصر وقد انتقل عمرو إلى المدينة؟

ج - إذا كان الأمر كان سرًا فكيف عرف دي لافيدا هذا السر؟

ثانيا: بالنسبة لكلام فنسنك الذي أراد بكلامه أن يظهر الأمر وكأن مظلمة لحقت بعمرو بن العاص بسبب عزله من ولاية مصر التي كان فتحها أحد أعماله العبقرية، وأنه كان واليا عليها، وأنه قام بتنظيمها وإدارتها وقضائها وضرائبها، كما أسس مدينة الفسطاط، وأن شعوره بالإهانة بسبب عزل الخليفة عثمان بعد فترة قليلة، فاعتزل الحياة العامة مما أكد شعوره بالإهانة، غير أنه يؤكد أن عمرو لم ينضم إلى أعداء عثمان بسبب حكمته، ومن هم أعداء عثمان، غير هؤلاء الخوارج الذين طالبوا بخلع عمرو؟! وأين هذه الحكمة عندما يقوم في الخفاء - كما يزعم المستشرق فنسنك - بالتأليف ضد عثمان؟!.

وكلام المستشرق فنسنك ينطوي على كثير من الأخطاء التاريخية ومنها: أولا: أن عثمان لم يعزل عمرو بن العاص بعد فترة قليلة كما يدعي فنسنك، بل كان ذلك بعد عامين من حكم الخليفة عثمان، ثانيا: إذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر ونظم ورتب كما يقول المستشرق فقط فعل من عينه الخليفة عثمان، وهو عبدالله بن أبي السرح مثل عمرو وفتح غيرها من بلاد أفريقيا وأدار مصر نظامها وقضائها وضرائبها، بل زادت حصيلة بيت المال عما كان عليه الأمر في عهد عمرو بن العاص.

بالإضافة إلى ذلك أن عزل عمرو بن العاص لم يكن إلا بسبب شكاية الخوارج مصر منه، فقد كان بسبب طول مكثه بمصر أخبر الناس بهم، وكان يضيق عليهم، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري أن عثمان أقر عَمْراً بن العاص على ولاية مصر إلى أن شكاه الناس فيقول: (مات عمر ﷺ، وعلى مصر عمرو بن العاص فولي عثمان فأقره سنتين من إمارته، ثم عزل عمراً، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان عثمان لا يعزل أحدا إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة)[1].

ويبين لنا ابن كثير سبب شكاية المصريين من عمرو بن العاص ﷺ، فيقول: (وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير، فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان ينتزعه عنهم، ويولي عليهم من هو ألين منه، فلم يزل ذلك رأيهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة، وولى على الحرب والخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة، فوقع بينهما حتى كان بينهما كلام قبيح، فأرسل عثمان فجمع لابن أبي السرح جميع عِمالةِ مصر: خراجها، وحربها، وصلاتها، وبعث إلى عمرٍو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فاقدم إليّ، فانتقل عمرو بن العاص إلى

(١) ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري جـ٤ ص٢٥٢.

المدينة)[١].

فقد ظهر لنا أن الخليفة أقر عمراً على مصر، ولم يعزله إلا بعد أن شكاه الناس فعزله وعين والياً غيره، واستقدمه إلى المدينة.، بالإضافة إلى أن دعوى المستشرقين تأليب عمرو على عثمان سرا ينسب عمرو إلى النفاق وحاشا عمرو من النفاق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لو كان عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وأمثالهما ممن يتخوف منهما النفاق لم يولوا على المسلمين؛ بل عمرو بن العاص قد أمره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل، والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقا)[٢].

وقد أغفل المستشرقون النصوص التي تؤكد حزن وبكاء عمرو بن العاص على الخليفة عثمان، والتي لا تدل إطلاقا على تأليب عمرو بن العاص رضي الله عنه على الخليفة عثمان رضي الله عنه ومنها ما أورده المالقي الأندلسي بقوله: (خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام فقال: يا أهل المدينة، والله لا يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله بذل، من لم يستطع نصره فليهرب فسار وسار معه ابناه عبدالله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك من شاء الله، وخرج آخرون نحو مكة، ومضى عمرو فلما انتهى من العجلان من أرض فلسطين نزله وانتظر الأخبار)[٣].

ولما علم عمرو بخبر استشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه حزن عمرو رضي الله عنه وبكى على عثمان رضي الله عنه[٤].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٩١.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى جـ٣ ص٤٥١.

(٣) محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان – تحقيق: د. محمود يوسف زايد – دار الثقافة – الدوحة – قطر – الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ص١٩٩.

(٤) ينظر: الطبري في التاريخ جـ٤ ص٥٥٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٥٥ ص٢٨، وابن الأثير في الكامل في التاريخ جـ٢ ص٦٢٧.

ثانيا: الكتاب المدسوس على عثمان ﷺ:

من الأسباب التي ذكرها المستشرقون وركزوا عليها لأهميتها في فتنة مقتل عثمان ﷺ قصة الكتاب الذي وجده الوفد المصري أثناء عودتهم من المدينة إلى مصر يقول ليفي دي لافيدا: (فغادر الوفد المصري راضياً لكن فجأة اكتشف الوفد المصري، وهو في طريق عودته للعرائش حيث أناخوا دوابهم رسالة أرسلها سراً عثمان بن عفان [ﷺ] لواليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح [ﷺ]، وكان مضمونها يفيد الأمر بقتل زعماء الثورة بمجرد عودتهم لمصر، فعاد الوفد المصري غاضباً، ورغم إنكار عثمان لإرسال هذا الخطاب، فقد كان هو السبب الرئيسي لمقتله، وقد اختلفت آراء المؤرخين وفقاً لإتجاهاتهم، فمن قائل: إن مروان بن الحكم مستشار عثمان [ﷺ] هو الذي دسّ هذا الخطاب دون علم عثمان، ومن قائل إن عثمان [ﷺ] شك أن علياً [ﷺ] هو الذي دس الخطاب لكن كل ذلك لم يثبت تاريخياً)[(١)].

بل حاول المستشرقون أن يصوروا موقف علي بن أبي طالب ﷺ بالموقف السلبي فيقولون: (ولكن الموقف الذي وجد عليّ [ﷺ] نفسه فيه، إثر هوادته مع قتلة عثمان [ﷺ])[(٢)].

هذه هي قصة الكتاب كما يصورها المستشرقون، وفيها من اللمز بعلي بن أبي طالب، ومروان بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما فيها، وبالرجوع إلى مصادر أهل السنة والجماعة تظهر وبوضوح براءة الاثنين مما حاول المستشرقون الزج بهم فيه.

فقد روى الإمام أحمد في فضائل الصحابة قال: (رجع وفد المصريين راضين، فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم، ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم، ويسبهم، فقالوا له: مالك؟ إن لك لأمراً ما شأنك؟ قال: أنا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ ص١٢١٠ – مادة: بنو أمية.

رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر قال ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم، فاقبلوا حتى قدموا المدينة قال فأتوا علياً فقالوا: ألم تر أنه كتب فينا بكذا وكذا، فسر معنا إليه قال: لا والله لا أقوم معكم، قالوا فلم كتبت إلينا قال: لا والله ما كتبت اليكم كتابًا قط، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون، وانطلق عليّ فخرج من المدينة إلى قرية، وانطلقوا حتى دخلوا على عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا، فقال: إنما هي اثنتان أن تقيموا عليَّ رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم على الخاتم)(١).

وتضيف بعض الروايات الأخرى أن الوفد المصري اتهم مروان بن الحكم بتزوير هذا الكتاب على عثمان.

يذكر الحافظ محمد بن الفضل بن علي التيمي ذلك، فيقول: (ودخل علي ﷺ وطلحة والزبير وسعد على عثمان ﷺ، ومعهم الكتاب والبعير والغلام فقال له علي ﷺ: أهذا الغلام عبدك؟ قال عثمان نعم قال والبعير بعيرك؟ قال نعم، قال فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال لا وحلف بالله ما كتب ولا أمر، وقال: والله ما وجهت هذا الغلام قط إلى مصر، فعرفوا أن الخط خط مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان خشي أن يقتلوه، فخرج علي ﷺ، وأصحاب رسول الله ﷺ من عنده، وعلموا أن عثمان ﷺ لا يحلف بالباطل، ولزموا بيوتهم وفشا الخبر في المسلمين في أمر الكتاب)(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة - باب مناقب عثمان جـ١ ص١٨٠ - رقم: ٧٦٥، ورواه ابن حبان: صحيح ابن حبان برقم: ٦٩١٩، وابن شبة: تاريخ المدينة جـ٤ ص١١٥٠، قال ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية: جـ٥ ص٢١: رجاله ثقات سمع بعضهم من بعض.

(٢) أبو القاسم بن علي التيمي: الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم تحقيق د. كرم حلمي الطبعة الثانية =

وقد أثرت أن أذكر هنا الروايتين السابقتين؛ لأن فيهما نسبة الكتاب إلى علي كما في الرواية الأولى ، ونسبته إلى مروان بن الحكم كما في الرواية الثانية، ويبدو أن المستشرق قد اطلع على هاتين الروايتين، فحاول كعادة المستشرقين أن يدس سمومه الفكرية بين الأمة محاولا اتهام الصحابة دون دليل، ورغم موقف علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ذلك.

ويمكننا أن نكشف غموض قصة ذلك الكتاب من خلال أقوال علماء أهل السنة وذلك على النحو التالي:

١- كان من أخطر الأمور التي أشعلت الفتنة التي أدت إلى استشهاد الخليفة عثمان ﷺ مسألة تزوير الكتب ونسبتها إلى بعض الصحابة فقد (كتبوا كتباً مزورة على لسان جِلّة الصحابة مثل علي وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وأرسلوها إلى الآفاق يحرضون أهلها على قتل عثمان، وهم في هذا يوهمون الرأي العام، ويقنعون الرعاع الذين ساروا معهم أن ما يسعون إليه يظاهرهم عليه ويؤيدهم فيه هؤلاء الأجلاء من الصحابة)[1].

وكان من أشهر من تم تزوير الكتب عليهم علي ﷺ كما ذكرنا في الخبر السابق، ورأينا كيف تبرأ علي ﷺ من هذا الكتاب المزعوم.

أيضاً تم تزوير كتاب ونسبته إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يذكر ذلك خليفة بن خياط في تاريخه فيقول: (قالت عائشة تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، قال مسروق فقلت: هذا عملكِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى

= سنة١٤٣٢هـ-سنة ٢٠١١م - دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة ص١٧٠.

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٨٧.

جلست مجلسي هذا، قال الأعمش؟ فكانوا يرون أنه كتب على لسانها)[1].

قال الحافظ ابن كثير: (وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله زوروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان)[2].

إذن: كانت هناك طريقة اتبعها المنحرفون للتأليب على عثمان هي كتابة الكتب المزورة ونسبتها إلى الصحابة، وقد نسبوا منها كتاباً إلى الخليفة ذاته.

وهذه الفكرة ذكرها المستشرقون أيضاً.

٢- يستحيل أن ينسب هذا الكتاب إلى عثمان ﷺ، ولا حتى إلى مروان بن الحكم وذلك لعدة أسباب منها:

أ) أنه لم يُعلم من حال عثمان وأخلاقه أنه يمكن أن يأمر بالقتل، ولو كان يفعل ذلك لأمر بقتال الذين حاصروه، ولكنه كفّ عنهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكل ذي علم بحال عثمان ﷺ وإنصاف له يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبي بكر ولا أمثاله، ولا عُرف منه قط أنه قتل أحداً من هذا الضرب، وقد سعوا في قتله، ودخل عليه محمد ضمن من دخل، وهو لا يأمر بقتالهم دفعاً عن نفسه، فكيف يبتدئ بقتل معصوم الدم.

وإن ثبت أن عثمان أمر بقتل أحد فهو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان؛ لأن عثمان أمام هدي وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته، وقتل من لا يُدفع شره إلا بالقتل، وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون في الأرض ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حد وغايتهم أن يكونوا ظلموا في بعض الأمور، وليس لكل مظلوم أن يقتل بيده كل من ظلمه، ولا أن يقيم الحد)[3].

---

(١) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط ص٣٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص٢١٨.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ٦ ص٢٤٥.

ب- ثم كيف يأمر الخليفة بقتلهم، وقد أقنعهم واستجاب لهم في كل ما أرادوه حتى رجعوا راضيين تائبين!؟

ج- ثم إن الرواية التي اعتمد عليها المستشرقون تفيد بأن الكتاب المدسوس على عثمان ﷺ كان مضمونه الأمر من الخليفة للعامل على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح [ﷺ][1]، وهذه مغالطة تاريخية، فالثابت أنه عند خروج هؤلاء النفر من مصر إلى المدينة كان محمد بن أبي حذيفة قد تغلب على مصر، وبعث عبد الله بن سعد يستأذن الخليفة بالقدوم عليه.

يقول محب الدين الخطيب: (ولا يعقل أن يكتب عثمان أو مروان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح؛ لأنه كان عقب حركة الثوار من مصر متوجهين إلى المدينة كتب إلى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه، وخرج بالفعل من مصر نحو العريش وفلسطين وأيلة، وتغلب محمد بن أبي حذيفة على الحكم في مصر وهو عدو الله ورسوله وخارج على خليفة المسلمين، فكيف يكتب عثمان أو مروان إلى عبد الله بن سعد، وعندهما كتابه الذي يستأذن فيه في القدوم على المدينة؟!)[2].

٣) حامل الكتاب تعمد كشف نفسه وإظهار أمره: فقد ذكرت منذ قليل رواية الإمام أحمد أن حامل الكتاب جعل يتعرض للوفد المصري، ثم يفارقهم وكرر ذلك مراراً حتى إنه سبّهم ليلفت نظرهم حتى أمسكوه وفتشوه ووجدو الكتاب معه، وهذه التصرفات من حامل الكتاب قد لفتت نظر معظم الباحثين الذين قالوا: (ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم ويكرر ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور، ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله وأراح المسلمين من شرورها، ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلي صادراً عن عثمان أو

(١) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

(٢) تعليقات الشيخ محب الدين الخطيب على كتاب العواصم للقاضي ابن العربي هامش ص١٢٦.

مروان أو أي إنسان يتصل بهما؛ لأنه لا مصلحة في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله، وإنما المصلحة في ذلك للدعاة الأولين إلى إحداث هذا الشغب)[1].

ولو كان حامل هذا الكتاب مبعوثاً من عثمان حقاً لاتخذ التدابير اللازمة حتى لا يراه أحد كما يقول الدكتور الصلابي: (وإلا فلو كان من عثمان لخافهم حامل الكتاب المزعوم ولأبعد عنهم، وأسرع إلى والي مصر ليضع بين يديه الأمر فينفذه)[2].

فقد ظهر لنا من مجمل تلك الوجوه السابقة أن هذا الكتاب المزعوم موضوع وملفق ومدسوس على عثمان.

ولي ملاحظة أخيرة على طريقة المستشرق دي لافيدا في سياق هذه الشبهة، وهي أنه رغم محاولة نسبته الكتاب المزعوم إلى علي مرة، وإلى مروان بن الحكم مرة أخرى، إلا أنه عاد فقال: "إن ذلك لم يثبت"، وإذا كان ذلك لم يثبت عنده فلماذا يذكره إلا لغرض التشكيك واللمز بالصحابة، وبرغم من عدم ثبوت هذا الاتهام عنده لم يذكر أبداً أن هناك احتمالاً قوياً لتزييف هذا الكتاب ووضعه من قبل المتمردين المنحرفين الذين دبروا الفتنة، وحاكوها في الخفاء بإحكام شديد.

وقد اتفقت الروايات الإسلامية على هذا الدس والتزوير من قبل جماعة من الخارجين الحاقدين على الخليفة، ومما لا شك فيه أن المستشرق قد أطلع على تلك الروايات لكنه انتقى ما يخدم غرضه، وترك ما يبرئ ساحة الخليفة عثمان بن عفان ﵁.

---

(١) أبو القاسم بن الفضل التيمي: الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم هامش ص١٦٩.

(٢) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٣٧٢.

ثالثا: سقوط الخاتم من يد عثمان ﷺ:

ذكر المستشرقون أن من أسباب وقوع الاضطرابات والفتنة في السنوات الأخيرة من حكم عثمان ﷺ سقوط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان ﷺ في بئر أريس. يقول ليفي دي لا فيدا: (والفترة الثانية من حكم عثمان [ﷺ] من سنة ٣٠هـ إلى سنة ٣٥هـ سادها الاضطراب، وقد فسرت بعض الروايات هذا تفسيرا غيبيا، إذ أرجعته إلى سقوط خاتم الرسول [ﷺ] من يد عثمان [ﷺ] في بئر أريس سنة ٣٠هـ)(١).

هذه الشبهة تربط بين سقوط الخاتم وضياعه وبين الاضطرابات التي شهدتها السنوات الأخيرة، والتي أدت إلى فتنة مقتله، والواقع أن محاولة المستشرق دي لا فيدا الربط بين سقوط الخاتم في بئر أريس وبين الفتنة لأمر غريب عجيب يحاول المستشرق من خلاله أن يسقط على المسلمين والإسلام عدم منهجيتهم في التفكير، وربط الأحداث بأسباب غير عقلية في محاولة لاضفاء روح الخرافة على التفكير الإسلامي.

١- صحة قصة سقوط الخاتم في بئر أريس(٢).

تجمع الروايات الإسلامية أن الرسول ﷺ كان له خاتم من فضة ورثه عنه

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ – مادة: عثمان بن عفان.

أخرج البخاري في صحيحه جـ٧ ص١٥٧، ومسلم جـ٣ ص١٦٥٦، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: " اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق، وكان في يده، ثم كان بعد في يد أبي بكر، ثم كان بعد في يد عمر، ثم كان بعد في يد عثمان، حتى وقع بعد في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله".

وعن أنس، قال: "كان خاتم النبي ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر فلما كان عثمان، جلس على بئر أريس قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان، فنزح البئر فلم يجده". صحيح البخاري جـ٧ ص١٥٨.

(٢) أريس: حديقة بالقرب من مسجد قباء. ينظر: صحيح البخاري جـ٥ ص٢٢٠٢.ومسلم جـ٣ رقم: جـ١٦٥٦).

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الذي سقط منه في بئر أريس، يقول المالقي: (في سنة ٣٠هـ وقع خاتم النبي ﷺ من يد عثمان ﷺ في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة، وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ اتخذه يختم به الكتب، وكان من فضة نقشه محمد رسول الله ثلاثة أسطر، فتختم به حتى توفي، ثم تختم به أبو بكر حتى توفي، ثم تختم به عمر حتى توفي، ثم تختم به عثمان ست سنين، فحفروا بئرا بالمدينة وهي بئر أريس، فقعد عثمان ﷺ على رأسها وجعل يعبث بالخاتم، فسقط من يده، وطلبوه ونزحوا ماءها فلم يقدروا عليه، فاغتم عثمان ﷺ لذلك، ثم صنع خاتما على شكله، فبقيت في أصبعه حتى هلك)[(١)].

وقال ابن كثير عن بعض حوادث سنة ٣٠هـ: (وفي هذه السنة سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في بئر أريس، وهي على ميلين من المدينة، وهي من أقل الآبار ماءاً فلم يدرك خبره بعد بذل مال جزيل والاجتهاد في طلبه حتى الساعة، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ونقش عليه محمد رسول الله، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه)[(٢)].

وقد ذكر البخاري هذه القصة في صحيحه[(٣)]، وكذلك مسلم في صحيحه[(٤)]، وغيرهما من أهل الحديث[(٥)].

---

(١) محمد بن يحيى الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص٦٥ – ٦٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٩٦.

(٣) ينظر: صحيح البخاري جـ٥ ص٢٢٠٢، رقم: ٥٥٢٨.

(٤) ينظر: صحيح مسلم جـ٦ ص١٥٠ رقم: ٥٥٩٧. ورواية البخاري ومسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق، وكان في يده، ثم كان بعد في يد أبي بكر، ثم كان بعد في يد عمر، ثم كان بعد في يد عثمان، حتى وقع بعد في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله".

(٥) كما عند أبي أبي داود في سننه جـ٤ ص٨٨، رقم: ٤٢١٨، والنسائي جـ٨ ص١٩٥، رقم: ٥٢٩٣.

فكون عثمان ورث الخاتم عن سابقيه ثم سقط منه في هذه البئر سنة ثلاثين هجرية هذا أمر صحيح متفق عليه بين المؤرخين المسلمين وكذلك عند المستشرقين.

٢- هل هناك صلة بين ضياع الخاتم والاضطرابات في عهد عثمان ﷺ.

لاحظنا من خلال كلام المستشرقين أنهم يذهبون إلى الربط بين سقوط الخاتم من يد عثمان ﷺ، وبين الاضطرابات التي سادت في الفترة الأخيرة من خلافته.

والحقيقة أن هذا الربط بين الأمرين غير صحيح وغير لازم، ولم يذهب إليه أحد من الأئمة إلا الرواية التي رواها ابن حجر في الفتح عن بعض العلماء حين قال: (قال بعض العلماء كان في خاتمة ﷺ من السر شيء مما كان في خاتم سليمان ؏؛ لأن سليمان لما فقد خاتمة ذهب ملكه، وعثمان لما فقد خاتم النبي ﷺ انتقض عليه الأمر، وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مبدأ الفتنة التي أفضت إلى قتله واتصلت إلى آخر الزمان)[(١)].

هذه هي الإشارة الوحيدة التي وجدتها في المصادر الإسلامية إلى الربط بين سقوط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان ﷺ، وبين أسباب الفتنة في عهده. وهكذا يترك المستشرقون كل إجماع ويسعون وراء كل رأي ضعيف ليحققوا مأربهم من اللمز بالمسلمين والإسلام.

والحقيقة أنني أرى أن تأكيد الربط بين الأمرين فيه تكلف زائد عن الحد من ناحية ومن ناحية أخرى فيه لجوء إلى عوامل غير واقعية لتفسير أسباب الفتنة في عهد عثمان، وهذا ما اعترف به المستشرق نفسه حين قرر أن هذا السبب غير واقعي فقال: (وقد فسرت بعض الروايات هذا تفسيراً غيبياً)[(٢)]

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٠ ص٣٢٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

أي: غير واقعي.

ولعل هذا ما أشار إليه محمد بن عبد الله غبان حين علق على هذه المسألة قائلاً: (وكل ذلك يحتاج إلى دليل صحيح، وإلا فلا عبرة فيه ولا فائدة؛ لأن خلافة النبي ﷺ لم تضع بقتل عثمان ﷺ بل جاء بعده خلفاء أجلاء في مقدمتهم علي، ثم معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولم أقف على رواية مسندة تبين أن الخارجين على عثمان عابوه بذلك وسوغوا خروجهم عليه به، وليس في ضياع خاتم النبي ﷺ ما يوجب الخروج على الإمام فضلاً عن قتله، هذا إن صح أنهم سوغوا خروجهم عليه بضياع الخاتم، ولم أقف على ما يدل على ذلك)[١].

وبذلك يكون اعتماد المستشرق على التأكيد على أن من أسباب الفتنة في عهد عثمان ﷺ سقوط خاتم النبي ﷺ من يده في بئر أريس ليس صحيحاً، وليس واقعياً وليس عليه دليل صحيح.

(١) محمد بن عبد الله غبان: فتنة مقتل عثمان جـ١ ص١٠٢.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من فتنة الخوارج في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

قبل أن نعرض وجهة نظر المستشرقين من فتنة الخوارج في عهد عثمان رضي الله عنه يجب أن نلفت النظر إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن (السمة العامة لأمصار الدولة الإسلامية في عهد عثمان كانت الاستقرار والأمان والطمأنينة والرضا والعافية من الفتن وإثارتها والسير بها وإشاعتها، والعامة مشغولون بين الجهاد والفتح، وترسيخ قواعد الإسلام وبناء الدولة، وانحصرت الفتن وإشعالها وإذاعتها في ثلاثة أمصار فقط هي الكوفة ومصر بصورة كبيرة، ثم البصرة بالدرجة الثانية، وهذه الأمصار لا تشكل شيئاً كبيراً من جسم الدولة، وهذا بخلاف من يزعم أن الانحراف والفتن قد جاشت بها كثير من الأمصار)[1].

في هذه الأمصار الثلاثة -الكوفة والبصرة في العراق ثم مصر- حدثت بعض الاضطرابات التي قد كانت بمثابة مقدمات للفتنة الكبرى في عصر عثمان رضي الله عنه.

وقد ركز المستشرقون على هذين البلدين - العراق ومصر -، وذكروا بعض الاضطرابات التي حدثت فيهما.

وأستطيع أن أعرض لموقف المستشرقين من فتنة الخوارج في عهد عثمان كما يلي:

---

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٦٨- ٥٦٩.

أولا: بداية الفتنة في العراق خاصة الكوفة:

يذكر المستشرق ليفي دي لافيدا بداية الاضطرابات والفتنة وظهور حركات الخروج على الخليفة الراشد عثمان ﷺ فيقول: (وقد بدأت الفتنة ضد عثمان [ﷺ] في العراق، حيث كانت حركات التمرد والشغب كثيرة، وانفجرت اضطرابات خطيرة في الكوفة)(١).

نلاحظ في هذا النص أن المستشرق يذكر بداية الفتنة، وأنها ظهرت في العراق وخاصة في الكوفة التي انفجرت فيها اضطرابات خطيرة، وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية يمكن تفصيل القول وتوضيحه بطريقة أكثر بياناً من خلال ما يلي:

الكوفة أول الأمصار وأسبقها إلى الشر والفتنة: روى الطبري في تاريخه عن الشعبي قال: (الكوفة أول مصر نزغ الشيطان بينهم في الإسلام) (٢).

ويبدو أن نزوع الكوفة نحو الشر والفتنة كان أمراً مشهوراً بينهم حتى في زمان عمر بن الخطاب ﷺ حيث كانوا دائماً يشتكون ولاتهم وأمرائهم، ولا يميلون إلى استقرار الأحوال.

يقول ابن كثير أن (أهل الكوفة اشتكوا عماراً إلى عمر بن الخطاب وقالوا: لا يحسن السياسة، فعزله عمر ﷺ وولى أبا موسى الأشعري، فقال أهل الكوفة لا نريده، وشكوا في غلامه، فقال: دعوني حتى أنظر في أمري، وذهب إلى طائفة من المسجد ليفكر من يولي، فنام من الهم، فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ، فقال له: إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين، الذي بلغ بك هذا قال: وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير، ثم جمع الصحابة واستشارهم هل يولي عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً؟

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٥١.

فقال له المغيرة بن شعبة يا أمير المؤمنين إن القوي لك وللمسلمين وتشديده لنفسه، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك، وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه، فقال عمر للمغيرة – واستحسن ما قال له – أذهب فقد وليتك الكوفة)[1].

فأهل الكوفة أهل شقاق وشر حتى أنهم أعيوا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ بحيث تحير فيمن يصلح للولاية عليهم حتى استشار الصحابة ﷺ.

وهكذا كان صنيعهم مع أمرائهم وولاتهم، فقد شكوا سعد ابن أبي وقاص، وأرجفوا بالوليد بن عقبة، وطردوا سعيد بن العاص[2].

الكوفة في عهد عثمان ﷺ: اتصفت الكوفة بالتمرد على حكامها وولاتها حتى في عصر عمر، وازداد التمرد في عصر عثمان ﷺ حيث (ارتفعت في الكوفة حركات الاحتجاج الأولى ضد سياسة عثمان، والتي ارتبطت بشكل خاص بالبنى الاجتماعية فيها، ذلك أن سكانها كانوا يتمتعون بالعطاء بموجب النظام الذي أقره عمر بن الخطاب غير أن مقداره كان يختلف من فئة إلى أخرى، فقد كان عطاء أهل السابقة في الإسلام مرتفعاً لأسبقيتهم بالمشاركة في الفتوح ودورهم الكبير فيها، في حين كان عطاء الروادف منخفضاً وبخاصة المتأخرين منهم، وقد خلق هذا التفاوت تبايناً اجتماعياً واضحاً انضاف إلى التباين القبلي الناجم عن تركيبة جيش الفتح مما جعل الوضع في هذا المصر يزداد تدريجياً)[3].

الفتنة في البصرة: على الرغم من أن المستشرق لم يخص البصرة بالذكر كما خص الكوفة ومصر، إلا أنه ذكرها بوجه عام حين تحدث عن أن الفتنة ظهرت في العراق، والبصرة ولاية من ولايات العراق ومِصْر من أمصاره.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٤٢.

(٢) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٧٠.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين – الفتوحات والإنجازات السياسية – دار النفائس – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ سنة ٢٠٠٣م ص٤٧.

ولكـن المـصادر الإسـلامية تؤكـد أن البـصرة أيـضاً كانـت مـن المنـاطق العراقية التي ظهرت فيها الفتنة بشكل واضح.

فـ (مثلما افترى بعض أهل الكوفة على ولاتهم، مثل: سعد بن أبي وقاص، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، كـذلك كـان في أهـل البـصرة مـن في قلبـه دَغَل، وفي نفسه حب للفتنة، ورغبة في الافـتراء والطعـن عـلى ولاة الأمـر، فقـد مات عمر وعلى البصرة الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، وقد أوصى عمرُ الخليفةَ من بعده أن يُقِرَّه عليها أربع سنين تمييزاً له عن بقية ولاة الأمصار ففعـل عثمان، بل بقي أبو موسى نحو ست إلى سنة ٢٩هـ، وكان يـسوس أهـل البـصرة بالعدل والرحمة مع الجهاد والفتح)[(١)].

ومع عدل أبي موسى الأشعري، وعـدم وجـود مآخـذ عليـه إلا أن أهـل البصرة ذهبوا إلى الخليفة يطلبون عزل أبي موسى الأشعري وتولية غيره.

يروي الطبري أن ناساً من أهل البصرة طلبوا من الخليفة عـزل أبي مـوسي عن البصرة وقالوا: (ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبدلنا به فقال: من تحبون؟ فقال غيلان بن أَخَرَشه: في كل أحد عوض عن هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكـة عـن الأشـعريين ويستصغر ملك البصرة، وإذا أُمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منـه، أو مهـتراً كان فيه عوض منه، ومَن بين ذلك من جميع الناس خـيراً منـه فـدعا عبـد الله بـن عامر، فأمّره على البصرة) [(٢)].

وكلام هذا المفتري، وطعنه على الوالي الجليـل يـدل عـلى المستوى الـديني والأخلاقي والنفسي الـذي ينطـوي عليـه هـؤلاء، ومـدى افـترائهم وضـلالهم، وحبهم للفتنة والإزراء على الكبار[(٣)].

---

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٨١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٦٥.

(٣) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٨٢.

مثيرو الفتنة في مصر: ذكر المستشرق دي لافيدا أن من الأقطار الإسلامية التي ظهرت فيها المشاكل والاضطرابات القطر المصري، ونسب إثارة المشكلات فيها إلى محمد بن أبي حذيفة وعمرو بن العاص فقال: (وفي مصر أحدث محمد بن حذيفة بعض المشاكل لكن عبد الله بن سعد بن أبي السرح [ﷺ] سرعان ما تصدى له، ويقال: إن عمرو بن العاص [ﷺ] كان يشجع الاضطرابات سراً)[1].

وفي مادة: عمرو بن العاص ﷺ نجد في الدائرة شيئا من التفصيل في الكلام على دور عمرو بن العاص فتقول: (ولقد شعر عمرو بن العاص [ﷺ] بالإهانة عندما قام الخليفة عثمان [ﷺ] بعد فترة قليلة من توليه الخلافة بعزله عن ولاية مصر وتولية عبدالله بن سعد [ﷺ] مكانه فاعتزل الحياة العامة مما أكد شعوره بالإهانة. وعندما تغيرت الظروف المحيطة بعثمان كان عمرو [ﷺ] أحكم من أن ينضم الى أعدائه، ولكنه قام في الخفاء بتأليب علي وطلحة والزبير [رضي الله عنهم] ضده)[2].

وقد تحدثنا بالتفصيل في المبحث الأول من هذا الفصل عن موقف محمد بن أبي حذيفة، وأنه كان أحد رؤوس الفتنة في مصر الخارجين على ولاتها الطامعين في حكمها، وأن ذلك كان لسبب شخصي بينه وبين عثمان ﷺ الذي كفله ورباه، وأحسن إليه لكنه رفض توليته؛ لأنه غير مؤهل لذلك.

كذلك أشرنا إلى كلام المستشرقين عن عمرو بن العاص ﷺ بأنه غضب وألّب على الخليفة عثمان ﷺ؛ لأنه عزله عن حكم مصر ، ومن ثم الرد عليهم في ذلك بالأدلة من المصادر الصحيحة.

وبذلك نكون قد انتهينا من النقطة الأولى وهي: بداية الفتنة وبداية الخروج على الخليفة عثمان، والتي تركزت في ثلاثة أمصار هي الكوفة ومصر والبصرة.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٤ ص٧٥٠٨ – ٧٥٠٩ – مادة: عمرو بن العاص.

ثانيا: انفجار الثورة عامة بعد أن كانت محلية:

يحاول المستشرق دي لافيدا أن يصور الخارجين على الخليفة ﷺ بصورة ضخمة يخيل إلى قارئها أنها فتنة عامة في جميع الأرجاء فيقول: (وفي آخر سنة ٣٥هـ انفجرت الثورة عارمة موحدة بعد أن كانت متفرقة فتقدم المعارضون إلى المدينة المنورة قادمين من الأمصار)(١).

في هذا النص يتبين لنا أن المستشرق دي لافيدا يصور الأمر على غير حقيقته، فيصور لنا الخارجين كأنهم كل الرعية قد خرجت على الخليفة وهذا غير حقيقي، وعلى كل حال يمكننا مناقشة هذه الشبهة من خلال ما يلي:

ألفاظ المستشرق أبانت عن موقفه: رغم أن هذا المستشرق لم يوضح لنا بصراحة حقيقة موقفه من هذه الاضطرابات إلا أن ألفاظه التي استعملها في التعبير عن تلك الشبهة قد وضحت لنا موقفه.

فهو يستعمل كلمة: انفجرت، وكلمة: عارمة ليوحي إلى قارئه أن هناك انفجار عارم أي: اضطراب كبير تموج به البلاد الإسلامية في جميع أصقاعها وأمصارها بحيث إذا قرأ أحد لا يعرف حقيقة الأمر هذه الألفاظ يتخيل أن كل واحد من آحاد الأمة في كل مكان من دولة الخلافة قد خرج على الخليفة عثمان ﷺ، وهذا لم يحدث.

ثم وجدنا المستشرق يسمي الخروج على الخليفة ثورة، ويسمي الخارجين المارقين المنحرفين أنهم مجرد معارضين، وهذا تلبيس وتدليس وتسمية للأشياء بغير حقائقها.

فالحقيقة الواضحة التي ظهرت جلية من حال هؤلاء أنهم خرجوا على الخليفة بغير سبب ولا مسوغ مقبول، ثم هم في أمصارهم يثيرون الفتنة والقلاقل بغير سبب، حتى أنهم أعيوا أمرائهم، بل وأعيوا غير أمرائهم كما مر

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ - مادة: عثمان بن عفان.

من حال الخارجين من أهل الكوفة.

من هم هؤلاء الخوارج؟ إن الذين خرجوا على عثمان ﷺ لم يكونوا عموم المسلمين كما حاول هذا المستشرق أن يصور المسألة، ولكنهم أعداد قليلة من أهل الأمصار الثلاثة الذين تناولتهم من قبل، وهم الكوفة ومصر والبصرة، وهذه هي مواطن الفتنة الثلاثة في كل الخلافة الإسلامية.

ويتحدث المؤرخون الإسلاميون عن تلك الحقيقة، فيقول خليفة بن خياط في تاريخه: (قدم أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدي وأهل الكوفة فيهم الأشتر بن مالك النخعي المدينة المنورة في أمر عثمان فكان مقدم المصريين ليلة الأربعاء هلال ذي القعدة)[1].

ويتحدث المالقي الأندلسي عن حقيقة هؤلاء الخارجين ومقصدهم من خروجهم فيقول: (كان أول الفتنة أن من لم يكن له ميزة استطال عمْر عثمان ﷺ، واستثار الشر وجعلوا يجادلون، وأعجبهم ما أفضوا إليه من الدنيا حتى أبطرتهم)[2].

ويذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ السبب وراء خروج الخواج على الحاكم بقوله: (إن من خرج من الخوارج وغيرهم على ولي الأمر، فإنما أخرجه لذلك شهوة باطنة لحب الدنيا والرئاسة جعل لها سبيلاً من بعض مسائل الدين أو الغيرة على الشريعة، فجعل ذلك سُلَّماً لشهوة باطنة عنده)[3].

وهذا هو ما حدث من هؤلاء المنحرفين الخارجين على عثمان ﷺ الذين

(١) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط ص٣٦.

(٢) محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان ص٩٥.

(٣) الشيخ صالح بن العزيز آل الشيخ: فتنة الخوارج، وهي كلمة ألقاها الشيخ في ندوة بالمدينة المنورة بمناسبة جائزة الأمير نايف بن العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة ص٥.

تنوعت أسبابهم، ومقاصدهم في الخروج على الخليفة.

أعداد الخارجين: من المهم هنا أن نذكر الروايات التي اهتمت بذكر أعداد الخارجين على الخليفة ﷺ لنتبين منها هل كانت الأعداد عارمة وهائلة كما حاول المستشرق أن يصور؟

يذكر ابن جرير الطبري والحافظ ابن كثير، وغيرهما من أهل التاريخ قالوا: (لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقَلَّل لهم يقول ستمائة، والمكثر يقول: ألف، على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي، وسُودان بن حمران السكوني، وقتيرة السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً.

وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضاً، وأمراؤهم زيد بن صوحان والأشتر النخعي، وزيادة بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة في عدتهم ايضاً في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وذريح بن عباد العبدي وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي.

وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة، كما تواعدوا في كتبهم في شهر شوال، فنزل طائفة منهم بذي خُشُب، وطائفة بالأعوص، والجمهور بذي المروة، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم أنما جاؤوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله ما جئنا إلا لذلك واستأذنوا للدخول، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه، فتجاسروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف معتّم بشقيقة حمراء يمانية،

متقلدا السيف وليس عليه قميص، وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم، وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا ألا صبّحكم الله، قالوا: نعم وانصرفوا من عنده على ذلك، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي وقد أرسل ابنه إلى عثمان فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم، وقال لهم كما قال علي لأهل مصر، وكذلك كان ردّ الزبير على أهل الكوفة.

فرجع كل فريق منهم إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياما راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن، فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أياماً، هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس، فيصلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على خروجهم، حتى قال علي لأهل مصر ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير، وقال أهل كل مصر إنما جئنا لننصر أصحابنا، فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه ما أردتم لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله، يعنون أنه إن نزل عن الخلاقة تركوه آمناً)[1].

هذه هي رواية خروج أهل الفتنة من الخوارج من هذه الأمصار الثلاثة إلى المدينة، ولنا على هذه الرواية عدة ملاحظات تبين لنا الحقيقة وهي:

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٣٤٨ - ٣٤٩، وابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٩٥، وجمال الدين ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر جـ١٦ ص١٩٣ - ١٩٤.

الملاحظة الأولى: زعم المستشرق دي لافيدا أنه تفجرت في بلاد الإسلام ثورة عارمة موحدة ضد الخليفة عثمان ﷺ، ولكننا رأينا الحقيقة الواضحة في الرواية السابقة.

فلم تكن الاضطرابات في عموم النواحي الإسلامية، بل كانت في أمصار ثلاثة هي الكوفة والبصرة من العراق ثم مصر.

ثم إن أعداد الخارجين المنحرفين من هذه الأمصار الثلاثة كانت قليلة فهي على حسب الرواية السابقة من كل مصر من الأمصار الثلاثة أما ستمائة وإما ألف وعلى أكثر تقدير أنهم ألف إنسان من كل مصر يكون مجموعهم ثلاثة آلاف إنسان.

ونتساءل الآن ما نسبه مجموعة مكونة من ثلاثة آلاف إنسان إلى عموم أعداد أفراد المسلمين شرقاً وغرباً؟ وما قيمة ثلاثة أمصار في عموم أمصار الخلافة الإسلامية الممتدة شرقاً وغرباً؟

وهل عدد مثل هذا يصح أن نطلق عليه أنه ثورة عارمة انفجرت ضد الخليفة كما زعم هذا المستشرق إن هذا فيه مبالغة واضحة من هذا المستشرق.

الملاحظة الثانية: التنظيم الواضح والترتيب المحكم، فالناظر في مشهد خروج الخارجين من الكوفة والبصرة ومصر يجد أنه لم يكن خروجاً عفوياً ولا متفرقاً، بل كان (خروجهم منظماً ومعداً إعداداً محكماً من حيث: وقت الخروج، وكيفيته، وتنظيم الخارجين في أشكال وتنظيمات محددة، وأماكن النزول قرب المدينة، وأعداد الفرق التي تخرج من كل مصر، واستبطان أحوال أهل المدينة وأهلها، والتزاور بين الخارجين والتنسيق المستمر فيما بينهم)[1].

الملاحظة الثالثة: إخفاء الأهداف الحقيقية لخروجهم فلم يعلن هؤلاء الخارجون عن أهدافهم الحقيقية لخروجهم، وعلى الرغم من أن المستشرق دي

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦١٦.

لافيدا حاول أن يظهر هؤلاء الخوارج في صورة الثوار والمعارضين الذين لهم مطالب مشروعة، إلا أن أفعالهم وأهدافهم الحقيقية تنطق بغير هذا، فقد أجمع رؤوس الفتنة على هدف واحد اتفقوا عليه فيما بينهم، وأخفوه عن الناس حتى عن عوام أتباعهم، وهذا الهدف هو إدانة عثمان ﷺ بكافة السبل فاتفقوا فيما بينهم، وقالوا: (نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قد قررناه بها، فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج، حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه)(١).

هذا هو الهدف الحقيقي من خروج هؤلاء الخارجين عن جادة الصواب، ولكنهم لم يعلنوا ذلك بل أعلنوا أن هدفهم الحج، وهذا يذكرنا بمبدأ أصيل عند الرافضة وهو التقية والتستر وإظهار خلاف ما يبطنون، وهنا نقول للمستشرق الذي صورهم على أنهم ثوار ومعارضون، لو كان هؤلاء كما تزعم ولهم مطالب مشروعة، فلماذا لم يعلنوها على الناس ويظهروها على الكافة؟!

الملاحظة الرابعة: رغم التدبير الخفي والتنظيم المحكم الذي خرج به هؤلاء الخوارج المارقون عن ربقة الإسلام إلا أنهم لأنهم يشعرون بسوء نواياهم وخبث مقاصدهم لم يستطيعوا أن يدخلوا المدينة مباشرة، بل كانوا خائفين من أهل المدينة، ومن رد فعلهم وهذا ما صرحت به الرواية السابقة التي أكدت أنهم: (كانوا على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قُصّاداً وعيونا بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم أنما جاؤوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله)(٢).

فهم خائفون مرتابون لا يعلمون كيف سيكون موقف أهل المدينة منهم؟ ولو كانوا على حق، ولو كان هناك سبب سائغ لخروجهم لما خافوا ولا تستروا

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٤٦.

(٢) راجع الرواية عند الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٢٤٥. وابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٩٥.

ولا دلسوا في سبب قدومهم إلى المدينة.

الملاحظة الخامسة: موقف أهل المدينة عامة والصحابة خاصة من هؤلاء الخوارج إن من أهم الأمور التي نرد بها على المستشرق دي لافيدا في زعمه أن الثورة قد اندلعت في جميع بلاد المسلمين بصورة عامة وعارمة، هو أن نذكر موقف أهل المدينة، والصحابة من هؤلاء الخارجين.

والذي نؤيده بكلام كاتب مادة: عبدالله بن سلام ﷺ بقوله: (انضم عبدالله بن سلام [ﷺ] الى جانب عثمان [ﷺ] ضد الثوار ونهاهم عن قتله ويحكى عنه أنه قال لهم: "الله الله في هذا الرجل فوالله لئن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة"، ولكنهم لم يستمعوا لنصحه، فقد جاء في تحفة الأحوذي أن الثوار سفهوه وتصايحوا: "اقتلوا هذا اليهودي"، فلما مات عثمان [ﷺ] لم ينضم الى علي بن أبي طالب [ﷺ]، ولكنه توسل إليه ألا يمضي الى العراق لمحاربة عائشة [رضي الله عنها])[1].

فإن هؤلاء الخارجين المنحرفين الشاقِّين للصف الإسلامي لو كانوا على حق، ولو كانت لهم مسوغات مشروعة للخروج لاستقبلهم أهل المدينة والصحابة، وظاهروهم على آرائهم لكن الحقيقة خلاف ذلك تماماً، فقد كان موقف أهل المدينة كما يلي:

عوام المسلمين: رفضوا دخول هؤلاء الخوارج، ونهى بعضهم بعضاً عن استقبالهم[2].

وأما الصحابة ﷺ: فقد جاءت ردودهم عليهم صريحة قوية مزلزلة:

- فهذا علي ﷺ: لم يرد على المصريين السلام حين سلموا عليه، بل صاح بهم وطردهم، بل أخبرهم أنهم باجتماعهم هذا وخروجهم أنهم ملعونون على

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية: جـ٢٣ ص٧١٧٢ – مادة: عبدالله بن سلام.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص١٩٦.

لسان النبي ﷺ.

- وبنفس الرد جاء موقف الزبير للخارجين من الكوفة وطلحة للخارجين من البصرة.

- وأما باقي الصحابة فإنهم ذهبوا إلى هؤلاء الخارجين يؤنبونهم، ويلومونهم على خروجهم على الخليفة(١).

وهنا نقول للمستشرق إذا كان أهل المدينة كلهم من عوام المسلمين، ومن مشاهير الصحابة قد رفضوا هؤلاء وطردوهم وعاتبوهم على خروجهم، فكيف حكمت أن الثورة ضد الخليفة كانت عامة وعارمة في كل مكان؟!

الملاحظة السادسة: المصريون يختلقون قصة الكتاب، فقد مرَّ بنا في المبحث السابق من هذا الفصل قصة الكتاب المزعوم الذي أثبت براءة عثمان ﷺ منه، لكنني هنا أزيد القول بأن الرواية التي معنا تذكر أن سبب رجوع المصريين إلى المدينة بعدما ذهبوا راضين هو هذا الكتاب؟

فإذا سلمنا جدلاً أن هذا السبب صحيح، ومن أجله رجع المصريون إلى الخروج على الخليفة، فماذا كان سبب رجوع العراقيين من البصريين والكوفيين أيضاً؟!

أو: (كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد، كأنما كانوا على موعد، لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكباً ليحمله وليمثل الدور أمام المصريين، قد استأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان لقتل المصريين! وهذا هو ما احتج به علي بن أبي طالب ﷺ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل

---

(١) المرجع السابق جـ٧ ص١٩٦.

البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا، بل إن علياً ﷺ يجزم ويقول: هذا والله أمر أبرم بالمدينة)(١).

ومن مجمل الرواية السابقة والملاحظات عليها نستطيع أن نرد على هذا المستشرق قائلين:

إن الخروج على الخليفة عثمان ﷺ لم يكن عاماً ولا عارماً ولا متفجراً في كل ناحية كما زعمت، بل الحقيقة أنه كان محصوراً في مثيري الفتنة من الخوارج من الأمصار الثلاثة فقط مصر والكوفة والبصرة، ولم يكن أهل هذه الأمصار جميعاً خارجين، بل خرج من كل مصر منها على أقصى تقدير ألف إنسان، فيكون المجموع الكلي ثلاث آلاف خارج، وهو عدد لا يذكر في أعداد دولة عظيمة تمتد حدودها في أقاصي الدنيا هذا ردي على المستشرق هنا.

لكنني وجدت من المستشرقين الآخرين في غير دائرة المعارف الإسلامية من لم يسلم بفكرة خروج المسلمين على الخليفة، بل ذكر أن الخوارج كانوا أعداد قليلة، وأن جماهير المسلمين كانوا في طاعة الخليفة.

يقول المستشرق دوزي: (ظل أغلب الجمهور مقيماً على الولاء للخليفة رغم نشوب بعض ثورات محلية هنا وهناك)(٢).

وهذا يتفق مع ما ذكرته المصادر الإسلامية الصحيحة التي تؤكد أن الخوارج على الخليفة كانوا شذاذاً من القبائل والموتورين، وأصحاب البغضاء والحقد على عثمان ﷺ.

(١) الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ص٣٧٣.

(٢) المستشرق دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا جـ١ ص٤٢.

ثالثاً: الخوارج يواجهون الخليفة بما يعتقدونه مظالم:

يتحدث المستشرق دي لافيدا عن اللقاء الذي تم بين هؤلاء الخوارج – الذين يسميهم هو معارضين – وبين الخليفة عثمان ﷺ، وأنهم عرضوا عليه شكواهم فيقول: (فكان المعارضون القادمون من مصرهم أول من وصل وتحدثوا مع الخليفة بمرارة، وعرضوا عليه ما كانوا يعتقدونه مظالم وخروجاً عن الإسلام)[1].

وفي هذا النص السابق يشير المستشرق إلى اللقاء والمواجهة بين هؤلاء الخوارج وبين عثمان ﷺ لكنه لم يذكر لنا تفاصيل هذا اللقاء، ولا ما تم فيه، ولا ما هي أنواع المظالم التي كان ينكرها هؤلاء الخوارج على الخليفة، ولا هل كانوا محقين في مطالباتهم؟ كل هذه أمور أغفلها المستشرق على الرغم من أهميتها القصوى هنا ليُعلم أي الفريقين كان على حق، وأيهما كان على باطل.؟

وعلى كل حال فقد تكفلت الروايات الإسلامية الصحيحة بذكر كل ذلك على النحو التالي:

١) **مواجهة عثمان مع الخارجين المصريين**: يروي أصحاب السنن وأهل التاريخ هذا اللقاء بين الخوارج المصريين وبين الخليفة ﷺ، وهو: (لما سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه فقالوا له: ادع بالمصحف، فدعا بالمصحف فقالوا له: افتح السابعة – وكانوا يسمون سورة يونس السابعة – فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾[2]، قالوا له: قف أرأيت ما حميت من الحمى آلله أذن لك به أم على الله تفتري؟ فقال أمضه، نزلت في كذا وكذا، فأما

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧٢٠٢ – مادة: عثمان بن عفان.

(٢) سورة يونس الآية: ٥٩.

الحمى، فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت من الحمى لما زاد من إبل الصدقة، أمضه.

فجعلوا يأخذون بآية آية، فيقول: أمضه، نزلت في كذا وكذا، ثم قال لهم ماذا تريدون؟ قالوا ميثاقك، فكتبوا عليه شرطاً، فأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم، وقال لهم ما تريدون؟ قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، قال: لا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد ﷺ: فرضوا وأقبلوا معه إلى المدينة راضين، فقام فخطب، فقال: ألا من كان له زرع فليحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلبه، ألا أنه لا مال لكم عندنا إنما هذا المال لمن قاتل عليه لهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد ﷺ، فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بني أمية، ثم رجع المصريون)(١).

وهذا الخبر السابق كما لاحظنا يذكر الخوارج من المصريين فقط، ولعل السبب في ذلك هو سبق الوفد المصري للقاء عثمان، أو أن في الرواية اختصاراً؛ لأن مطالب الآخرين مثل مطالبهم؛ ولأن القيادة الرئيسية فيهم فهم يعبرون عن بقية المنحرفين من أهل الكوفة والبصرة(٢).

٢) أنواع المظالم التي عرضوها على الخليفة رضي الله عنه: لقد أغفل

---

(١) أخرجه: خليفة بن خياط في تاريخه ص١٦٨، ١٧٢، وابن أبي شيبة جـ١٥ ص٢١٥، وإسحاق بن راهويه جـ٢ ص٣٣٢، وأحمد في الفضائل جـ١ ص٤٧٣، وأبونعيم في كتاب الإمامة ص٣٤٧، وابن شبة النميري في تاريخ المدينة جـ٣ ص١٣٩، وابن حبّان جـ١٥ ص٣٥٧، والحاكم جـ٢ ص٣٣٩، كلهم من طريق المعتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الانصاري قال سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك جـ٢ ص٣٣٩. قال ابن حجر: رجاله ثقات، سمع بعضهم من بعض. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية جـ١٨ ص٤٧. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة جـ٣ ص١٠٧: رواه إسحاق بسند صحيح.

(٢) عبدالستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٥٨٤.

المستشرق ذكر المطالب أو المظالم التي عرضها الخارجون على الخليفة وطالبوه بها، ويبدو أن السبب في ذلك هو عثمان ﷺ قد قدم إجابات واضحة لكل سبب افتراه هؤلاء الخارجون عليه بحيث أنه دحضهم، فرجعوا خائبين خاسرين، والمستشرق بطبيعة الحال لا يريد أن يذكر انتصار الخليفة بالحجة والبرهان على هؤلاء الخوارج، بل يريد أن يصور الأمر كأنه ثورة عارمة ضده لا يستطيع ردها، وهذا هو ما يتوافق مع غرض المستشرق ونيته وهدفه.

لكن المصادر الإسلامية قد ذكرت بالإجمال مرة، وبالتفصيل مرة هذه المناقشة وتلك المطالب بين الخارجين والخليفة.

من ذلك ما ذكره ابن العربي في كتابه: "العواصم من القواصم" على سبيل الإجمال تحت عنوان: قاصمة: المظالم والمناكير، ثم قال (قاصمة: قالوا متعدين متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم كثيرة ومناكير منها:

١- ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه.

٢- ضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه.

٣- ابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف.

٤- حمى الحمى.

٥- أجلى أبا ذر إلى الربذة.

٦- أخرج أبا الدرداء من الشام.

٧- ردّ الحَكَمَ بعد أن نفاه الرسول ﷺ.

٨- أبطل سنة القصر في الصلوات في السفر.

٩-١٢ ولى معاوية، وعبد الله من عامر بن كريز، ومروان، وولى الوليد بن عقبة، وهو فاسق ليس من أهل الولاية.

١٣- وأعطى مروان خمس أفريقية.

١٤- وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا.

١٥ وعلا على درجة رسول الله ﷺ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

١٦- ولم يحضر بدراً وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعه الرضوان.

١٧- ولم يقتل عبيدالله بن عمر بالهرمزان - الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة - وحرضه على عمر حتى قبله.

١٨- وكتب مع عبده على جَملِهِ كتاباً إلى أبن أبي سرح أن يقتل من ذكر فيه)[١].

هذه جملة المآخذ أو بالأحرى المزاعم والافتراءات التي افتراها هؤلاء ذلك، ولكن هناك روايات أخرى ذكرت هذه المطالب في مناظرة الخوارج مع عثمان وأجابهم عنها الخليفة إجابات مفحمة.

يروي الطبري في تاريخه وابن عساكر في مختصره هذه المناظرة التي جاء فيها: (قال عثمان للناس: إن هؤلاء - يقصد الخوارج - ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها عليَّ عند من لا يعلم:

وقالوا: أتم الصلاة في السفر وكانت لا تُتَم ألا وإني قد قدمت بلداً فيه أهلي فأتممت لهذا الأمر أو كذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: وحميت الحمى، وإني والله ما حميت إلا ما حُمي قبلي، والله ما حملوا شيئاً لأحد، ما حَمَلوا إلا ما غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا في رعية أحداً، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحَّوا منها أحدً إلا من ساق دهماص - أي عدداً كثيراً -، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي ثاغية ولا راغية - لا شاة ولا ناقة -، وإني قد

(١) القاضي ابن العربي المالكي: العواصم من العواصم ص٦١ -٦٢.

وليت وأنا أكثر العرب بعيراً وشاء، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجّي، أكذلك؟ قالوا اللهم نعم.

وقالوا: كان القرآن كتباً فحرقتها إلا واحداً، إلا وأن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وسألوه أن يقتلهم.

وقالوا: أني رددت الحكم، وقد سيَّره رسول الله ﷺ، والحَكَمُ مكيّ سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيره، ورسول الله ﷺ رده، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث، ولم استعمل إلا مجتمعاً - أي الذي بلغ أشده أي غاية شبابه - محتملاً مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنهم، وهؤلاء أهل بلده وقد ولي من قبلي أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعمال أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس، ما لا يفسرون.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وأني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مئة ألف، وقد نفل مثل ذلك أبو بكر وعمر، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم، وليس ذلك لهم، أكذلك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي، ولا استحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي - أي جاوزت أعمارهم - وفني عمري، وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا!، وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً، فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم،

وما قدم عليّ إلا الأخماس، ولا يحل لي منها شيء، فولي المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا تبلغت بمال الله عز وجل بفْلس فما فوقه، ولا أتبلغ به، ما آكل إلا من مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان هذه الفتوح فهو أسوة بأهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله عز وجل، فنظرت في الذي يصيبهم فما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب، فنقلت إليهم نصيبهم فهو في أيديهم دوني)[1].

وقام أمير المؤمنين عثمان بتعميم وقائع ذلك الاجتماع، وما تمخضت عنه المناظرة والمحاجة على الأمصار[2].

٣) **استجابة عثمان لمطالبهم**: بعدما أجاب عثمان على ما كان يعتقده هؤلاء الخارجون مظالم ضده استجاب لهم إلى بعض ما طلبوا.

ففي رواية: (أن عثمان اجتمع مع أهل الأمصار جميعاً، وأنه قال لهم: ليقم أهل كل مصر يسألوني صاحبهم الذي يحبونه، فأستعمله عليهم، وأعزل عنهم الذي يكرهون.

فقال أهل البصرة: رضينا بعبد الله بن عامر فأقره عليهم.

وقال أهل الكوفة: أعزل سعيداً واستعمل علينا أبا موسى ففعل.

وقال أهل مصر: أعزل عنا ابن أبي سرح، واستعمل علينا عمرو بن العاص ففعل، فما جاءوا بشيء إلا خرج منه فانصرفوا راضين)[3].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص٣٤٦، وجمال الدين ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر جـ١٦ ص١٩٠.

(٢) جمال الدين ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر جـ١٦ ص١٩٣.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف جـ١٥ ص٢٢٠.

هذه هي أهم شبه الخوارج على الخليفة قام هو بنفسه بالإجابة عنها وتوضحيها بل وتفنيدها أمام الرأي العام بعلم كامل وحكمة تامة، واستجاب لبعض مطالبهم فلم يعد للخارجين أي حجة ولا شبهة ولا مطلب، ثم قام الخليفة بتعميم ذلك على جميع الأمصار حتى يعلم القاصي والداني أنه لم يعد هناك سبب للخروج على الخليفة بعد إيضاح تلك الشبه المزعومة.

وبعد إجابات الخليفة الراشد عثمان ﷺ هل يبقى لهؤلاء الخوارج حجة في خروجهم إلا ما أضمرت به نفوسهم من شر، وما طويت عليه سرائرهم من خبث!!

المبحث الثالث

موقفهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

على الرغم من أن المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية قد ذكروا تفاصيل كثيرة عن حياة عثمان رضي الله عنه في معظم مراحلها، وخاصة تلك الجوانب المهمة والمؤثرة في تاريخ الإسلام عموماً.

والتي حاول المستشرقون أن يثيروا حولها الشبهات ويذكروا حولها الطعون، وذلك مثل: إسلامه، وزواجه من ابنتي الرسول ﷺ، ومثل توليه الخلافة بمبايعة المسلمين له، ومثل: أعماله الجليلة في خلافته، ومثل ولاته على الأمصار، ومثل: أجل أعماله وأكبر حسناته، وهو جمع المسلمين على مصحف واحد، وهو العمل الذي وحد صفوف المسلمين، وأنقذهم من فتنة الاختلاف، ومثل أسباب الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه التي حاول المستشرقون أن يذكروا بعض التفاصيل حول الخارجين على عثمان رضي الله عنه، وتصويرهم على أنهم ثوار ومعارضون لهم مطالب مشروعة.

أقول: على الرغم من هذا إلا أن المستشرقين سكتوا سكوتاً ملفتًا للنظر عن ذكر النتيجة التي ترتبت على الفتن السابقة، وهذه النتيجة هي استشهاد الخليفة رضي الله عنه محاصراً في داره، وهذا حدث يعتبر من أجل وأهم الأحداث وأخطرها في تلك الفترة من تاريخ الإسلام، وهي فترة الخلافة الراشدة.

ومع ذلك لم يفرد له المستشرقون حديثاً وتفصيلاً كباقي مراحل وأحداث حياة عثمان رضي الله عنه.

حتى أن كاتب مادة: عثمان ابن عفان في دائرة المعارف الإسلامية، وهو المستشرق ليفي دي لافيدا لم يأت بأي عبارة عن مقتل عثمان رضي الله عنه رغم أنه ذكر

كل المقدمات، مثل: خروج الخارجين من الأمصار الثلاثة التي سبق ذكرها، ومثل: عرض المظالم على الخليفة ﷺ، ورده عليها واستجابته لبعضها، وقصة الكتاب المدسوس على الخليفة، والذي أنكره الخليفة تماماً ووقف عند هذا الحد، ولم يذكر لنا قصة استشهاد الخليفة ولا ملابسات هذه القصة.

وقد كان من دواعي المنهج العلمي أن يذكر لنا تفاصيل كافية عن تلك الحادثة لأهميتها من ناحية؛ ولأنها تكميل ضروري لحياة عثمان بن عفان ﷺ الذي كتب المستشرق المادة باسمه، فكيف تكون المادة بعنوان: عثمان بن عفان، ولا يذكر لنا المستشرق فيها وفاته؟!

وبعد البحث في كل مواد الدائرة التي يمكن أن يكون لها صلة من قريب أو بعيد بمسألة استشهاد الخليفة عثمان ﷺ لمعرفة موقف المستشرقين، منها فلم أعثر إلا على نصين يذكران هذا المشهد المروع، مشهد استشهاد عثمان ﷺ.

النص الأول تتحدث فيه المستشرقة: فاليري[1] عن إرسال عليّ ﷺ لابنيه

(١) فيتشيا فاليري (١٨٩٣ - ١٩٨٩م) L. Veccia،Vaglieri هي مستشرقة إيطالية، وكانت ابنة عالم الآثار الشهير دانتي Vaglieri، وهي أستاذة في جامعة نابولي الشرقية، وبحاثه انصرفت أبحاثها إلى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها. وكانت تحمل في بعض أبحاثها تعاطفا نحو الإسلام وخاصة في كتابها الدفاع عن الإسلام. آثارها: رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر - مجلة طرابلس ١٩٢٤ - ١٩٢٥م. وترجمة الشيخ أبي عبد الله الفاسي، مع مسرد بمصنفاته - مجلة طرابلس ١٩٢٤، وقد زاد عليها جويدي في المجلة نفسها ١٩٢٥م. ووثيقة من الفاتيكان عن الجزائر - الشرق الحديث، ١٠، ١٩٣٠م. ونبذ عن ابن مسعود، والإمام يحي، واليمن - الشرق الحديث، ١٤، ١٩٣٤م. واشتراك سليمان الباروني في حرب ليبيا ١٩٣٤م. وقواعد العربية، في جزءين - روما ١٩٣٧ - ١٩٤١م. ونبذة عن أدباء العرب المعاصرين ومصنفاتهم - حوليات المعهد الشرقي بنابولي ١٩٤٠م. والإسلام - نابولي ١٩٤٦م. وإمامة العبادة في - حوليات المعهد الشرقي بنابولي ١٩٤٩م، والجامعة المصرية - الشرق الحديث ١٩٥٠م. وقواعد العربية الابتدائية - روما ١٩٥١م. والدفاع عن الإسلام - روما ١٩٥٢م. والخلاف بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج - حوليات المعهد الشرقي بنابولي ١٩٣٢ - ١٩٥٢م. وأصل تسمية السنين - الدراسات الشرقية لدلافيدا ١٩٥٦م. وترجمة فصول في النزاع =

لابنيه الحسن والحسين للدفاع عن الخليفة المحاصر فيقول: (وقد بعث علي [ﷺ] بابنيه الحسن والحسين [رضي الله عنهما] إلى الخليفة المحاصر عثمان [ﷺ] يحملان إليه الماء، وقد أوشك على الموت عطشاً، وأمرهما أن يدافعا عنه حين يستفحل خطر المحاصرين له، ولما دخل الحسن [ﷺ] بيت الخليفة كان عثمان [ﷺ] قد قتل)[1].

والنص الثاني عبارة صغيرة للمستشرق دي لافيدا يقول فيها: (وقتل الخليفة في بيته على يد الغوغاء)[2].

ونستخلص من ذلك ما يلي:

أولا: حصار الخليفة عثمان ﷺ في بيته، ومنعه من الخروج إلى الصلاة في المسجد الذي وسعه من ماله الخاص، بل حتى منعوا عنه الماء الذي سبق وأن اشتراه وأهداه للمسلمين من ماله الخاص أيام النبي ﷺ، وأنه كان أمام الخليفة فرصه للذهاب إلى مكة أو إلى الشام لكنه لم يفر أو يهرب، بل ثبت ثباتًا راسخًا في وجه هؤلاء المنحرفين الذين أفصحوا عن هدفهم الحقيقي، وهو أن يخلع الخليفة نفسه، ولكن الخليفة رفض هذا المطلب غير المشروع، وكان موقفه ذلك محل تأييد من الصحابة الذين أفتوه بأن يتمسك بموقفه حتى لا يصير تنازل ولي الأمر لكل من خرج عليه عادة في المسلمين، وهذا الموقف المشرف من عثمان قد تمسك فيه بأوامر النبي ﷺ بألا يخلع قميصاً ألبسه الله إياه، وقد استجاب عثمان لهذه الأوامر النبوية حتى ولو كان ذلك على حساب حياته وسلامته الشخصية.

ثانياً: المشاركون في الحصار مجموعة من الغوغاء:

سبق أن أشرت إلى أن هؤلاء المشاركين في الحصار حول دار الخليفة

= بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج ١٩٥٣م. والعرب - في حضارة الشرق ١٩٥٧م. ينظر في ترجمتها: العقيقي: المستشرقون جـ١ ص٤٠٤.

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٢ ص٣٨٠٤ - مادة: الحسن بن علي.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٢ ص٦٩٠٠ - مادة: طلحة.

مجموعات قليلة لا يتجاوز عددهم الثلاثة آلاف من بعض أهل الكوفة ومصر والبصرة، لكن الملفت للنظر هنا أن جميع من تناول هؤلاء المحاصرين من الخوارج وصفاتهم قديماً وحديثاً قد أجمعوا على وصفهم بالبغي والفساد والغوغائية والنفاق.

وهذا ما أشار إليه المستشرق دي لافيدا عند وصفه للخوارج المحاصرين للخليفة ﷺ فقال: (وقُتِل الخليفة في بيته على يد الغوغاء)(١).

وعندنا من النصوص والعبارات ما يدل على حقيقة أوصاف هؤلاء الخوارج ومنها ما يلي:

هؤلاء الخوارج منافقون: وقد وصفهم النبي ﷺ بذلك، وثبت ذلك في الحديث الذي سبق وقد ذكرته منذ قليل، والذي قال فيه النبي ﷺ لعثمان: (يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني)(٢).

فهم منافقون بنص حديث رسول الله ﷺ: (وهذا كلام نبوي فصل لا محيص عنه، وقد قطع أي اجتهاد في وصفهم بأية صفة تجمل صورتهم أو تخفف من سوءاتهم، وتخفي بعض خلائقهم إنهم المنافقون، أولئك الذين طبعتهم كلمة النبوة الصادقة بميسم لا يزول عنهم بمرور الزمان، عنوانه

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٢ ص٦٩٠٠ - مادة: طلحة.

(٢) أخرجه: أحمد جـ٦ ص٨٦، والترمذي رقم: ٣٧٠٥، وابن ماجة رقم: ١١٢، وابن شبة في أخبار المدينة جـ٣ ص١٠٦٩، وابن أبي عاصم في السنة جـ٢ ص٥٦٠، برقم: (١١٧٩، وابن سعد في الطبقات الكبير جـ٣ ص٦٣، وابن أبي حاتم في علل الحديث جـ٦ ص٣٧٢، والدارقطني في العلل جـ١٤ ص٨٨، وابن حبان في كتاب المجروحين جـ٢ ص٤٢، عن النعمان بن بشير، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عثمان، إن ولاك الله هذا الأمر يوما، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله، فلا تخلعه، يقول ذلك ثلاث مرات. قال النعمان: فقلت لعائشة: ما منعك أن تعلمي الناس بهذا؟ قالت: أنسيته والله. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» قلت: وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) رقم: ٧٩٤٧.

الكذب والمراوغة والنفاق والمخادعة)[1].

هؤلاء الخوارج أهل بغي وظلم وهم كاللصوص: وهذه الأوصاف قد ذكرها شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية حين قال: (ويعلم كل أحد أنه لم يقتل عثمان إلا طائفة قليلة باغية ظالمة، قال ابن الزبير: لُعِنتْ قتلة عثمان، خرجوا عليه كاللصوص من رواء القرية فقتلهم الله كل قتلة، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب- يعني هربوا ليلاً، وأكثر المسلمين كانوا غائبين، وأكثر المدينة الحاضرين لم يكونوا يعلمون أنهم يريدون قتله حتى قتلوه، وأما الساعون في قتله، فكلهم مخطئون بل ظالمون)[2].

هؤلاء الخارجون حثالة الناس وأوباشهم وأقلهم في الدين والخلق: يشير إلى هذه الحقيقة الباحثون الذين يقررون أن (هؤلاء الذين يطالبون الخليفة بخلع نفسه هم حثالة من الناس، وأوباشهم وأدناهم ديناً وخلقاً وعلما، وليسوا من أهل الحل والعقد)[3].

ويقول عبد الستار الشيخ: (ولم يعتب على عثمان، ولا خرج عليه أحد من أكابر الصحابة أو السابقين إلى الإسلام، ولا افتأت عليه المهاجرون والأنصار، ولا أشعل في وجهه الفتنة واحد من الصحابة عامة ولا التابعين لهم بإحسان، مع أن بعض كبارهم قد خالفوه في بعض الاجتهادات وبعض سياساته في مسيرة الدولة لكنهم ﷺ ما خرجوا عليه، ولا ألّبوا الناس ضده ولا ناصبوه العداء ولا ناصروا أولئك الخارجين المنافقين، فضلاً عن أن يجيشوا الدهماء ليحاصروه ويخلعوه، بل إن الصحابة جميعاً ناصروه ونافحوا عنه، وسبّوا أولئك الخارجين ولعنوهم)[4].

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦٥٠.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة جـ٨ ص٢٢٠.

(٣) محمد بن عبد الله غبان: فتنة مقتل عثمان جـ١ ص١٤٧.

(٤) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص١٥١.

هؤلاء الخارجون هم طلاب دنيا يتسترون بشعارات كاذبة: يصف محمد الصادق عرجون هؤلاء الخوارج الساعين في تلك الفتنة فيقول: (وإن فاقرة الفواقر وعظيمة العظائم أن يحتوي تاريخ تلك الحقبة الزاهرة من تاريخنا في صدر الإسلام تلك الفتنة الجامحة، وذلك المشهد القاتم الذي يحمل بين طياته أساليب الدمار محبوكة بأيد خبيثة تتستر بشعارات كاذبة خاطئة مصوغة بلغة الخلع والقتل والدمار، قامت بها عصابة من ذوي الأهواء والموتورين والمحدودين ومن انضم إليهم من الطغاة والأجلاف الذين اختلفت قلوبهم كما اختلفت ألوانهم وألسنتهم، قد ملؤوا ساحة الإسلام عراة من الإيمان الصادق، فطغى سوادهم على صادقي الإيمان من أصحاب الرسول ﷺ، وصالحي المؤمنين، قد أرادوا الدنيا بإسلامهم فخاضوا إليها لجج الدماء، ورتعوا في بقية من آثار النبوة ممثلة في شخص عثمان)[(١)].

هؤلاء الخارجون حمقى أصحاب فتن وعقائد ضالة: وقد وصفهم بذلك محب الدين الخطيب حين قال عن أصناف الخوارج على عثمان رضي الله عنه: (وفيهم الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف قلوبهم، فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة)[(٢)].

وهكذا: اجتمعت في هؤلاء الخوارج على الخليفة عثمان رضي الله عنه الصفات والخلال الذميمة ، وما ظنك بقوم وصفهم النبي ﷺ أنهم منافقون؟! ووصفهم العلماء والباحثون بهذه الصفات ، إنهم لا عقل عندهم ولا دين ولا خلق يحكم تصرفاتهم وموقفهم من أمير المؤمنين، ولا يسألون أنفسهم هل هم على حق أم على باطل!

---

(١) الصادق عرجون: عثمان بن عفان ص٧٨.

(٢) تعليقات محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم هامش - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ص٥٨.

ثالثا: من الذي قتل عثمان ﷺ:

لقد جاء في كثير من الروايات تسمية بعض من باشر قتل الخليفة ﷺ، ومن مجموع الروايات نذكر هذه الأسماء:

١. الموت الأسود [عبد الله بن سبأ].

٢. الأشتر النخعي.

٣. الغافقي بن حرب.

٤. كنانة بن بشر.

٥. سُودان بن حمران.

٦. قتيرة السكوني.

٧. رومان بن وردان من بني أسد.

٨. جبلة من أهل مصر[(١)].

وقام به عبد الله بن سبأ اليهودي[(٢)]. ويؤكد محب الدين الخطيب هذه الحقيقة فيقول: (إن القاتل هو عبد الله بن سبأ، حيث إنه من الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة، وهو في كل الأدوار التي مثلها، كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعل الموت الأسود اسم مستعار له أراد أن يرمز إليه، ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام)[(٣)].

ويذكر محمد بن عبد الله غبان بعض الشواهد التي تؤيد أن المباشر للقتل هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فيقول: (وقد يشهد لما ذهب إليه محب الدين الخطيب أن ابن سبأ أسود البشرة، فقد صح عن علي ﷺ أنه وصفه بالخبث

(١) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان ص٦٩٣.

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم ص١٣٥.

(٣) تعليقات محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم هامش ص١٣٥.

والسواد، وذلك في قوله عنه: الخبيث الأسود، وأنه يعتبر من أهل مصر لتغلغل أفكاره في بعض أهلها، ولمكثه فيها آخر أمره ولقدومه مع أهلها.

وأن اللقبين اللذين ورداً للقاتل يلتقيان مع لقبه المشهور "ابن السوداء" فإن الألقاب الثلاثة تشتمل على لون بشرته وهو السواد.

وأن اللقب الذي لقب به القاتل جبلة اسم لرجل يهودي يمني، وروي أن ابن سبأ من يهود اليمن)[1].

فإذن هناك ترجيح واضح أن من باشر القتل هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام ليثير الفتنة بين أهله.

دور عبدالله بن سبأ اليهودي في التحريض وإثارة الفتنة ومقتل عثمان ﷺ:

وهنا يحق لنا أن نتساءل: إذا كان ابن سبأ له هذا الدور الخطير، فلماذا لم يشر إليه المستشرق ليفي دي لافيدا كاتب مادة عثمان في دائرة المعارف الإسلامية؟

وللإجابة عن هذا السؤال أذكر احتمالين:

الاحتمال الأول: أن هذا المستشرق لم يكن يعلم هذه المعلومات، ولم يكن يعلم دور ابن سبأ في تحريك الأحداث في البصرة، ثم في الكوفة ثم في مصر التي استقر فيها وكوّن أتباعاً كثيرين خرجوا معه لقتل الخليفة ﷺ.

أقول: إن هذا الاحتمال ضعيف لوجهين:

الوجه الأول: أن هذا المستشرق أعني دي لافيدا له خبرة واسعة في مجال التاريخ الإسلامي، فهو الكاتب المتخصص لكل المواد المتصلة بتاريخ الإسلام خاصة في فترة الخلافة الراشدة، وما تلاها في دائرة المعارف الإسلامية.

الوجه الثاني: أن هناك مستشرقين آخرين من أصحاب الباع الطويل في الدراسات التاريخية ومن كتاب الدائرة قد أشاروا إلى تلك الحقيقة، وهي دور

(١) محمد بن عبد الله غبان: فتنة مقتل عثمان جـ١ ص٢٠٧-٢٠٨.

عبد الله بن سبأ اليهودي في اشتعال الفتنة التي انتهت باستشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه.

يقول كاتب مادة: عبدالله بن سبأ: (يعزو أهل السنة (كما يقول الطبري) إلى دهاء عبدالله بن سبأ، وأنه أوجد أول شرخ بين الصحابة (انظر خطط المقريزي ج٢ ص٣٣٤)، كما يقال: إنه أثار ثائرة المصريين ضد عثمان لما زعمه من حقوق لعلي، وأنه كان السبب في الدم المراق بين علي وطلحة والزبير على أيدي قتلة عثمان)[(١)].

ولكنه يضيف بأنه يجهل من وراء ابن سبأ فيقول: (وليس من الواضح لدينا من يكون الشخص أو الأشخاص الذين كانوا وراء ابن سبأ في نشاطه السياسي ضد عثمان)[(٢)].

يقول ول ديورانت: (وفي عام ٦٥٤ أخذ رجل يهودي ممن اعتنقوا الإسلام يدعو في البصرة إلى عقيدة ثورية مضمونها أن النبي سيبعث حياً على هذه الأرض، وأن علياً أحق الناس بالخلافة، وأن عثمان لاحقَّ له فيها، وأن من اختاروه لها جماعة من الطغاة الخارجين على الدين، ولما طرد هذا الداعية من البصرة نزح إلى الكوفة، فلما أُخرج من الكوفة انتقل إلى مصر حيث وجدت دعوته أذاناً صاغية واعتنقها كثيرون، وخرج من مصر إلى المدينة خمسمائة من المسلمين، وطلبوا من عثمان أن يعتزل الخلافة، فلما أبى حاصروا بيته، ثم اقتحموا عليه حجرته، وقتلوه وهو يتلوا القرآن)[(٣)].

فهذا المستشرق صاحب قصة الحضارة يذكر دور الرجل اليهودي الذي

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٧٠ ٧١٧١ - مادة: عبدالله بن سبأ.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٢٣ ص٧١٧٠ ٧١٧١ - مادة: عبدالله بن سبأ.

(٣) وول ديورانت: قصة الحضارة - تحقيق وترجمة د. زكي نجيب محمود - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس جـ١٣ ص٧٨.

أَلَّب الناس في البصرة ثم في الكوفة اللتين أُخرج منهما، ثم ذهب إلى مصر التي وجد فيها صدى لدعوته حتى خرج معه الناس إلى المدينة لحصار الخليفة ثم قتله، وهذا الرجل اليهودي هو عبد الله بن سبأ.

فهذه المعلومة كانت معروفة ومشهورة في الأوساط الاستشراقية الغربية، ومن غير المقبول أن يكون المستشرق دي لافيدا جهلها!.

الاحتمال الثاني: أن هذا المستشرق علم تلك المعلومة عن ضلوع عبد الله بن سبأ في الفتنة في أولها إلى أن انتهت باستشهاد الخليفة، وقد كان هو من مباشري القتل إن لم يكن هو المباشر الأصلي لقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، ولكن المستشرق أخفى تلك الحقيقة، فلم ينبس ببنت شفة ولم يتلفظ بلفظ من قريب ولا من بعيد بضلوع هذا الخبيث ابن السوداء في فتنة مقتل عثمان.

فرأينا دي لافيدا يتناول تفصيلات كثيرة في حياة عثمان ﷺ أكثرها شبهات وأقلها حقائق في المادة التي كتبها عن عثمان ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية، ولكنه وقف عند ذكر الخروج على الخليفة حتى وصل الناس إلى منزلة وحاصروه ووقف عند هذا الحد.

وقد كنت أتسائل دائماً لماذا لم يذكر ساعة قتل الخليفة؟ ولماذا لم يشر إلى لحظة استشهاده؟

ثم وجدت الإجابة وأنا أترجم لهذا المستشرق فهو مستشرق إيطالي الجنسية يهودي الديانة ومعلوم عن المستشرقين الإيطاليين أنهم في معظم الأحوال متعصبون ضد الإسلام وتاريخه المجيد، ومعلوم عن اليهود أنهم أشد الناس عداوة للمسلمين وتاريخهم، فما بالنا إذا اجتمعت الصفتان إيطالي ويهودي في شخص واحد؟!

أريد أن أقول: إن المستشرق دي لافيدا لم يشأ أن يذكر عبد الله بن سبأ؛ لأنه ابن ملته وعلى دينه، فأراد أن يخفي دوره الخبيث في الفتنة، وفي مقتل الخليفة ﷺ حتى لا يتنبه المسلمون إلى خطر اليهود وعداوتهم المستمرة للمسلمين.

وهذه طريقة معروفة عند اليهود في التعامل مع التراث الإسلامي يبدون بعض الحقائق ويخفون كثيراً منها. ولكن الله يفضحهم بأيدي بعضهم البعض فما أراد دي لافيدا إخفائه أظهره مستشرقون آخرون ذكروا دور ابن سبأ في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.

وقد وصفهم الله عز وجل بذلك فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[(1)]، فهذا هو التحريف الذي اشتهر به أهل الكتاب.

قال العلامة ابن القيم عن صنيع أهل الكتاب في هذا الشأن: (وقد وبخهم الله تعالى سبحانه وجل شأنه، وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء ولي اللسان ولبس الحق بالباطل فهذه خمسة أمور اشتهروا بها وهي:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل. الثاني: كتمان الحق. الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه. الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان: تحريف لفظه وتحريف معناه. الخامس: ليُّ اللسان به ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره، وهذه الأمور التي ارتكبوها لأغراض دعتهم إلى ذلك)[(2)].

فهذه عادة اليهود التلبيس والإخفاء وكتمان الحق، وهكذا فعل المستشرق هنا حين لم يذكر لنا استشهاد الخليفة فكتم الحق ولم يتحدث عنه ستراً على ابن

(١) سورة الأنعام الآية: ٩١.

(٢) ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري - تحقيق محمد أحمد الحاج - دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ص٣١٢.

ملته وأخيه في اليهودية ورضًا منه بمقتل الخليفة الذي أحدث قتله جرحاً عميقاً في التاريخ الإسلامي لم يندمل إلى هذا اليوم.

الخاتمــــة

الخاتمـــة

أحمد الله على انتهائي من هذا البحث كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على البشير الهادي، وعلى آله وصحبه وأتباعه من كل حاضرٍ وبادٍ... وبعد.

فإن الاستشراق في طبيعته هو محاولة مستمرة لإثارة المطاعن والشكوك حول الإسلام فى كل ما يتعلق به عقيدة وشريعة وتاريخا وثقافة، وفي سبيل إنجاح تلك المحاولة يبذلون جهوداً كبيرة يجندون الباحثين، وينفقون الأموال الطائلة في الميادين البحثية بغية الوصول إلى أهدافهم، وقد أسفرت تلك الجهود الاستشراقية الكبيرة المتعاقبة في إنتاج دائرة المعارف الإسلامية التي أصبحت المصدر الأساس لدى الغربيين للتعرف على الإسلام.

ومن الأبواب الرئيسة التي تضمنتها تلك الموسوعة الضخمة ما يتعلق بالإسلام وتاريخه وخاصة المراحل المتقدمة وهي حقبة الخلافة الراشدة التي ينضوي تحتها موضوع هذا البحث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁.

والتي أصبحت هدفاً يصوب أعداء الإسلام سهامهم نحوها طاعنين ومشككين آملين في أن يزعزعوا الثوابت التاريخية حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وشريعته وقيمه وتاريخه وتراثه العلمي.

والمستشرقون يعتمدون على الروايات الضعيفة أو المكذوبة تاركين الروايات التاريخية الصحيحة التي أجمع عليها المسلمون جيلاً بعد جيل.

وقد تناول البحث الذي بين أيدينا موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﵁ والأحداث المتعلقة بعصره من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية، التي كتبها مستشرقون غربيون من كافة دول أوروبا محاولين تحقيق أغراض معنية.

وقد تضمن هذا البحث تمهيداً عرض فيه الباحث ترجمة موجزة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁، وتعريفاً بأبرز المستشرقين الذين كتبوا عن عثمان

وأحداث عصره في دائرة المعارف الإسلامية، كذلك تعريفاً موجزاً بدائرة المعارف الإسلامية نفسها.

وتضمن البحث كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان ﷺ في عصر الجاهلية وفي عهد النبوة وقد جاء هذا في الفصل الأول من هذا البحث.

وتناول الباحث موقف المستشرقين من الخلافة الراشدة عمومًا، ومن بيعة عثمان خصوصاً، وكذلك موقفهم من خلافة عثمان ﷺ، وما وقع فيها من أحداث، وقد كان هذا موضوع الفصل الثاني.

وتناول الباحث بالتفصيل أهم قضية بحثها المستشرقون في كتاباتهم، وأرادوا من خلالها ليس النيل من عثمان ﷺ فحسب، وإنما النيل من الإسلام ذاته من خلال طعون أثاروها، وشبهات زعموها حول قضية جمع القرآن الكريم، وتعدد المصاحف في عهد عثمان ﷺ.

وجاء الفصل الأخير من هذا البحث ليتناول موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان ﷺ، وذلك من خلال الأسباب التي أدت إلى مقتله، وموقفهم من فتنة الخوارج في عصره، وأخيراً موقفهم من مقتله.

إذن: موقف المستشرقين من عثمان بن عفان ﷺ، والأحداث المتعلقة بعصره، هي مواقف ذات خلفية وأهداف غربية اجتهدت فيها إلى إبراز الرؤية الاستشراقية المتضمنة لشبهات وطعون وآراء أرادوا من خلالها النيل من الخليفة الراشد عثمان ﷺ.

وقد اجتهد الباحث في تحليل آراء المستشرقين للوقوف على الدوافع والأهداف التي تحكم وجهة نظرهم حول التاريخ الإسلامي من منظور شرعي، ونقدها وفق منهج علمي دقيق مستنداً إلى المصادر الصحيحة المعتمدة لدى المسلمين، ومبيناً تناقض المستشرقين مع التاريخ والواقع والمنطق في كثير من تحليلاتهم وآرائهم.

۞ النتائج:

وفي خاتمة هذا البحث توصل الباحث إلى جملة من النتائج المهمة، وتتلخص فيما يلي:

١- كان هم المستشرقين الأول وبغيتهم الأساسية هو إثارة الشكوك والطعون حول عثمان ﷺ، وأحداث عصره من خلال المصادر الواهية والروايات المكذوبة التي اعتمدوا عليها في دراستهم له.

وقد ظهر للباحث ملمحاً مهماً في شبهات المستشرقين، وهي أنها متدرجة من الأقل إلى الأكثر، ومن الأدنى إلى الأعلى، فوجدنا الشبه تكاد تنعدم في كتابات المستشرقين حول عثمان في عصر الجاهلية، ثم ظهرت شبهتان حول عثمان في عصر النبوة. ثم ازدادت الشبهات قليلاً في كتابات المستشرقين حول تولي عثمان الخلافة، وبيعة المسلمين له. ثم ازدادت الشبهات بشكل أكثر في كتاباتهم في الحديث عن تفاصيل أحداث عصر خلافته.

ولكن الشبه الاستشراقية قد بلغت مداها عند حديثهم عن جمع القرآن، وتعدد المصاحف في عهد عثمان ﷺ، وهذا يدل على فكرة أساسية لديهم وهي: أن هم المستشرقين وشغلهم الشاغل ليس الطعن في الأشخاص، وإنما هو الطعن في الإسلام ذاته الذي ينضوي الأشخاص تحت لوائه، وأنهم إن طعنوا في الأشخاص ليس ذلك إلا للنيل من الإسلام.

٢- تناول المستشرقون في كتاباتهم عن عثمان في عصر الجاهلية أموراً واقعية لا يقدرون على النيل منها مثل: كون عثمان من أسرة غنية هي أسرة بني أمية، وأن عثمان كان يعمل بالتجارة التي كانت هي حرفة أسرته، ولكن عثمان كان يتميز بالأخلاق الفاضلة، واستطاع أن يحقق ثروة كبيرة من ميراثه وتجارته فكان من الطبقة العليا في المجتمع الجاهلي.

٣- ظهرت أول شبه المستشرقين في كتاباتهم حول عثمان حين تناولوه في عصر النبوة. فقد شكك المستشرقون في صدق إسلام عثمان ﷺ، وأنه ما أسلم

إلا طمعاً في أن يكون صهراً للنبي الجديد! وقد ترك المستشرقون الروايات الصحيحة المعتمدة في إسلام عثمان ﷺ الذي أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق ﷺ، بل هناك من الروايات الصحيحة ما يفيد أن النبي ﷺ نفسه هو الذي دعا عثمان إلى الإسلام. ولكن المستشرقون تركوا هذا كله، وتعمدوا تشويه صورة هذا الخليفة العظيم بما أثاروا من شبه حول إسلامه.

٤- كتب المستشرقون شبهة حول عثمان، بأنه لم يكن مشاركاً في الحياة العامة أيام النبي ﷺ وأبي بكر. وهم يحاولون بهذه الشبه أن يصوروا عثمان ﷺ، بصورة المنعزل عن المشاركة في الحياة العامة، والغرض من ذلك أنهم يريدون أن يصلوا إلى ترسيخ فكرة مؤداها: أن شخصًا منعزلاً عن الحياة العامة بطبيعة الحال سيكون غير مؤهل لتولي الولاية العامة وخلافة المسلمين.

وقد قام الباحث بالرد على هذه الشبه الواهية بردود تفيد في جملتها أن عثمان ﷺ كان مشاركاً بقوة وفاعلية في قضايا المسلمين وأمورهم العامة، فقد هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وأشترك في ميادين الجهاد، وفى غزوات النبي ﷺ التي لم يتخلف عن أحداها إلا بأمر من النبي ﷺ كما حدث في غزوة بدر، وكما حدث في عمرة الحديبية وبيعة الرضوان.

ووجدنا عثمان ﷺ يشارك بالمال في المصالح العامة للمسلمين، مثل: شرائه بئر رومة وتسليمها لعامة المسلمين، وتوسعة المسجد النبوي، وتجهيز جيش العسرة وزيادة على كل ذلك فقد كان عثمان عالماً مفتياً فقيها مجتهداً من القلائل الذين يتصدون للإفتاء في عهد رسول الله ﷺ بإقراره ، وكل هذه الأمور تؤكد خطأ شبه المستشرقين في تقديمهم لشخصية عثمان ﷺ بكونه منعزلاً غير مساهم في الحياة العامة.

٥- أثار المستشرقون بعض الشبهات حول الخلافة الراشدة عموماً مثل: موقفهم من وصف طبيعة الخلافة الراشدة عموماً، وتصويرهم للخليفة بأنه كان من أصحاب الثروة الطائلة والسلطان العظيم، وأنه كان يطلب من رعاياه

أن يقدموا له فروض الولاء والطاعة. وقد قام الباحث بالرد على هذه الشبه جميعها.

٦- ذكر المستشرقون شبهاً حول بيعة عثمان ﷺ، ومنها: أنه تولى الخلافة بسبب عرقه وأصله الأموي، ومنها أنه تولى الخلافة بسبب مصاهرته للنبي ﷺ. ومعنى ذلك أنه لم يكن عنده من الأهلية والكفاءة ما يؤهله لهذا المنصب الرفيع.

وقد قام الباحث بالرد على ذلك من خلال ذكر الروايات الصحيحة الثابتة في تولي عثمان الخلافة، ومن خلال تلك الروايات الواردة في أصح كتب السنة تم التأكيد على أن هناك اتفاقاً بين المسلمين على اختيار عثمان ﷺ للخلافة. كما تم التأكيد على أنه كان أحق الستة الذين رشحهم عمر ﷺ بالخلافة كما أكد على ذلك عبد الرحمن بن عوف ﷺ الذي أعلن نتيجة المشاورات لمدة ثلاثة أيام وهي: أن المسلمين لا يعدلون بعثمان أحداً، وبالتالي كانت بيعة المسلمين لعثمان للخلافة بالإجماع.

٧- أثار المستشرقون شبها حول أعمال عثمان في مدة خلافته، فوجدناهم يثيرون شبه حول ولاة عثمان ﷺ، وأنه ولى أقاربه من بني أمية الولايات المهمة في بلاد الإسلام رغم أن أقاربه ليسوا أكفاء لهذه الولايات.

وقد أظهرت المصادر الصحيحة أن عثمان لم يجامل أحداً من أقاربه، بل من تم اختياره منهم فهو كفؤ لأعماله وانجازاته في كافة الجوانب، وأنه لم يحاب أحداً من أقاربه على حساب المسلمين، بل كان في تعيين الولاة مجتهداً، ومتبعاً للشيخين من قبله في استعمال بني أمية والاعتماد عليهم، وأن عدد من استعملهم من بني أمية يعد عدداً قليلاً بالقياس إلى مجموع الولاة على الولايات الإسلامية، وأن من اختارهم عثمان من أقاربه قد قدموا للإسلام والمسلمين خدمات جليلة.

٨- كتب المستشرقون شبه أخرى عن نقصان موارد بيت مال المسلمين في عهد عثمان، وأن ذلك كان سبباً في اضطراب الأمور وإثارة الفتنة ضد عثمان،

والمستشرقون يريدون أن يرموا عثمان بأنه لم تكن لديه الكفاءة في إدارة شئون الخلافة مثل ما كان لعمر ﷺ.

وقد قام الباحث بالرد على هذه الشبهة مبيناً اتفاق السياسة المالية لعثمان مع السياسة المالية لعمر ﷺ وأن موارد بيت المسلمين قد تعددت وتنوعت في عهد عثمان ﷺ بحيث زادت في بعض المناطق عما كانت عليه في عهد عمر ﷺ.

٩- ذكر المستشرقون شبه حول خلافة عثمان ﷺ، وهي التي زعم فيها المستشرقون أن عثمان أعطى أقاربه من مال المسلمين.

وقد رد الباحث على هذه الشبه بأن عثمان فعلاً أعطى أقاربه لكنه أعطاهم من ماله الخاص لا من مال المسلمين، وهذا كان دأبه وعادته منذ زمن النبي ﷺ، وزمن أبي بكر وعمر ﷺ.

١٠- من أهداف المستشرقين الأساسية الطعن في أهم وأعظم عمل قدمه عثمان للإسلام والمسلمين وهو جمع القرآن الكريم.

فوجدناهم يزعمون أن اللغة التي كتب بها القرآن في عهد عثمان لغة عامية وليست فصحى، وأن العلماء المتأخرين هم الذين حاولوا أن يضفوا عليها سمة الفصاحة ، وأنها ليست لغة قريش بالرغم من أن هناك إجماعاً أن عثمان أمر كتاب المصحف أن يرجعوا إلى لغة قريش عند الاختلاف. وكذلك الشبه حول اللجنة التي كلفها عثمان بنسخ المصحف الشريف.

وقد رد الباحث بأن هذه اللجنة قد تكونت من كبراء الصحابة وخبرائهم في هذه المجال وأن عثمان ﷺ قد وضع لهم ضوابط وقواعد تضمن أن يسير عمل اللجنة في إطار صارم من الدقة والعناية.

١١- أثار المستشرقون شبهة خاصة لأهم عضو من أعضاء نسخ المصحف وهو زيد بن ثابت ﷺ، وزعموا أن زيداً قد وضع في القرآن ما ليس منه، علماً أن زيداً ﷺ لم يجمع القرآن وحده، بل كان هناك لجنة من أشخاص عددين، وأنه قد جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وأنه قد نسخ

القرآن في عهد عثمان في صورته النهائية بإشراف من الخليفة الراشد عثمان نفسه ﷺ.

١٢- وكتب المستشرقون شبهة حول ترتيب سور وآيات القرآن بالصورة الموجودة بين أيدينا الآن تم في عهد عثمان، ولم يكن معروفاً أيام النبي ﷺ.

ورد الباحث على هذه الشبهة بما يفيد أن القرآن الكريم قد تم ترتيبه في عهد النبي ﷺ بتوقيف من جبريل ﵇، ثم ترك النبي القرآن مرتباً على هذا الترتيب، وجاء أبو بكر ﷺ ليضم القرآن في مصحف واحد على نفس الترتيب، وهذا المصحف بهذا الترتيب هو الذي تم نسخه في عهد عثمان ﷺ.

١٣- أثار المستشرقون شبهة حول الطعن في صحة رواية جمع القرآن في عهد عثمان وزعموا أنها رواية موضوعة، وأن الغرض من وضعها كان هو إيجاد وسيلة لاتصال السند والربط بين الجمع في عهد أبي بكر والجمع في عهد عثمان.

ومن خلال الرد على هذه الشبهة تبين أن رواية جمع القرآن في عهد عثمان قد وردت في كتب السنة الصحيحة مثل: صحيح البخاري، ومثل: الجامع الصحيح للترمذي، وغيرها من عشرات كتب السنة الصحيحة.

١٤- ذكر المستشرقون شبهاً حول تعدد المصاحف في عهد عثمان ﷺ. مثل: شبهة ذكروها حول موقف عبد الله بن مسعود ﷺ، ورفض تنفيذ أوامر الخليفة باعتماد المصحف الإمام، وأن يتجنبوا الابتداع أو الخروج عن حدود الأحرف السبعة. وأن ابن مسعود لا يعترف بكون الفاتحة والمعوذتين من القرآن.

وبعد دراسة هذه الشبهة تبين سقوطها وأن الروايات التي نسبت إلى ابن مسعود روايات مدسوسة باطلة كما صرح بذلك النووي وغيره. بل قد ذكر بعض المستشرقين - وليس صاحب هذه الشبهة - نقلاً عن ابن النديم أنه رأى مصحفاً لابن مسعود كتب منذ مائتي سنة، وأنه كان يشتمل على الفاتحة والمعوذتين.

١٥- أثار المستشرقون شبهة حول أن مصحف أبي بن كعب ﷺ كان يضم سورتين غير موجودتين في المصحف الإمام وهم سورتا الخلع والحفد.

وقام الباحث بالرد على تلك الشبهة من عشرة أوجه كلها تفيد بطلان رأي المستشرقين وسقوط مزاعمهم في هذا الشأن.

١٦- كتب المستشرقون شبهًا حول فتنة مقتل عثمان ﷺ، وهي أن الفتنة كان سببها اقتصاديًا، وقد أبرزت كيف أن المستشرقين كانوا متأثرين بالمنحى المادي في إيراد هذه الشبهة، وقد رد الباحث على هذه الشبهة مبيناً أن عصر عثمان ﷺ قد نشطت فيه الحركة الزراعية والصناعية والتجارية، وأصبح المسلمون في نعمة ويسار لدرجة أن بعض الباحثين أطلق على عصر عثمان: العصر الذهبي للإسلام، وتهاوت هذه الشبهة بحيث لم يكن الجانب الاقتصادي سبباً من أسباب الفتنة كما زعم المستشرقون.

١٧- أثار المستشرقون شبهة حول أن الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري ﷺ قد تم نفيه إلى الشام، وأن ذلك قد ساهم في إثارة الفتنة ضد عثمان ﷺ.

وقد قام الباحث بالرد على هذه الشبهة مبيناً أن أبا ذر ﷺ لم يتم نفيه، بل هو قد اختار الخروج حينما خيَّره عثمان بين البقاء في المدينة الذي كان يرجحه عثمان، وبين تركها، فأختار أبو ذر الخروج من المدينة، واختار الربذة ، وقد وصلها على أكرم حال وأعطاه الخليفة من الإبل والموالي والأرزاق، ما يضمن له حياة طيبة مادام حيا، وبعد موته أكرم عثمان عياله بحيث ضم عيال أبي ذر إلى عياله. وكل هذه أمور تجعل من المستبعد أن يساهم أبو ذر في أسباب الفتنة ضد الخليفة عثمان ﷺ.

١٨- ذكر المستشرقون شبهة لا علاقة لها مطلقاً بأسباب الفتنة، ولكنهم حاولوا أن يقحموها فيها، وهي قصة سقوط خاتم عثمان ﷺ في بئر أريس.

وقد قام الباحث بالرد على هذه الشبهة مبيناً أنها تفسير غير واقعي باعتراف المستشرقين أنفسهم فضلاً على أنه ليس هناك رواية تذكر أن الخارجين

على عثمان ﷺ عابوا عليه سقوط الخاتم من يده، ثم إن سقوط الخاتم هل يصح مبرراً للخروج على الخليفة وإثارة الفتنة ضده؟!

١٩- جاءت كتابات المستشرقين حول الخارجين على عثمان ﷺ، ودورهم في الفتنة التي أدت إلى مقتله، محاولين أن يهولوا ويضخموا أموراً مثل: زعمهم أن الاضطرابات ضد الخليفة كانت كبيرة وكثيرة وعامة، وهذا خلاف الحقيقة التاريخية الصحيحة التي تفيد أن عموم أمصار الدولة الإسلامية كانت في هدوء تام وسلام وأمان إلا بعض مثيري الفتن من ثلاثة أمصار هي: مصر والكوفة والبصرة.

وأن أعداد الخارجين على أقصى تقدير كانت ثلاثة آلاف من مصر والكوفة والبصرة جميعها، وهذا عدد لا يكاد يذكر بالنسبة لمجموع المسلمين.

٢٠- جاء موقف المستشرقين من مقتل عثمان ﷺ. غريباً فقد سكت المستشرق كاتب مادة عثمان سكوتاً مريباً عن تلك القضية الهامة وهي مقتل عثمان ﷺ فهل رضي بذلك؟ أم أنه لم يشأ أن يذكر النتيجة المفجعة التي ترتبت على الفتنة في الخلاف حتى لا يحذر المسلمون منها؟!

ولكن مستشرقين آخرين في دائرة المعارف الإسلامية قد أشاروا إشارات موجزة عن مقتل عثمان، مثل: حصار الخليفة في بيته ومقتله على يد الغوغاء من الناس، وقام الباحث بذكر الصورة كاملة من خلال المصادر الإسلامية الصحيحة.

التوصيـــــات:

وفي نهاية البحث توصل الباحث الى التوصيات التالية:

١-يوصي الباحث المؤسسات العلمية المعنية بمتابعة ما يكتبه الغربيون عموماً، والمستشرقون خصوصاً عن الإسلام بشكل عام، وعن تاريخ الصحابة بشكل خاص للوقوف على ما فيه من شبه ومطاعن ليتمكن الباحثون المسلمون من الرد عليها بما يفيد دحضها وتفنيدها.

٢-يقترح الباحث إنشاء موسوعة إسلامية يقوم عليها العلماء المسلمين أنفسهم في جميع التخصصات مضاهاة لدائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، وذلك بهدف تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام سواء في الأوساط الغربية التي شكلت مفاهيم خاطئة عن الإسلام نظراً للاعتماد على معلومات غير صحيحة، أم في أوساط المسلمين الذين يفتنون بكل ما هو قادم من الغرب حتى لو كان معلومات عن الإسلام ذاته.

٣-يدعو الباحث الى اليقظة والحذر لأساليب المستشرقين حين يكتبون عن الإسلام، وعدم التسليم لهم في كتاباتهم التي يزعمون فيها الموضوعية والإنصاف والحياد، بينما الحقيقة أن لهم أهدافًا وأغراضاً تدور معظمها في دائرة محاولة النيل من الإسلام والطعن فيه.

٤-يوصي الباحث بضرورة التركيز على دراسة الوشائج والصلات التي تربط بين الفكر الشيعي والفكر الاستشراقي حيث تبين في معظم أجزاء هذه الرسالة اعتماد المستشرقين على مصادر الشيعة، وتبني أفكارهم وترديد مبادئهم فيما يتعلق بالصحابة ﭫ.

٥-أوصي الباحثين من طلاب الدراسات العليا بالاهتمام بالدراسات الاستشراقية وتتبع شبه المستشرقين التي كتبوها حول انكارهم لجوانب عديدة من الاسلام وأهله .

وفي الختام الحمد لله ثم الحمد لله على التمام، فله الفضل سبحانه وحده، وله المنة جل وعلا دون سواه، فقد يسر لي إتمام هذه الدراسة، والتي أرجو أنْ يتقبلها الله مني بقبول حسن وأنْ يجعلها نافعة لي أولاً، وللمسلمين أجمعين، وأن يغفر لي تقصيري، وتفريطي في عملي هذا خاصة وفي خدمة ديني عامة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن تجد عيبًا فسد الخللا   جل من لا عيب فيه وعلا[(١)]

---

(١) البيت للقاسم الحريري في منظومته في النحو، شرح ملحة الإعراب، ص٣٧٢.

الفهارس

- ١ – فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ – فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ – فهرس الآثار.
- ٤ – فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٥ – قائمة المصادر والمراجع.
- ٦ – فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	البقرة:٣٠	٢	١٤٩
﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾	البقرة:٦٧	٢	٩٩
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾	البقرة:١٢٠	٢	٨
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾	البقرة:١٣٢	٢	٢٨٠
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	آل عمران:١٩	٣	٣٠٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	آل عمران:١٠٢	٣	٦
﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	آل عمران:١٠٦	٣	٣٠٥
﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	آل عمران:١٥٤	٣	١٠١
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾	آل عمران:١٥٥	٣	٣٦، ١٢٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾	النساء:١	٤	٦
﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾	النساء:٢٠	٤	١٦٦

الآيــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾	النساء:٣٤	٤	٣٠٨
﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾	النساء:٣٦	٤	١٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾	المائدة:٨	٥	٩٢
﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾	المائدة:٥٠	٥	١٠١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾	المائدة:٥٤	٥	١٦٥
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾	الأنعام:٩١	٦	٤٠٠
﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾	الأنعام:١٢٥	٦	٣٠٦
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾	الأعراف:١٤٢	٧	٢٠، ١٥١
﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾	الأنفال:٤١	٨	٢٣٩

الآيـــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾	التوبة:٣٤	٩	٣٤٦
﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾	التوبة:٣٤	٩	٣٤٧
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾	التوبة:١٠٠	٩	١٥٧
﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾	التوبة:١١٧	٩	١٥٨
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾	التوبة:١٢٨	٩	٢٦١
﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾	يونس:١٥	١٠	٢٥٤
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾	يونس:٥٩	١٠	٣٨٣
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾	هود:٤٠	١١	١٦٦

الآيــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾	يوسف:١٨، ٨٣	١٢	٣٠٦
﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾	يوسف:٣٥	١٢	٣٠٤
﴿أَفَاتَّخَذْتُم﴾	الرعد:١٦	١٣	٣٠٦
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾	إبراهيم:٤	١٤	٢٧٣
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	الحجر:٩	١٥	٣٣٥، ٢٩٧
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٤١﴾	النحل:٤١	١٦	١٢٢
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾	النحل:٩٠	١٦	١٩٥
﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾	النحل:١٠٣	١٦	٢٧٠
﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾	النحل:١١٢	١٦	٣٠٨
﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾	المؤمنون:٢٠	٢٣	٣٠٨
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾	الشعراء:١٩٥	٢٦	٢٧٠
﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٣٨﴾	الروم:٣٨	٣٠	١٩٤
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	الأحزاب:٢٣	٣٣	٢٨٦
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾	الأحزاب:٣٣	٣٣	١٠٤، ١٠١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾	الأحزاب: ٧٠-٧١	٣٣	٦
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	سبأ:١٣	٣٤	١٦٦

الآيـــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾	يس:٦٠	٣٦	٣٠٥
﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾	ص:٢٦	٣٨	١٤٩
﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	فصلت:٣	٤١	٢٧٠
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)﴾	فصلت:٢٦	٤١	٢٥٣
﴿إِنِّي عُذْتُ﴾	الدخان:٢٠	٤٤	٣٠٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾	الفتح:١٠	٤٨	١٢٨، ١٦٩، ١٨٢، ١٨٣
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾	الفتح:١٨	٤٨	١٢٨، ١٥٩، ١٦٩
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	الفتح:٢٦	٤٨	١٠١
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾	الفتح:٢٩	٤٨	٩، ١٦٥

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾	الحجرات:٦	٤٩	٩، ٢٨٠
﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾	الذاريات: ٢٢-٢٣	٥١	١١٦
﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩﴾	الواقعة:٢٩	٥٦	٣٠٤
﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾	الحديد:١٠	٥٧	١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾	الممتحنة:١٢	٦٠	١٧٠
﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾	الجمعة:٢	٦٢	١٠٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾	المزمل:١	٧٣	٣٠٦
﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾	الإنشقاق:١٩	٨٤	٣٠٥
﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩﴾	العاديات:٩	١٠٠	٣٠٤

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب....	١٩٧
٢	إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم	١٤٦
٣	أرحم أمتي: أبو بكر، وأشدها في دين الله: عمر....	٤٤
٤	اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم....	١٩٥
٥	افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له....	٤٤
٦	ألا أبا أيّم ألا أخا أيّم يزوجها عثمان....	١٤٠
٧	ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة	٣٥، ٤٥
٨	أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟....	١٧٥
٩	أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له	١٢٥
١٠	أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير....	٢١٧
١١	إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره....	٦
١٢	أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا....	١٨٥
١٣	إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية....	٣٧
١٤	إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابا....	٩
١٥	إن الله ليعمِّر بالقوم الديار، ويثمِّر لهم الأموال....	١٩٦
١٦	إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة....	١٠
١٧	أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان....	٢٦٥
١٨	أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه....	١٧٥
١٩	أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو	٢٥٧
٢٠	أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وكان ممن يكتب الوحي....	٢٦٠
٢١	أن عثمان ﷺ قال لأبي ذر إن شئت تنحيت فكنت قريباً	٣٥١

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٢	إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله....	١٣٨
٢٣	إن عثمان رجل حَيِّي....	٣٤
٢٤	أن عثمان قال: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق....	١٢١
٢٥	أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة....	١٨٤
٢٦	إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه	١٣٨
٢٧	إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا....	٤٦
٢٨	إنه مفتوح لكم وأنتم منصورون مصيبون....	١٩٥
٢٩	أوص يا أمير المؤمنين: استخلف....	١٨٥
٣٠	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة....	١٦١
٣١	جاء عثمان ﵁ إلى النبي ﷺ بألف دينار....	٢٤٢
٣٢	جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم	١٢
٣٣	دعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه سفيرًا إلى قريش...	١١١
٣٤	دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا....	١٧٠
٣٥	رجع وفد المصريون راضين، فبينما هم في الطريق....	٣٥٩
٣٦	سُئل: أي الناس خير؟ قال: قرني....	١٦٠
٣٧	صعد النبي ﷺ أُحدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان....	٤٤
٣٨	ضرب النبي ﷺ لعثمان بسهمه وأجره في بدر فكان كمن شهدها	١٢٣
٣٩	فلما جمع عثمان ﵁ القرآن ونسخه في المصاحف....	٣١٣
٤٠	فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال....	٢٨٣
٤١	قال عثمان للرهط القرشيين....	٢١٧
٤٢	قال لي رسول الله ﷺ: أتحسن السريانية؟....	٢٨٨
٤٣	قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم....	٢٥٨
٤٤	كلفه عثمان ﵁ بمهمة الكتابة....	٢٨٥
٤٥	كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ....	٢٥٨

م	طرف الحديث	الصفحة
٤٦	كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل الوحي....	٢٥٧
٤٧	لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم....	١٦٠
٤٨	لا تسافروا بالقرآن، فإني لا آمن أن يناله العدو	٢٥٧
٤٩	لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا....	١٦٠
٥٠	لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية....	٣٧
٥١	لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب	٣٢٠
٥٢	لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض....	١٤٦
٥٣	لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم....	٣٢، ١٣٩
٥٤	لما احتضر أبو بكر ﷺ قال: يا عائشة....	١٦٢
٥٥	لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصاري فتكلموا....	٢٨٩
٥٦	لما كثر المسلمون، وخاف منهم الكفار....	١٢٠
٥٧	اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر....	١٣٢
٥٨	لو أن عندي عشراً لزوجتكهن واحدة بعد واحدة....	١٤٠
٥٩	لو خرجتم إلى أرض الحبشة....	١٢٠
٦٠	لو كان معنا من يحدثنا؟....	٣٩
٦١	ليس فيما دون خَمْس ذود صدقة....	٣٥١
٦٢	ما استخلف خليفة إلا وله بطانتان....	١٥٠
٦٣	ما على عثمان ما عمل بعد هذه....	١٣١
٦٤	ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا	١٣٢
٦٥	مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر....	٣٤٧
٦٦	من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات....	٤٥
٦٧	من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان	٢٤١
٦٨	من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها....	٢٤١
٦٩	من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد....	٢٤٢

م	طرف الحديث	الصفحة
٧٠	من يشتري بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟	١٣٠
٧١	النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم....	١٦٠
٧٢	هذا غلام من بني النجار....	٢٨٨
٧٣	يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع....	٤٦

فهرس الآثـــار

م	طرف الآثــــر	الصفحة
١	إبدال تشكيل مكـان تشكيل، مثل: كـسر حروف المضارعة	٣٠٥
٢	أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أخليك أبدًا حتى تدع مـا أنت عليه من هذا الدين	٣٢
٣	أدركت عثمان على ما نقموا عليه قلَّ مـا يـأتي عـلى النـاس يـوم إلا وهـم يقتسمون فيه خيراً	٣٤٣
٤	أسلم عثمان ﷺ قديماً على يدي أبي بكـر الـصديق، وكـان سـبب إسـلامه عجيباً	١١٤
٥	أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العـاص، وعبـد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها - أي الصحف - فى المصاحف	٢١٧
٦	أن الخليفة عثمان ﷺ أمر زيد بن ثابت، ومعه عبدالله بـن الـزبير، وسـعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يقوموا بتلـك المهمـة، وهي نسخ المصحف	٢٧٧
٧	أن الصحابة قالوا لعمر ﷺ: أوص يا أمير المؤمنين: اسـتخلف، قـال مـا أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر والرهط	١٨٤
٨	إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسـوله، وآمنـت بما بُعث به، وهاجرت الهجرتين	١٢١
٩	أن المـسورة بـن مخرمـة أخـبره أن الـرهط الـذين ولاهـم عمـر اجتمعـوا فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر	١٨٥
١٠	أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وكان ممن يكتـب الـوحي، قـال: أرسـل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، وكان عنده عمر	٢٦٠
١١	أن عبد الله بن عمر دافع عن عثمان ضد بعض متهميه فقال: أمـا فـراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له	١٢٥
١٢	أن عبدالله أخذ يدعو إلى التمسك وعدم التفرق، والالتـزام بـما ورد عـن الرسول ﷺ، وعدم الابتداع في أمر القراءة	٣١٦

م	طرف الآثـــر	الصفحة
١٣	أن عثمان ﷺ قال لأبي ذر إن شئت تنحيت فكنت قريباً	٣٥١
١٤	أن عثمان ﷺ كان يجعل كل واحد من أعضاء اللجنة يخصص للعمل الذي يتميز فيه	٢٧٩
١٥	أن عثمان جمع لهذه المهمة اثني عشر رجلاً، وذكر أسماء بعضهم	٢٧٧
١٦	أن عثمان قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، قدمت حديثا، فلما كنا بين معان والزرقاء	٣١
١٧	أن عثمان وعظ ابن مسعود وحذره الفرقة، فرجع واستجاب إلى الجماعة، وحث أصحابه على ذلك	٣١٤
١٨	أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبى الله ﷺ، وذكر أبا بكر، قال: إني رأيت كأن ديكاً نقرنى ثلاث نقرات	١٨٤
١٩	إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك....	٢٨٥
٢٠	أنه لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل	٢٦٥
٢١	إني سمعت القراء فرأيتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف	٣١٦
٢٢	بنو هاشم أشرف واحداً، ونحن أشرف عدداً، حتى جاؤوا بواحدة بذّت الأولين يريد النبيﷺ	١٠٧
٢٣	رجع وفد المصريون راضين، فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم	٣٥٩
٢٤	رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين	٢٦١
٢٥	رضا عبد الله بن مسعود لجمع عثمان ﷺ المصاحف	٣١٥
٢٦	عن أنس قال: تقرقر بطن عمر قال: وكان يأكل الزيت عام الرّمادة، وكان قد حرّم عليها السَّمْن قال: فنقر عمر بطنه بأصبعه وقال تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس	١٦٢
٢٧	عن زهد علي بن أبي طالب ﷺ، أنه لم يكن يملك ثمن إزار، فعن زيد بن محجن قال: كنا مع علي ﷺ بالرحبة فدعا بسيف فسله، فقال: من يشتري هذا؟ فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعتُه	١٦٣

م	طرف الآثـــر	الصفحة
٢٨	فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين	٣١٥
٢٩	فعل عمر الذى توسع فى إقطاع الأرض طلباً لاستصلاحها، وأعلن فى الناس: من أحيا أرضاً مواتاً فهى له	٢٤٦
٣٠	فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ لما كتبت المصاحف، فوجدتها مع خزيمة بن ثابت	٢٨٦
٣١	فليمل سعد وليكتب زيد	٢٨٥
٣٢	فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن	٢٨٣
٣٣	قدم ناس من أهل العراق إليّ فقالوا: إنا قد أعملنا إليك المطيّ من العراق	٣٣٠
٣٤	قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثاني، وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما	٢٥٨
٣٥	كان ابن مسعود أحد أئمة القراءة من أصحاب النبي ﷺ، وكان أول من جهر بالقرآن بين المشركين في مكة	٣١٣
٣٦	كان أعلمهم بالمناسك عثمان بن عفان، وبعده ابن عمر، ويعني بالمناسك: أحكام الحج	١٣٤
٣٧	كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ابن عمر	٢٨٩
٣٨	كان علم أصحاب رسول الله ﷺ ينتهي إلى ستة: إلى عمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت	١٣٣
٣٩	كان عمر بن الخطاب ﷺ يختار ألا يقرأ الناس إلا بلغة قريش	٢٧٣
٤٠	كتب خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص إلى أبي بكر أن زدنا في أرزاقنا، وإلا فابعث إلى عملك من يكفيكه	١٥٤
٤١	كتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان فقدم عليه	٣٤٧

م	طرف الآثـــر	الصفحة
٤٢	لقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم	٢٨٨
٤٣	لما أرسل عثمان ﷺ المصحف إلى الكوفة مع حذيفة بن اليمان كره ذلك ابن مسعود؛ لأنه كان يرى أنه أحق بجمع القرآن من زيد بن ثابت ﷺ	٣١٣
٤٤	لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصاري فتكلموا، وقالوا: رجل منا ورجل منكم	٢٨٩
٤٥	لما سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه فقالوا له: ادع بالمصحف	٣٨٣
٤٦	لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً	١٢٠
٤٧	لو هلك عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت في بعض الزمان لهلك علم الفرائض إلى يوم القيامة، جاء على الناس زمان وما يحسنه غيرهما	١٣٣
٤٨	ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان	٣٩
٤٩	مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ﷺ فقلت له ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام	٣٤٧
٥٠	ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمان ﷺ اعتزلها عبد الله بن سعد، وسكن عسقلان أو الرملة فى فلسطين	٢٢١
٥١	يا عائشة: انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والحفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نليها	١٦٢

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسـم العلـم	الصفحة
١	أرثر جفري	٣٠٠
٢	أسامة بن زيد بن حارثة	٤٢
٣	أم كلثوم بنت رسول الله	٤٢
٤	آوغست فيشر	٣٣٤
٥	إيفارست ليفي برفنسال	٧٨
٦	برجشتريسر	٣١٠
٧	برنارد لويس	٨٠
٨	بوبير	٧٦
٩	توماس أرنولد	٥٦، ٧٧
١٠	تيودور نولدكه	٢٦٩
١١	جوزيف شاخت	٧٩
١٢	جوزيف همر برجشتال	٣٢٥
١٣	جوستاف لوبون	١٩٣
١٤	رقية بنت رسول الله ﷺ	٤١
١٥	روبسون	٦٧، ٣٤٥
١٦	ريجيس، ل.بلاشير	٢٩٣
١٧	رينهارت بيتر آن دوزي	١٧٦
١٨	رينيه باسيه	٧٧
١٩	زيد بن ثابت الأنصاري	٢٧٨
٢٠	زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي	٤١
٢١	سعد بن أبي وقاص	٢١٤

م	اســـم العلـــــم	الصفحة
٢٢	سعيد بن العاص بن أمية القرشي	٢١٦
٢٣	سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية	٢٧٨
٢٤	شاده	٧٦
٢٥	شار بيلا	٨٠
٢٦	العباس بن عبدالمطلب بن هاشم	٤٢
٢٧	عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي	٢٧٨
٢٨	عبدالله بن الزبير بن العوام أبو بكر القرشي	٢٧٨
٢٩	عبدالله بن سعد بن أبي السرح	٢١٨
٣٠	عبدالله بن عامر بن كريز	٢٠٤
٣١	فاير	١٠٤
٣٢	فريدريش شفالي	٢٦٩
٣٣	فريدريك إنجلز	٣٤١
٣٤	فنسنك	٥٤، ٧٥
٣٥	الفورد ت. ولش	٦٩
٣٦	فيتشيا فاليري	٣٩١
٣٧	كارل فوللرز	٢٦٧
٣٨	كارل ماركس	٣٤٠
٣٩	كرايمر	٧٨
٤٠	لوي (لويس) بيير أوجين أميلي سيديو	١٧٩
٤١	ليفي دي لافيدا	٦٠
٤٢	مارتن تيودو هوتسما	٧٥
٤٣	مارتن هارتمن	٧٦
٤٤	مروان بن الحكم بن أبي العاص	٢٢٢
٤٥	هاملتون جب	٧٨

م	اســـم العلـــــم	الصفحة
٤٦	هنري باسيه	٧٧
٤٧	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٢١٠

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

(١) إبراهيم اليازجي: مجلة الضياء - السنة السابعة - مطبعة المعارف بالفجالة - مصر ١٩٠٤-١٩٠٥م.

(٢) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية - الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥م - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

(٣) ابن أبي داود السجستانى: كتاب المصاحف - تحقيق: أرثر جفري - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م - المطبعة الرحمانية - مصر.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف - تحقيق: سعيد اللحام - دار الفكر - بدون تاريخ.

(٥) ابن أبي عاصم: السنة، مع تخريج الألباني: ظلال الجنة - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-المكتب الإسلامي.

(٦) ابن أبي عاصم: كتاب الأوائل - تحقيق: د. محمد بن ناصر العجمي، صدر عن دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت بدون تاريخ.

(٧) ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق: علي محمد معوض - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م - دار الكتب العلمية.

(٨) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق: عادل أحمد الرفاعي - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ - تحقيق: عمر عبد السلام تدمري - الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ-سنة ١٩٩٧م - دار الكتاب العربي - لبنان.

(١٠) ابن الجارود: المنتقى مع تخريج غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود: لأبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ط ٢، ١٤١٤ هـ.

(١١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(١٢) ابـن الجـوزي: صـفة الـصفوة – تحقيـق: محمـود فـاخوري – الطبعـة الثانيـة سـنة ١٣٩٩هـ-سنة ١٩٧٩م – دار المعرفة – بيروت.

(١٣) ابن القيم: المنار المنيف فى الصحيح والـضعيف – تحقيـق: عبـد الفتـاح أبـو غـدة – مكتبة المطبوعات الإسلامية – بدون تاريخ.

(١٤) ابـن القـيم: زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد – الطبعـة الـسابعة والعـشرون سـنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م – مكتبة المنار الإسلامية – الكويت.

(١٥) ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري – تحقيق: محمـد أحمـد الحـاج – دار القلـم- دار الـشامية، جـدة – الـسعودية – الطبعـة: الأولى، ١٤١٦هــ-١٩٩٦م.

(١٦) ابن النديم: الفهرست – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ-سنة ١٩٧٨م – دار المعرفـة – بيروت.

(١٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – وزارة الثقافة – مـصر بدون تاريخ.

(١٨) ابـن تيميـة: الـسياسة الـشرعية – الطبعـة الأولى سـنة ١٤١٨هــ، وزارة الـشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد.

(١٩) ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢٠) ابن تيمية: مجموع الفتاوي – كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابـن تيميـة – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي – مكتبة ابن تيمية.

(٢١) ابن تيمية: منهاج السنة النبويـة فى نقـض كـلام الـشيعة والقدريـة – تحقيـق: محمـد رشاد سالم – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م – طبعة جامعـة الإمـام محمـد بن سعود الإسلامية.

(٢٢) ابن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ-دار الـتراث: بيروت.

(٢٣) ابن جرير الطبري: جـامع البيـان في تأويـل القـرآن – تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م – مؤسسة الرسالة.

(٢٤) ابن جني: المحتسب في تبيين وجـوه شـواذ القـراءات والإيـضاح عنهـا – الطبعـة الأولى سـنة ١٤٢٠هــ-سـنة ١٩٩٩م – المجلـس الأعـلى للـشئون الإسـلامية – القاهرة.

(٢٥) ابن حبان: صحيح ابن حبان - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.

(٢٦) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق: محمد علي البجاوي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ - دار الجبل، بيروت.

(٢٧) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.

(٢٨) ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - تحقيق: غنيم بن عباس بن غنيم وآخر - دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى١٤١٨هـ.

(٢٩) ابن حجر: تقريب التهذيب - تحقيق: محمد عوامة - دار الرشيد - سوريا - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣٠) ابن حجر: تهذيب التهذيب - مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند - الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.

(٣١) ابن حجر: فتح البارى في شرح صحيح البخارى - تحقيق: محب الدين الخطيب - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ - دار المعرفة بيروت.

(٣٢) ابن حجر: فتح الباري - الطبعة الثانية سنة ١٤١٢هـ-دار المعرفة - بيروت.

(٣٣) ابن حجر: فتح الباري - بتعليق العلامة عبد العزيز بن باز - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ-دار المعرفة - بيروت.

(٣٤) ابن حجر: لسان الميزان - الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٣٥) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب - تحقيق: لجنة من العلماء - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣٦) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل - مكتبة الخانجي - القاهرة - بدون تاريخ.

(٣٧) ابن خلدون: المقدمة: - الطبقة الأولى سنة ١٩٨٤ - دار القلم - بيروت.

(٣٨) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون - تحقيق: خليل شحادة - دار الفكر، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣٩) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-دار المعرفة بيروت.

(٤٠) ابن زنجويه: الأموال - تحقيق: شاكر ذيب فياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٤١) ابن سعد: الطبقات الكبري - تحقيق: إحسان عباس- الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م - دار صادر - بيروت.

(٤٢) ابن شبة: تاريخ المدينة - تحقيق: فهيم محمد شلتوت - جدة ١٣٩٩هـ.

(٤٣) ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - بدون تاريخ.

(٤٤) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجيل، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٤٥) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ-دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق - تحقيق: علي شيري - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م - دار الفكر بيروت.

(٤٧) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٤٨) ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن - تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية- بيروت - بدون تاريخ.

(٤٩) ابن قتيبة: كتاب المعارف - تحقيق: ثروت عكاشة - دار المعارف - القاهرة.

(٥٠) ابن قتية الدينورى: تأويل مشكل القرآن - تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

(٥١) ابن قدامة: الرقة والبكاء - تحقيق: محمد خير رمضان يوسف - دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٥٢) ابن قرقول: مطالع الأنوار على صحاح الآثار - تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث - الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٥٣) ابن كثير: البداية والنهاية - تحقيق: علي شيري - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م - دار إحياء التراث العربي - القاهرة.

(٥٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي محمد سلامة - الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م - دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٥٥) ابن ماجه: سنن ابن ماجة تحقيق: أحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٥٦) ابن مجاهد البغدادي: كتاب السبعة في القراءات - تحقيق: شوقي ضيف - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ-دار المعارف مصر.

(٥٧) ابن منظور: لسان العرب - الطبعة الأولى بدون تاريخ - دار صادر بيروت.

(٥٨) ابن منظور: لسان العرب - دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ.

(٥٩) ابن هشام: السيرة النبوية - تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

(٦٠) أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين - الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٦١) أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادى: الخراج وصناعة الكتاب - الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ دار الرشيد - بغداد.

(٦٢) أبو القاسم السهيلي: الروض الأنف - تحقيق: عبد الرحمن الوكيل - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ-دار الكتب الحديثة.

(٦٣) أبو القاسم بن الحكم القرشى المصرى: فتوح مصر وأخبارها - تحقيق: محمد الحجيرى - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م - دار الفكر بيروت.

(٦٤) أبو القاسم بن علي التيمي: الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم تحقيق: د. كرم حلمي الطبعة الثانية سنة١٤٣٢هـ-سنة ٢٠١١م - دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة.

(٦٥) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق: عمر عبد السلام السلامي - الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٦٦) أبـو القاسـم عبـد الـرحمن بـن عبـد الله بـن أعـين القـرشي المـصري: فتـوح مـصر وأخبارهـا – تحقيـق: محمـد الحجـيري – دار الفكـر – بـيروت – الطبعـة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٦٧) أبـو حيـان الأندلـسي: البحـر المحيط تحقيـق: صـدقي محمـد جميـل – دار الفكـر – بيروت – الطبعة ١٤٢٠هـ.

(٦٨) أبو دواد: سنن أبي داود – تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قـره بلـلي – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٦٩) أبـو شـهبة: المـدخل إلى دراسـة القـرآن الكـريم – الطبعـة الثانيـة سـنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م – مكتبة السنة – القاهرة.

(٧٠) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبـل: فـضائل عـثمان بـن عفـان – – تحقيـق: طلعـت بـن فـؤاد الحلـواني – دار ماجـد عـسيري – جـدة ١٤٢١هــ-سـنة ٢٠٠٠م.

(٧١) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق: أكرم ضياء العمـري – دار القلـم، مؤسـسة الرسـالة – دمـشق، بـيروت – الطبعـة: الثانيـة، ١٣٩٧م.

(٧٢) أبـو محمـد بـن عطيـة: المحـرر الـوجيز في تفـسير الكتـاب العزيـز – الطبعـة الأولى ١٤٢٢هـ-دار الكتب العلمية – بيروت.

(٧٣) أبو نعيم الأصبهاني: الإمامة والرد على الرافضة – تحقيق: علي بن محمد الفقيهي – الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

(٧٤) أبـو نعـيم الأصـبهاني: حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء – الطبعـة الرابعـة سـنة ١٤٠٥ – دار الكتاب العربي بيروت.

(٧٥) أبو نعيم الأصبهاني: فـضائل الخلفـاء الأربعـة وغـيرهم تحقيـق: صـالح بـن محمـد العقيل الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م – دار البخـاري للنـشر والتوزيـع – المدينة المنورة.

(٧٦) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة – تحقيـق: عـادل بـن يوسـف العـزازي – دار الوطن للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

(٧٧) أبو يعلي: مسند أبي يعلي– تحقيق: حسين سليم أسد – الناشر: دار المـأمون للـتراث – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٧٨) أبو يوسف: كتاب الخراج – تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد – المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ.

(٧٩) أحمد بن حنبل: مسند أحمد – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٨٠) أحمد بن على المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك – تحقيق: عبد القادر عطا – الطبقة الأولى سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت.

(٨١) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠م.

(٨٢) الأزهرى: تهذيب اللغة – تحقيق: محمد عوض – الطبقة الأولى ٢٠٠١م – دار إحياء التراث العربى: بيروت.

(٨٣) الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمه إلى العربية د. محمد شامة. نشر بمكتبة وهبة – القاهرة ١٩٨٣.

(٨٤) أكرم عبد خليفة حمد الدليمي: جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

(٨٥) الأندلسي: التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان – تحقيق: محمود يوسف زايد. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م – دار الثقافة – الدوحة.

(٨٦) البخاري: التاريخ الكبير – طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان – دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

(٨٧) البخاري: صحيح البخاري – تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٨٨) البخاري: كتاب الأدب المفرد – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٨٩) بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري – دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ.

(٩٠) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية – ترجمة محمد فتحي الشنيطي طبعة الهيئة العامة للكتاب – القاهرة سنة ٢٠١٢م.

(٩١) البزار: البحر الزخار المعروف بمسند البزار- تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٩٢) البغوي: شرح السنة - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٩٣) البلاذري: أنساب الأشراف - تحقيق: الشيخ محمد المحمودي - الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٩٤) البلاذري: فتوح البلدان - تحقيق: رضوان محمد رضوان - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ -دار الكتب العلمية - بيروت.

(٩٥) البيهقي: السنن الكبرى - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات - الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٩٦) البيهقي: دلائل النبوة - تحقيق: عبدالمعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٩٧) التبريزي: مشكاة المصابيح باب قسمة الغنائم والغلول فيها - تحقيق: الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ-المكتب الإسلامي - بيروت.

(٩٨) الترمذي: صحيح سنن الترمذي - إشراف زهير الشاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٩٩) تقي الدين المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(١٠٠) جابر قميحة: لماذا نزل القرآن بلغة قريش - مقال منشور بجريدة الأهرام المصرية - الثلاثاء ٢٤ شوال ١٤٢٢هـ-٨ يناير ٢٠٠٢م - العدد ٤٢٠٣٦ السنة ١٢٦.

(١٠١) الجاحظ: كتاب الحيوان - الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤هـ-دار الكتب العلمية - بيروت.

(١٠٢) جلال الدين السيوطى: أسرار ترتيب القرآن - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ-دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

(١٠٣) جلال الدين السيوطى: الإتقان في علوم القرآن - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(١٠٤) جلال الدين السيوطى: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – تحقيق: فؤاد علي منصور – الطبعة الأولى ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٠٥) جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء – تحقيق: حمدي الدمرداش – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م – مكتبة نزار الباز.

(١٠٦) جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ–سنة ١٩٥٢م مطبعة السعادة – القاهرة.

(١٠٧) جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير وزوائده – ضمن جامع الأحاديث – جمع وترتيب عباس أحمد صقر، وأحمد عبدالجواد – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بدون تاريخ.

(١٠٨) جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

(١٠٩) جلال الدين السيوطي: جامع الأحاديث – الجامع الكبير – ضمن جامع الأحاديث – جمع وترتيب عباس أحمد صقر، وأحمد عبدالجواد – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بدون تاريخ.

(١١٠) جمال الدين ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر – دار الفكر – دمشق.

(١١١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م – دار الساقي.

(١١٢) جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية – طبعة دار الهلال – القاهرة بدون تاريخ.

(١١٣) جون جلكرايست: جمع القرآن – موقع الرد على الإسلام:
http://answering-islam.org/Arabic/Gilchrist/Jam/index.html.

(١١٤) الجوهرى: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار – دار العلم للملايين، بيروت – لبنات – الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

(١١٥) الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية.

(١١٦) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م – دار النهضة العربية – بيروت.

(١١٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - دار الجيل بيروت - مكتبة النهضة المصرية القاهرة - الطبعة الرابعة عشرة ١٩٩٦م.

(١١٨) حسن أيوب: الخلفاء الراشدون - القادة الأوفياء وأعظم الخلفاء - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

(١١٩) حسين الذهبي: التفسير والمفسرون - مكتبة وهبة - القاهرة بدون تاريخ.

(١٢٠) حمدي شاهين: الدولة الإسلامية المفترى عليها - دار القاهرة للكتاب سنة ٢٠٠١م.

(١٢١) حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها - دراسة الشبهات ورد المفتريات - دار القاهرة للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(١٢٢) خالد بن عبدالله القاسم: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية - عرض ونقد وعرض - بحث منشور بموقع الألوكة.

(١٢٣) الخطيب البغدادي: تلخيص المتشابه في الرسم - تحقيق: سكينة الشهابي - طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٥م

(١٢٤) خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار مايو ٢٠٠٢م.

(١٢٥) الدارقطني: فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض - تحقيق: محمد خليفة الرباح - الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م - مكتبة الغرباء الأثرية.

(١٢٦) الذهبي: تاريخ الإسلام - تحقيق: بشار عواد - الطبعة الأولى ٢٠٠٣م - دار الغرب الإسلامي.

(١٢٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء - مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بدون تاريخ.

(١٢٨) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ.

(١٢٩) رودي بارت: الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية - ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

(١٣٠) روم لاندو: الإسلام والعرب ترجمة منير البعلبكي - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م - دار العلم للملايين - بيروت.

(١٣١) الزبيدي: تاج العروس - دار الهداية - الكويت ١٩٦٦م.

(١٣٢) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م - دار الفكر - بيروت.

(١٣٣) الزركشى: البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ جـ١.

(١٣٤) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(١٣٥) زين الدين الهمدانى: عجالة المبتدي وفضالة المنتهى فى النسب - تحقيق: عبد الله كنون - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م - الهيئة العامة للمطابع الأميرية - القاهرة.

(١٣٦) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - الكتب العلميه، بيروت - لبنان - الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ-٩٩٣م.

(١٣٧) سعاد إبراهيم صالح: مبادئ الاقتصاد الإسلامى - الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧ - دار عالم الكتب - الرياض.

(١٣٨) سعد بن عبد الله الماجد: موقف المستشرقين من الصحابة - الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م - دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض.

(١٣٩) سيف بن عمر الأسدي التميمي: الفتنة ووقعة الجمل - تحقيق: أحمد راتب عرموش - الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ - دار النفائس - بيروت.

(١٤٠) شاخت: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري - سلسلة عالم المعرفة: الكويت سنة ١٩٧٨م.

(١٤١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب - العصر الجاهلي - دار المعارف - القاهرة بدون تاريخ.

(١٤٢) الشوكاني: در السحابة في مناقب القرابة والصحابة - تحقيق: نشأت بن كمال المصري مكتبة صنعاء الأثرية - صنعاء - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(١٤٣) صالح العلى: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى - الطبعة الثانية.

(١٤٤) صالح بن العزيز آل الشيخ: فتنة الخوارج، وهي كلمة ألقاها الشيخ في ندوة بالمدينة المنورة بمناسبة جائزة الأمير نايف بن العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

(١٤٥) صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات - تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

(١٤٦) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية - دار الكتاب الجديد - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧م

(١٤٧) الطبراني: المعجم الأوسط - تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-دار الحرمين - القاهرة.

(١٤٨) الطبراني: المعجم الكبير - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، بدون تاريخ.

(١٤٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك - دار التراث - بيروت - الطبعة: الثانية ١٣٨٧هـ.

(١٥٠) عبد الرازق هرماس: علم التفسير في كتابات المستشرقين - منشورات كلية الآداب - جامعة القاضي عياض - المغرب - بدون تاريخ.

(١٥١) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م - مؤسسة الرسالة.

(١٥٢) عبد الرزاق الصنعاني: مصنف الصنعاني - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-المكتب الإسلامي - بيروت.

(١٥٣) عبد الستار الشيخ: عثمان بن عفان - الطبعة الأولى سنة ١٤٣٥هـ سنة ٢٠١٤م - دار القلم - دمشق.

(١٥٤) عبد الستار فتح الله سعيد: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - الطبعة الخامسة - سنة ١٩٨٩م - دار الوفاء - المنصورة - مصر.

(١٥٥) عبد الشافى محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموي - دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(١٥٦) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

(١٥٧) عبد القادر محمد الحسين: تمييز الدخيل فى تفسير القرآن الكريم - مجلة جامعة دمشق للعلوم - المجلد ٢٩ - العدد الثالث سنة ٢٠٠٣م.

(١٥٨) عبد الله شحاته: تاريخ القرآن والتفسير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

(١٥٩) عبد المتعال الجبري: نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ-مكتبة وهبة - القاهرة.

(١٦٠) عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية - دار الشروق القاهرة - الطبعة الثالثة مايو ٢٠٠٣م.

(١٦١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

(١٦٢) عبدالرحمن بن حسن الميداني: أجنحة المكر الثلاثة - دار القلم - دمشق - الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(١٦٣) عبدالرحيم بن الحسين العراقي: محجة القرب إلى محبة العرب - تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله آل حمد - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(١٦٤) عبدالعزيز إبراهيم العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين - دار اشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(١٦٥) عثمان الخميس: حقبة من التاريخ - دار الإيمان - الإسكندرية بدون تاريخ.

(١٦٦) عدنان الوزان: موقف المستشرقين من القرآن الكريم: دراسة في بعض دوائر المعارف الغربية بحث منشور منشور بموقع صيد الفوائد، والمكتبة الشاملة.

(١٦٧) عدنان زرزور: القرآن ونصوصه - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ-مطبعة خالد بن الوليد - دمشق.

(١٦٨) العقاد: العبقريات الإسلامية - عثمان بن عفان - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م - دار الكتاب اللبناني - بيروت.

(١٦٩) علاء الدين أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل - تحقيق: محمد علي شاهين الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ-دار الكتب العلمية - بيروت.

(١٧٠) علاء الدين الحنفي: إكمال التهذيب في أسماء الرجال - تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن محمد - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م - دار الفاروق للطباعة والنشر.

(١٧١) على بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية - مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(١٧٢) على بن سليمان العبيد: جمع القرآن حفظا وكتابة - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بدون تاريخ.

(١٧٣) علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي - الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ-١٩٩١م - مكتبة دار التراث.

(١٧٤) علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين - مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(١٧٥) علي محمد الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ-سنة ٢٠٠٢م - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة.

(١٧٦) عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - دار طيبة - الرياض - بدون تاريخ.

(١٧٧) عمر بن شبة النميري: تاريخ المدينة - تحقيق: فهيم محمد شلتوت - طبعة جدة سنة ١٣٩٩هـ.

(١٧٨) عوض أحمد الناشري: المصحف العثماني: توصيفه - تاريخه - بحث منشور بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد - أبها.

(١٧٩) غانم قدوري الحمد: دراسات قرآنية - منشورات كلية التربية جامعة تكريت - العراق ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١٨٠) الفيروز آبادي: القاموس المحيط - بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١٨١) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التميز في الطائف الكتاب العزير - تحقيق: محمد علي النجار - الطبعة الثانية سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

(١٨٢) فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية - المطبعة الأبية - بيروت ١٩١٣م.

(١٨٣) القاسم بن سلام: كتاب فضائل القرآن – تحقيق: مروان العطية – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ–سنة ١٩٩٥م – دار ابن كثير – دمشق.

(١٨٤) القاضى الباقلاني: الانتصار للقرآن – تحقيق: محمد عصام القضاة – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ سنة ٢٠٠١م – دار الفتح – عمان.

(١٨٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن – تحقيق: هشام سمير البخاري – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م – دار عالم الكتب – الرياض.

(١٨٦) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٨٧) قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

(١٨٨) القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة – تحقيق: عبد الستار أحمد فراج – مطبعة الكويت – الكويت – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

(١٨٩) الكاندهلوي: حياة الصحابة – تحقيق: بشار عواد – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ–مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

(١٩٠) الكندي: ولاة مصر – تحقيق: د حسين نصار الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ–دار صادر بيروت.

(١٩١) لويس شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر – نقلا عن مجلة المشرق – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت ١٩١٠م.

(١٩٢) المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان – تحقيق: د. محمود يوسف زايد – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ–دار الثقافة – الدوحة.

(١٩٣) مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي – ترجمة عبدالصبور شاهين – دار الفكر – الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

(١٩٤) الماوردى: الأحكام السلطانية – دار الحديث – القاهرة – بدون تاريخ.

(١٩٥) المتقي الهندي: كنز العمال في سفن الأقوال والأفعال – تحقيق: بكري حياني – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(١٩٦) مجدي محمد فتح الباب: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين – دار الروضة – القاهرة – بدون تاريخ.

(١٩٧) مجلة المجمع العلمي العربيّ – دمشق – المجلد الأول ١٩٢١م.

(١٩٨) مجلة المشرق – المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – السنة الثانية ١٨٩٩م – العدد: ٣١.

(١٩٩) مجلة لغة العرب – صاحب امتيازها الأب أنستاس ماري الكرملي – مطبعة الآداب – بغداد – السنة الثانية ١٩١٢م.

(٢٠٠) مجلة لغة العرب – صاحب امتيازها الأب أنستاس ماري الكرملي – مطبعة الآداب – بغداد – السنة الثالثة ١٩١٣م.

(٢٠١) مجلة لغة العرب – صاحب امتيازها الأب أنستاس ماري الكرملي – مطبعة الآداب – بغداد – السنة التاسة ١٩٣١م.

(٢٠٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد السادس والأربعين ١٩٧١م.

(٢٠٣) مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – طبعت بمطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد: الثالث عشر – ١٩٦٥ – ١٩٦٦م.

(٢٠٤) مجلة: الرسالة يترأسها: أحمد حسن الزيات – القاهرة – العدد: ٢ – ١٩٣٣م.

(٢٠٥) محب الدين الخطيب: تعليقات محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم هامش – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢٠٦) المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة – دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية – بدون تاريخ.

(٢٠٧) محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلية – الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ–١٩٩٤م – دار الفكر العربي.

(٢٠٨) محمد أبو ليلة: القرآن من المنظور الاستشراقي – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م – دار النشر للجامعات– القاهرة.

(٢٠٩) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م – مكتبة وهبة – القاهرة.

(٢١٠) محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام – مطبعة الأزهر – بدون تاريخ.

(٢١١) محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان – الدار السعودية للنشر – بدون تاريخ.

(٢١٢) محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله – دار القلم – دمشق بدون تاريخ.

(٢١٣) محمد أمحزون: تحقيق: مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين – دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٢١٤) محمد بكر إسماعيل: دراسات في علوم القرآن – دار المنار – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢١٥) محمد بن على العواجى: خلافة عثمان بن عفان. رسالة ماجستير بإشراف أكرم العمري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢١٦) محمد بن عمر الواقدي: المغازي – تحقيق: مارسدن جونس – دار الأعلمي – بيروت – الطبعة: الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢١٧) محمد بن يحيى الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان – تحقيق: د. محمود زايد – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٥م – دار الثقافة – الدوحة – قطر.

(٢١٨) محمد بن يحيى المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان – تحقيق: د. محمود يوسف زايد – دار الثقافة – الدوحة – قطر – الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢١٩) محمد جاسم حمادي: ولاية عبدالله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الإقتصادية فيها – مقال بمجلة المؤرخ العربى من ص ١٢٧ إلى ص ١٤٠ – مجلة تصدرها الأمانة العامة للمؤرخين العرب – العدد ٢١ – ١٩٨٢م.

(٢٢٠) محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية – دار العربي للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ، سنة ١٩٩٥م.

(٢٢١) محمد حسان: الفتنة فى عهد الصحابة – مكتبة فياض بالمنصورة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٢٢٢) محمد حسين شراب: المدينة المنورة في فجر الإسلام والعصر الراشدي – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٢٢٣) محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

(٢٢٤) محمد رشيد رضا: سيرة ذي النورين عثمان بن عفان – دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

(٢٢٥) محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين - الفتوحات والإنجازات السياسية - دار النفائس - الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ سنة ٢٠٠٣م.

(٢٢٦) محمد صالح الغرسى: فصل الخطاب فى مواقف الأصحاب - الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٦م - دار السلام - القاهرة.

(٢٢٧) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي: تاريخ القرآن الكريم - ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة - طبع للمرة الأولى: بمطبعة الفتح بجدة - الحجاز عام ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

(٢٢٨) محمد عبد الله الغبان: فتنة مقتل عثمان - مكتبة العبيكان - سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢٢٩) محمد فاروق النبهان: الاستشراق - تعريفه - مدارسه - آثاره - منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م - الرباط - المغرب.

(٢٣٠) محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق: أهدافه ووسائله - الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٢م - دار قتيبة - دمشق.

(٢٣١) محمد أمحزون: المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ - الطبعة الأولى - دار النفائس - بدون تاريخ.

(٢٣٢) محمد ناصر الألباني: الجامع الصغير وزيادته - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٣٣) محمد ناصر الدين الألباني: السلسلة الصحيحة للألباني - مكتبة المعارف - ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢٣٤) محمد ناصر الدين الألباني: تعليقاته على المشكاة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ- المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢٣٥) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - دار المعارف القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢٣٦) محى السنة البغوي: شرح السنة - تحقيق: محمد زهير الشاويش - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م - المكتب الإسلامي - دمشق.

(٢٣٧) مرعى الحنبلى: مسبوك الذهب فى فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب - تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف - الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠هـ-مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض.

(٢٣٨) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال - تحقيق: بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٢٣٩) مساعد بن سليمان الطيار: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ-دار ابن الجوزي.

(٢٤٠) المستشرق بلاشير: تاريخ الأدب العربي - طبعة وزارة الثقافة - دمشق سنة ١٩٧٤م.

(٢٤١) المستشرق دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا - ترجمة حسن حبشى - المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٢٤٢) المستشرق سيديو: تاريخ العرب العام - ترجمة: عادل زعيتر - الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ- دار إحياء الكتب العربية.

(٢٤٣) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر - اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي - المكتبة العصرية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(٢٤٤) مسلم: صحيح مسلم - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث - بيروت بدون تاريخ.

(٢٤٥) مصطفى السباعي: المستشرقون مالهم وما عليهم - دار الوراق للنشر والتوزيع - الرياض، بدون تاريخ.

(٢٤٦) مصطفى ديب البغا: تعليقاته على صحيح البخاري - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢٤٧) المعجم الوسيط - نشر دار الدعوة - القاهرة - بدون تاريخ.

(٢٤٨) مقدمة الطبعة الثانية لدائرة المعارف الإسلامية - طبعة دار الشعب - القاهرة ١٩٦٩م.

(٢٤٩) موجز دائرة المعارف الإسلامية - مركز الشارقة للإبداع الفكري - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢٥٠) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا مادة: الفورد ولش.

(٢٥١) الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م - الرياض.

(٢٥٢) موقع بموقع أمازون: Amazon بحث باسم: Alford T. Welch

(٢٥٣) موقع ناشر الموسوعة بريل:

http://www.brill.com/publications/online-resources/encyclopaedia-islam-online

(٢٥٤) نجيب العقيقي: المستشرقون - دار المعارف - مصر - الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤م.

(٢٥٥) نذير حمدان: مستشرقون - مكتبة الصديق للنشر والتوزيع - الطائف – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٥٦) النسائي: السنن الكبرى تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢٥٧) النووى: المجموع شرح المهذب - طبعة دار الفكر - بدون تاريخ.

(٢٥٨) النووى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

(٢٥٩) الهيثمي: مجمع الزوائد - تحقيق: حسام الدين القدسي - مكتبة القدسي - القاهرة - ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢٦٠) واضح الصمد: الحضارة العربية في الإسلام - المؤسسة الحديثة للكتاب بيروت - بدون تاريخ.

(٢٦١) ولش: الله والمخلوقات الماورائية بموقع:

http://www.maaber.org/issue_february14/mythology1.htm#_ftn7

(٢٦٢) وول ديورانت: قصة الحضارة - تحقيق: وترجمة د. زكي نجيب محمود – الطبعة الثانية سنة١٤٠٨هـ-١٩٨٨م - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس.

(٢٦٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان - دار الفكر - بيروت بدون تاريخ.

(٢٦٤) يحيى مراد: معجم أعلام المستشرقين - نشرة إليكترونية عبر شبكة كتب عربية.

(٢٦٥) يحيى مراد: من قضايا الاستشراق: بحوث ودراسات – نشرة إليكترنية عبر شبكة كتب عربية.

(٢٦٦) يوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة – مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

(٢٦٧) يوسف جيزا: تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا – دار الكتب المصرية ١٩٢٩م.

(٢٦٨) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة – الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م – دار المعارف– القاهرة.

(٢٦٩) يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية – ترجمة د. عبد الهادي أبو ريدة – لجنة التأليف والنشر – القاهرة ١٩٥٨م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
شكر وتقدير	٣
إهـــداء	٤
المقدمـــــة	٥
أهمية الموضوع	٩
أسباب اختيار الموضوع	١٢
أسئلة الدراسة	١٣
أهداف الدراسة	١٤
حدود الدراسة	١٤
منهج الدراسة	١٤
مصطلحات الدراسة	١٦
الدراسات السابقة	٢٢
خطة الدراسة	٢٤
التمهيـــد	٢٧
أولاً: ترجمة موجزة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.	٢٩
اسمه ونسبه	٣٠
ولادته	٣١
إسلامه	٣١
كنيته	٣٢
لقبه	٣٢
صفته الخَلْقية	٣٣

الموضــــوع	الصفحة
وأما صفاته الخُلُقية	٣٤
ثقافته	٣٧
أولاد عثمان وأزواجه	٣٩
من فضائل عثمان	٤٣
أحاديث يخبر فيها النبي ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان	٤٥
مكانة عثمان عند الخليفتين السابقين عليه «أبي بكر وعمر»	٤٧
خلاصة	٥٠
ثانياً: تعريف بالمستشرقين الذين كتبوا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية	٥٣
١. فنسنك (١٨٨٢– ١٩٣٩م) ARENT JAN WENSINCK	٥٣
٢. توماس أرنولد: (١٨٦٤م–١٩٣٠م) SIR THOMAS ARNOLD	٥٦
٣. ليفي دي لافيدا (١٨٨٦ – ١٩٦٧م) LIVIDELLA VIDA	٦٠
٤. روبسون (١٨٩٠ – ..) Robson, J.	٦٧
٥. الفورد ت. ولش Alford T. Welch	٦٩
ثالثاً: تعريف موجز بدائرة المعارف الإسلامية.	٧٢
ما معنى دائرة معارف أو موسوعة؟	٧٢
نشأة دائرة المعارف الإسلامية وتطورها	٧٤
طبعات الدائرة	٨٠
أهمية دائرة المعارف الإسلامية وخطورتها	٨٣
دائرة المعارف بين القبول والرفض	٨٦
موقف الرفض التام	٨٦
موقف القبول التام	٨٩

الموضـــوع	الصفحة
رأي الباحث	٩١
الفصل الأول: كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عن عثمان بن عفان ﷺ في الجاهلية وعهد النبوة	٩٤
المبحث الأول: كتاباتهم عن عثمان بن عفان ﷺ في الجاهلية	٩٩
معنى الجاهلية في اللغة	٩٩
معنى الجاهلية في القرآن الكريم	١٠١
مفهوم الجاهلية في نظر المستشرقين	١٠٤
الأمر الأول: معني الجاهلية	١٠٤
الأمر الثاني: دور القبيلة	١٠٦
المبحث الثاني: كتاباتهم عن عثمان بن عفان ﷺ في عهد النبوة	١١٣
الشبهة الأولى: الربط بين إسلام عثمان ﷺ	١١٣
الرد على هذه الشبهة	١١٣
الشبهة الثانية: عدم مشاركة عثمان في الحياة العامة أيام النبي ﷺ وأبي بكر	١١٨
الرد على هذه الشبهة	١١٩
الفصل الثاني: موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية	١٤٢
المبحث الأول: موقفهم من الخلافة الراشدة	١٤٦
الشبهة الأولى: قولهم أنه ليس هناك دليلا على أن لقب «خليفة»	١٤٨
الرد على هذه الشبهة	١٤٨
الشبهة الثانية: شبهة متعلقة بأول من تسمى باسم الخليفة	١٥٢
الرد على هذه الشبهة	١٥٢

الموضـــوع	الصفحة
الشبهة الثالثة: شبهة متعلقة بطبيعة الخلافة الراشدة	١٥٦
الرد على هذه الشبهة	١٥٦
الشبهة الرابعة: شبهة حول طبيعة العلاقة بين الخلفاء وبين باقي المسلمين	١٦٥
الرد على هذه الشبهة	١٦٥
المبحث الثاني: موقف المستشرقين من بيعة عثمان بن عفان ﷺ	١٦٨
تعريف البيعة	١٦٨
البيعة عند المستشرقين	١٧١
موقف المستشرقين من بيعة عثمان ﷺ	١٧٢
الشبهة الأولى: شبهة بيعة عثمان بن عفان ﷺ للخلافة بسبب عرقه الأموي	١٧٢
الشبهة الثانية: شبهة بيعة عثمان بن عفان ﷺ للخلافة بسبب مصاهرته للنبي ﷺ	١٧٤
الشبهة الثالثة: شبهة أن عثمان بن عفان ﷺ ليس أهلا للخلافة	١٧٥
المبحث الثالث: موقف المستشرقين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ	١٩١
الشبهة الأولى: شبهة تولية عثمان ﷺ لأقربائه فى المناصب الكبرى	١٩١
الرد على هذه الشبهة	١٩٢
الشبهة الثانية: شبهة نقصان موارد بيت المال في خلافة عثمان بن عفان ﷺ	٢٣٤
الرد على هذه الشبهة	٢٣٤
الشبهة الثالثة: شبهة إعطاء عثمان ﷺ لأقاربه من مال المسلمين	٢٤٠
الشبهة الرابعة: شبهة إعطاء عثمان ﷺ القطائع لكثير من الناس	٢٤٤
الرد على هذه الشبهة	٢٤٤

الموضــــوع	الصفحة
الفصل الثالث: موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ﵁ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية	٢٥١
المبحث الأول: موقف المستشرقين من جمع القرآن في عهد عثمان ﵁	٢٥٦
الشبهة الأولى: حول لغة القرآن هل كانت عامية أو فصحى	٢٦٧
الرد على هذه الشبهة	٢٦٨
الشبهة الثانية: حول اللغة التي كتب بها القرآن في عهد عثمان ﵁ هل كانت لغة قريش أو غيرها؟	٢٧١
الرد على هذه الشبهة	٢٧٢
الشبهة الثالثة: حول اللجنة التي كلفها عثمان ﵁ بنسخ المصحف	٢٧٦
الرد على هذه الشبهة	٢٧٧
الشبهة الرابعة: وهي المتعلقة بزيد بن ثابت ﵁	٢٨٢
الرد على هذه الشبهة	٢٨٣
الشبهة الخامسة وهي المتعلقة بترتيب الآيات والسور	٢٩١
الشبهة السادسة: صحة رواية جمع القرآن في عهد عثمان ﵁	٢٩٤
المبحث الثاني: موقفهم من تعدد المصاحف في عهد عثمان بن عفان ﵁	٢٩٨
أولاً: شبهات عامة تتعلق بتعدد المصاحف:	٢٩٩
الشبهة الأولى: أن عثمان ﵁ أضفى الشرعية على مصحف المدينة دون غيره	٢٩٩
الشبهة الثانية: قوله باختلاف القراءات بين المصاحف	٣٠٢
ثانياً: شبهات تتعلق بموقف بعض الصحابة من مصحف عثمان ﵁	٣١١
الشبهة الأولي: موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان ﵁:	٣١١

الموضـــوع	الصفحة
الرد على هذه الشبهة	٣١٢
الشبهة الثانية: أن مصحف ابن مسعود لا يضم الفاتحة والمعوذتين	٣١٨
الرد على هذه الشبهة	٣١٨
الشبهة الثالثة: مصحف أبي بن كعب ﷺ كان يضم سورتي الخلع والحفد	٣٢٣
الرد على تلك الشبهة	٣٢٦
ثالثاً: اعترافات بعض المستشرقين بأنه لا قيمة لما يثيره المستشرقون من شبه حول جمع القرآن وتعدد المصاحف	٣٣٣
الفصل الرابع: موقف المستشرقين من فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ من خلال كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية	٣٣٦
المبحث الأول: موقفهم من الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان ﷺ	٣٤٠
الشبهة الأولى: السبب الاقتصادي:	٣٤٠
الرد على هذه الشبهة	٣٤٠
الشبهة الثانية: دور أبي ذر ﷺ في الفتنة	٣٤٥
الرد على هذه الشبهة	٣٤٦
أسباب الفتنة كما ذكرها المستشرقون	٣٥٤
أولا: محاولة المستشرقين إقحام عمرو بن العاص في فتنة مقتل عثمان ﷺ	٣٥٥
ثانيا: الكتاب المدسوس على عثمان ﷺ	٣٥٩
ثالثا: سقوط الخاتم من يد عثمان ﷺ	٣٦٥

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الثاني: موقف المستشرقين من فتنة الخوارج في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه	٣٦٩
أولا: بداية الفتنة في العراق خاصة الكوفة	٣٧٠
ثانيا: انفجار الثورة عامة بعد أن كانت محلية	٣٧٤
ثالثاً: الخوارج يواجهون الخليفة بما يعتقدونه مظالم	٣٨٣
المبحث الثالث: موقفهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه	٣٩٠
أولا: حصار الخليفة عثمان رضي الله عنه في بيته	٣٩٢
ثانياً: المشاركون في الحصار مجموعة من الغوغاء	٣٩٢
ثالثا: من الذي قتل عثمان رضي الله عنه	٣٩٦
دور عبدالله بن سبأ اليهودي في	٣٩٧
الخاتمـــة	٤٠٢
النتائـــــج	٤٠٥
التوصيـــــات	٤١٢
الفهـــــارس	٤١٤
فهرس الآيات القرآنية	٤١٥
فهرس الأحاديث النبوية	٤٢١
فهرس الآثـار	٤٢٥
فهرس الأعلام المترجم لهم	٤٢٩
فهرس المصادر والمراجع	٤٣٢
فهرس الموضوعات	٤٥٣